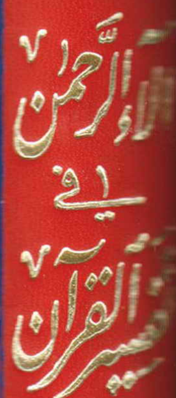
آلاء الرحمن في تفسير القرآن

محمد جواد البلاغي النجفي

دار
إحياء التراث العربي
بيروت





1









من فضله جلت آلاؤه على عبده الضعيف الفقير إلى رحمته وعفوه
محمد جواد البلاغي النجفي اعانه الرحمن بالتوفيق
والتسديد وأنعم عليه بالحسنى والسعادة في
الدنيا والآخرة انه ارحم الراحمين
وخير المسؤولين



الجزء الاول

دار احياء التراث العربي
بيروت - لبنان

آلاء الرحمن

في

تفسير القرآن



وله الحمد وهو المستعان والصلاة والسلام على خيرته من خلقه محمد صلى الله عليه وآله سيد المرسلين وآله الطاهرين المعصومين صلوات الله عليهم اجمعين (وبعد) ففي فجر سعادة البشر وتبلج صبح الهدى ورسالته . اشرق نور القرآن الكريم على العالم من أفق الوحي على الرسول الأمين الصادع بأمر ربه . فكان باعجازه الباهر حجة على وحيه وبفضائله الفائقة دليلا على فضله وبسناه الوضاح هاديا الى اتباعه . يعرّفك في كل باب من ابواب معارفه السامية انه تنزيل من ربّ العالمين . ولكن اختلاط اللسان واختلاف الزمان وتشعب الاهواء وتضارب الآراء أثارت من دون انواره غباراً وجعلت على البصائر من الجهل غشاوة . وقد اوجب الله على عباده أن ينصروا الحقيقة بالبيان ويجلوا غبار المشكوك بالحجة ويميطوا غشاوة الجهل بيد العلم الشافي . وقد نهض جماعة لتفسيره والارشاد الى منهج فهمه . فآثرت وانا الأقل محمد جواد البلاغي ان أتطفل في هذا الشأن واتقحم في هذا الميدان جاريا على ما تقتضيه أصول العلم متنكبا مالاحجة فيه من نقل الأقوال متحرّيا للاختصار مها أمكن مستعينا بالله ومستمداً من فضله وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب . وقد سميت الكتاب (آلاء الرحمن في تفسير القرآن) وجعلت للمقصود مقدمة فيها فصول وخاتمة

الفصل الأول في إعجازه

المعجز هو الذي يأتي به مدّعي النبوّة بعناية الله الخاصة خارقاً للعادة وخارجاً عن حدود القدرة البشريــة وقوانين العلم والتعلم ليكون بذلك دليلا على صدق النبي وحجته في دعواه النبوة ودعوته

وجه شهادة المعجز

ودلالته على صدق النبيّ في دعواه ودعوته ليس إلاّ انّ مدّعي النبوّة إذا كان ظاهر الصلاح موصوفاً بالأمانة معروفاً بصدق اللهجة والاستقامة لا يخالف العقل في دعوته وأساسيّاتها لم يجز عقلاً اظهار المعجز على يده إلاّ إذا كان صادقاً في دعوى النبوة ودعوتها . الا ترى انه لو كان مع صفاته المذكورة كاذباً في دعواه لكان اظهار المعجز على يده وتخصيص الله له بالعناية اغراءً للناس بالجهل وتوريطاً لهم في متاهات الضلال وهذا قبيح ممتنع على جلال الله وقدسه

توضيح ذلك

هو أنّ الناس بحسب فطرتهم التي لا تدنسها رذائل الأهواء والعصبية إذا ظهر لهم صلاح الشخص وصدقه وامانته واستقامته فيما يعرفونه من احواله وأطواره توسموا بباطنه الخير وانّ باطنه موافق لظاهره في الصلاح . وكلما زادت خبرتهم بصلاح ظاهره زاد وثوقهم بصلاح باطنه . إلا انه مهما يكن من ذلك فإنه لا يبلغ بهم مرتبة العلم وثبات الاطمئنان بعصمته عن الكذب في دعواه وتبليغات دعوته فلا ينتظم تصديقهم له ولا يدوم انقيادهم إلى تبليغاته في دعوته . بل لا يزال اختلاج الشكوك يميل بهم يمينا وشمالا لكن إذا خصته العناية الإلهية بكرامة المعجز وخارق العادة حصل العلم الثابت واطمئنت النفوس السليمة بصدقه وعصمته في دعواه وما يأتي به في دعوته . ويثبت اليقين وينتظم امره بالنظر إلى أنه يمتنع على جلالة الله وقدسه في مثل هذه المزلقة ان يظهر المعجز وعنايته الخاصة على يد الكاذب المدلس بصلاح ظاهره . فإن اظهار المعجز حينئذ يكون مساعدةً للمدلس على تدليسه ومشاركةً له في اغوائه واغراءً للناس في الجهل الضار المهلك . وذلك لما ذكرناه من مقتضى فطرة النــاس السليمة . فالمعجز الشاهد بصدق النبي في دعواه ودعوته هو ما يقوم بما ذكرنا من الفائدة في مثل ما ذكرناه من المقام والوجه

حكمة تنوع المعجز

ولا يخفى أنّ حصول الفائدة المذكورة من تنوُّع المعجز المذكور يختلف كثيرا بسبب اختلاف الناس في أطوارهم ومعارفهم ومألوفاتهم . فربّ خارقٍ للعادة يعرف بعض الشعوب انه خارق للعادة لا يكون إلا بإرادة إلٓهية خاصة ويكون في بعض الشعوب معرضاً للشك او الجحود لإعجازه وخرقه للعادة

كان في عصر موسى النبي (ع) من الرائج بين المصريين صناعة السحر المبتنية على قوانين عادية يجري عليها التعليم والتعلم . فكانوا يعرفون ما هو جار على نواميس هذه الصناعة وما هو خارج عنها وعن حدود القدرة البشرية . ولأجل ذلك اقتضت الحكمة ان يحتج عليهم بمعجزة العصا التي القاها موسى(ع) أمام أعينهم فصارت ثعبانا تلقف ما يأفكون ويسحرون به الناس من الحبال والعصيّ ثم رجعت بعد ذلك عصا كحالها الأول ولم يبق لحبالهم وعصيهم عين ولا اثر فانهم بسبب معرفتهم لحدود السحر عرفوا أن امر العصا خارج عن صناعة السحر وعن حدود القدرة البشرية ولذا آمن السحرة بأن أمرها من الله تعالى

و كانت فلسطين وسوريا في عصر المسيح مستعمرة لليونان وفيهامنهم نزلاء كثيرون . فكان للطبّ فيها رواج ظاهر وكان في الفصل الثالث عشر والرابع عشر من سفر اللاويين من التوراة الرائجة تعليم طويل في تطهير القرع والبرص والقوبا بنحو يختص بروحانية الكهنوت ويوهم انه من بركات الكهنة والآثار الرّوحية وإن كان من نحو الحجر الصحي فلأجل ذلك .كانت معجزات المسيح بشفاء الأبرص والاعمى والأكمه مما يعرفون انه خارج عن حدود الطب ومراغم الكهنة وقدرة البشر ومن خارق العادة التي لا يكون إلا بقدرة الله تعالى

حكمة كون المعجز للعرب هو القرآن

وأما العرب الذين ابتدأت بهم دعوة الإسلام في حكمة سيرها في الإصلاح فقد كانت معارفهم نوعاً منحصرة بالأدب العربي وكانوا خالين من سائر العلوم والصنائع الخاضعة للعلم والتعلم . فلم يكونوا يميزون حدودها العادية بحسب موازين العلم والتعلم وأسرار الطبيعيات المنقادة بقوانينها للباحث والممارس والمتعلم والمجرّب والمكتشف والداخلة تحت سطيرة العلم والتعلم . فلا يعرفون من الأعمال ما هو خارج عن هذه الحدود وخارق للعادة ولا يكون

إلا بإعجاز إلهي. فكل عمل معجز من غير الأدب العربي بمجرد مشاهدتهم له او سماعهم به يسبق الى اذهانهم ويستحكم في حسبانهم انه من السحر او من مهارة اهل البلاد الأجنبية في الصنائع وتقدمهم في العلوم وا سرار الطبيعيات وقوانينها . ولا يذعنون بأنه معجز إلهي بل يسوقهم شك الجهل الى الجحود خصوصا اذا كان ذلك يحتج به النبي على دعوى ودعوة ثقيلتين على ضلالتهم باهظتين لعاداتهم الوحشية واهواء الجهل

نعم برعوا بالأدب العربي وبلاغة الكلام التي تقدموا فيها تقدماً باهراً حتى قد زهى في عصر الدعوة روضه الخيل واينعت حدائقه وفاق بجده وقرروا له المواسم وعقدوا المحافل للمفاخرة بالرقي فيه . فرقت بينهم صناعته إلى اوج مجدها وزهرت بأجمل مظاهرها واحاطوا باطرافها وحددوا مقدورها . فعاد المرء منهم رجد خبير بما هو داخل في حدود القدرة البشرية وما هو خارج عنها ولا يصدر على لسان بشر ابتداء إلا بعناية إلهية خاصة خارقة للعادة البشرية لحكمة إلهية شريفة

ولذا اقتضت الحكمة الالهية « ولله الحكمة البالغة » ان يكون القرآن الكريم هو المعجز المعنون والذي عليه المدار في الحجة لرسالة خاتم النبيين وصفوة المرسلين صلوات الله عليهم اجمعين . فانه يكون حجة على العرب باعجازه ببلاغته وبعجزهم عن الاتيان بمثله او بسورة من مثله . وبخضوعهم لاعجازه وهم الخبراء في ذلك يكون ايضا حجة على غيرهم في ذلك . وانه هو الذي يدخل في حكمة المعجز والاعجاز في شمول الدعوة للعرب وابتدائها بهم بحسب سيرها الطبيعي على الحكمة وبه تتم فائدة المعجز على وجهها

امتيازه عن غيره من المعجزات

مضافا الى انه امتاز عن غيره من المعجزات وفاق عليها بأكبر الأمور الجوهرية في شؤون النبوة والرسالة ودعوتها «فمن ذلك» انه باق مدى السنين ممثل بصورته ومادته لكل من يريد أن يطلع عليه ويمارس أمره وينظر في أمره ويعرف كنهه وحقيقته. فهو بادٍ في كل آنٍ ومكان لكل من يطلب الحجة على النبوة والرسالة ويريد النظر في حقيقة معجزها الشاهد لصدقها . ماثل لكل من يريد النظر في الحقائق ولا تحتاج معرفة حقيقته ووجه اعجازه الى اساطير النقل ومماراة قال او قيل . فلا يحتمل أمره . إنه دبرت دعواه بليل . ولا يستراب من أمره باحتمال التمويه

بل ينادي هو بنفسه في كل زمان ومكان (هذا جناي وخياره فيه) وكله خيار فائق متفوق « ومن ذلك » انه بنفسه ولسانه وصريح بيانه قد تكفل بالاثبات لجميع المقدمات التي تنتظم منها الحجة على الرسالة الخاصة وشهادة اعجازه لها . ولم يوكل أمر ذلك الى غيره مما يختلج فيه الرّيب وتعرض فيه الشبهات وتطول فيه مسافة الاحتجاج وتكثر صعوباته : فالتفت واعرف ذلك من أمور

(الأول) انه تكفل ببيان دعوى النبي للنبوّة والرّسالة في سائر النبوّات

(الثاني) انه تكفل في صراحة بيانه بالشهادة للنبوّة والرّسالة فلم تبق حاجة لدلالة العقل ودفع الشبهات عنها

(الثالث) انه تكفل في صراحته المتكررة ببيانه لكمالات مدّعي رسالته وأطرى بصلاحه وأخلاقه الفائقة كما هو معروف . فمهد المقدمات اللازمة في البيان وصورة الاحتجاج بانه لو كان كاذبا لكان ظهور المعجزة له من الاغراء بالجهل القبيح الممتنع لقبحه على جلال الله وقدسه تعالى شأنه . واليك فاسمع بعض ما جاء في القرآن في بيان هذه الأمور الثلاثة . ففي سورة الاعراف « ١٥٧ : قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا » وسورة النجم المكية من الآية الثانية الى الخامسة « ما ضلّ صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى » وفي سورة الفتح « ٢٩ : محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار » وفي سورة الأحزاب « ٤٠ : ما كان محمد أبا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » وفي اوائل سورة القلم المكية « ما أنت بنعمة ربك بمجنون وان لك لأجراً غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم الى قوله تعالى ان ربّك هو اعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين وقوله تعالى ودّوا لو تدهن فيدهنون » وفي سورة الاعراف « ١٥٦ : يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر » وفي سورة الأحزاب « ٤٤ : و٤٥ يا ايها النبي إنا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً »

(الأمر الرابع) انه تكفل بنفسه دفع الموانع عن الرسالة والنبوّة إذ بين موادّ الدّعوة وأساسياتها ومعارفها وقوانينها الجارية بأجمعها على المعقول من عرفانيها واخلاقيها واجتماعيها وسياسيها فلا يوجد فيها ما يخالف المعقول ليكون مانعا عن النبوّة وفي سورة الاسراء المكية « ٩ : انّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم » ودونك القرآن الكريم وحقق وتبصر وتنوّر فيما تضمنه من هذه المواد الشريفة « إن هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم »

(الأمر الخامس) انه زاد على كونه معجزاً بنفسه بأن كرّر النداء والمصارحة في الاحتجاج باعجازه وتحدّي الناس واعلن بالحجة وهتف بهم هتافاً مكرّراً مؤكداً بأن يعارضوه لو لم يكن معجزاً ويأتوا بمثله أو بعشر سور أو سورة واحدة من مثله ان كان مما تناله قدرة البشر المحدودة وقد نادى بقرار الإنصاف والمماشاة وجعل لهم ان أتوا بعشر سور او سورة من مثله أن تسقط عنهم هذه الدعوى ويستريحوا من ثقلها الباهظ لضلالهم ويدعوا من يستطيعون عقلا ان يدعوه من دون الله لو استطاعوا أو وجدوا إلى ذلك من المعقول سبيلا . جعل لهم ذلك من باب المماشاة والمجاراة في الحجة تعليقاً على المستحيل ولهم في ذلك المهلة والأناة ليعدّوا عدّتهم في المظاهرة والتعاون ففي سورة هود المكية « ١٦ : أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين ١٧ : فإن لم يستجيبوا فاعلموا انما أنزل بعلم الله » وفي سورة يونس المكية « ٣٩ : أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين » وفي سورة البقرة « ٢١ : وإن كنتم في ريب مما نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهدائكم من دون الله ان كنتم صادقين » فيما تدعونهم وتصفونهم به « ٣٢ » فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي » وفي سورة الاسراء المكية « ٩٠ : قل لإن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » هذا وقد مضت لهم عدة اعوام ودعوة الرسالة والإعذار والإنذار والاحتجاج بإعجاز القرآن دائمة عليهم وهم في أشد الضجر من ذلك والكراهية له والخوف من عاقبته . وفي أشد التألم من آثار الدعوة وتقدّمها وظهورها . وفي اشد الرغبة في اهوائهم وعاداتهم الوحشية ورئاساتهم والعكوف على معبوداتهم ومع ذلك لم يستطيعوا أن يعارضوا شيئاً من القرآن الكريم ولو بأن يأتوا بسورة من مثله لكي تظهر حجتهم وتسقط عنهم حجة الرسول ويستريحوا من عناهم وقلقهم وآلامهم من دعوته التي شتتت جامعتهم الأوثانية وهدّدت رئاساتهم الوحشية وتشريعاتهم الأهوائية وفرّقت بين الأب منهم وبنيه والأخ وأخيه والزوج وزوجه والقريب وقريبه وكدّرت صفائهم ونافرت بين عواطفهم . وقد سامهم في دعوته اصلاحا وخضوعا لم يكونوا يحتسبونه ولم يجدوا لذلك حيلة إلا الجحود السخيف والعناد الشديد وقساوة الاضطهاد والاستشفاع بأبي طالب في ترك الرسول لدعوته أو تمرّدهم بالمثابرة الوحشية فاقتحموا فيها الأهوال وتجشموا المصاعب وقتال الأقارب والاخوان ومقاساة الشدائد وذلة المغلوبية . فلماذا

لم يتظاهروا بأجمعهم عشر سنوات او اكثر ويأتوا بشيء من مثل القرآن الكريم ولو سورة واحدة ويفاخروا الرسول(ص) ويحاكموه في المواسم والمحافل التي أعدّوها لمثل ذلك فتكون لهم الحجة والانتصار في الحكومة وقرار النصفة وينادوا بالغلبة ويستريحوا من عناء هذه الدعوة وتهديدها لضلالهم . فلماذا لم يفعلوا ذلك والقرآن والرسول قد دعواهم إلى ذلك تعجيزاً وهم هم وينابيع فصاحتهم وبلاغتهم غزيرة . وغرائزهم في الأدب العربي متدفقة . وقرائحهم سيالة ومواد القرآن في مفرداته وتراكيبه من لغتهم . وأسلوبه من نحو صناعتهم التي لهم فيها الممارسة التامة والمهارة الفائقة والرّقي المعروف ولله الحجة البالغة

ولو كان هناك أقلّ قليل من المعارضة والإتيان بسورة واحدة من مثل القرآن لرفعه الضلال ناراً على علم . واحتفلت فيه ألوف الألوف من اضداد الإسلام والقرآن . ولسجلته دواوينهم في أقطار الأرض وأجيال الأمم . وتلقوه بأحسن ابتهاج . وصالوا به أكبر صولة لأنه الفيصل السلمي والحجة الأدبية التي ما فوقها حجة لهم في الجدل والبرهان . ولكن هل سمعت أن أحداً نبس في ذلك ببنت شفة أو أجري فيه قلم . وإن أمر ذلك بمعزل عن داخلية الإسلام لكي يقال انه أخفته شوكة المسلمين او دسائس تواطيهم . بل إن بذرته ومغرسه وسوره وحفظه وحياطته ترجع إلى ألوف الألوف في كل جيل من انصاره اضداد الإسلام والقرآن سواء كان ذلك قبل الهجرة أو بعدها أو بعد زمان الرسول (ص). ألا ترى انه بعد أن ضرب الإسلام بجرأته في جزيرة العرب بقي في اليمن وسوريا والعراق كثير من اليهود والنصارى وأمثالهم وهم الألوف أو ألوف الألوف من العرب أو من يعرف اللغة العربية ويتكلم بها ويتأدب بآدابها . وأضف إلى ذلك المنافقين الذين كانوا يكيدون الإسلام جهدوسعهم في عصر الرسول وبعده . فهل يخفى على هؤلاء ما هو ضالتهم المنشودة . وسلاح سطوتهم . وعدّة صولتهم وأقطع حجة لهم واكبر مدافع عن أديانهم . فإنه لا عطر بعد عرس ولكن ماذا يصنعون بالعدم . وعدم القدرة من المتأخر على الاختلاق

ومما يشهد لما ذكرناه ويجلو تمثيله لبداهة الاعتبار أن اليد الأثيمة غلبت بسنوح الفرصة حتى على المحدثين والمفسرين فدسّت في كثير من كتب التفسير خرافة الغرانيق وخرافة سبب النزول في آية التمني من سورة الحج كما نجده في اكثر التفاسير . فلوثت قدس رسول الله (ص) بما شاءت وسنحت به لها الفرصة . وكذا قدس جميع الأنبياء والمرسلين في

حديثهم . وتلاوتهم بحيث لا يبقى بهم ادنى وثوق في ذلك(١)

هذا في وجهة الاعجاز الذي تقوم به الحجة على العرب . وان للقرآن المجيد ايضا وجوهاً من الإعجاز ما يشترك في معرفتها كل بشر ذي رشد اذا اطلع عليها . وهي عديدة نشير إلى بعض منها في هذا المختصر

اعجازه من وجهة التاريخ

لا نقول بذلك بمحض اخباره عن الحوادث الماضية والأمم الخالية وإن كان رسول الله الذي جاء به لا يقرأ ولا يكتب ولم يدخل مدرسة ولم يمارس تعلماً . كما هو المعلوم من تاريخ حياته (ص) . فإنه يمكن ان يقال ان هذا الإخبار المذكور ممكن في العادة لنوع البشر وان كان معرضا للعثرات التي لا تقال . بل نقول ان القرآن الكريم اشترك في تاريخه في بعض القصص مع التوراة الرائجة التي اتفق اليهود والنصارى على انها كتاب الله المنزل على رسوله موسى فأوردت هذه التوراة تلك القصص وهي مملوءة من الخرافات أو الكفر أو عدم الانتظام الذي تشابه فيه كلام المبتلي بالبرسام : فمن ذلك قصة آدم في نهي الله له عن الأكل من الشجرة وما فيها من الخرافات والكفر بنسبة الكذب والخداع إلى الله جلّ وعلا وسائر شؤون القصة على ما جاء في الفصل الثالث من سفر التكوين : ومن ذلك ما جاء في الفصل الخامس عشر منه من شك ابراهيم في وعد الله له بإعطائه الأرض في سوريا ومن ذكر العلامة في ذلك : ومن ذلك ما جاء في الفصل الثامن عشر والتاسع عشر في مجيء الملائكة إلى ابراهيم بالبشرى باسحق واخباره بأمر هلاك قوم لوط ومن حكاية ذهابهم إلى لوط وخطابهم معه . ومن ذلك ما جاء في الفصل الثالث من سفر الخروج في خطاب الله لموسى من الشجرة وفي أواخره ما حاصله ان الله جل شأنه افتتح الرسالة لموسى بالتعليم بالكذب : ومن ذلك ما جاء في الفصل الثاني والثلاثين في سفر الخروج في ان هارون هو الذي عمل العجل ليكون إلهاً لبني اسرائيل ودعى لعبادته وبنى له رسوم العبادة فانظر إلى هذه القصص في مواردها المذكورة من التوراة الرائجة — والقرآن الكريم اورد القصة الأولى في سورتي الاعراف وطه — والثانية في أواخر سورة البقرة — والثالثة في سورتي هود والذاريات — والرابعة في سور طه والنمل والقصص —

(١) فانظر في الجزء الأول من كتاب الهدى في صفحة ١٢٣=١٢٨ والجزء الاول من الرحلة المدرسية في صفحة ٣٧ و ٣٨

والخامسة في سورتي طه والأعراف فجاءت هذه القصص بكرامة الوحي الإلهي منزّهة عن كل خرافة وكفر وعن كل ما ينافي قدس الله وقدس انبيائه . جارية على المعقول . منتظمة الحجة . شريفة البيان . وذلك مما يقيم الحجة ويوجب اليقين بأنه لا يكون إلا من وحي الله ولا يكون من بشر بما هو بشر مثل رسول الله الذي لم يمارس تعلماً في المعارف الإلهية ولم يتخرج عن مدرسة ولم يترب إلا بين اعراب وحشيين وثنيين على أوحش جانب من الوحشية والوثنية . بل لو مارس جميع التعاليم وتخرّج من جميع الكليات لما امكنه ان يتنزّه وينزه معارفه وكلامه من أمثال هذه الخرافات الكفرية

لم يكن في ذلك العصر وما قبله إلا تعاليم اليهود والنصارى . وأساسها في الديانة مبنيّ على ما أشرنا اليه من خرافات التوراة الرائجة فهم عكوف عليها في عبادتهم ومواسمهم وتعاليمهم ومدارسهم . أو تعاليم الوثنيين ومنهم قومه . تلك التعاليم الجهلية الخاسئة . او تعاليم المجوس المتشعبة من كلا التعليمين المذكورين فإنه صلوات الله عليه او كان اخذ القصص المذكورة من ذات التوراة الرائجة بالاتقان أو من الروحانيين المسيطرين على تعليمها وأراد أن يتقوّل بها على الوحي تزلفاً أو مخادعة لهم ليستجيبوا إلى اتباع دعوته لأتى بها على ما في التوراة من الخرافة والكفر . ولو كان أخذها سطحياً من افواه الرجال كما يأخذ الأميّ من ألسن العامة لزاد عليها أضعاف خرافاتها وكفرها كما تستلزمه وتوجبه اميته وتربيته وجهل قومه وبلاده ووحشيتهم ووثنيتهم لكن (إن هو إلا وحي يوحى) إلى رسول لا تأخذه في تبليغ الحقائق لومة لائم أو مخالفة أمم . فانظر إلى تفصيل ذلك في الجزء الأول من الرحلة المدرسية (١) وعلى هذا النحو يجري الكلام فيما ذكر في العهد القديم الذي يعدّه أهل الكتاب من الوحي الصادق حيث نسب إلى ايوب أشنع الاعتراض على الله والجزع من قضائه ونسبة الظلم اليه جلّ وعلا وطلب المحاكمة معه حتى انه صار يوبخ واعظيه والناهين له عن هذه الجرأة ويسفه رأيهم . ونسب الزنا إلى داود بأشنع وجه . ونسب إلى سليمان انه تمادى في تأييد الشرك بالله والعبادة الأوثانية وكثر منه بناء المباني لعبادة الأوثان . وقد كثرت مصائب الأناجيل في القدح بقدس المسيح مع صغر حجمها وقلة مكتوبها فنسبت الى قدسه شرب الخمر وتكرّر الكذب والأحوال المنافية للعفة وانتهاره لوالدته وقدحه في قداستها والقول بتعدد

(١) صحيفة ٧=١١ و ٤١و٤٢و٤٣=٤٦و٤٧و٥٨ . و٣٠ =٣٤

الآلهة والأرباب وغير ذلك مما سنشير اليه . وجاء رسول الله صلى الله عليه وآله بوحي قرآنه منزّها لهؤلاء الأنبياء ومبرّءاً لهم عن هذه الوصمات الشنيعة فانظر إلى تفصيل ذلك في الجزء الأول من كتاب الهدى (١) وعلى هذا النحو يجري الكلام ايضا فيما ذكر في التوراة والعهد القديم من القصص الخرافية المنافية لجلال الله وقدس انبيائه وشرفهم وشرف عائلاتهم كما في خرافات اختباء آدم عن الله . وبرج بابل . وشأن لوط مع الخمر وابنتيه والمصارعة مع يعقوب ومخادعة يعقوب لأبيه وتكرر كذبه عليه . وقصة يهوذا مع كنته ثامار وولادة سبط يهوذا الذي منهم داود وسليمان وكثير من الأنبياء . وقصة امنون بن داود وابن عمه مع اخته ثامار وملاعب شمشون . ومشورة الله جل شأنه مع جند السماء في اغواء آخاب ملك اسرائيل (٢) وكثير من ذلك

ولأجل ان القرآن الكريم كلام الله القدّوس ووحيه لم يذكر شيئا من ذلك ولو كان من اختلاق رسول الله (ص) كما يزعم الظالمون لامتنع في العادة على البشرية واغراضها وتزلفاتها أن لا يذكر شيئا من ذلك مع ما فيها من القعقعة التاريخية . وان البشر الذي يتطلب قصص العهدين ويذكرها في كلامه واغراضه لا يفوته ما أشرنا اليه

اعجازه في وجهة الاحتجاج

نهض رسول الله صلى الله عليه وآله لتعليم البشر وتنوير بصائرهم في عصر الظلمات والجهل والعمى . ولإرشادهم الى حقائق المعارف التي حجبتها ظلمات الضلال المتراكمة في تلك العصور المظلمة تلك الظلمات التي استولت على ارجاء العالم بحيث لم تدع أن ينقدح من نور الحق للعقول المغلوبة أقل بصيص فجاء (ص) في قرآنه بكثير غزير من الحجج الساطعة على أهمّ المعارف واشرفها. تلك الحجج الجارية على أحسن نهج وأعمه نفعا في الاحتجاج والتعليم . جاء بها على ارقى نحو يستلفت العامي الى نور الغريزة الفطرية فيمثله لشعوره . والى سناء البديهيات فيجلوه لادراكه . ويجري بمؤدى تلك الحجج مع الفيلاسوف في قوانين المنطق وتنظيم قياساته على أساسيات المعقول . فاحتجّ على وجود الإله ولوازم إلهيته . وعلمه وقدرته . وتوحيده .

(١) صفحة ١٠٠ = ١١٠ و ١١٢ = ١١٦ و ٢٢٧ = ٢٣٢

(٢) انظر إلى ذلك في سفر التكوين في الاصحاح الثالث . والحادي عشر . والتاسع عشر . والتاسع والعشرين . والثامن والثلاثين . وفي الثالث عشر من صموئيل الثاني . والرابع عشر إلى السابع عشر من سفر القضاة . والثاني والعشرين من الملوك الأول . والثامن عشر من الأيام الثاني

وعلى المعاد الجسماني . وعلى ان القرآن وحي إلهي . وعلى صدق الرسول في دعوته فلا يكاد يوجد في شيء من هذه الحجج خلل عرفاني او وهن أدبي او شائبة اختلاف او شائنة من تناقض. فإذا فرضت أي بشر يكون في ذلك العصر المظلم ومثلت نشأته وتربيته بين الأعراب الوحشيين الوثنيين في تلك البلاد الماحلة من كل تعليم والقاحلة من كل فضيلة في المعارف وانه لم يتعاط تعلما ولا تأدبا على معلم ولا قراءة مكتوب ولا دراسة كتاب علمت انه يمتنع عليه في العادة بما هو بشر وبلا وحي إلهي اليه أن يأتي ببيان المعارف الصحيحة والمناقضة للجهل العام في عصره وبيئته وقومه ويحتج عليها بتلك الحجج النيرة القيمة على ذلك المنهاج الممتاز بفضيلته

وإن شئت أن تزداد بصيرة فيما ذكرناه فانظر الى ما في الأناجيل مما نسبته الى احتجاجات المسيح وحاشا قدسه منه ومما ذكرته من الحجج الساقطة الفاسدة على أمور اكثرها ضلال او غلط كالاحتجاج على تعدد الآلهة وعلى تعدد الأرباب. وعلى المنع من الطلاق . وانظر الى ما اشتملت عليه من الغلط والتحريف. نعم ذكرت الاحتجاج على القيامة من الأموات ولكن ماذا جاءت به من الغلط والخبط في الحجة واحوال القيامة. وإن شئت الاطلاع على شيء من ذلك فانظر في الجزء الأول من كتاب الهدى صفحة ١١٢ — ١١٦ و ١٩٧ و ٢٠٥ والجزء الأول من الرحلة المدرسية صفحة ٧٣ و ٣٢ — ٣٩

اعجازه من وجهة الاستقامة والسلامة من الاختلاف والتناقض

قد خاض القرآن الكريم في فنون المعارف والإصلاح مما يتخصص فيه الممتازون بالرقي في ابواب الفلسفة والسياسة والخطابة والإصلاح من علم اللاهوت او الأخلاق او التشريع المدني والتنظيم الإداري او الفن الحربي. او البشري والترغيب بالجزاء او الانذار والتهديد بالنكال. او الحجج والأمثال. او تذكرة المواعظ والعبر . وجرى من ذلك في الميادين الشريفة بأحسن اسلوب واقوم منهج وبلغ في جميع ذلك اكرم الغايات واعلاها في الرقي وهو يكرر بحسب الحكمة كثيراً من قصصه ومقاصده وفي جميع ذلك لم تشنه زلة اختلاف ولا عثرة تناقض ولا وهن اضطراب ولا سقوط حجة ولا فساد مضمون ولا سخافة بيان . وها هو بارز في جميع العالم لكل من يريد الهدى والفحص والتدبر ينادي بأبهة الافتخار وجمال السداد وشوكة الاستظهار «إن هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم» (١) أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله

---

(١) سورة الاسراء : ٩

لوجدوا فيه اختلافا كثيراً »(١) منتشرا في ابوابه ومقاصده . فهل يمكن في العادة أن يكون كل هذا من بشر قد ذكرنا لك عصره ونشأته وتربيته وبلاده وقومه وجهلهم الوحشي الوثني ولك العبرة بكتب العهدين وهي التي منذ قرون عديدة يصفق لاستحسانها اكثر العالم المفتخر بالعلم والتمدن وينسبونها بكمال الاحتفال الى كرامة الوحي — فكم وكم يوجد فيها من الوهن والسقوط والاختلاف والتناقض وقد ذكر شيء من ذلك في كتب اظهار الحق والهدى . والرحلة المدرسية . واعتبر ايضا بأن كل واحد من الأناجيل لا يزيد على صحيفة اسبوعية وقد كثر فيها الخبط والتناقض والاختلاف الى حد مهول مدهش وقد ذكر شيء منه في الجزء الاول من كتاب الهدى صفحة ١٩٦ — ٢٣٤ وايضا ان الأناجيل وكتب العهد الجديد مؤسسة على ان كتب العهدين الرائجة هي كتب وحي إلهي صحيحة . إذن فاعتبر بأنه كم وقع الاختلاف والتناقض بين الأناجيل والعهد الجديد وبين العهد القديم وقد ذكر شيء مما ذكرنا في الجزء الأول من الرحلة المدرسية صفحة ١٣٢ — ١٨٤

اعجازه في وجهة التشريع العادل ونظام المدنية

قدّر رسول الله (ص) بشراً عاديا في مثل ما ذكرناه مراراً في عصره ونشأته وتربيته وبلاده وقومه وجهلهم وعاداتهم الوحشية . ثم انظر هل يمكن في العادة لمثل هذا البشر إذا لم يكن موحى اليه ان يأتي من عنده ومن بشريته بمثل ما أتى به في القرآن الكريم من الشريعة الحقوقية العادلة والقوانين القيمة والأنظمة المعقولة الجارية بأجمعها على ما هو الصالح للبشر في المدنية والاجتماع والسياسة والحرب ومقدماتها ونتائجها . وجرت في عنايتها بالاصلاح من ادارة جميع العالم إلى الإدارة العائلية والبيتية والزوجية بل وإلى شؤون الكاتب والشاهد كما في سورة البقرة آية ٢٨٢ فمنعت فيها من حضارة الكاتب والشاهد ونهت عن ان يحملا من أجل الكتابة والشهادة واداثها ضرر المشقة والعناء وتضييع وقت اكثر من الوقت الطبيعي لمحض الاداء . وفي ذلك عبرة لأولي الألباب . واليك فانظر ما في القرآن الكريم من الشرائع والقوانين العامة والخاصة واعتبر بكرامتها ومجدها في التشريع الفائق والاصلاح الحميد . ولا تحتاج معرفة مجدها وكرامتها إلى المقايسة والاعتبار بشرائع قطره وقومه تلك الشرائع الجائرة الوحشية الوثنية . نعم تزداد بصيرة إذا نظرت إلى شرائع التوراة الرائجة التي يعتبرها اليهود

(١) سورة النساء : ٨٢

والنصارى في اجيالهم في اكثر من خمسة وعشرين قرنا ويعدونها كتاب وحي إلهي مقدس فانظر فيما فيها من شريعة تقديس هارون وبنيه وتفصيل ثيابهم وأوضاعها ٠ وشريعة امرأة الأخ الميت ٠ وتفلتها وولدها البكر من الأخ الثاني ٠ وشريعة من ادعى زوجها انه لم يجد لها عذرة ٠ وشريعة قتل الأطفال والنساء من البلاد المفتوحة بالحرب فإنك تعرف ان هذه الشرائع لا تكون إلا من بشر سخيف قاس وتزداد بصيرة بمجد القرآن الشريف في تشريعه وإنه لا يكون الا من وحي إلهي وقد اشير الى شئ مما ذكرنا في أواخر الجزء الثاني من كتاب الهدى صفحة ٢٨٠ — ٢٩٢ والجزء الأول من الرحلة المدرسية صفحة ٢٩ و ٧٩ — ٨٢ وانظر إلى العهد الجديد والغائه لنظام المدنية والأخذ أمام الظلم والعدوان بحيث ترك العالم بلا نظام رادع ولا شريعة تأديب عادلة فإنك تزداد بصيرة بأن المتقول على الوحي في أمر التشريع لا بد له من ان يسقط سقطة تشوه التاريخ وتإن منها الحقائق جزعاً ٠ فاعرف اذن اعجاز القرآن في تشريعه الممتاز بفضيلة الوحي الإلهي

﴿ اعجازه من وجهة الأخلاق ﴾

وإذا نظرت إلى ظلمات العصر والقطر والتربية وشيوع الجهل في الأمة وسوء الأعمال وعدم الدراسة في العلم أو التخرج في الفضيلة على الحكماء الصالحين فإنك ترى هذه الأمور لها اثر كبير في الجهل بالأخلاق الفاضلة والانحراف عن جادتها والخبط في معرفتها وتمييز حدودها ٠ فلا ترد البشر إلى الاستقامة في ذلك تكاثفات الفكر المحاط بالجهل العام والجيل المظلم والقطر الوبيء من نزغات الأهواء ٠ ولئن حاول الرجل المريد للصلاح حينئذ شيئا من تهذيب الاخلاق لم يهتد السبيل في قوله وعمله إلا إلى شيئ يشير اليه التداول بين جملة من الناس ولئن تكلف المتفلسف شيئاً من التعليم بالأخلاق خبط فيها خبطا غلب فيه الجهل والزلل وتتابعت فيه العثرات

ومن بين تلك الظلمات المذكورة بزغ القرآن الكريم بأنواره وأتى بما لا تسمح به العادة بأن يأتي به في تلك الظلمات بشر من عند نفسه وتقولاً على الوحي فجاء في اجماله وتفصيله مستقصياً للأخلاق الفاضلة على حدودها بالحث على التزين بها بما توجبه الحكمة من البعث والترغيب ٠ ومحصياً للأخلاق الرذيلة بالزجر عن التلوث بها بما يوجبه الإصلاح من الارهاب والتنفير ٠ واقام لذلك في العالم اشرف مدرسة زاهرة واعلا فلسفة مرشدة وابلغ خطابة واعظة

واليك بعضا من جوامعه في ذلك كقوله تعالى في سورة النحل: ٩٢ « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتآء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر يعظكم لعلكم تذكرون ». ومن سورة الفرقان ما في الآية الرابعة والستين الى الخامسة والسبعين. ومن سورة المعارج ما في الآية الثالثة والعشرين الى الثالثة والثلاثين. ومن سورة الحجرات ما في الآيات العاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة. وغير ذلك مما لا يكاد أن تخلو منه سورة او يتخطاه تعليم او يحابي به قوم دون قوم او يتجاوز بالافراط الى التفريط والاخلال بنظام المدنية وراحة الاجتماع

ولك العبرة بأن التوراة الرائجة فيها وشل من تعاليم التوراة الحقيقية ولكن لأنها تلفيق واختلاق بشري كدّرت ما فيها من ذلك الوشل وذهبت بصفاء التعليم الإلهي. فأمرت بني اسرائيل بالحكم بالعدل لقريبهم ونهتهم عن الحقد على ابناء شعبهم وعن السعي بالوشاية وعن شهادة الزور على قريبهم وأن يغدر احدهم بصاحبه. ويا للأسف على شرف هذا الأمر والنهي إذ شوّهت جماله بتخصيص تعليمها لبني اسرائيل وبتخصيص المأمور بـه والمنهي عنه بالقريب والشعب والصاحب

ولك العبرة ايضا بأن الأناجيل الرائجة قد افرطت بتصوفها البارد فنهت عن ردع الظالمين بالانتصاف من الظالم وقطع مادة الفساد بالحدود الشرعية ودفاع الظالمين بل علمت بأن من لطمك على خدك الأيمن فأدر له الآخر ايضا ومن اراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء ايضا ومن اخذ الذي لك فلا تطالبه

فلوثت بافراطها البشري قدس تعاليم المسيح المتلقاة من الوحي الإلهي

اعجازه في وجهة علم الغيب

وقد تكرر في القرآن معجزه في اخباره بالغيب اخبارا يقتضي التكهن والفراسة خلافه من حيث النظر الى الحال الحاضر وطغيان الشرك وضعف الدعوة الإسلامية ومايجري من النكال والتشريد والجفاء على ملبيها. فمن ذلك قوله في سورة الحجر المكية في الأمر لرسول الله(ص) بالاعلان بالدعوة والبشرى بنجاحها وارغام معانديها ومعارضيها وكان ذلك عند طغيان الشرك واستفحاله وهيجان المشركين على رسول الله « ٩٤ فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين ٩٥ انا كفيناك المستهزئين : ٩٦ الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون » وقد كفاه الله اشرف كفاية لم تكن تعلق بها الآمال بحسب العادة . وقد بان للمشركين وعلموا

مافي قوله تعالى في آخر الآية فسوف يعلمون. وقوله في سورة الصف المكية في الحال الذي وصفناه من طغيان الشرك والمشركين « ٩ هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » فأظهره على الدين أعز اظهار ارغمت به آناف المشركين. ومن الاخبار بالغيب قوله تعالى في سورة الروم « غلبت الروم ٢ في ادنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ٣ في بضع سنين » فغلبت الروم فارس ودخلت مملكتها قبل مضي عشر سنين وقوله تعالى في سورة تبت في شأن ابي لهب وامرأته « سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد » وهو اخبار بأنهما يموتان على الكفر ولا يحظيان بسعادة الإسلام الذي يكفر عنهما آثام الشرك ويحط اوزاره فماتا على الكفر كما اخبر به اخبارا حتميا

ولك العبرة في ذلك بأن انجيل متى ذكر اخباراً واحداً غيبياً للمسيح وهوانه يبقى مدفونا في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ . ولكن ما برح انجيل متى أن كذب في أواخره هذا الاخبار فوافق الأناجيل الثلاثة الأخر على ان المسيح في مساء ليلة السبت. طلب بعض الناس جثته من بيلاطس فأنزلها عن الصليب و كفنها ودفنها وقبل الفجر من يوم الأحد قام المسيح من الموت وخرج عن قبره . وعلى ذلك لايكون المسيح بقي في القبر الا ليلة السبت ونهاره وليلة الأحد وذلك نهار وليلتان

هذا وإني عند مقايستي للقرآن الكريم بما ينسب إلى الوحي الإلهي من كتب الأمم المتدينة ومنهم البراهمة والبوذيون وغيرهم لم يحضر عندي الا كتب العهدين فلاينبغي ان يجعل مقايستي بهما تحاملا على خصوص اليهود والنصارى . ولي العذر في ذلك فإنه لا يصح للإنسان ان تأخذه في خدمة الحق وايضاح الحقيقة وتأييدها لومة لائم او يصده عذل عاذل. فإن خدمة الحق نصرة للبشر جميعا والله المستعان

هذا شيء قليل من البيان في الوجهات المذكورة إذ لا يسع هذا المختصر اكثر من ذلك. وهب ان الوساوس تتقحم على الحقائق وتغالط الاذهان بواهيات الشكوك في الاعجاز ببعض آحادها ولكن هل يمكن ذلك بالنظر إلى مجموعها . وهل يسوغ لذي الشعور ان يختلج في ذهنه الشك في اعجاز الكتاب الجامع بفضيلته لهذه الكرامات الباهرة وخروجه عن طوق البشر مطلقا وخصوصاً في ذلك العصر وتلك الأحوال وهل يسمح عقله الا بأن يقول (ان هو الا وحي يوحى)

﴿ الفصل الثاني في جمعه في مصحف واحد ﴾

لم يزل القرآن الكريم بحسب حكمة الوحي والتشريع والمصالح والمقتضيات المتجددة آناً فآناً يتدرج في نزوله نجوما (١) الآية والآيتان والأكثر والسورة . وكلما نزل شيء هفت اليه قلوب المسلمين وانشرحت له صدورهم وهبوا الى حفظه بأحسن الرغبة والشوق وأكمل الاقبال وأشد الارتياح . فتلقوه بالابتهاج وتلقوه بالاغتنام من تلاوة الرسول العظيم الصادع بأمر الله والمسارع إلى التبليغ والدعوة إلى الله وقرآنه . وتناوله حفظهم بما امتازت به العرب وعرفوا به من قوة الحافظة الفطرية واثبتوه في قلوبهم كالنقش في الحجر . وكان شعار الإسلام وسمة المسلم حينئذ هو التجمل والتكمل بحفظ ما ينزل من القرآن الكريم . لكي يتبصر بحججه ويتنور بمعارفه وشرائعه وأخلاقه الفاضلة وتاريخه المجيد وحكمته الباهرة وأدبه العربي الفائق المعجز . فاتخذ المسلمون تلاوته لهم حجة الدعوة . ومعجز البلاغة . ولسان العبادة لله . ولهجة ذكره . وترجمان مناجاته . وانيس الخلوة . وترويح النفس . ودرساً للكمال . وتمريناً في التهذيب . وسلماً للترقي . وتدرباً في التمدّن . وآية الموعظة . وشعار الإسلام . ووسام الإيمان والتقدّم في الفضيلة . واستمرّ المسلمون على ذلك حتى صاروا في زمان الرّسول يعدّون بالألوف وعشراتها ومئاتها . وكلهم من حملة القرآن وحفاظه (٢) وإن تفاوتوا في ذلك بحسب

(١) ولا بد من أن تكون كتب الوحي والدعوة والتشريع جارية في كمالها على منهاج هذه الحكمة . ومما يشير إلى ذلك ان التوراة الرائجة تذكر ان نزول التوراة على موسى عليه السلام كان من زمان تكليمه من الشجرة متدرجا بحسب الأزمان والحوادث والتاريخ والحكم في التشريع إلى حين وفاته بعد التيه عند عبر الأردن ومتراخيا في أكثر من أربعين سنة . فانظر في شرح هذا المجمل إلى المقدمة الثانية من الجزء الأول من كتاب الهدى صحيفة ٩ إلى ١٢

(٢) اخرج ابن سعد وابن عساكر عن محمد بن كعب القرضي قال جمع القرآن اي حفظا في زمان النبي (ص) خمسة من الانصار معاذ بن جبل وعبادة بن الصمت وابي بن كعب وابو ايوب الانصاري وابو الدرداء . واخرج ابن سعد ويعقوب بن سفيان والطبراني وابن عساكر عن الشعبي قال جمع القرآن على عهد رسول الله (ص) ستة من الانصار ابي بن كعب وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل وابو الدرداء وسعد بن عبيد وابو زيد وكان مجمع ابن جارية قد أخذه كله إلا سورتين أو ثلاثة . واخرج ابن عساكر عن محمد بن كعب القرضي قال كان ممن ختم القرآن ورسول الله حي عثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب وعبد الله بن مسعود . واخرج عن انس قرأ القرآن على عهد رسول الله (ص) معاذ بن ابي وسعد وابو زيد . واخرج الحاكم في الصحيح على شرط البخاري ومسلم عن زيد بن ثابت قال كنا عند رسول الله (ص) نؤلف القرآن من الرقاع . وفي رواية حول رسول الله نؤلف القرآن « فانظر إلى كنز العمال ومنتخبه اقلا » ولم اذكر هذه الروايات احتجاجا بها للحقيقة المعلومة ولكن لتجبه بالمعارضة بعض الروايات الشاذة الواردة في خلاف ما ذكرناه من حفظ المسلمين في عصر النبي وبعده للقرآن الكريم

السابقة والفضيلة .. هذا ولما كان وحيه لا ينقطع في حياة رسول الله (ص) لم يكن كله مجموعا في مصحف واحد وإن كان ما أوحي منه مجموعاً في قلوب المسلمين وكتاباتهم له .. ولما اختار الله لرسوله دار الكرامة وانقطع الوحي بذلك فلا يرجى للقرآن نزول تتمة رأى المسلمون ان يسجلوه في مصحف جامع فجمعوا مادته على حين اشراف الألوف من حفاظه ورتابة مكتوباته الموجودة عند الرسول وكتاب الوحي وسائر المسلمين جملة وابعاضا وسورا (١) نعم لم يترتب على ترتيب نزوله ولم يقدم منسوخه على ناسخه(٢) فاستمر القرآن الكريم على هذا الاحتفال العظيم بين المسلمين جيلا بعد جيل ترى له في كل آن الوفا مؤلفة من المصاحف والوفا من الحفاظ ولا تزال المصاحف ينسخ بعضها على بعض والمسلمون يقرأ بعضهم على بعض ويسمع بعضهم من بعض . تكون الوف المصاحف رقيبة على الحفاظ ، وألوف الحفاظ رقباء على المصاحف وتكون الألوف من كلا القسمين رقيبة على المتجدد منهما ، نقول الألوف ولكنها مئات الألوف والوف الألوف . فلم يتفق لأمر تاريخي من التواتر وبداهة البقاء مثل ما اتفق للقرآن الكريم كما وعد الله جلت آلاؤه بقوله في سورة الحجر « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » وقوله في سورة القيامة « إن علينا جمعه وقرآنه » ولئن سمعت في الروايات الشاذة شيئا في تحريف القرآن وضياع بعضه فلا تقم لتلك الروايات وزناً . وقل ما يشاء العلم في اضطرابها ووهنها وضعف رواتها ومخالفتها للمسلمين وفيما جاءت به في مروياتها الواهية

(١) ومما يشهد لما ذكرناه ما عن ابي عبيد في فضائله وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه مسندا عن عمر بن عامر الانصاري ان عمر بن الخطاب قرأ « والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين اتبعوهم باحسان » فرفع الانصار ولم يدخل واو العطف على « الذين » فقال له زيد بن ثابت « والذين اتبعوهم باحسان » فقال عمر « الذين اتبعوهم باحسان » فقال زيد أمير المؤمنين اعلم فقال عمر ايتوني بابي بن كعب فسأله عن ذلك فقال « والذين اتبعوهم باحسان » فجعل كل واحد منهما يشير إلى انف صاحبه باصبعه فقال ابي والله اقرأنيها رسول الله (ص) وانت تتبع الخبط فقال عمر فنعم إذن فنعم إذن . واخرج ابو عبيد في فضائله وسنيد وابن جرير وابو الشيخ عن محمد بن كعب القرظي . واخرج ابو الشيخ في تفسيره والحاكم في المستدرك مصححا على شرط البخاري ومسلم عن اسامة ومحمد بن ابراهيم التيمي انه جرى بين عمر وابي بن كعب في هذه الآية نحو ذلك فانظر في كنز العمال ومنتخبه

(٢) نعم من المعلوم عند الشيعة ان عليا امير المؤمنين (ع) بعد وفاة رسول الله (ص لم يرتد برداء إلا للصلاة حتى جمع القرآن على ترتيب نزوله وتقدم منسوخه على ناسخه . واخرج ابن سعد وابن عبد البر في الاستيعاب عن محمد بن سيرين قال نبئت ان عليا ابطأ عن بيعة ابي بكر فقال اكرهت امارتي فقال آليت بيميني ان لا ارتدي برداء إلا للصلاة حتى اجمع القرآن قال فزعموا انه كتبه على تنزيله قال محمد فلو اصبت ذلك الكتاب كان فيه علم قال ابن عوف فسألت عكرمة عن ذلك الكتاب فلم يعرفه

من الوهن. وما الصقته بكرامة القرآن مما ليس له شبه به واستمع من ذلك لأمور

اضطراب الروايات في جمع القرآن

(الأمر الأول) جاء فيها ان ابا بكر هو الذي أدى رأيه اولاً الى جمع القرآن وهو الذي طلب من زيد بن ثابت جمعه فثقل ذلك عليه فلم يزل ابو بكر يراجعه حتى قَبِلَ. وجاء فيها ايضا ان زيداً هو الذي أدى رأيه اولاً الى جمع القرآن وعزم عليه وكلم في ذلك عمر فكلم فيه عمر ابا بكر فاستشار ابو بكر في ذلك المسلمين. وجاء فيها ايضا ان ابا بكر هو الذي جمع القرآن. وجاء فيها ان عمر قتل ولم يجمع القرآن. وجاء فيها ان عثمان هو الذي جمع القرآن في ايامه بأمره. وجاء فيها ان عمر هو الذي أمر زيد بن ثابت وسعيد بن العاص لما أراد جمع القرآن أن يملي زيد ويكتب سعيد. وجاء فيها ان ذلك كان من عثمان في ايامه وبعد قتل عمر. وجاء في ذلك ايضا ان الذي يملي ابيّ بن كعب وزيد يكتبه وسعيد يعربه. وفي رواية أخرى ان سعيداً وعبد الله بن الحرث يعربانه: هذا بعض حال هذه الروايات في تعارضها واضطراباتها، ومن جملة ما جاء فيها ما مضمونه ان براءة آخر ما نزل من القرآن فما ترى لهذه الرواية من القيمة التاريخية. فانظر الى الجزء الأول من كنز العمال ومنتخبه اقلا

بعض ما الصق بكرامة القرآن الكريم

(الثاني) في الجزء الخامس من مسند احمد عن أبيّ بن كعب قال ان رسول الله (ص) قال ان الله أمرني ان اقرأ عليك القرآن قال فقرأ «لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب» فقرأ فيها «لو ان ابن آدم سأل وادياً من مال فاعطيه لسأل ثانيا فلو سأل ثانيا فاعطيه لسأل ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب وان ذلك الدين القيم عند الله الحنيفية غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية ومن يعمل خيراً فلن يكفره». وفي رواية الحاكم في المستدرك ورواية غيره ايضا «ان ذات الدين عند الله الحنيفية لا المشركة» وفي رواية «غير المشركة» الى آخره وعن جامع الأصول لابن الأثير الجزري «ان الدين عند الله الحنيفية المسلمة لا اليهودية ولا النصرانية ولا المجوسية» وذكر في المسند ايضا بعد هذه الرواية عن أبي قال قال لي رسول الله (ص) ان الله أمرني ان اقرأ عليك فقرأ عليّ «لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفا

مطهرة فيها كتب قيمة وما تفرّق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جائتهم البينة إن الدين عند الله الحنيفية لا المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية ومن يفعل خيرا فلن يكفره » قال شعبة ثم قرأ آيات بعدها ثم قرأ « لو ان لابن آدم واديين من مال لسئل واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب » . قال ثم ختمها بما بقي منها انتهى . وهذه الروايات رواها ايضا ابو داود الطيالسي وسعيد بن منصور في سننه والحاكم في مستدركه كما في كنز العمال . وذكر في المسند ايضا عن ابي واقد الليثي قال كنا نأتي النبي(ص) إذا انزل عليه فيحدثنا فقال لنا ذات يوم ان الله عزّ وجلّ قال « إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولو كان لابن آدم واد لأحبّ أن يكون له ثانٍ ولو كان له واديان لأحبّ أن يكون لهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ثم يتوب الله على من تاب انتهى . هب ان المعرفة والصدق لا يطالبان المحدثين « ولا نقول القصاص » ولا يسئلانهم عن هذا الاضطراب الفاحش فيما يزعمون انه من القرآن ولا يسألانهم عن التمييز بين بلاغة القرآن وعلو شأنه فيها وبين انحطاط هذه الفقرات . ولكن أليس للمعرفة أن تسألهم عن الغلط في قولهم «لا المشركة» فهل يوصف الدين بأنه مشركة . وفي قولهم « الحنيفية المسلمة » وهل يوصف الدين او الحنيفية بأنه مسلمة وقولهم « ان ذات الدين » وفي قولهم « إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة » ما معنى انزال المال . وما معنى كونه لإقام الصلاة . هذا واستمع لما يأتي في الجزء السادس من مسند احمد مسندا عن مسروق قال قلت لعائشة هل كان رسول الله يقول شيئا إذا دخل البيت قالت كان إذا دخل البيت تمثل لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا ولا يملأ فمه الا التراب وما جعلنا المال إلا لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ويتوب الله على من تاب . وفي الجزء السادس في اسناده عن جابر قال قال رسول الله(ص) لو ان لابن ادم واديا من مال لتمنى واديين ولو ان له واديين لتمنى ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب . وباسناده ايضا قال سئل جابر هل قال رسول الله لو كان لابن آدم وادٍ من نخل تمنى مثله حتى يتمنى أودية ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب انتهى . وهل تجد من الغريب او الممتنع في العادة ان يكون لابن آدم واد من مال أو من نخل . او ليس في بني آدم في كل زمان من ملك واديا من ذلك بل واديان . اذن فكيف يصح في الكلام المستقيم أن يقال لو كان لابن آدم . لو ان لابن آدم . او ليست لو للامتناع . ياللعجب من الرواة لهذه الروايات ألم يكونوا عربا أو لهم المام باللغة العربية . نعم يرتفع هذا الاعتراض

بما رواه أحمد في مسند ابن عباس لو كان لابن آدم واديان من ذهب وكذا ما يأتي من رواية الترمذي عن انس . وايضا إن تمنى الوادي والواديين والثلاث ليس بذنب يحتاج إلى التوبة إذن فما هو وجه المناسبة بتعقيب ذلك بجملة « ويتوب الله على من تاب » وإن شئت ان تستزيد مما في هذه الرواية من التدافع والاضطراب فاستمع إلى مارواه الحاكم في المستدرك ان ابا موسى الأشعري قال كنا نقرأ سورة نشبهها بالطول والشدة ببراءة فأنسيتها غير اني حفظت منها لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب . وذكر في الدر المنثور انه أخرجه جماعة عن ابي موسى . وأضف إلى ذلك في التدافع والتناقض ما اسنده في الاتقان عن ابي موسى ايضا قال نزلت سورة نحو براءة ثمّ رفعت وحفظ منها ان الله سيؤيد هذا الدين بأقوام لاخلاق لهم ولو ان لابن آدم واديين لتمنى إلى آخره . واسند الترمذي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص) لو كان لابن آدم واد من ذهب لأحبّ ان يكون له ثان ولا يملأ فاه إلا التراب ويتوب الله على من تاب . وها انت ترى روايات عائشة وجابر وانس وابن عباس تجعل حديث الوادي والواديين من قول رسول الله وتمثله . فهي بسوقها تنفي كونه من القرآن الكريم . ومع ذلك فقد نسبت إلى كلام الرسول (ص) ما يأتي فيه بعض من الاعتراضات المتقدمة مما يجب ان ينزّه عنه ودع عنك الاضطراب الذي يدع الرواية مهزلة

(الأمر الثالث) ومما الصقوه بكرامة القرآن المجيد قولهم في الرواية عن زيد بن ثابت كنا نقرأ آية الرجم « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة » وفي الرواية عن ذر عن ابيّ ان سورة الأحزاب كانت تضاهي سورة البقرة او هي أطول منها وان فيها أو في أواخرها آية الرجم وهي « الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم » وفي رواية السياري من الشيعة عن ابي عبد الله بزيادة قوله بما قضيا من الشهوة . وفي رواية الموطأ والمستدرك ومسدد وابن سعد عن عمر كما سيأتي « الشيخ والشيخة فارجموهما البتة » وفي رواية ابي امامة ابن سهل ان خالته قالت لقد أقرأنا رسول الله (ص) آية الرجم « الشيخ والشيخة فارجموهما البتة بما قضيا من اللذة » ونحو ذلك رواية سعد بن عبد الله وسليمان بن خالد من الشيعة عن ابي عبد الله (ع) . ويا للعجب كيف رضي هؤلاء المحدثون لمجد القرآن وكرامته ان يلقى هذا الحكم الشديد على الشيخ والشيخة بدون ان يذكر السبب وهو زناهما اقلاً فضلا عن شرط

الإحصان . وان قضاء الشهوة أعمّ من الجماع والجماع اعمّ من الزنا والزنا يكون كثيراً مع عدم الاحصان . سامحنا من يزعم ان قضاء الشهوة كناية عن الزنا بل زدعليه كونه مع الاحصان ولكننا نقول ماوجه دخول الفاء في قوله « فارجموهما » وليس هناك ما يصحح دخولها من شرط أو نحوه لا ظاهر ولا على وجه يصح تقديره وإنما دخلت الفاء على الخبر في قوله تعالى في سورة النور « والزانية والزاني فاجلدوا » لأن كلمة اجلدوا بمنزلة الجزاء لصفة الزنا في المبتدأ . والزنا بمنزلة الشرط . وليس الرجم جزاءً للشيخوخة ولا الشيخوخة سببا له . نعم الوجه في دخول الفاء هو الدلالة على كذب الرواية . ولعلّ في رواية سليمان بن خالد سقطا بأن تكون صورة سوءاله هل يقولون في القرآن رجم . وكيف يرضى لمجده وكرامته في هذا الحكم الشديد ان يقيد الأمر بالشيخ والشيخة مع اجماع الأمة على عمومه لكل زان محصن بالغ الرشد من ذكر أو أنثى . وان يطلق الحكم بالرجم مع اجماع الأمة على اشتراط الاحصان فيه . وفوق ذلك يوءكد الاطلاق ويجعله كالنص على العموم بواسطة التعليل بقضاء اللذة والشهوة الذي يشترك فيه المحصن وغير المحصن . فتبصر بما سمعته من التدافع والتهافت والخلل في رواية هذه المهزلة . واضف إلى ذلك ما رواه في الموطأ والمستدرك ومسدد وابن سعد من ان عمر قال قبل موته بأقل من عشرين يوما فيما يزعمونه من آية الرجم لولا ان يقول الناس زاد عمر بن الخطاب في كتاب الله لكتبتها « الشيخ والشيخة فارجموها البتة » واخرج الحاكم وابن جرير وصححه ايضا ان عمر قال لما نزلت اتيت رسول الله (ص) فقلت اكتبها « وفي نسخة كنز العمال » اكتبنيها فكأنه كره ذلك . وقال عمر الا ترى ان الشيخ إذا زنى ولم يحصن جلد وان الشاب إذا زنا وقد احصن رجم . فالمحدثون يروون ان عمر يذكر ان رسول الله كره ان تكتب آية منزلة وعمر يذكر وجوه الخلل فيها . فيا للعجب منهم . وفي الاتقان أخرج النسائي ان مروان قال لزيد بن ثابت ألا تكتبها في المصحف قال ألا ترى ان الشابين الثيبين يرجمان وقد ذكرنا ذلك لعمر فقال أنا اكفيكم فقال يا رسول الله اكتب لي آية الرجم قال لا تستطيع انتهى . فزيد بن ثابت يعترض عليها . ولما رأوا التدافع بين قول عمر اكتبها لي وبين قول النبي لا تستطيع قالوا أراد عمر بقوله ذلك اأذن لي بكتابتها وكأنهم لا يعلمون ان عمر عربي لا يعبر عن قوله أإذن لي بكتابتها بقوله اكتبها لي ومع ذلك لم يستطيعوا ان يذكروا وجهاً مقبولا لقوله (ص) لا تستطيع . وفي رواية في كنز العمال عن ابن الضريس عن عمر قلت لرسول الله اكتبها يارسول

الله قال لا استطيع . واخرج ابن الضريس عن زيد بن اسلم ان عمر خطب الناس فقال لا تشكوا في الرجم فإنه حق ولقد هممت ان اكتبه في المصحف فسألت ابي بن كعب فقال اليس اتيتني وانا استقرئها رسول الله فدفعت في صدري وقلت كيف يستقرئه آية الرجم وهم يتسافدون تسافد الحمر انتهى . فهذه الرواية تقول ان عمر لم يرض بانزال شيء في الرجم . وليت المحدثون يفسرون حاصل الجواب من ابي لعمر وحاصل منع عمر لأبي عن استقرائها ، واخرج الترمذي عن سعد بن المسيب عن عمر قال رجم رسول الله (ص) ورجم ابو بكر ورجمت ولولا اني اكره ان ازيد في كتاب الله لكتبته في المصحف . نعم يقول ان كتابة الرجم في المصحف زيادة في كتاب الله وهو يكرهها — فقابل هذه الروايات الأربع احداهن بالأخرى واعرف ماجناه المولعون بكثرة الرواية من المحدثين . وإذا نظرت إلى الجزء الثالث من كنز العمال صحيفة : ٩٠ و ٩١ فإنك تزداد بصيرة في الاضطراب والخلل

هذا ومما يصادم هذه الروايات ويكافحها ماروي من أن علياً (ع) لما جلد شراحة الهمدانية يوم الخميس ورجمها يوم الجمعة قال اجلدها بكتاب الله وارجمها بسنة رسوله كما رواه احمد والبخاري والنسائي وعبد الرزاق في الجامع والطحاوي والحاكم في مستدركه وغيرهم . ورواه الشيعة عن علي (ع) مرسلاً فعلي (ع) يشهد بأن الرجم من السنة لا من الكتاب

الأمر الرابع

مما الصقوه بكرامة القرآن المجيد ما رواه في الاتقان والدر المنثور انه اخرج الطبراني والبيهقي وابن الضريس ان من القرآن سورتين «وقد سماها الراغب في المحاضرات سورتي القنوت» ونسبوهما الى تعليم علي (ع) وقنوت عمر ومصحفي ابن عباس وزيد بن ثابت وقراءة أبي وابي موسى (والأولى منهما) بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك الخير ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك انتهى .

لا نقول لهذا الراوي ان هذا الكلام لا يشبه بلاغة القرآن ولا سوقه فانا نسامحه في معرفة ذلك ولكنا نقول له كيف يصح قوله يفجرك وكيف تتعدى كلمة يفجر وايضا ان الخلع يناسب الأوثان إذن فماذا يكون المعنى وبماذا يرتفع الغلط (والثانية منهما) بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد واليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك الجد ان عذابك بالكافرين ملحق انتهى ولنسامح الراوي ايضا فيما سامحناه فيه في الرواية الأولى

ولكننا نقول له ما معنى الجد هنا أهو العظمة او الغنى او ضد الهزل او هو حاجة السجع نعم في رواية عبيد نخشى نقمتك وفي رواية عبد الله نخشى عذابك وما هي النكتة في التعبير بقوله ملحق. وما هو وجه المناسبة وصحة التعليل لخوف المؤمن من عذاب الله بأن عذاب الله بالكافرين ملحق بل ان هذه العبارة تناسب التعليل لأن لا يخاف المؤمن من عذاب الله لأن عذابه بالكافرين ملحق

الأمر الخامس

ومما الصقوه بالقرآن المجيد ما نقله في فصل الخطاب عن كتاب دبستان المذاهب انه نسب الى الشيعة انهم يقولون ان احراق المصاحف سبب اتلاف سور من القرآن نزلت في فضل علي(ع) واهل بيته(ع) «منها» هذه السورة وذكر كلاما يضاهي خمسا وعشرين آية في الفواصل قد لفق من فقرات القرآن الكريم على اسلوب آياته. فاسمع ما في ذلك من الغلط فضلا عن ركاكة اسلوبه الملفق فمن الغلط «واصطفى من الملائكة وجعل من المؤمنين أولئك في خلقه» ماذا اصطفى من الملائكة وماذا جعل من المؤمنين وما معنى أولئك في خلقه. ومنه «مثل الذين يوفون بعهدك اني جزيتهم جنات النعيم» ليت شعري ما هو مثلهم. ومنه «ولقد ارسلنا موسى وهارون بما استخلف فبغوا هارون فصبر جميل» ما معنى هذه الدمدمة وما معنى بما استخلف وما معنى فبغوا هارون ولمن يعود الضمير في بغوا ولمن الأمر بالصبر الجميل. ومن ذلك «ولقد اتينا بك الحكم كالذي من قبلك من المرسلين وجعلنا لك منهم وصيا لعلهم يرجعون» ما معنى اتينا بك الحكم ولمن يرجع الضمير الذي في منهم ولعلهم. هل المرجع للضمير هو في قلب الشاعر. وما هو وجه المناسبة في لعلهم يرجعون. ومن ذلك «وان عليا قانت في الليل ساجد يحذر الآخرة ويرجو ثواب ربه قل هل يستوي الذين ظلموا وهم بعذابي يعلمون» قل ما محل قوله هل يستوي الذين ظلموا وما هي المناسبة له في قوله وهم بعذابي يعلمون. ولعل هذا الملفق تختلج في ذهنه الآيتان الحادية عشرة والثانية عشرة من سورة الزمر وفي آخرها «هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون» فأراد الملفق أن يلفق منهما شيئا بعدم معرفته فقال في آخر ما لفق هل يستوي الذين ظلموا ولم يفهم انه جيء بالاستفهام الانكاري في الآيتين لأنه ذكر فيهما الذي جعل لله انداداً ليضل عن سبيله والقانت آناء الليل يرجو رحمة ربه فهما لا يستويان ولا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون. هذا بعض الكلام في هذه المهزلة.

وان صاحب فصل الخطاب من المحدثين المكثرين المجدين في التتبع للشواذ وانه ليعدّ امثال هذا المنقول في دبستان المذاهب ضالته المنشودة ومع ذلك قال انه لم يجد لهذا المنقول أثر في كتب الشيعة . فيا للعجب من صاحب دبستان المذاهب من اين جاء بنسبة هذه الدعوة إلى الشيعة . وفي أي كتاب لهم وجدها أفهكذا يكون النقل في الكتب ولكن لاعجب (شنشنة أعرفها من أخزم) فكم نقلوا عن الشيعة مثل هذا النقل الكاذب كما في كتاب الملل للشهرستاني ومقدمة ابن خلدون وغير ذلك مما كتبه بعض الناس في هذه السنين والله المستعان

قول الإمامية بعدم النقيصة في القرآن

ولايخفى ان شيخ المحدثين والمعروف بالاعتناء بما يروى وهو الصدوق طاب ثراه قال في كتاب الاعتقاد . اعتقادنا ان القرآن الذي انزله الله على نبيه (ص) هو ما بين الدفتين وليس بأكثر من ذلك ومن نسب الينا انا نقول انه اكثر من ذلك فهو كاذب انتهى . وحمل الروايات الواردة في النقصان على وجوه أخر . وفي أواخر فصل الخطاب من كتاب المقالات للشيخ المفيد قدس سره إنه قال جماعة من أهل الإمامة انه (أي القرآن) لم ينقص من كلمة ولا من آية ولا من سورة ولكن حذف ما كان مثبتاً في مصحف امير المؤمنين (ع) من تأويله وتفسير معانيه على حقيقة تنزيله . وعن السيد المرتضى قدس سرّه قوله بعدم النقيصة وان من خالف في ذلك من الإمامية والحشوية لا يعتد بخلافهم فإن الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من اصحاب الحديث نقلوا أخباراً ضعيفة ظنوا صحتها . وفي اول التبيان للشيخ الطوسي (قده) أما الكلام في زيادته ونقصه فمما لا يليق به أيضاً لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها . والنقصان فالظاهر أيضا من مذهب المسلمين خلافه وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا وهو الذي نصره المرتضى وهو الظاهر في الروايات غير انه رويت روايات كثيرة من جهة الخاصة والعامة بنقصان كثير من آي القرآن ونقل شيء منه من موضع إلى موضع طريقها الآحاد التي لا توجب علما ولا عملا والأولى الاعراض عنها انتهى . وتبعه على ذلك في مجمع البيان وفي كشف الغطاء في كتاب القرآن المبحث الثامن في نقصه لا ريب انه محفوظ من النقصان بحفظ الملك الديان كما دل عليه صريح القرآن واجماع العلماء في كل زمان ولا عبرة بالنادر وما ورد من اخبار النقص تمنع البديهة من العمل بظاهرها إلى ان قال فلا بد من تأويلها بأحد وجوه . وعن السيد القاضي نور الله في كتابه مصائب النواصب ما نسب إلى الشيعة الإمامية من

وقوع التغيير في القرآن ليس مما قال به جمهور الإمامية إنما قال به شرذمة قليلة منهم لاعتداد بهم فيما بينهم . وعن الشيخ البهائي وايضا اختلفوا في وقوع الزيادة والنقصان فيه والصحيح ان القرآن العظيم محفوظ عن ذلك زيادة كان أو نقصانا ويدل عليه قوله تعالى «وانا له لحافظون» وما اشتهر بين الناس من اسقاط اسم امير المؤمنين عليه السلام منه في بعض المواضع مثل قوله تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك في علي وغير ذلك فهو غير معتبر عند العلماء . وعن المقدس البغدادي في شرح الوافية وانما الكلام في النقيصة والمعروف بين اصحابنا حتى حكي عليه الاجماع عدم النقيصة ايضا . وعنه ايضا عن الشيخ علي بن عبد العالي انه صنف في نفي النقيصة رسالة مستقلة وذكر كلام الصدوق المتقدم ثم اعترض بما يدل على النقيصة من الأحاديث وأجاب بأن الحديث إذا جاء على خلاف الدليل من الكتاب والسنة المتواترة أو الاجماع ولم يمكن تأويله ولا حمله على بعض الوجوه وجب طرحه . . هذا وان المحدث المعاصر جهد في كتاب فصل الخطاب في جميع الروايات التي استدل بها على النقيصة و كثر أعداد مسانيدها باعداد المراسيل عن الأئمة عليهم السلام في الكتب كمراسيل العياشي وفرات وغيرها مع ان المتتبع المحقق يجزم بأن هذه المراسيل مأخوذة من تلك المسانيد . وفي جملة ما اورده من الروايات ما لا يتيسر احتمال صدقها . ومنها ماهو مختلف باختلاف يؤول به إلى التنافي والتعارض وهذا المختصر لا يسع بيان النحوين الأخيرين . هذا مع ان القسم الوافر من الروايات ترجع اسانيده إلى بضعة انفار وقد وصف علماء الرجال كلاً منهم اما بأنه ضعيف الحديث فاسد المذهب مجفو الرواية . واما بأنه مضطرب الحديث والمذهب يعرف حديثه وينكر ويروي عن الضعفاء . واما بأنه كذاب متهم لا أستحل ان اروي من تفسيره حديثا واحدا وانه معروف بالوقف وأشد الناس عداوة للرضا عليه السلام . واما بأنه كان غاليا كذابا . واما بأنه ضعيف لا يلتفت اليه ولا يعول عليه ومن الكذابين. واما بأنه فاسد الرواية يرمى بالغلو . ومن الواضح ان امثال هؤلاء لا تجدي كثرتهم شيئا . ولو تسامحنا بالاعتناء برواياتهم في مثل هذا المقام الكبير لوجب من دلالة الروايات المتعددة ان ننزلها على ان مضامينها تفسير للآيات أو تأويل او بيان لما يعلم يقينا شمول عمومها له لأنه أظهر الافراد وأحقها بحكم العام . أو ما كان مراداً بخصوصه وبالنص عليه في ضمن العموم عند التنزيل . أو ما كان هو المورد للنزول . او ما كان هو المراد من اللفظ المبهم . وعلى احد الوجوه الثلاثة الأخيرة يحمل ماورد

فيها انه تنزيل وانه نزل به جبريل كما يشهد به نفس الجمع بين الروايات . كما يحمل التحريف فيها على تحريف المعنى ويشهد لذلك مكاتبة ابي جعفر عليه السلام لسعد الخير كما في روضة الكافي ففيها وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه وحرفوا حدوده . وكما يحمل ما فيها من انه كان في مصحف امير المؤمنين عليه السلام او ابن مسعود وينزل على انه كان فيه بعنوان التفسير والتأويل . ومما يشهد لذلك قول امير المؤمنين (ع) للزنديق كما في نهج البلاغة وغيره ولقد جئتهم بالكتاب كملاً مشتملاً على التنزيل والتأويل . ومما أشرنا اليه من الروايات ان المحدث المعاصر أورد في روايات سورة المعارج اربع روايات ذكرت ان كلمة (بولاية علي) مثبتة في مصحف فاطمة وهكذا هي في مصحف فاطمة (ع) ولا يخفى ان مصحفها عليها السلام انما هو كتاب تحديث بأسرار العلم كما يعرف ذلك من عدة روايات في اصول الكافي في باب الصحيفة والمصحف والجامعة وفيها قول الصادق (ع) ما فيه من قرآنكم حرف واحد . ومازعم ان فيه قرآنا كما في الصحيح والحسن (ومنها) ما في الكافي في باب ان الائمة عليهم السلام شهداء على الناس في صحيحة بريد عن ابي جعفر (ع) وروايته عن أبي عبد الله (ع) من قولهما (ع) في قوله تعالى « وجعلناكم امة وسطا » نحن الأمة الوسطى . وفي شرحه عن امير المؤمنين عليه السلام ونحن الذين قال الله « وجعلناكم امة وسطا » . إذن فما روي مرسلا في تفسيري النعمان وسعد من ان الأئمة « أئمة وسطاً » لا بد من حمله على التفسير وان التحريف إنما هو للمعنى (ومنها) كما رواه في الكافي في باب ان الائمة هم الهداة عن الفضل سألت أباعبدالله (ع) عن قول الله تعالى « ولكل قوم هاد » فقال كل إمام هو هادٍ للقرن الذي هو فيهم . ورواية بريد عن ابي جعفر (ع) في قوله تعالى إنما انت منذر ولكل قوم هاد فقال رسول الله (ص) المنذر ولكل زمان منا هادٍ يهديهم إلى ما جاء به النبي (ص) والهداة من بعده عليٌّ (ع) ثمَّ الأوصياء واحداً بعد واحد . ونحوها رواية ابي بصير عن ابي عبد الله (ع) ورواية عبدالرحيم القصير عن ابي جعفر عليه السلام ان رسول الله (ص) المنذر وعليٌّ الهادي وبمضمونها جاءت روايات الجمهور مسندة عن طريق ابي هريرة وابي برزة وابن عباس وطريق امير المؤمنين (ع) وصححه الحاكم في مستدركه . وإذا احطت خبرا بهذا فهل يروق لك التجاء فصل الخطاب في تلفيقه وتكثيره إلى النقل عن بعض التفاسير المتأخرة وعن الداماد في حاشية القبسات من قوله ان الأحاديث من طرقنا وطرقهم متضافرة بأنه كان التنزيل انما أنت منذر العباد وعليٌّ

لكل قوم هاد انتهى . هذا الشعر الذي ينشده المداحون ولا يرضى العارف باللغة العربية ان ينسب اليه نظمه ولا اظنك تجد من طرقنا وطرق اهل السنة غير ما سمعته اولا وهو غير ما نقله فاعتبر (ومنها) رواية الكافي عن ابي حمزة عن ابي جعفر عليه السلام قال قوله عز وجل ربنا ما كنا مشركين يعنون بولاية عليّ (ع) وهذا صريح في كونه تفسيرا فهي حاكمة ببيانها على ضعيفتي ابي بصير في ظهورها بأن لفظ « بولاية علي » محذوف من الآية ويسري البيان من رواية ابي حمزة إلى أمثال ذلك (ومنها) رواية عمر بن حنظلة عن ابي عبد الله(ع) في قوله تعالى في سورة البقرة متاعا إلى الحول غير اخراج . مخرجات . ولا اظن إلا انك تقول ان الحاق الإمام (ع) لكلمة مخرجات انما هو تفسير للمراد من كلمة . اخراج . لابيان للنقيصة من القرآن الكريم ولكن فصل الخطاب اورده بعنوان البيان للنقيصة فاعتبر (ومنها) صحيحة محمد بن مسلم عن ابي عبد الله (ع) كما في الكافي في اول باب منع الزكاة وفيها ثمّ قال (ع) هو قول الله عزّ وجل سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة يعني ما بخلوا به من الزكاة فالرواية كالصريحة بأنّ لفظ « من الزكاة » إنما هو تفسير من الإمام لا من القرآن فهي حاكمة ببيانها على مرسلة ابن ابي عمير عمن ذكره عن ابي عبد الله(ع) في قول الله عزّ وجل . سيطوقون ما بخلوا به . من الزكاة يوم القيامة وصارفة لها عن كونها بيانا للنقيصة . (ومنها) صحيحة ابي بصير عن ابي عبد الله(ع) كما في الكافي في باب نص الله ورسوله على الأئمة واحداً بعد واحد . وفيها : فقلت له ان الناس يقولون فما له لم يسم علياً (ع) وأهل بيته في كتاب الله قال فقولوا لهم ان رسول الله نزلت عليه الصلاة ولم يسم الله لهم ثلاثاً ولا اربعا حتى كان رسول الله(ص) هو الذي فسر لهم ذلك . وكذا قال (ع) في الزكاة والحج . ومقتضى الرواية تصديق الإمام (ع) لقول الناس ان الله لم يسم عليا في القرآن وإن التسمية كانت من تفسير رسول الله(ص) في حديث من كنت مولاه وحديث الثقلين . ويشهد لك ما رواه في الكافي ايضا في هذا الباب بعد ذلك بيسير في صحيحة الفضلاء عن ابي جعفر عليه السلام ورواية ابي الجارود عنه (ع) ايضا ورواية ابي الديلم عن ابي عبد الله (ع) انهما تلوا في مقام الاحتجاج وعدم التقية قوله تعالى « يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته » ولم يذكرا في تلاوة الآية كلمة « في عليّ » وهذا يدلّ على انّ ما روي في ذكر اسم علي (ع) في هذا المقام بل وفي غيره إنما هو تفسير وبيان للمراد في وحي القرآن بكون التفسير والبيان جاء به

جبرائيل من عند الله بعنوان الوحي المطلق لا القرآن وما ينطق عن الهوى ان هو إلا وحي يوحى (ومنها) رواية الفضيل عن ابي الحسن الماضي (ع) في باب النكت من التنزيل في الولاية من الكافي قال قلت هذا الذي كنتم به تكذبون قال يعني امير المؤمنين (ع) قلت تنزيل قال (ع) نعم فإنه (ع) ذكر امير المؤمنين (ع) بقوله يعني بعنوان التفسير وبيان المراد والمشار اليه في قوله تعالى هذا فقوله في الجواب « نعم » دليل على ان ما كان مراداً بعينه في وحي القرآن يسمونه عليهم السلام تنزيلا . فتكون هذه الرواية وأمثالها قاطعة لتشبثات فصل الخطاب بما حشده من الروايات التي عرفت حالها اجمالاً وإلى ما ذكرناه وغيره يشير ما نقلناه من كلمات العلماء الأعلام قدست اسرارهم . فإن قيل ان هذه الرواية ضعيفة وكذا جملة من الروايات المتقدمة قلنا ان جل ما حشده فصل الخطاب من الروايات هو مثل هذه الرواية واشد منها ضعفا كما أشرنا اليه في وصف رواتها على ان ما ذكرناه من الصحاح فيه كفاية لأولي الألباب

الفصل الثالث في قراءته

ومن أجل تواتر القرآن الكريم بين عامة المسلمين جيلا بعد جيل استمرت مادته وصورته وقراءته المتداولة على نحو واحد فلم يؤثر شيئا على مادته وصورته ما يروى عن بعض الناس من الخلاف في قراءته من القراء السبع المعروفين وغيرهم فلم تسيطر على صورته قراءة احدهم اتباعا له ولو في بعض النسخ ولم يسيطر عليه ايضا ما روي من كثرة القراءآت المخالفة له مما انتشرت روايته في الكتب كجامع البخاري ومستدرك الحاكم مسندة عن النبي(ص) وعلي(ع) وابن عباس وعمر وأبي وابن مسعود وابن عمر وعائشة وابو الدرداء وابن الزبير وانظر اقلا الى الجزء الأول من كنز العمال صفحة ٢٨٤ — ٢٨٩ نعم ربما اتبع مصحف عثمان على ما في مجرد رسم الكتابة في بعض المصاحف في كلمات معدودة كزيادة الألف بين الشين والياء من قوله تعالى لشيء من سورة الكهف وزيادتها ايضا في لأذبحنه من سورة النمل ونحو ذلك في قليل من الكلمات . وان القراءآت السبع فضلا عن العشر إنما هي في صورة بعض الكلمات لا بزيادة كلمة او نقصها ومع ذلك ما هي إلا روايات آحاد عن آحاد لا توجب اطمئنانا ولا وثوقا. فضلا عن وهنها بالتعارض ومخالفتها للرسم المتداول المتواتر بين عامة المسلمين في السنين المتطاولة . وان كلا من القراء هو واحد لم تثبت عدالته ولا ثقته يروي عن آحاد حال غالبهم مثل حاله ويروي عنه آحاد مثله . وكثيراً ما يختلفون في الرواية عنه . فكم اختلف حفص وشعبة في الرواية

عن عاصم . وكذا قالون وورش في الرواية عن نافع . وكذا قنبل والبزي في روايتهما عن اصحابهما عن ابن كثير . وكذا رواية ابي عمر وابي شعيب في روايتهما عن اليزيدي عن ابي عمر . وكذا رواية ابن ذكوان وهشام عن اصحابهما عن ابن عامر . وكذا رواية خلف وخلاد عن سليم عن حمزة . وكذا رواية أبي عمر وابي الحارث عن الكسائي . مع ان اسانيد هذه القراءآت الآحادية لا يتصف واحد منها بالصحة في مصطلح اهل السنة في الاسناد فضلا عن الإمامية كما لا يخفى ذلك على من جاس خلال الديار . فيا للعجب ممن يصف هذه القراءات السبع بأنها متواترة . هذا وكل واحد من هؤلاء القراء يوافق بقراءته في الغالب ما هو المرسوم المتداول بين المسلمين وربما يشذ عنه عاصم في رواية شعبة . إذن فلا يحسن أن يعدل في القراءة عما هو المتداول في الرسم والمعمول عليه بين عامة المسلمين في اجيالهم الى خصوصيات هذه القراءات . مضافا الى انا معاشر الشيعة الإمامية قد أمرنا بأن نقرأ كما يقرأ الناس أي نوع المسلمين وعامتهم

واعلما تقول ان غالب القراءات السبع او العشر ناش من سعة اللغة العربية في وضع الكلمة وهيئتها نحو عليهم واليهم ولديهم بكسر الهاء أوضمها مع سكون الميم او ضمهما . ونحو تظاهرون بفتح الظاء او تشديدها . فعلى أي قراءة قرئت اكون قارئا على العربية . ولكن كيف يخفى عليك ان تلاوة القرآن وقراءته يجب فيها وفي تحققها ان تتبع ما أوحي الى الرسول وخوطب به عند نزوله عليه وهو واحد فعليك أن تتحراه بما يثبت به وليست قراءة القرآن عبارة عن درس معاجم اللغة

ولا تتشبث لذلك بما روي من ان القرآن نزل على سبعة احرف فإنه تشبث واه واهن . اما اولا فقد قال في الاتقان في المسألة الثانية من النوع السادس عشر اختلف في معنى السبعة احرف على اربعين قولا وذكر منها عن ابن حيان خمسة وثلاثين . وما ذاك إلا لوهن روايتها واضطرابها لفظا ومعنى . وفي الاتقان ايضا في اواخر النوع السادس عشر وقد ظن كثير من العوام ان المراد بها القراءات السبعة وهو جهل قبيح (واما ثانيا) فقدروى الحاكم في مستدركه بسند صحيح على شرط البخاري ومسلم عن ابن مسعود عن النبي (ص) نزل القرآن من سبعة ابواب على سبعة احرف زاجرا وآمرا وحلالا وحراما ومحكما ومتشابها وامثالا فأحلوا حلاله . وروى ابن جرير مرسلا عن أبي قلابة عن النبي صلى الله عليه وآله أنزل القرآن على سبعة

احرف آمر وزاجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل . وروى ابن جرير والسنجري وابن المنذر وابن الانباري عن ابن عباس عنه(ص) ان القرآن على اربعة احرف حلال وحرام الحديث. واسند السنجري في الابانة . عن علي (ع) انزل القرآن على عشرة احرف بشير ونذير وناسخ ومنسوخ وعظة ومثل ومحكم ومتشابه و حلال وحرام (واما ثالثا) فقد جاء في روايات السبعة احرف بأسانيد جياد في مصطلحهم ما يعرفك وهنها والحاقها بالخرافة ففي رواية احمد من حديث ابي بكر ان النبي(ص) استزاد من جبرئيل في احرف القراءة حتى بلغ سبعة احرف قال يعني جبرئيل كلها شاف كاف ما لم تختم آية عذاب برحمة وآية رحمة بعذاب . وزاد في حديث آخر نحو قولك تعال واقبل وهلم واذهب واسرع واعجل . ونحوه في رواية الطبراني عن ابي بكرة . وفي الاتقان اخرج نحوه احمد والطبراني عن ابن مسعود واخرج ابو داود في سننه عن ابي عن رسول الله (ص) الى قوله حتى بلغ سبعة احرف ثم قال ليس منها إلا شاف كاف ان قلت سميعا عليما عزيزا حكيما ما لم تختم آية عذاب برحمة او آية رحمة بعذاب . وفي كنز العمال فيما اخرجه احمد وابن منيع والغساني وابن ابي منصور وابو يعلى عن أبي عن النبي(ص) ان قلت غفوراً رحيما او قلت سميعا عليما او عليما سميعا فالله كذلك ما لم تختم آية عذاب برحمة او رحمة بعذاب . واخرج ابن جرير عن ابي هريرة عنه (ص) ان هذا القرآن نزل على سبعة احرف فاقرأوا ولا حرج ولكن لا تجمعوا ذكر رحمة بعذاب ولا ذكر عذاب برحمة. واخرج احمد من حديث عمر القرآن كله صواب ما لم تجعل مغفرة عذابا اوعذابا مغفرة . فانظر الى هذه الروايات المفسرة للسبعة احرف كيف قد رخصت في التلاعب في تلاوة القرآن الكريم حسبما يشتهيه التالي ما لم يختم آية الرحمة بالعذاب وبالعكس (واما رابعا) ففي الروايات ما يقطع سند القراءات السبع فعن ابن الأنباري في المصاحف مسندا عن عبد الرحمن السلمي قال كانت قراءة ابي بكر وعمر وعثمان وزيد بن ثابت والمهاجرين والأنصار واحدة . وعن ابن أبي داود مسندا عن أنس قال صليت خلف النبي(ص) وابي بكر وعمر وعثمان وعلي وكلهم كان يقرأ مالك يوم الدين . وروى ايضا ان أول من قرأ مالك يوم الدين هو مروان ابن الحكم (واما خامسا) وهو فصل الخطاب فقد روى من طرق الشيعة في الكافي مسندا عن أبي جعفر الباقر(ع) ان القرآن واحد نزل من عند واحد ولكن الاختلاف يجيء من قبل الروايات . وارسل الصدوق نحوه في اعتقاداته عن الصادق(ع) وفي الكافي ايضا في الصحيح

عن الفضيل بن يسار قال قلت لأبي عبد الله(ع) ان الناس يقولون ان القرآن نزل على سبعة احرف فقال(ع) كذبوا . ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد . ويؤيد ما ذكرناه رواية السياري له ايضا عن الباقر والصادق (ع)

الفصل الرابع في تفسيره

والحاجة اليه مقامات (الأول) في مفردات الفاظه وبيان معناها في العربية — قد أنزل القرآن الكريم على افصح لغات العرب واكثرها تداولا ومألوفيةً لنوع العرب فلا تخفى معاني مفرداته على العرب إلا نادرا لبعض الجهات التي لا ينفك عنها نوع الانسان كما يروى في الأبّ والقضب في قوله تعالى في سورة عبس « وفاكهة وأباً وعنباً وقضباً » . ولكن لما تشرفت الأمم من غير العرب بالإسلام وتطورت اللغة العربية بسبب الاختلاط ومرور الزمان عرض لبعض الألفاظ التي كانت متداولة مأنوسة معروفة المعاني في عصر النزول ان صارت غريبة بعد ذلك في استعمال العامة بعيدة عن فهمهم لمعانيها . ولا زال ذلك يزداد يوما فيوما حتى سرى داؤه إلى بعض الخواص . ولاستراحتهم في ذلك الى الاتباع والتقليد أثر غير هين

إذن فيرجع في التفسير لمفردات الفاظه الشريفة الى ما يحصل به الاطمئنان والوثوق من مزاولة علم اللغة العربية والتدبر في موارد استعمالها مما يعرف انه من كلام العرب ولغتهم . وان للتدبر في اسلوب القرآن الكريم وموارد استعماله وقراءتها دخلا كبيرا في ذلك . واما محض الركون الى آحاد اللغويين تعبدا بكلامهم وتقليداً لآرائهم فذاك مما لا مساغ له . فان الأغلب أو الغالب مما يستندون اليه في اقوالهم ما هو إلا الاعتماد على ما يحصلونه بحسب افهامهم وتتبعهم لموارد الاستعمال مع الخلط للحقيقة بالمجاز وعدم التثبت بالقرآن ومزايا الاستعمال . ألا ترى كم يشهد بعضهم على بعض بالخطأ والوهم

ومن شواهد ما ذكرناه ما وقع في تفسير اللمس والمسّ من الاضطراب والخبط . ففي النهاية مسست الشيء إذا لمسته بيدك . وفي القاموس لمسه مسه بيده ومسسته أي لمسته . وفي المصباح مسسته افضيت اليه بيدي من دون حائل هكذا قيدوه وقال قبل ذلك لمسه افضى اليه باليد . هكذا فسروه . وقال ابن دريد اصل اللمس باليد ليعرف مس الشيء وقال لمست مسست وكل ماس لامس . وقال الفارابي اللمس المس . وفي التهذيب عن ابن الاعرابي اللمس يكون مس الشيء وقال في باب الميم المس مسّك الشيء بيدك . وقال الجوهري اللمس

المس ثمّ قال في المصباح وإذا كان اللمس هو المس فكيف يفرق الفقهاء بينهما انتهى . ولعلك تذعن بأن الفقهاء احذق في استفادة المعنى من تتبع موارد الاستعمال وذلك لما اعتادوه وشحذوا به أذهانهم من بذل الجهد بالبحث والتحقيق فإن الفرق بين معنيي اللمس والمس واضح بحكم التبادر والتتبع لموارد الاستعمال. وغير خفي ان المعروف والمتبادر تبادراً يجزم معه بعدم النقل عن المعنى اللغوي الأصلي هو ان اللمس هو الإصابة بما به الإحساس من البدن بقصد الاحساس للملموس لا خصوص المس باليد ولا مطلق المس نعم كثير من موارد اللمس ما يكون باليد باعتبار انها آلة عادية واقوى احساسا . كما ان المس هو مطلق الإصابة لا بقصد الاحساس وقد صرح جماعة من اساطين علمائنا بأن معنى المس لغة بل وعرفا هو ما ذكرناه كما في المعتبر والمنتهى وروض الجنان والحدائق بل والمهذب البارع وأظن ان الذي يحقق في مراجعة العرف والتبادر وتتبع موارد الاستعمال قديما وحديثا لا يشك في ان معنى اللمس هو ما ذكرناه أولاً

ومن شواهد ما ذكرناه هو الاضطراب في معنى التوفي وما استعمل في لفظه المتكرر في القرآن الكريم . فاللغويون جعلوا الإماتة في معنى التوفي . والكثير من المفسرين في تفسير قوله تعالى في سورة آل عمران « ٤٨ يا عيسى اني متوفيك ورافعك إليّ » قالوا أي مميتك . وقال بعض مميتك حتف انفك . وقال بعض مميتك في وقتك بعد النزول من السماء وكأنهم لم ينعموا الالتفات إلى مادة التوفي واشتقاقه ومحاورات القرآن الكريم والقدر الجامع بينها. وإلى استقامة التفسير لهذه الآية الكريمة واعتقاد المسلمين بأن عيسى لم يمت ولم يقتل قبل الرفع إلى السماء كما صرح به القرآن . وإلى ان القرآن يذكر فيما مضى قبل نزوله ان المسيح قال لله « فلما توفيتني » ومن كل ذلك لم يفطنوا أن معنى التوفي والقدر الجامع المستقيم في محاورة القرآن فيه وفي مشتقاته إنما هو الأخذ والاستيفاء وهو يتحقق بالإماتة وبالنوم وبالأخذ من الأرض وعالم البشر إلى عالم السماء . وإن محاورة القرآن الكريم بنفسها كافية في بيان ذلك كما في قوله تعالى في سورة الزمر « ٤٣ : الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى » ألا ترى انه لا يستقيم الكلام إذا قيل الله يميت الأنفس حين موتها وكيف يصح ان التي لم تمت يميتها في منامها . وكما في قوله تعالى في سورة الانعام « ٦٠ : وهو الذي يتوفيكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه

ليقضى أجل مسمى ثم اليه مرجعكم » فإن توفي الناس بالليل إنما يكون بأخذهم بالنوم ثم يبعثهم الله باليقظة في النهار ليقضوا بذلك آجالهم المسماة ثم إلى الله مرجعهم بالموت والمعاد . وكما في قوله تعالى في سورة النساء « ١٩ : حتى يتوفيهن الموت » فإنه لا يستقيم الكلام إذا قيل يميتهن الموت وحاصل الكلام ان معنى التوفي في موارد استعماله في القرآن وغيره إنما هو أخذ الشيء وافياً أي تاماً كما يقال درهم وافٍ وهذا المعنى ذكره اللغويون للتوفي في معاجمهم وقالوا ان توفاه واستوفاه بمعنى واحد وأنشدوا له قول الشاعر

ان بني الادرد ليسوا لأحد ولا توفاهم قريش في العدد

أي لا تتوفاهم وتأخذهم تماماً (قلت) لكنَّ بين الاستيفاء والتوفي فرقاً واضحاً من جهة اثر الاشتقاق فإن الاستيفاء استفعال كالاستخراج يشير إلى طلب الآخذ واستدعائه ومعالجته والتوفي يشير إلى القدرة على الآخذ بدون حاجة إلى استدعاء وطلب ومعالجة ولذا اختص القرآن الكريم بلفظ التوفي وعدل عن الأخذ لعدم دلالته على التمام والوفاء كالتوفي الدال على تمام القدرة على نحو المعنى في إنا لله وإنا اليه راجعون . ولك العبرة فيما قلناه بقوله تعالى « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها » فإنك إن جعلت قوله تعالى « والتي لم تمت » معطوفا على الأنفس لم تقدر أن تقول أن معنى يتوفى يميت . وإن قلت ان التوفي في المنام اماتة مجازية قلنا كيف يكون معنى اللفظ الواحد معنيين معنى حقيقيا ومعنى مجازيا ويتعلق باعتبار كل معنى بمفعول ويعطف احد المفعولين على الآخر مع اختلاف المعنى العامل به . وهل يكون اللفظ الواحد مرآةً لكل من المعنيين المستقلين كلا لا يكون . وإن جعلت قوله تعالى « والتي لم تمت » مفعولاً لكلمة « يتوفى » مقدرة يدل عليها قوله تعالى « يتوفى الأنفس » قلنا ان دلالة الموجود على المحذوف إنما هي بمعناه كما لا يخفى على من له معرفة بمحاورات الكلام في كل لغة فكيف يجعل التوفي بمعنى الموت دليلاً على توفٍ محذوف هو بمعنى آخر . . إذن فليس الا أن التوفي بمعنى واحد وهو الأخذ تماماً ووافياً . إما من عالم الحياة . وإما من عالم اليقظة . وإما من عالم الأرض والاختلاط بالبشر إلى العالم السماوي كتوفي المسيح وأخذه ومن الغريب ما قاله بعض من أن رفع المسيح إلى السماء غير مشتمل على أخذ الشيء تاما انتهى وليت شعري ماذا بقي من المسيح في الأرض وماذا تعاصى منه على قدرة الله في أخذه فلا يكون رفعه مشتملاً على أخذ الشيء تاما . هـذا ولا يخفى ان القرآن ناطق بأن المسيح ما قتلوه

وما صلبوه ولكن شبه لهم ورفعه الله اليه وإن عقيدة المسلمين مستمرة كاجماعهم على انه لم يمت بل رفع إلى السماء إلى ان ينزل في آخر الزمان فلأجل ذلك التجأ بعض من يفسر التوفي بالإماتة إلى ان يفسر قوله تعالى « يا عيسى إني متوفيك » أي مميتك في وقتك بعد النزول من السماء ولكني لا أدري ماذا يصنع بحكاية القرآن لما سبق على نزوله في قوله في اواخر سورة المائدة « ١١٦و١١٧ : وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك — ما قلت لهم إلا ما أمرتني به — فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم » فهل يسوغ ان تفسر هذه الآية بالوفاة بعد النزول وهل يصح القياس في ذلك على قوله تعالى « ونفخ في الصور » وهل يخفى ان مقتضى كلام المسيح في الآيتين هو انه بعد ان توفاه الله وانقطعت تبليغاته في دعوة رسالته وكونه شهيداً على امته تمحض الأمر ورجع إلى ان الله هو الرقيب عليهم . وان سوق الكلام واتساقه ليدل على اتصال الحالين . وان الرقيب كيفما فسرته إنما يكون رقيباً في وجود تلك الأمة في الدنيا دار التكليف لا الآخرة التي هي دار جزاء وانتقام . ولا تصح الطفرة في المقام من أيام دعوة المسيح لأمته في رسالته وكونه شهيداً عليهم إلى ما بعد نزوله من السماء في آخر الزمان حيث يكون وزيرا في الدعوة الإسلامية لا صاحب دعوة . ومن الواضح أن المراد في الآيتين من الناس الذين جرى الكلام في شأنهم إنما هم الذين كانوا أمة المسيح وفي عصر رسالته ونوبة دعوته وتبليغه . . . وأما صرف وجهة الكلام إلى الناس الذين هم في أيام نزوله من السماء فما هو إلا مجازفة فيها مافيها وتحريف للكلم . . . وأما قوله تعالى « ونفخ في الصور » فلم يكن اخباراً ابتدائياً يكون وقوع الفعل الماضي فيه باعتبار حال المتكلم كما في الآيتين بل جاء في سياق قوله تعالى « ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم » في حوادث زمان البعث والقيامة ومقدماتها فهو في سياقه ناظر إلى ذلك الحين وسياق الكلام يجعله بدلالته في قوة قوله ونفخ حينئذٍ في الصور فهو على حقيقة الفعل الماضي وباعتبار ذلك الحين كما في قوله « وجيء يومئذ بجهنم » . هذا وبعض المفسرين لقوله تعالى « يا عيسى اني متوفيك » قال أي مميتك حتف انفك . واقول ان اراد الإماتة بعد نزول المسيح من السماء شارك ما سبق من التفسير وورد الاعتراض عليه وان اراد اماتته قبل ذلك وقبل نزول القرآن خالف المعروف من عقيدة المسلمين واجماعهم في اجيالهم ويرد عليه السؤال ايضا بأنه من أين جاء بالإماتة حتف انفه وماذا يصنع بما جاء في القرآن

كثيراً مما ينافي اختصاص التوفي بالموت حتف الأنف بل المراد منه الأخذ بالموت وإن كان بالقتل كقوله في سورة الحج ٥ والمؤمن ٦٩ في اطوار خلق الإنسان من التراب والنطفة إلى الهرم . « ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر » لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل » وفي سورة البقرة ٢٣٤و٢٤١ « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً » ويونس ١٠٤ « ولكن أعبد الله الذي يتوفيكم » والنحل ٧٢ « والله الذي خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر » والسجدة ١١ « قل يتوفاكم ملك الموت » والاعراف ٣٥ « حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم » والنساء ٩٩ « وتتوفاهم الملائكة » والنحل ٣٠—٣٣ « تتوفاهم الملائكة » والانعام ٦١ « توفته رسلنا » ومحمد (ص) ٣٩ «فكيف إذا توفتهم الملائكة» والأنفال ٥٢ « ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة » والزمر ٤٣ « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها » وإنك لا تكاد تجد في القرآن المجيد لفظ التوفي مستعملا فيما يراد منه الإماتة حتف الأنف إذن فمن اين جيء بذلك في قوله تعالى « إني متوفيك » نعم ابتلى لفظ التوفي ومشتقاته بالأخذ بمناه يمنةً ويسرةً حتى ان العامة حسبوها مرادفة للموت حتى انهم يقولون في الذي مات توفى بفتح التاء والواو والفاء بالبناء للفاعل ويقولون في الميت متوفي بكسر الفاء وصيغة اسم الفاعل بل يحكى ان أمير المؤمنين عليا (ع) كان يمشي خلف جنازة في الكوفة فسمع رجلا يسأل عن الميت ويقول من المتوفي بكسر الفاء

وأما ما نسب إلى ابن عباس من ان معنى قوله تعالى « يا عيسى إني متوفيك » إني مميتك فما أراه إلا كما نسب إلى ابن عباس في مسائل نافع بن الأزرق كما ذكر في الفصل الثاني من النوع السادس والثلاثين من اتقان السيوطي من ان نافعاً سأله عن قول الله « ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة » أي بما يرجع إلى معنى تبهظهم وتثقل عليهم كما قال عمر ابن كلثوم في معلقته . (ومتني لدنة سمقت وطالت روادفها تنوء بما ولينا)
وكما انشده اللغويون . (إلا عصا ارزن طالت برايتها تنوء ضربتها بالكف والعضد)

فذكر ان ابن عباس قال له في الجواب لتثقل أو ما سمعت قول الشاعر

تمشي فتثقلها عجيزتها مشي الضعيف ينوء بالوسق

أي ينهض بالوسق بتكلف وجهد على عكس المعنى المذكور في القرآن . أفهل ترى ابن عباس يفسر تنوء التي في الآية بغير معناها كما ثار من هذا الاستشهاد المنسوب اليه اعتراض

النصارى بأن القرآن جاء بلفظة « لتنوء » في غير محلها . وهل ترى ابن عباس لا يعرف ان معنى ينوء بالوسق ليس يثقل بل ينهض به بتكلف . وهل ترى ابن عباس لا يدري ببيت المعلقة ليستشهد به استشهاداً صحيحاً مطابقاً منتظماً . كيف وإن المعلقات كانت للشعر في ذلك العصر كبيت القصيد ولكن « حنّ قدح ليس منها » وقد خرجنا عما نؤثره من الاختصار ولكننا ما خرجنا عن المقصود الاصلي من الكلام في تفسير القرآن الكريم بل سارعنا إلى شيء من الخير والله المسدد الموفق

المقام الثاني

لا يخفى ان القرآن الكريم مبني على ارقى انحاء البلاغة العربية وتفننها بمحاسن المجاز والاستعارة والكناية والإشارة والتلميح وغير ذلك من مزايا الكلام الراقي ببلاغته مما كان مأنوس الفهم في عصر النزول ورواج الأدب العربي وقيام سوقه . وكان بحيث يفهم المراد منه ومزاياه بأنس الطبع ومرتكز الغريزة كل سامع عربي . ولكن بعد اشتراك الأمم في بركة الإسلام وامتلاء جزيرة العرب من الأمم وتفرق العرب بالتجنيد في غير البلاد العربية تغير اسلوب الكلام العربي في عامة الناس وتبدلت مزايا الكلام واساليب المحاورات فعاد ذلك المأنوس غريباً في العامة وذلك الطبيعي الغريزي يحتاج في معرفته إلى ممارسة التطبع وكلفة التعلم والتدرب في اللغة العربية وأدبها على النهج السوي . من دون تقليد معرقل ولا وقوف عند الأسماء ولا جمود على قشور القواعد التي مهدها المتدربون في العربية من الخواص اقتباساً بقدر الوسع من ذلك الأدب القديم . فدونوا من مبتذلها شيئا وفاتهم من أسرارها وحقائقها الشيء الكثير . وربما أدت بهم وعورة البحث والجمود على التقليد إلى عثرات الوهم أواحجام الشكوك

انظر إلى ان جماعة من النحويين كالشراح لألفية ابن مالك وغيرهم قالوا في قول الراجز « جاؤوا بمذق هل رأيت الذئب قط » ان التقدير بمذق مقول فيه هل رأيت الخ ولا يخفى ان الراجز يريد وصف المذق بما يبين حاله وتبدل كونه بكثرة الماء وماذا يجدي إلى ذلك كونه مقولا فيه هل رأيت الذئب قط ولم يفطنوا إلى ان الصفة التي يريدها الراجز كما يقتضيها المقام قد اشار اليها باستفهامه الذي هو بمنزلة التمثيل الحي لها . فكأنه قد جاؤوا بمذق لونه كلون الذئب هل رأيت الذئب يوما من الأيام فإن لون المذق كلونه فاعرف كيف كان .

ومن شواهد ذلك ان صاحب الكشاف مع تضلعه من الأدب العربي ومعرفته بنكات الكلام

اضطرب كلامه وتفسيره في كلمة واحدة تكررت في القرآن الكريم على نحو واحد وهو قوله تعالى « لا اقسم » ففي سورة الواقعة في قوله تعالى « لا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم » قال فأقسم وان «لا» مزيدة مثلها في قوله لئلا يعلم اهل الكتاب وفي قوله تعالى « لا اقسم بيوم القيامة ولا اقسم بالنفس اللوامة » قال ادخال لا النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم وأشعارهم قال امرؤ القيس . (ولا وأبيك ابنة العامري لا يدعي القوم اني افر)
وقال غوية بن سلمة . (ألا نادت امامة باحتمال لتحزنني فلا بك لا ابالي)

وفائدتها توكيد القسم وقالوا انها صلة اي زائدة مثلها في لئلا يعلم أهل الكتاب وقال في ذلك كلاماً فيه ما فيه وقال والوجه ان يقال هو للنفي والمعنى في ذلك انه لا يقسم بالشيء اعظاما له يدلك عليه قوله تعالى « فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم » فكأنه بادخال حرف النفي يقول ان اعظامي له باقسامي به كلا اعظام يعني انه يستأهل فوق ذلك انتهى . ومقتضى بيانه هذا ان يقول اعظاما للمقسم به فإنه أوضح للبيان من مثله . وليته لم يخلط بين دخول « لا » على فعل القسم كما في الآيتين وبين دخولها على حرف القسم كما في بيتي امرء القيس وغوية وغيرهما مما لا يقع جوابه إلا منفيا فإنه واضح الظهور في ان «لا» فيه نافية موطئة لنفي الجواب لتأكيده وسبيلها سبيل قوله تعالى في سورة النساء ٦٨ «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك » . وفي سورة الحاقة في قوله تعالى « فلا اقسم بما تبصرون ومالا تبصرون » قال اقسام بالأشياء كلها . وفي سورة البلد في قوله تعالى « لا أقسم بهذا البلد » قال اقسم بالبلد الحرام ولم يقل شيئا في قوله تعالى (لا أقسم) في سورة المعارج والتكوير والانشقاق . ومن شواهد ذلك ما سمعته هنا عن صاحب الكشاف في قوله تعالى « لئلا يعلم أهل الكتاب » ومن ان «لا» في لئلا مزيدة وصرّح ايضا بذلك في تفسير سورة الحديد حيث قال لئلا يعلم ليعلم — ووافقه على ذلك جماعة فاغتنم اعداء القرآن الكريم من ذلك فرصة فاعترضوا على القرآن بأنه مشتمل على الزيادة اللغوية ولكن الجزء الأول من كتاب الهدى صفحة ٣٥٠ و ٣٥٥ اوضح البطلان في زعم الزيادة كما عليه جماعة من ان المعنى . ان الله وعد الذين آمنوا ويتقون الله ويؤمنون برسوله ان يؤتيهم كفلين من رحمته ويجعل لهم نوراً يمشون به ويغفر لهم ومن فوائد ذلك وغاياته ان لا يعلم اهل الكتاب ان الذين آمنوا لا يقدرون على شيء من فضل الله ولأن الفضل بيد الله الآية وليت شعري لماذا لا تنزه جلالة القرآن المجيد وبراعته عن لغوية هذه

الزيادة التي لا غاية فيها إلا الايهام

وفي تفسير قوله تعالى في سورة الاعراف « ١١ قال ما منعك ان لا تسجد إذ امرتك قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين » قال في الكشاف أيضا «لا» في ان لا تسجد صلة « أي زائدة » بدليل قوله تعالى أي في سورة (ص) « ٧٥ ما منعك ان تسجد لما خلقت بيديّ » ومثلها لئلا يعلم أهل الكتاب بمعنى ليعلم انتهى . اقول وإن التدبر في آيات الاعراف. و(ص) يشهد بأن «لا» غير زائدة بل جيء بها في الاعراف للاشارة إلى أمر قد صرح به في آيات (ص) وذلك ان الفعل قد يكون له مانع من ضد او عذل أو غفلة او عجز أو كسل وقد يكون له سبب داع وحامل على تركه ومخالفته الآمر به فسأل الله انكاراً أو توبيخا في سورة (ص) عن المانع بقوله تعالى « ما منعك ان تسجد وعن السبب والحامل على المخالفة بقوله تعالى أستكبرت ام كنت من العالين » وأشار جل شأنه في سورة الاعراف بوجود (لا) إلى السؤال عن السبب الحامل على المعصية بعد السؤال عن المانع فكأنه قال ما منعك من ان تسجد وما حملك على ان لا تسجد ولذا وقع الجواب من ابليس في كلا المقامين بيان السبب الحامل له على ان لا يسجد لا التعليل بالمانع فقال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين و كذا الكلام في قوله تعالى في سورة طه « ٩٤ قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ان لا تتبعني أفعصيت أمري » فإن التفريع في قوله أفعصيت أمري يدل على انه قد سبق السؤال عن المانع عن الاتباع وعن السبب الحامل على المعصية بتركه واشير اليه بادخال «لا» ولكن قال في الكشاف لا مزيدة والمعنى ما منعك ان تتبعني . وقال الله في سورة الأنبياء « ٩٥ وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون » وفي الكشاف فسر الاهلاك بالعزم عليه وفسر الرجوع بالرجوع من الكفر إلى الإسلام وهذا مختاره على الظاهر من الوجوه الثلاثة ثم قال فيه و«لا» صلة مزيدة انتهى وليته أبقى الإهلاك على ظاهره وفسر الرجوع بالرجوع إلى الإيمان والتوبة عند مشاهدة آيات الهلاك وأحوال الموت كإيمان فرعون عند الغرق كما في سورة يونس ٩٠ . أو كالذين « إذا حضر احدهم الموت قال إني تبت الآن » وكما في سورة النساء ٢٢ . وكما ذكره الله في سورة المؤمنين في حال المشركين والظالمين « ١٠١ حتى إذا جاء احدهم الموت قال ربّ ارجعوني لعلي أعمل صالحاً فيما تركت » فإن قولهم هذا رجوع إلى التوبة ولكنها لا تقبل كما قال الله في الموارد الثلاثة ويكون معنى الآية الكريمة هو ان أهل القرى

التي أهلكها الله حرام عليهم بسبب مشاهدتهم لآيات الإهلاك وحضور الموت وممتنع في العادة ومنفيٌّ بالمرة كونهم لا يرجعون إلى التوبة والإيمان بحسب الفطرة وإن كان لا ينفعهم ويستمرون على ما هم فيه حتى إذا جاءت الساعة وصار يوم القيامة وعاينوا ما كانوا يوعدون قالوا يا ويلنا قد كنا في غفلة عن هذا

وقال الله تعالى في سورة آل عمران « ٧٣ ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثمَّ يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ٧٤ ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً » ولا يخفى ان قوله تعالى ولا يأمركم معطوف على يقول المعطوف بثمَّ على المنفي بقوله تعالى ما كان أي ليس له وإن (لا) هنا نافية يؤتى بها لتثبيت النفي في الأمرين مثلها في قولك ليس لك ان تقوم ولا أن تأكل لئلا يتوهم ان النفي للجمع بين الأمرين والجمع بين القيام والأكل كما قال في الكشاف في ثاني وجهيه في الآية . وقال في الكشاف ان في الآية وجهين احدهما ان نجعل «لا» مزيدة والمعنى ثمَّ يأمر الناس بأن يكونوا عباداً له ويأمركم ان تتخذوا النبيين والثاني ان نجعل «لا» نافية غير مزيدة والمعنى ما كان لبشر يستنبئه الله ان يأمر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة أي ما كان له أن يجمع بين الأمر والنهي . ويا للعجب ممن سوغ لنفسه في مثل بلاغة القرآن المجيد ان يفسر لا يأمركم بقوله ينهاكم ولو فسر بذلك كلام واحد من الناس لأوسعه من الملام ما أوسعه — ولم ينفرد الزمخشري بدعوى زيادة (لا) في هذه الموارد بل ادعى ذلك جماعة من المفسرين والنحويين كما ذكر ابن هشام في المغني في كلمة «لا» ولو ان زيادة «لا» محققة في كلام العرب متداولة في شعرهم ونثرهم لما ساغ لهؤلاء ان يقولوا بذلك في مثل بلاغة القرآن الكريم ومجدها وفي خصوص الموارد التي ادعوا فيها الزيادة فإن البلاغة بل استقامة الكلام تقتضي تثبيت اثباتها ورفع أوهام النفي عنها لو كانت مثبتة إذن فكيف يقلق مضمونها الشريف بما يوهم النفي ويشوش الكلام . وان المخبر الذي يعرف كيف يتكلم لا يدخل على خبره ما يوهم نقيضه هذا مع اني لم اجد شاهداً ذكروه من الكلام على زيادة «لا» إلا قوله : (وتلحينني في اللهو أن لا أحبه واللهو داع دائب غير غافل)

ولو كان هذا من شعر العرب وكان المراد منه ما فهموه لجاز أن يضمر فيه وتأمرينني بأن لا أحبه أو وتدعينني إلى أن لا أحبه. ومن غرائبهم استشهاد بعضهم أيضاً بقول الشاعر

ابى جوده لا البخل واستعجلت به نعم من فتى لا يمنع الجود قاتله

نعم لم يوافقهم الزمخشري على زعمهم لزيادة (لا) في قوله تعالى في سورة الأنعام « ١٠٩ وما يشعركم انها إذا جاءت لا يؤمنون » وقوله تعالى فيها « ١٥٢ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا » . ومن شواهد ذلك انك سمعت كلام الكشاف في دخول لا النافية على القسم واستفاضته في كلامهم وأشعارهم وما ذكره من الشواهد في الشعر ومع ذلك قال في تفسير سورة النساء في قوله تعالى « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك » معناه فوربك كقوله تعالى « فوربك لنسألنهم » و «لا» مزيدة لتأكيد معنى القسم كما زيدت في لئلا يعلم لتوكيد وجوب العلم انتهى .. فانظر فيه واعتبر وقل أين ما ذكرته من الاستفاضة واين معنى الاستشهاد بالشعر . ولولا الحمل على التحامل لذكرنا عن الكشاف وغيره اكثر من ذلك وفي ذلك كفاية لأولي الألباب : ومن ذلك ما نقله السيد الرضي في حقائق التأويل من قول بعضهم بزيادة الواو في قوله تعالى في سورة آل عمران ٨٥ ولو افتدى به . وابراهيم ٥٢ ولينذروا به . والزمر ٧٣ وفتحت ابوابها . أقول ولمثل هذه الواو في القرآن موارد وهي فيها كلها واو العطف على محذوف يدل عليه سياق القرآن بكرامة نهجه وبراعة اسلوبه في مناحي البلاغة ويجلوه المقام باشراق تلك البراعة بأجلى المظاهر كما سيأتي التنبيه عليه في موارده ان شاء الله . ومن شواهد ذلك مما جناه القصور ان جماعة وقفوا عن الوصول في بعض ما في القرآن الكريم من فرائد البراعة وفوائد البلاغة حتى صار يلوح من ترددهم ان ذلك مخالف لقواعد العربية فاغتنم اعداء القرآن من ذلك فرصة الاعتراض وقد ساعد التوفيق على التعرض لتلك الاعتراضات وبيان خطأها بايضاح براعة القرآن الكريم في مواردها بأسرار البلاغة ولباب الأدب العربي وبواهر اساليبه وقد كتب شيء من ذلك في الجزء الأول من كتاب الهدى وفي خصوص المقدمة الثالثة عشرة من صفحة ٣٢١ حتى آخره .. ومن شواهد ذلك ان كثيرا من مجازات القرآن الكريم واستعاراته الواضحة العلاقة والفائقة في لحاظ التشبيه ومرمى الإشارة والمؤيدة بأحكام العقل ومحكمات الكتاب هذه الاستعارات التي كانت من ازهار الأدب العربي الغريزي حين ما كان روضه زاهيا زاهراً عادت بعد ما ذوى خميله معركة للآراء وهدفاً للجحود وإن حامت عنها محكمات الكتاب ونصرتها البراهين العقلية في تقديس الله وتفرده بالكمال . فمن ذلك ما في القرآن من نسبة الاضلال إلى الله جل اسمه في عدة آيات منها السابعة والعشرون

من سورة الرعد والثانية والثلاثون من سورة ابراهيم ونحوهما . فإن التعبير في ذلك بالاضلال مجاز فائق في الحسن يمثل ببراعته حاجة الإنسان مع نفسه الأمارة إلى لطف الله به وعنايته في توفيقه ويشير الى ما في اللطف والتوفيق من الأثر الشريف الكبير في النعمة على الإنسان وينبه إلى ان خذلان الله للإنسان المتمرد برفع العناية في التوفيق وايكاله إلى نفسه شبيه باضلاله في قوة الأثر . كل ذلك لأجل التنويه والامتنان بنعمة الله في توفيقه لعباده ولأجل هذه المزايا الفائقة استعير الاضلال لخذلان الله لعبده المتمرد وإيكاله إلى نفسه والعياذ بالله

ولقد كان يكفي في القرينة على التجوز في لفظ الاضلال هنا وصرفه عن مقتضى وضعه ما في القرآن من المحكمات مثل قوله تعالى في سورة الاعراف « ٢٧ إن الله لا يأمر بالفحشاء» وفي سورة النحل « ٩٢ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون » فإن تمجد الله بذلك كافٍ في كونه قرينة على ان الإضلال المنسوب لله تعالى شأنه إنما هو مجاز . وإن مجده والطافه جلت آلاؤه تعين المراد منه وهو ما ذكرناه . وكيف يكون الاضلال المنسوب إلى الله على حقيقته مع أن الله يذم الضالين ويعذبهم على ضلالهم ويوبخهم بقوله تعالى « كيف تكفرون بالله . لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق. لم تصدون عن سبيل الله . فمالكم كيف تحكمون. فمالهم لا يؤمنون. فما لهم عن التذكرة معرضين . وما ذا عليهم لو آمنوا » وتمام الكلام في الكتب الكلامية . وقد ذكر شيء منه في الجزء الثالث من الرحلة المدرسية صفحة ٢٩ إلى ٤٢ : ومن ذلك ان الفرقة الظاهرية لم تلتفت إلى المجاز ووجهه الواضح في قوله تعالى « الرحمن على العرش استوى» ولم يصرفهم عن المعاني الحقيقية لهذه الألفاظ ضرورة العلم من القرآن والبراهين القطعية في ان الله منزه عن الجسم والأين والمكان لكي يعرفوا ان المراد بالعرش هنا هو شأن القدرة والجلال واستيلاء السلطان على الملكوت في الأزل والأبد . ولأجل احضار هذا الشأن العظيم في اذهاننا القاصرة وملأ قلوبنا بعظمته مثل القرآن لتصورنا المحدود بتشبيهه بما نعرفه ونعرف آثاره من العرش الجسماني للملك الأرضي الذي بالصعود عليه صعوداً زمنياً ينفذ سلطانه وتعم قدرته

ومن آثار الظاهريين العجيبة ما اخرجه ابن مردويه والخطيب في تاريخه وابن منصور في سننه من مسند عمر عن النبي (ص) في قوله تعالى على العرش استوى قال حتى يسمع له اطيط الرحل . وانظر إلى كنز العمال الجزء الأول صفحة ٢٢٦ وكذا منتخب الكنز واطيط

الرحل والقتب صوته أي صوت أخشابه من ضغط ثقل الراكب والحمل وسيأتي شبيه ذلك في تفسير آية الكرسي . وفي ميزان الذهبي من انكر ما جاء عن مجاهد في التفسير في قوله « عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً » قال يجلسه معه على العرش . وفي شواهد الحق كتاب الشيخ يوسف النبهاني صفحة ١٣٠ قال ومن كتب ابن تيمية كتاب العرش قال في كشف الظنون ذكر فيه إن الله يجلس على العرش وقد أخلى فيه مكانا يقعد معه فيه رسول الله (ص) كما ذكر ذلك ابو حيان فى قوله تعالى وسع كرسيه السماوات والأرض وقال يعني ابا حيان قرأت في كتاب العرش لأحمد بن تيمية بخطه ما صورته ما ذكرناه ونقلها كشف الظنون من طريق آخر عن السبكي انتهى . وعلى هذا الوتر ضرب محمد بن عبد الوهاب في رسالته المطبوعة في [illegible]ن مجموعة فيها عدة من الرسالة طبعت في مكة فانظر إلى صفحة ١٥٥و١٥٦ من المجموعة [illegible]ذا عبد الرحمن بن حسن الوهابي في صفحة ٣٦ من المجموعة المذكورة

المقام الثالث

جاء في القرآن شيء كثير من الألفاظ العامة التي يراد بها الخاص أو التي هي نص في خاص باعتبار نزولها في شأنه وغير ذلك مما كان معروفا في عصر نزوله ثمّ صارت اسباب الخفاء تختلسه شيئاً فشيئاً وتجعل ضده كما في خرافة الغرانيق وآية التمني

والمفزع في تفسير ذلك هو ما يحصل به العلم من اجماع المسلمين او اتفاقهم في الرواية للتفسير . او في الرواية عن الرسول(ص) في الدلالة على من يفزع اليه بعده في تفسير كتاب الله وذلك كحديث الثقلين المتواتر القطعي الذي ذكره اخواننا من اهل السنة في كتبهم وأوردوا من روايته عن الصحابة الذين سمعوه من رسول الله (ص) اكثر من ثلاثين صحابيا وبقي على ذلك متواتراً في كل عصر إلى العصر الحاضر وهو قوله (ص) « إني تارك فيكم الثقلين او الخليفتين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض » وان لفظ العترة والأحاديث الكثيرة الصحيحة الواردة في تعيين اهل البيت يعينان المراد من اهل البيت فضلا عن دلالة العرف والمحاورات . وقوله (ص) ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا ابدا مع قوله (ص) فانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض يعينان الأئمة الاثني عشر المعصومين من عترة الرسول وذريته . ومن دلائل ذلك اجماع المسلمين على ان من عدا هؤلاء ليس معصوماً ولا يتصف بانه مثل كتاب الله لا يضل من تمسك به

وهاك اسماء الصحابة السامعين لهذا الحديث عن رسول الله (١) علي (ع) امير المؤمنين (٢) عبد الله بن عباس (٣) ابو ذر الغفاري (٤) جابر الأنصاري (٥) عبد الله بن عمر (٦) حذيفة بن اسيد (٧) زيد بن ارقم (٨) عبد الرحمن بن عوف (٩) ضميرة الأسلمي (١٠) عاصم ابن ليلى (١١) ابورافع (١٢) ابو هريرة (١٣) عبد الله بن حنطب (١٤) زيد بن ثابت (١٥) ام سلمة (١٦) ام هاني أخت امير المؤمنين علي (ع) (١٧) خزيمة بن ثابت (١٨) سهل بن سعد (١٩) عدي بن حاتم (٢٠) عقبة بن عامر (٢١) ابو ايوب الأنصاري (٢٢) ابوسعيد الخدري (٢٣) ابو شريح الخزاعي (٢٤) ابو قدامة الأنصاري (٢٥) ابو ليلى (٢٦) أبوالهيثم بن التيهان. وهؤلاء الذين ذكرنا اسماءهم من بعد ام هاني قد رواه كل منهم منفرداً كمن تقدمه وقاموا في رحبة الكوفة مع سبعة من قريش فشهدوا انهم سمعوه من رسول الله فهؤلاء ثلاثة وثلاثون. ورواه ابو نعيم الأصبهاني في كتاب منقبة المطهرين مسنداً عن جبير بن مطعم وأسنده أيضاً عن انس بن مالك واسنده عن البراء بن عازب ورواه موفق بن أحمد أخطب خوارزم عن عمرو بن العاص. وقلّ ما يخلو عن رواية هذا الحديث مسند أوجامع أو كتاب في الفضائل لأهل السنة من أول ما اخرج الحديث من الحفظ وصدور الحفاظ الى صحف المحدثين ولا زال يروى فيها عن صحابي واحد أو أكثر وربما روي في واحد منها عن أكثر من عشرين صحابياً اما مجملاً كما في الصواعق واما مسنداً مفصلاً كما في كتب السخاوي والسيوطي والسمهودي وغيرهم ومن اراد الاطلاع فليرجع إلى الجزأين المكتوبين في أسانيد هذا الحديث من كتاب العبقات

ورواه الإمامية في كتبهم بأسانيدهم المتكررة عن الباقر (ع) والرضا (ع) والكاظم (ع) والصادق (ع) عن آبائهم (ع) عن رسول الله (ص). وبالأسانيد الأخر عن أمير المؤمنين (ع) وعمر وابي ذر وجابر وابي سعيد وزيد بن أرقم وزيد بن ثابت وحذيفة بن اسيد وابي هريرة وغيرهم عن رسول الله (ص) كما في غاية المرام وتفسير البرهان للسيد هاشم البحراني طاب ثراه وغير ذلك

ولعلك تقول ان البخاري لم يذكر هذا الحديث في جامعه فاعرف إذن ان المحدثين لا يلتفتون إلى استفاضة الحديث وتواتره وافادته للعلم من هذه الجهة كما هو شأن العالم المحقق في حجته وبحثه عن الحقائق. وإنما المهم للمحدث والموضوع في فنه هو الحديث الآحادي

الذي يأخذه بما عندهم في طرق الأخذ من رجل عن آخر على شروط يقررها في السند فكأن البخاري لم يحصل شرطه في سند من اسانيد الحديث الآحادية ولكن الحاكم في مستدركه استدرك عليه وعلى مسلم حديث زيد بن ارقم من طريق حبيب عن ابي الطفيل قال لما رجع رسول الله (ص) عن حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقممن فقال (ص) إني قد دعيت فأجبت إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ثم قال إن الله عز وجل مولاي وأنا مولى كل مؤمن ثم أخذ بيد عليّ فقال من كنت مولاه فهذا وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . وقال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بطوله . ومن طريق مسلم بن صبيح عنه قال قال رسول الله (ص) إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله واهل بيتي وانهما لم يفترقا حتى يردا عليّ الحوض . وقال الحاكم أيضاً هذا صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه قلت ولم أجد من تعقب الحاكم على استدراكه بهذين الحديثين فيكون ذلك موافقة ممن عاصر الحاكم ومن بعده على الإستدراك وصحة الحديثين على شرط البخاري ومسلم . ومن طريق سلمة بن كهيل عن ابي الطفيل انه سمع زيدبن أرقم يقول وساق نحو الحديث الأول وفيه إني تارك فيكم امرين لن تضلوا إن اتبعتموهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي الحديث وتعقبه الذهبي بأن في طريقه محمد بن سلمة وقدوهاه السعدي وذكر له ابن عدي أحاديث منكرة . ومراده من السعدي هو ابراهيم بن يعقوب السعدي الجوزجاني كما ذكره في ترجمة محمد بن سلمة . قلت وما ادراك ما السعدي فإنه معروف بالنصب وفي الميزان عن ابن عدي كان شديد الميل الى مذهب أهل دمشق في التحامل على علي (ع) وقد قال في اسماعيل ابن ابان الوراق شيخ البخاري انه كان مائلا عن الحق قال ابن عدي ولم يكن يكذب الجوزجاني يريد بهما عليه الكوفيون من التشيع إذن فاعرف السبب في تحامل الجوزجاني وابن عدي على محمد بن سلمة . ولعمر العلم الحق ان الحديث بتواتره في غنى عن التعرض له في جامع البخاري — هذا واما الرجوع في التفسير وأسباب النزول إلى أمثال عكرمة ومجاهد وعطا وضحاك كما ملئت كتب التفسير بأقوالهم المرسلة فهو مما لا يعذر فيه المسلم في أمر دينه فيما بينه وبين الله ولا تقوم به الحجة . لأن تلك الأقوال إن كانت روايات فهي مراسيل مقطوعة ولا يكون حجة من المسانيد إلا ما ابتنى على قواعد العلم الديني الرصينة ولو لم يكن

من الصوارف عنهم إلا ما ذكر في كتب الرجال لأهل السنة لكفى · وإن الجرح مقدم على التعديل إذا تعارضا · أما عكرمة فقد كثر فيه الطعن بأنه كذاب غير ثقة ويرى رأي الخوارج وغير ذلك · وقيل للأعمش ما بال تفسير مجاهد مخالف او شيء نحوه قال أخذه من أهل الكتاب ومما جاء عن مجاهد من المنكرات في قوله تعالى « عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً » قال يجلسه معه على العرش · وأما عطا فقد قال أحمد ليس في المراسيل أضعف من مراسيل الحسن وعطا كانا يأخذان عن كل أحد وقال يحيي بن القطان مرسلات مجاهد احب إلي من مرسلات عطا بكثير كان عطا يأخذ من كل ضرب وروي انه تركه ابن جريج وقيس بن سعد · وأما الحسن البصري فقد قيل انه يدلس وسمعت كلام احمد فيه وفي عطا · وأما الضحاك ابن مزاحم المفسر فعن يحيي بن سعيد قوله الضحاك ضعيف عندنا وكان يروي عن ابن عباس وأنكر ملاقاته له حتى قيل انه ما رآه قط · وأما قتادة فقد ذكروا انه مدلس · وأما مقاتل بن سليمان فقد قال فيه وكيع كان كذاباً · وقال النسائي كان مقاتل يكذب وعن يحيى قال حديثه ليس بشيء وقال ابن حيان كان يأخذ من اليهود والنصارى من علم القرآن الذي يوافق كتبهم · وأما مقاتل بن حيان فعن وكيع انه ينسب إلى الكذب وعن ابن معين ضعيف وعن أحمد بن حنبل لا يعبأ بمقاتل بن حيان ولا بابن سليمان فانظر إلى ميزان الذهبي من كتب الرجال اقلا ودع عنك ان أصول العلم عندنا تأبى من الركون إلى روايتهم فضلاً عن اقوالهم الا في مقام الجدل أو التأييد أو حصول الاستفاضة والتوافق في الحديث

هذا وإن كثيراً من كتب التفسير قد لهج بأكذوبة شنيعة وهي ما زعموا من أن الرسول (ص) قرأ سورة النجم في مكة في محفل من المشركين حتى إذا قرأ قوله تعالى « أفرأيتم اللات والعزى ومنات الثالثة الأخرى » قال (ص) في تمجيد هذه الأوثان وحاشا قدسه « تلك الغرانيق الأولى منها الشفاعة ترتجى » فأخبره جبرائيل بما قال فاغتم لذلك فنزل عليه في تلك الليلة آية تسلية ولكن بماذا تسليه بزعمهم تسليه بما يسلب الثقة من كل نبي وكل رسول في قراءته وتبليغه · والآية هي قوله تعالى في سورة الحج « ٥١ وما أرسلنا من قبلك من نبي ولا رسول إلا اذا تمنى ألقى الشيطان في امنيته » فقالوا معنى ذلك إذا تكلم أو حدث أو تلا وقرأ ادخل الشيطان ضلاله في ذلك

إذن فما حال الأمم المساكين وما حال هداهم مع هذا الادخال الذي لم يسلم بزعمهم

منه نبي أو رسول ولم يسلم منه شيء من كلامهم أو حديثهم أو تلاوتهم على ما يزعمون «ماهكذا تورد ياسعد الابل» أفلا صدهم من ذلك اقلا ان سورة الحج مدنية امر فيها بالاذان بالحج ٢٧ واذن فيها بالقتال ٤٠ وأمر فيها بالجهاد ٧٧ ولم يكن هذا الأمر وهذا الاذن إلا بعد الهجرة بأعوام . وإن الذي بين ذلك وبين الوقت الذي يجعلونه لخرافة الغرانيق وخرافة نزول الآية هذه في ليلتها يكون اكثر من عشرة اعوام وقد ذكر شيء من الكلام في ذلك في الجزء الأول من كتاب الهدى صفحة ١٢٣ — ١٢٩ فلا بأس بمراجعته

ومن ذلك ان جملة من المفسرين والقرّاء يترددون في الوقف على بعض الكلمات لترددهم في ارتباطها بما بعدها أو بما قبلها . فلم يراعوا في ذلك مناسبات الكلام وجودته والحاجة إلى التقدير او حسنه .. ومن ذلك كلمة « فيه » من قوله تعالى في أول سورة البقرة « ذلك الكتاب لا ريب فيه » زعما منهم انها تكون خبراً مقدماً لقوله تعالى هدى للمتقين ويقدرون مثلها لقوله تعالى لا ريب مع ان الوقف على لا ريب يجعل الكلام قلقا مبتوراً بنحو لا يجدي فيه التقدير . ومع انه لا حاجة لجعل الظرف خبراً مقدماً لهدى وجملته تكون خبراً ثانيا لذلك الكتاب . فإن كلمة هدى هي بنفسها تكون خبراً .. وهذا هو الأنسب بكرامة الكتاب المجيد فقد قال الله انه هدى ورحمة كما في الأعراف ٥٠ والنحل ٦٦ و ٩١ وغير ذلك وإن القرآن هدى وبشرى للمؤمنين وهدى للناس وهدى ورحمة للمؤمنين وللذين آمنوا هدى وشفاء كما في سورة البقرة ٩١ و ١٨١ والنمل ٢٩ وحم السجدة ٤٤

ومن ذلك كلمة « هذا » من قوله تعالى في سورة (يس) من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن . فكأنهم لا يلتفتون إلى أنّ المقام غني عن وصف المرقد باسم الإشارة حتى للإيضاح لأنهم يقولون ذلك عند خروجهم من الأجداث ومراقد القبور . وان اخراج اسم الإشارة عن كونه مبتدءاً وماوعدنا خبره ليخرج الكلام عن الانتظام ويجعل صورته الحسنى مشوشة هي للنفي اقرب منها للاثبات وهو ضد المعنى الذي سيقت لبيانه الآية . هذا وأما الذين تهاجموا بآرائهم على تفسير القرآن بما يسمونه تفسير الباطن ركوناً بآرائهم إلى مزاعم المكاشفة والوصول ونزعات التفلسف أو التجدد أو حب الانفراد والشهرة بالقول الجديد وإن كان فيها ما فيها فقد آثروا متاهة الرأي على النهج السويّ عن أصول العلم وفارقوه من اول خطوة

المقام الرابع

ان القرآن الكريم كثيراً ما ينسب التعقل والإدراك والاهتداء ونحو ذلك إلى القلب والمتجددون ينسبون الادراك وآثاره إلى الدماغ ويعتمدون في حدسهم في ذلك على انهم رأوا تلافيف الدماغ اي عقده في الإنسان اكثر منها في سائر الحيوانات وان الأعصاب الجمجمية المتصلة بظاهر الدماغ والمنتشرة أليافها في باطنه مرتبطة بأعصاب آلات الحس كالأذن والعين وغيرهما : ولكن مباحث التشريح تقف دون حدسهم هذا . وإن المجموع العصبي والنخاع الممتد إلى الفقرة القطنية الأولى التي هي تحت الفقرة الثانية عشرة من الظهر هذه كلها كمخ الدماغ في كونها مكوّنة من الجوهر السنجابي والجوهر الأبيض فلا ميزة لتكوين الدماغ لكي يحدس امتيازه عنها بكونه كرسي الادراك والتعقل دونها . وإن الأعصاب كما ترتبط بآلات الحس ترتبط أيضاً بالقلب والكبد والمعدة بل حتى الأسنان وأعضاء البدن إلى أنامل اليدين والرجلين . وأما ما يتراءى من أن صغر الدماغ يقارن ضعف الادراك والتعقل إلى أن يصل الحال إلى البله فلا يدلّ على مدّعاهم بل يجوز أن يكون خروجه عن المقدار الطبيعي للإنسان ككثير من العوارض البدنية موجباً لضعف الجزء الآخر العاقل في اداء وظيفته . وأما التفاوت بين أدمغة الرجال وبين أدمغة النساء فهو جار في قلوب الصنفين أيضاً . هذا مع أن الدماغ يزيد نموه في زمان قلة القوة العاقلة إلى السنة السابعة ثمّ ينمو بطيئاً إلى الرابعة عشرة ويتقهقر نموه إلى العشرين ومنها إلى الثلاثين ويقف عند الأربعين ثمّ ينقص وزنه في كل عشر سنين نحو اوقية مع أنّ الإنسان من العشرين فما زاد يزداد في قوة التعقل ويترقى في كونه أقوى وأحسن تعقلاً وإدراكاً . والقلب لا يزال يأخذ بالنمو والزيادة إلى الأدوار الأخيرة من الحياة ولا سيما في الذكور . وهذا أنسب بأزمنة حسن التعقل وجودة الإدراك . مضافاً إلى أنّ القلب هو مبدء الحركة الحيوية المديرة للدورة الدموية وأسباب الحياة والنموّ وتوزيع القوى على جميع أجزاء البدن فهو أنسب من غيره بأن تستخدمه الروح الحيوانية في أعمالها العقلية . وأيضاً انّ بناء القلب مؤلف من حلقات ليفية عضلية وكلها على نوع مدهش من التعمم والتصالب والتشبك بحيث يقال انّ البناء العضلي للقلب لم يعرف كما ينبغي إلى الآن . وانّ بناء القلب وأليافه العضلية أكثر وأكثر تعمماً وتصالباً وتشبكاً من البناء الذي امتازت به عضلات الحياة الحيوانية الحساسة للإرادة التي هي من أعمال النفس والممتثلة في أعمالها لأمرها . وهذا كله يشير إلى

أنَّ لعضلية القلب وميزة بنائه عمل نفسي كبير فائق يفوق ما ذكر لعضلات الحياة الحيوانية وأنسب ما يكون بذلك هو الإدراك والتعقل . نعم يمكن ان يكون الدماغ محفظة لصور المدركات التي يستودعها القلب إياه

وخلاصة الحجة في ذلك هو ان وجوه الإعجاز في القرآن الكريم حجة على انه منزل من الله خالق القلب والدماغ بعلمه وحكمته . وقد اخبر بأنَّ محلّ الإدراك والتعقل وآثاره هو القلب

﴿ خاتمة ﴾ من جملة ما يحضرني عند كتابتي لهذا التفسير من كتب الشيعة من كتب التفسير وانقل عنه تفسير القمي عليّ بن ابراهيم . والجزء الخامس من كتاب حقائق التأويل في متشابهات التنزيل للسيد الرضي طاب ثراه وهذا هو المقدار الموجود منه وابتداؤه من الآية الخامسة من سورة آل عمران إلى نهاية تأويل الحادية والخمسين عن سورة النساء . وكتاب مختصر التبيان للشيخ الطوسي . وهو قليل النسخة جداً وفيه احالات على كتابيه الخلاف وشرح جمل العلم . و كتاب مجمع البيان للطبرسي . وكتاب البرهان للسيد هاشم البحريني وهو تفسير بالحديث وهو مع الوسائل واسطتي إلى تفسير العياشي . واما التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري (ع) فقد اوضحنا في رسالة منفردة في شأنه أنه مكذوب موضوع وما يدل على ذلك نفس ما في التفسير من التناقض والتهافت في كلام الراويَين وما يزعمان انه رواية وما فيه من مخالفة الكتاب المجيد ومعلوم التاريخ كما اشار اليه العلامة في الخلاصة وغيره . ومن كتب آيات الأحكام كنز العرفان للمقداد . وزبدة البيان للأردبيلي . والقلائد للجزائري . ومن كتب الحديث . الكافي . والفقيه . والتهذيبان . والوسائل . وعدة من كتب الصدوق وغيرها

ومن كتب اهل السنة من كتب التفسير تفسير الطبري . والكشاف . والدر المنثور في تفسير المأثور للسيوطي . ومن كتب الحديث جوامعهم الستة . وموطأ مالك . ومسند احمد . ومستدرك الحاكم . وكنز العمال . ومختصره . وان الدر المنثور اجمع من غيره للمأثور في التفسير باعتبار الأحاديث ورواتها ومخرجيها في كتبهم فلذا كانت احالتي في الغالب عليه وان اخرج الحديث عن صحاحهم التي هي اعلا منه سمعة . وقد انقل عنها ما لم يذكره . وإنما اذكر عنه ما اسنده عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم . او عن الصحابة الكرام رضي الله عنهم . واما ما يرويه موقوفاً على التابعين ومن بعدهم فلا حاجة لي فيه والله الموفق والمعين

ولنشرع بعون الله وتوفيقه في المقصود

فاتحة الكتاب

(١) بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣) الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ (٤) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٥) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٦) إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٧) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

تسميتها

تواترت تسميتها بفاتحة الكتاب ومن ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم لا صلاة لمن لم يقرء بفاتحة الكتاب ونحو ذلك . وتكاثرت روايات الفريقين من الشيعة واهل السنة عن رسول الله (ص) وامير المؤمنين (ع) والصادق (ع) في تسميتها بأم الكتاب . وأم القرآن . والسبع المثاني . والقرآن العظيم . وعن ابي عبد الله الصادق (ع) إنما سميت المثاني لأنها تثنى في الركعتين

بركتها

واستفاضت الرواية من الفريقين عن رسول الله (ص) والباقر (ع) والصادق (ع) بل كادت ان تكون متواترة المعنى أن في قراءتها شفاء من الداء

محل نزولها

ذكر الواحدي في اسباب النزول وعن الثعلبي في تفسيره عن علي (ع) قد نزلت فاتحة الكتاب بمكة الحديث . وروي عن عمرو بن شرحبيل ما حاصله ان نزولها كان في أول الرسالة ونزول جبرائيل بالوحي . ولكن في مضامين الرواية ما فيها . وعن رجل من بني سلمة ما يقضي بأنها كانت تتلى قبل الهجرة . وقال الله تعالى في سورة الحجر « ٨٧ ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم » وإذا كانت سورة الحجر كلها مكية قبل الهجرة ففي ذلك بضميمة ما ذكره في تسميتها دلالة على انها نزلت في مكة قبل الهجرة ولكن مرسوم في عناوين المصاحف انها مدنية وقيل انها مكية مدنية وهي سبع آيات باتفاق المسلمين وتضافر الأحاديث زيادة على احاديث السبع المثاني بل الأحاديث في روايات الفريقين متواترة في ذلك

بسملتها

بسم الله الرحمن الرحيم جزء من السورة باتفاق الإمامية والشافعية واجماع اهل البيت

والروايات المتكاثرة عنهم (ع) وباتفاق المسلمين على رسمها في المصاحف من اول الأمر إلى الآن . والأخبار من طرق اهل السنة عن رسول الله وفيها الصحاح والحسان باصطلاحهم متكاثرة في ذلك كما في احاديث علي (ع) وام سلمة وعمار وجابر وبريدة وطلحة بن عبيدا لله وابن عمر وابي هريرة وانس والنعمان ابن بشير كما روي ايضا عن علي (ع) وابن عباس ومحمد بن كعب القرضي

الجهر بالبسملة

يجهر بها باتفاق الإمامية واجماع اهل البيت وعملهم وحديثهم وحديث اهل السنة عن رسول الله (ص) من طريق علي (ع) وعمار وعائشة والحكم بن عمير وابن عمر وانس وابي هريرة والنعمان بن بشير : وان تفسير البرهان للسيد هاشم البحريني من الإمامية وتفسير الدر المنثور للسيوطي من اهل السنة قد ذكر فيهما الكثير مما اشرنا إليه من الاحاديث فليرجع اليها من اراد الاطلاع على التفصيل

اعراب البسملة

(بسم الله) يتعلق بمحذوف يشير اليه ظاهر المقام . وقيل تقديره ابدأوا او اقرأوا . أوقولوا . قلت على تقدير اقرأوا او قولوا تكون الباء بمعنى الاستعانة باسم الله كما يقال اكتبوا بالقلم وذلك لجلالة اسم الله وبركته بجلال المسمي جل وعلا وبركته . ويكون المقروء والمقول هو ما بعد البسملة من السورة (ويرد) على هذا النحو من التقدير اولا انه مناف لجزئية البسملة من السورة ومساواتها لسائر آياتها في حكم القراءة . وان التخلص يجعل البسملة معمولة ايضا لاقرأوا او مقولة لقولوا يستلزم تقدير عامل آخر تتعلق به الباء ومجرورها فما هو اذن . كما يرد ايضا ما ذكرنا على تقدير الكشاف اقرأ او اتلو من كلام القاري والتالي ويكون المقروء والمتلو هو ما بعد البسملة : ويرد الجميع ثانيا حتى ابدأوا للأمر انه لا يتجه اطراد هذه التقادير في السورة المصدرة بخطاب النبي (ص) نحو يا أيها النبي . يا ايها المزمل . قل أوحي بل وسائر السور المصدرة بكلمة (قل) وما اشبه ذلك من السور . وكذا السور المصدرة بخطاب غير النبي نحو يا أيها الناس . يا أيها الذين آمنوا فإن أمر الله للعباد بالقراءة أو القول يخرجها عن كونها في أول نزولها خطاباً إنشائياً من الله لرسوله أو للناس أو للذين آمنوا . وكذا إذا كان المقدر اقرأ او اتلو بصيغة المضارع . مضافاً إلى أن كلمة اقرأ او اتلو لا يصح ان تكون

من الله لأنه جلّ شأنه هو المتكلم بالقرآن والمنشىء له فكيف تنسب اليه القراءة والتلاوة :فإن قلت انا في السور المشار اليها نجعل المقدر ما لا ينافي خطابها وفي غيرها نجعل المقدر كلمة اقرأ أو اتلو بصيغة المضارع من قول الناس . قلنا اولاً ماذا تصنع بما أوردناه اولاً (وثانيا) ما هو الذي تقدره في السور المشار اليها بحيث لا ينافي مقام خطابها وانشاءه فإنه ينبغي بيانه (وثالثا) يلزم من ذلك ان تفكك بين سياق البسملات التي في القرآن بلا دليل ولا حاجة ملزمة . مع أن الظاهر كونها في جميع السور على سياق واحد متسق كما ان الظاهر ان المقدر في تلك السور وغيرها في حال النزول ووحي الله وفي حال تلاوة الناس وقراءتهم هو واحد . كما ان الظاهر ان التالي يتلو البسملة على ما تعلقت به حال النزول وان ما تعلقت به هو من القرآن المنزل الذي امر الناس بتلاوته وان كان مقدراً

فالظاهر ان البسملة في جميع السور متعلقة بكلمة « ابدء » للمتكلم من قول الله جل اسمه تنويهاً بجلال اسمه الكريم وبركاته وتعظيما له لجلال المسمى وعظمته جلّ شأنه وله الأسماء الحسنى كما أمر في القرآن بذكر اسمه وتسبيحه كما في سورة المائدة والحج والمزّمل والدهر والأعلى . فينتظم المقدر في جميع السور وجميع الأحوال بنظام واحد على نسق واحد . ولا يعتريه ما استظهرناه غرابة ولا إشكال وكيف يعتريه ذلك وقد نسب الله الابتداء لذاته المقدسة في خلقه كما في قوله جل اسمه « وبدأ خلق الإنسان من طين . كما بدأنا اول خلق » وقد اقسم جل اسمه بمخلوقاته كالشمس والقمر والنفس وغيرها تعظيما لها لأنها مظاهر قدرته وآيات حكمته

خلق القرآن

وان لوحي الله بالسور إلى رسوله بداية ونهاية كما للسور كما قال الله تعالى في سورة الاحقاف في شأن القرآن « ومن قبله كتاب موسى » ودع عنك ان القرآن الكريم كلام مؤلف من الحروف والكلمات ولا بد من أن يكون لها ولتأليفها بداية ونهاية ولا بد من ان يكون له علة في ايجاده ووجوده لأنه ليس بواجب الوجود فإن واجب الوجود واحد هو الله . وليست علة وجود الموحى منه إلا خلق الله خالق كل شيء قال الله في سورة الزخرف « إنا جعلناه قرآنا عربياً » والجعل هو الخلق وكل مجعول ومخلوق له بداية.

(الله) علم لواجب الوجود إله العالمين جلت اسماؤه وعظمت آلاؤه . وتفخم لامه بعد الفتح والضم (الرحمن) لا اظنك تشك في ان معنى الرحمة تتلقاه افهام الناس من لفظه

في المحاورات على حدوده ومزاياه وتتناوله غرائزهم في اللغة على خصائصه وتميز في كل مقـام ما يراد منه . بيد ان مقام التفسير قد يشوش الذهن لعدم اللفظ المرادف وعدم الاستقصاء في البيان لمزايا المعنى وحدوده . وقد فسرت الرحمة بالعطف والحنوّ . او الرأفة والحنان . أو الرقة والتعطف . وكل هذه التفاسير إنما تحوم حول المعنى وتشير إلى شيء منـه من بعيد . ألا ترى ان كلا من التفاسير الثلاثة تختلف كلمتاه في المعنى وإن هـذه المذكورات قاصرة مع ان الرحمة تتعدى إلى المفعول . وان الأساس لمعنى الرحمة ودعامه ان تتعلق بالمحتاج إلى ما لا يقدر عليه من نيل الخير ودفع الأذى والضر . ويكون الداعي للراحم هو احتياج ذلك المحتاج والرغبة في إسعافه وإعانته فيه من دون أن يرجع إلى أغراض الراحم من نحو حاجة أو محبة او ارتباط خاص به . ويعرف من تعديتها إلى المفعول انها ليست عبارة عن الانفعال النفسي بل هي تستعمل في حالة نفسية تتعلق بالمحتاج على الوجه المذكور وبالنسبة لله جل شأنه نحو من كماله الذاتي يتعلق بالمحتاجين على الوجه المذكور . ولأجل قصور البشر نوعاً على فهم صفات الله جلّ اسمه على ما هي عليه جرى القرآن الكريم على التعبير عنها بما يعبر به عما يناسبها في الشبه بالآثار والمزايا من صفات البشر الحميدة وجرى على ذلك في المبدأ والاشتقاق . وتستعمل الرحمة ايضا بنفس الاسعاف او بنفس المسعف به . ومن الثالث بحسب الظاهر قوله تعالى في سورة آل عمران « وهب لنا من لدنك رحمة » وفي سورة الكهف « ربنا آتنا من لدنك رحمة » وغير ذلك . وفي القرآن ايضاً ما يصلح انطباقه على المعنى الأول والثـاني . فالرحمن فعلان لذي الصفة الفعلية البينة ذات الأثر الظاهر ولها بقاء واستمرار كغضبان وريّان وفرحان. فيدل على فعلية الراحمية البينة واستمرارها . وان اهمال المتعلق مع اشتقاقها من المتعدّي ليدل على عموم هذه الراحمية ذات الأثر الظاهر وشمولها للكل محتاج اليها والكل محتاج اليها . ومن ذا الذي تكون راحميته او رحمته بمعنى اسعافه فعلية بينة ظاهرة الأثر مستمرة شاملة مطلقة ومن ذا الذي يقدر على هذا الإسعاف غير الله جلت آلاؤه ولأجل ذلك اختص هذا الاسم الكريم بالله جـلّ شأنه (الرحيم) صفة مشبهة تؤخذ بهذه الصيغة من المعاني الثابتة كالسجايا والأخلاق فتدل على ثبوت الرحمة ودوامها لله كدوام السجايا والأخلاق للبشر ولزومها وبهذه الدلالة وهـذه المزية كانت ابلغ في المدح وبهذه الجهة صح الترقي اليها بالتمجد والمدح ولا يمتنع اخذ الصفة المشبهة بهذه الصيغة من الوصف المتعدي بحسب وضعه لأنـه قد يجعل لازما بتضمينه معنى السجية

والخلق فيؤل إلى معنى فعل بضم العين كقوله تعالى في سورة المؤمن « ١٥ رفيع الدرجات ذو العرش » اي رفيعة درجاته فأضيفت الصفة إلى فاعلها كحسن الوجه على ماهو من خصائص الصفة المشبهة كما قال الشريف في حاشية الكشاف وحكاه عن صرف المفتاح وفائق الزمخشري ومما يشهد بأن لفظ الرحيم ضمن معنى غير المتعدي هو انه حيث ذكر في القرآن متعلقا بمعمول ذكر متعلقا بواسطة الباء على سنة غير المتعدي دون لام التقوية كما في سورة البقرة « ١٣٨ ان الله بالناس لرؤوف رحيم » وفي سورة الحج ١٦٤ ألم تر ان الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا باذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم » وفي سورة الحديد « ٨ وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم — ٩ وإن الله بكم لرؤوف رحيم » وفي سورة بني اسرائيل « ٦٨ ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما ٦٩ وإذا مسكم الضر في البحر ضلّ من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر اعرضتم وكان الإنسان كفورا ٧٠ أفأمنتم ان — ٧١ أم أمنتم ان يعيدكم — فيغرقكم بما كفرتم » وفي سورة التوبة « انه بهم رؤوف رحيم . بالمؤمنين رؤوف رحيم » وفي سورة النساء « إن الله كان بكم رحيما » وفي سورة الأحزاب « وكان بالمؤمنين رحيما » وهذه الصفة غير مختصة بالله فقد جاء في سورة التوبة في وصف الرسول (ص) « ١٢٩ بالمؤمنين رؤوف رحيم »

وقد عرفت مما ذكرناه من سورة البقرة والحج وبني اسرائيل والحديد ما ينبغي أن تطرح الرواية التي تذكر ان الرحمن بجميع خلقه والرحيم بالمؤمنين خاصة ومما ذكرناه من سورتي بني اسرائيل والحج ينبغي ان تطرح ايضا الرواية التي تذكر ان الرحمن رحمان الدنيا والآخرة والرحيم رحيم الآخرة كما أمرنا بذلك في عرض الحديث على كتاب الله

(الحمد لله) الحمد ثناء بالخير معروف يضعه المتكلم بحسب مرتكزاته في اللغة مواضعه ويعرف معناه بمزاياه ويفرق بينه وبين ما يقارنه في الاستعمال والفهم . ولكن الاضطراب يجيء من ناحية التفسير فمن قائل انه اخو المدح أي مرادفه . ومنهم من فسره بالشكر مستشهداً بقولهم الحمد لله شكراً جاعلاً قولهم شكراً مفعولاً مطلقاً لا مفعولاً لأجله . ومنهم من قال ان الحمد والمدح والشكر متقاربة . ومنهم من جعله على صفات المحمود الذاتية وعلى عطائه . ومنهم من خصه بالثناء على الفعل الجميل الاختياري . والظاهر من التدبر في موارد الاستعمال والتبادر

ان الحمد هو الثناء باللفظ بالخير على فعل الجميل الاختياري إذا كان للجميل نحو مساس بالحامد وإلا فهو مدح . وأما الشكر فهو مقابلة الإحسان بنوع إحسان يتضمن الاعتراف سواء كان عملا أو قولاً ولو بنحو من الاعتراف بذلك الاحسان وفضله لا مجرد الاعتراف بذات الفعل لا من حيث انه احسان وتفضل . ولا أظن قولهم الحمد لله شكراً إلا ان شكراً مفعول لأجله نحو سبحته تعظيماً . وإن فاعل الجميل من الناس إنما يستحق الحمد إذا فعله لحسنه أو لوجه الله وهو روح الاتيان بالفعل لحسنه « وقليل ما هم » بل لا يستحقه حتى في الظاهر إذا عرف انه لم يفعله لله ولا لحسنه وذلك القليل لا يستحق الحمد إلا من حيث مباشرته لفعل الجميل واختياره له . فإن القوى التي فعل بها والإدراك الذي عرف به حسنه والإرشاد إلى فعل الجميل والأعيان التي تكون محققة لاسداء الجميل هي كلها لله ومن الله جلت آلاؤه ولذا كان الحمد كله وبحقيقته لله الغني المطلق جليل النعم التي لا تحصى نعماؤه ولا يخلو من عظائمها إنسان في حال من الأحوال . وجملة الحمد لله خبرية ان كانت من كلام الله في تمجيده لذاته وتنويهه بجلاله جل شأنه ولكن روى الصدوق في الفقيه من كتاب العلل للفضل بن شاذان عن الرضا (ع) ليس شيء من القرآن والكلام جمع فيه من جوامع الخير والحكمة ما جمع في سورة الحمد وذلك ان قوله عز وجل الحمد لله إنما هو اداء لما أوجب الله عز وجل من الشكر وشكر لما وفق له عبده من الخير رب العالمين توحيد له وتحميد واقرار بأنه هو الخالق المالك لا غيره الرحمن الرحيم استعطاف وذكر لآلائه ونعمائه على جميع خلقه مالك يوم الدين اقرار له بالبعث والحساب والمجازاة الحديث . إذن فجملة الحمد لله إلى آخره إنما هي عن لسان العباد وتعليم لهم كيف يحمدون ويوحدون ويقرون فهي خبرية تتضمن انشاء الحمد بانه كله وبحقيقته لله (رب العالمين) الرب المالك المدبر أو المربي والعالمين جمع عالَم (الرحمن الرحيم) تقدم تفسيره (مالك يوم الدين) مالك يوم القيامة وبيده أمره يتصرف فيه بعدله أو برحمته كيف يشاء وفي التبيان والكشاف ومجمع البيان أن إضافة مالك إلى يوم الدين من اضافة اسم الفاعل إلى الظرف نحو قولهم « يا سارق الليلة أهل الدار » . ولا أرى حاجة ماسة إلى ما ذكروه . وروي في التبيان ومجمع البيان مرسلاً عن الباقر (ع) والقمي مسنداً عن أبي عبد الله (ع) واخرج ابن جرير والحاكم وصححه مسنداً عن ابن مسعود وناس من الصحابة ان يوم الدين يوم الحساب وأظن ذلك لبيان انه يوم القيامة . وفي التبيان والبيان الدين الحساب والجزاء وفي

الكشاف الجزاء واستشهدوا لذلك بقولهم كما تدين تدان وبيت الحماسة المنسوب لشهل بن ربيعة

صفحنا عن بني ذهل وقلنا القوم اخوان | عسى الأيام ان يرجعن قوما كالذي كانوا
ولما صرح الشر وأمسى وهو عريان | ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا

على معنى كما تجازي غيرك إذا أساء فإنك تجازى أيضا إذا أسأت وإنا جازينا بني ذهل على عدوانهم كما جازوا غيرنا فإن ظاهر الشعر ان قوم شهل كانوا قد صفحوا عن بني ذهل ولم يسبق منهم ما يكون به اعتداء بني ذهل عليهم مجازاةً ولعل من معنى الدين المذكور في قول الأعشى « هو دان الرباب أذ كر هو الدين دراكا بغزوة وصيال » ولعل من هذا الباب الديان من اسماء الله له الأسماء الحسنى وديان يوم الدين وقول الأعشى مخاطبا الرسول الله (ص) « يا سيد الناس وديان العرب » والحديث كما ذكره في النهاية كان علي ديان هذه الأمة . والأمر في تفسير الدين في الآية سهل فإنه يتراوح بين هذه المعاني وما يقرب منها . ولا غرو إذا تشابهت علينا هاهنا حقيقة معنى الدين بحدودها بواسطة التوسع في الاستعمال . ولا ينبغي أن يخفى أن قوله عزّ وجل رب العالمين الرحمن الرحيم · مالك يوم الدين · هو بمنزلة الحجة على ان الحمد له جلت آلاؤه وبمنزلة الحجة على انحصار العبادة والاستعانة به في قوله جلت عظمته (إياك نعبد وإياك نستعين) وهل يعبد أو يستعان به بما هو رب العالمين غير رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين · وهل يصح في الشعور ان يرغب عن عبادته اولا تغتنم الاستعانة به · وقد كررت كلمة (إياك) لوجهين الأول للتصريح والنص على انحصار كل من العبادة والاستعانة به · ولو قيل إياك نعبد ونستعين لأوهمت صورة اللفظ ان المنحصر هو مجموع الأمرين من العبادة والاستعانة لا كل واحد منهما والثاني لأن الحصر فيهما مختلف فإنه بالنسبة للعبادة حصر لجميع أفرادها وبالنسبة للاستعانة حصر باعتبار بعض افرادها كما سيأتي إن شاء الله · وهذا الاسلوب في الآية الكريمة من قسم الالتفات من الغيبة إلى الخطاب · والالتفات في كلام العرب وشعرهم كثير وهم يعدونه من محاسن الكلام ومزاياه في البلاغة وهو متفاوت في الحسن ولكنه مهما بلغ فإنه لا يكاد ان يبلغ ما بلغه هذا الالتفات من الحسن الباهر والجودة الفائقة وأعلا درجات البلاغة · فإنه يمثل العبد شاخص البصر إلى جلال مولاه ومتوجها إلى حضرته بالاعتراف بأنه لا معبود سواه ولا مستعان إلا هو ومتضرعا بخطاب العبودية والمسكنة ومناجاة الرهبة والرغبة خاضعاً لربوبيته ماداً الى رحمته يد الانقطاع في المسألة والاستعانة

العبادة

لا يزال العوام والخواص يستعملون لفظ العبادة على رسلهم ومجرى مرتكزاتهم على طرز واحد كما يفهمون ذلك المعنى بالتبادر ويعرفون بذوقهم مجازه ووجه التجوز فيه . وإن المحور الذي يدور عليه استعمالهم وتبادرهم هو ان العبادة ما يرونه مشعراً بالخضوع لمن يتخذه الخاضع إلَهاً ليوفيه بذلك ما يراه له من حق الامتياز بالإلَهية . او بعنوان انه رمز او مجسمة لمن يزعمونه إلَهاً تعالى الله عما يشركون . ولكن الخطأ والشرك . أو البهتان والزور . أو الخبط في التفسير وقع هنا في مقامات ثلاثة (الأول) الاتيان بما تتحقق به حقيقة العبادة لما ليس أهلا لذلك بل هو مخلوق لله كعبادة الأوثان مثلاً (الثاني) مقام البهتان والافتراء وخدمة الأغراض الفاسدة لترويج التحزبات الأثيمة فيقولون لمن يوفي النبي أو الإمام شيئاً من الإحترام بعنوان انه عبد مخلوق لله مقرَّب عنده لأنه عبدَه وأطاعه ويرمونه بأنه عبد ذلك المحترم وأشرك بالله في عبادته . ألا تدري لمن يبهتون بذلك يبهتون من يحترم النبي أو الإمام تقرباً إلى الله لأنه اختاره وأكرمه بمقام الرسالة أو الإمامة التي هي بجعل الله وعهده كما وعد الله بذلك ابراهيم في قوله تعالى في سورة البقرة « وإذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهنَّ قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين » وهذا الاحترام المعقول المشروع لا يقل عنه ولا يخرج من نوعه ما هو المعلوم والمشاهد من احترام هؤلاء المتحزبين لملوكهم وزعمائهم وحكامهم وخضوعهم لهم بالقول والعمل مهما بلغوا من النخوة الاعرابية . ولقد سرت هذه البادرة السوءى موروثة من ضلال الخوارج في تحزبهم إذ نسبوا الشرك والكفر لأمير المؤمنين عليه السلام إذ ألجأوه عند رفع المصاحف إلى السكوت عن تحكيم رجلين يعملان بما يوجبه القرآن في شقاق معاوية في حربه . كما ألجأوه إلى كون الحكمين أبا موسى وابن العاص . وكما نسبوا الشرك ثانياً الى ولده الحسن السبط عليه السلام لما نافق قومه وزعماء جنده وانحاز بعضهم الى معاوية وكاتبه آخرون وواعدوه تسليم الحسن له قبض اليد فخطب الحسن (ع) في معسكره المحشو بالنفاق مستشيراً ومقيماً للحجة ومختبراً لهم لكي يعرف الناس نفاقهم فيكونوا على بصيرة من أمرهم في الحرب او الهدنة

وهذه المباهتة الوخيمة والدسيسة الوبيئة في التحزب الأثيم صارت في العصور المتأخرة وسيلة للتهاجم على ما حرم الله من دماء المسلمين واموالهم واعراضهم وعلى حرمات الرسول والأئمة

عليهم السلام وجرى من جراء ذلك ما تقشعر منه الجلود . ولولا أن ملكهم قمع طغيانهم لجرى من عدوانهم والدفاع لهم حوادث في المسلمين مزعجة والله المستعان اللهم إياك نعبد وإياك نستعين

(المقام الثالث) كثيرا ما فسرت العبادة بأنها ضرب من الشكر مع ضرب من الخضوع . او الطاعة . وهل يخفى عليك أن هذه التفاسير مبنية على التساهل بخصوصيات الاستعمال أو الارتباك في مقام التفسير وهل يخفى أن اغلب الافراد من كل واحد مما ذكروه لا يراه الناس عبادة ويغلطون من يسميها او بعضها عبادة الا على سبيل المجاز . وإن لفظ العبادة وما يشتق منه كعبد ويعبد لا تجدها مستعملة على وجه الحقيقة إلا فيما ذكرناه من معاملة الإنسان لمن يتخذه إلها معاملة الإله المستحق لذلك بمقامه في الإلهية . ولم اجدها في القرآن الكريم مستعملة في غير ذلك إلا في ثلاثة موارد ولكنها لم تخرج عن النظر إلى مناسبة المعنى الحقيقي المذكور والتجوز بلفظه . وهي قوله تعالى في سورة مريم «٤٥ يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا» وفي سورة يس « ٦٠ ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان » . فاستعير اسم العبادة للطاعة العمياء للشيطان على الدوام كما يأتي المؤمنون قياد طاعتهم لله على بصيرة من امرهم لأنه إلههم على نحو التجوز الواقع في قوله تعالى في سورة الفرقان «٤٥ أرأيت من اتخذ إلهه هواه . والجاثية ٢٢ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه » فإنهم لم يكونوا يعبدون الشيطان ولم يتخذوا هواهم إلها على سبيل الحقيقة . وثالثها قوله تعالى في سورة المؤمنون «٤٩ قالوا (اي فرعون وملائه) أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون» اي دائبون على العمل في تسخيرنا كما يدأب المؤمن في طاعة الله وعبادته . او باعتبار ان فرعون كان يدعي الإلهية فجعلوا بالتشبيه والتمويه خضوع بني اسرائيل بالقهر والغلبة عبادة لفرعون هذا وان الشيخ محمد عبده خاض في هذا المقام في البحث على ما حكاه عنه تلميذه في تفسيره لسورة الفاتحة وقارب الغرض في كلامه ولما يقرطس . قال ما ملخصه مهما غالى العاشق في تعظيم معشوقه والخضوع له وتفانى في هواه وارادته . أو بالغ بعض الناس في تعظيم الملوك والزعماء فترى من خضوعهم لهم مالا تراه من خضوع القانتين لله فإن العرب لم يكونوا يسمون شيئاً من هذا الخضوع عبادة فما هي العبادة اذن . وقال : تدل الأساليب الصحيحة والاستعمال العربي الصراح أن العبادة ضرب من الخضوع بالغ حد النهاية ناشئ عن استشعار القلب عظمة للمعبود لا يعرف منشأها واعتقاده بسلطة لا يدرك كنهها وماهيتها وقصارى ما يعرفه منها انها محيطة به

ولكنها فوق ادراكه انتهى كلامه ولو انه صارح بجامع كلامه وملاك صحته واستقامته « وهو ما قدمنا من تقييد العبادة بالتعلق بمن يراه العابد إلها » لما عادت جمله فلاً متدافعةً يشلها الانتقاد وان اعتصم بعد ذلك بصائب قوله « العبادة صور كثيرة في كل دين شرعت لتذكير الإنسان بذلك الشعور بالسلطان الإلهي الأعلى » فإنه لا يتسق قوله هذا الا أن يعتبر في معنى العبادة كونها ناظرة الى توفية من يتخذه إلها حقه من التعظيم والخضوع واي شعور مذكر فيها لولا ذلك الاعتبار . وان لم يعتبر ما ذكرناه فلا مفرّ لجمله المتقدمة عن النقد . فإن صور كثير من العبادات لا تبلغ حد النهاية من الخضوع ولا تقاربه كما ذكر في عبادة المتحنثين القانتين بالنسبة لخضوع ذلك العاشق لمشوقه وخضوع اولئك في تعظيم الملوك والزعماء . وأيضا ان عابدالله يعرف أن منشأ العظمة وملاكها هي السلطة الإلهية ولئن كانت فوق ادراكه فباعتبار عمومها لما لا يعدُّ ولا يحدُّ من الممكنات لا بما هي سلطة إلهية عظيمة يمكن عرفانها ونيلها بالادراك من هذه الوجهة . وفي مقام الفرق بين العبادة والعبودية قال ومن هنا قال بعض العلماء أن العبادة لا تكون في اللغة الا لله تعالى «أقول» يريد ان العبادة من حيث ان معناها الحقيقي في اللغة مأخوذ فيه التعلق بالإلهية والإله لا يصح تعلقها إلا بالله الذي لا إله الا هو ولا يريد أنها لم تنسب في اللغة الا لله . وكيف يخفى عليه أنها جاءت في نفس محاورات القرآن منسوبة لغير الله في اكثر من سبعين موردا . فالظاهر أنه لا وقع لاعتراضه عليه بقوله ولكن استعمال القرآن يخالفه . نعم يرد على من قال ان لفظ العباد مأخوذ من العبادة انه غفل عن قوله تعالى في سورة النور « ٣٢ وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم »

حصر الاستعانة بالله جلّ اسمه

قال الله تعالى في سورة المائدة « ٣ تعاونوا على البر والتقوى » واما المعاونة في المباحات فهي إحسان أمر الله به أيضاً في كتابه بقوله تعالى في سورة النحل « ٩٢ ان الله يأمر بالعدل والإحسان وفي سورة البقرة ٩١ وآل عمران ١٢٨ والمائدة ١٥ إن الله يحب المحسنين» . والمعلوم بالضرورة من سيرة النبي (ص) وأصحابه والأئمة والمسلمين انهم يستعينون في غالب أمورهم المباحة بالآلات والدابة والخادم والزوجة والصاحب والرسل والأجراء وغيرهم وفي سورة البقرة « ٤٢ و ١٢٨ استعينوا بالصبر والصلاة » وفي سورة النساء « ٦٧ ولو انهم إذ ظلموا انفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما » فقد لامهم الله على

عدم مجيئهم للاستعانة على المغفرة باستغفار الرسول . وهذا يكفي في الحجة والدلالة على ان الإعانة ليست بجميع أقسامها منحصرة بالله . وعلى انه لا يلزمنا أن نقصر استعانتنا بقول مطلق على الله . وتفصيل ذلك هو انا ننظر إلى استعانات البشر قولاً وعملاً فنراها تكون على نحوين (النحو الأول) هو الاستعانة بالوسائل المجعولة من الله لنيل المقصود التي هي وما فيها من التسبيب من جعل الله وخلقه . (والنحو الثاني) هو الاستعانة بالإله بما هو إله معين بإلهيته وقدرته الذاتية المطلقة الفائقة . ولا ريب في ان النحو الثاني من الاستعانة هو المتيقن في قصره على الله. لأن الاستعانة بهذا النحو إذا كانت بغير الله كانت تأليهاً لذلك الغير واشراكا بالله . وبما ذكرنا من الآية والسيرة واقتران إياك نعبد وإياك نستعين في سياق توحيد الله وتمجيده بالمجد الإلهي تقوم الحجة وتتضح الدلالة على ان هذا النحو من الاستعانة هو تمام المقصور على الله دون النحو الأول

الاستشفاع إلى الله

ولا ريب في أن الاستشفاع إلى الله في دعائه والتوسل اليه بالنبي (ص) والأئمة والأولياء في الحوائج إنما هو من الاستعانة بالنحو الأول . وإنك إذا سألت حتى من الهمج عما يفعلون في توسلهم بالنبي (ص) والأئمة والأولياء قالوا انا نستشفع بهم إلى الله ونقدمهم أمام تضرعاتنا اليه لكرامتهم عليه ووجاهتهم عنده لأنهم من عباده المكرمين . فإن قلت لهم انكم ربما تخاطبونهم بالتضرع والتمجيد وطلب الحاجة منهم فما هذا . قالوا لك تخاطبهم بالضراعة ليشفعوا وبالتمجيد بما هم أهل له احتراما لمقامهم عند الله وبطلب الحاجة منهم الحاحاً عليهم وتأكيداً في الاستشفاع . وبياناً لأن شفاعتهم وسيلة ناجحة كما تقول لمقرب الملك فيما يرجع أمره إلى الملك أريد هذا الأمر منك . فإن قلت لهم هلا تسألون طلباتكم منهم . قالوا لك كيف وإنهم بشر لا يقدرون على ما يختص الله بالقدرة عليه من حيث الإلهية ولا إله إلا الله : فإن قيل ان الله ارحم الراحمين فما هي الحاجة إلى الاستشفاع . قلنا شرع الاستشفاع لأجل الحكمة التي شرع لأجلها الدعاء كما قال الله وهو أرحم الراحمين عالم الغيب والشهادة في سورة المؤمن «٦٢ أدعوني استجب لكم — ٦٧ فادعوه مخلصين له الدين» وفي سورة الاعراف «٢٨ وادعوه مخلصين له الدين — ٥٤ وادعوه خوفاً وطمعاً» فإن دعاء الله تمرين على عبادته والالتجاء اليه والفزع إلى إلهيته وقدرته . . . فإن قيل أين شرع الاستشفاع . قلنا يكفي في الدلالة

على مشروعيته من الكتاب المجيد ما ذكرنا من الآية السابعة والستين من سورة النساء في لومهم على عدم مجيئهم ليغتنموا شفاعة الرسول باستغفاره لهم ٠ وإن العدول والالتفات من خطاب الله لرسوله في الآية المشار اليها إلى قوله واستغفر لهم الرسول إنما هو للإشارة إلى ان الحكمة في ذلك هو تمرينهم على الانقياد إلى الرسول ومقام الرسالة بالمجيء إلى حضرته والخضوع لكرامته بالاحتياج وطلب الاستغفار وشفاعته لهم ٠ كل ذلك لكي ينقادوا مستوثقين إلى طاعته في أمور الدين والإيمان ٠ وهذه المشروعية يجري وجهها وحكمتها وعلتها في شفاعة الأئمة والأولياء وليتنبه المستشفع من استشفاعه إلى كرامة المطيع لله لطاعته فيحركه ذلك إلى الرغبة في الطاعة ٠ وهذا أمر معروف المشروعية معمول عليه في الأديان الحقة كما حكى القرآن الكريم ان أولاد يعقوب نبي الله استشفعوا بأبيهم إلى الله وطلبوا استغفاره لهم فوعدهم يعقوب بذلك كما في سورة يوسف « ٩٨ يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا — ٩٩ قال سوف أستغفر لكم ربي »

الاستشفاع بالمقربين من الأموات

وما ذكرناه من الحكمة يجري أيضا على رسله في الاستشفاع بهم بعد وفاتهم لكي يحفظ انقياد الناس اليهم فيما علموه وأمروا به وارشدوا اليه من امر الدين وصلاح الدارين ٠ وللتنبه ايضا إلى كرامة الطاعة لله ٠ فإن قال قائل كيف يستشفع بالأموات وأين هم بعد موتهم من مقام الشفاعة

بقاء النفس بعد الموت

قلنا قد عرّفنا الله في كتابه المجيد ان النفوس تبقى بعد الموت على ما هي عليه من المقام النفساني اما ممتعة بمقام الكرامة واما مبتلاةً بالهوان والسخط ٠ وقرّب لأفهامنا القاصرة حالة النفس بعد الموت وبقائها بمقارنة حالتيها في الموت والنوم ٠ فقال جل اسمه في سورة الزمر « ٤٣ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » وفي سورة البقرة « ١٥٤ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون » وآل عمران « ١٧٠ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون ١٧١ فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ١٧٢ يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين » ٠ وان قوله تعالى ان الله لا يضيع اجر

المؤمنين دون ان يقول لا يضيع اجر المجاهدين في سبيله ليدل على ان ذلك من آثار الإيمان الجارية لكل مؤمن لا آثار خصوص القتل في سبيل الله ومن خواصه . وقال جل اسمه في سورة المؤمن « ٤٨ فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب ٤٩ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة » فانتظم البيان لبقاء النفوس بعد الموت هذه على كرامتها وهذه في هوانها

الشفاعة

فإن قال قائل إن الله قد نفى الشفاعة في القرآن الكريم ففي سورة البقرة « ٢٥٥ من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة » والسجده « ٤ ما لكم من دون الله من ولي ولا شفيع » إلى غير ذلك من الآيات « قلنا » ان الشفاعة قد نفاها القرآن من جهة وهي الشفاعة للمشركين أو الشفاعة التي يزعمها المشركون للذين يتخذونهم آلهة مع الله بزعم انهم آلهة قادرون بإلهيتهم بحيث تنفذ شفاعتهم طبعاً وحتماً . أو شفاعة الشافع الذي يطاع حتما كما في سورة يس ٢٣ والمؤمن ٩ والزمر ٤٤ والمدثر ٤٨ وأثبتها من جهة أخرى بالاستثناء بل بالاستدراك الدافع لإيهام نفيها المطلق عن كل احد فقال تعالى . إلا بإذنه . إلا من بعد إذنه . إلا من اتخذ عند الله عهداً . إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً . إلا لمن ارتضى . إلا لمن أذن له . إلا من شهد بالحق . إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى . كما في سورة البقرة ٢٥٦ ويونس ٣ ومريم ٩٠ وطه ١٠٨ والأنبياء ٢٩ وسبا ٢٢ والزخرف ٨٦ والنجم ٢٧ . وإن الشفاعة المستثناة والمستدركة في آيات البقرة . ويونس . وسبا . مطلقة غير مختصة بيوم القيامة ولا بما قبل وفاة الشافع في الدنيا . ولكن لو اعطي القرآن حقه من التدبر وسلمت النفوس من وباء الأهواء والتحزب وبوادر التعصب والنصب لما ثار الهياج من بعض الناس على استشفاع المسلمين بالرسول والأئمة والأولياء لأنهم عباد مكرمون وأولى عباد الله بأن نعتقد اذنه جلت آلاؤه لهم بالشفاعة إكراماً لهم لأجل الحكمة التي ذكرناها . وقد اكتفينا هاهنا بدلالة الكتاب المجيد عن الإشارة إلى ما تواتر معناه من احاديث المسلمين في هذه الشؤون . وفي كتبهم في الحديث من ذلك شيء كثير والأمر فيه جليّ ولكن « لأمر ما جدع قصير أنفه » والشيخ محمد عبده على ماحكاه تلميذه في سورة الفاتحة صفحة ٤٦ و٤٧ من الطبعة الثالثة كلام القاه على عواهنه في زوبعة الهياج المذكور وهو غريب من تحرّيه تهذيب كلامه وتدبر القرآن الكريم وتفسيره والتحرز

من عبودية الأهواء ولم يحضرني كتاب تفسيره لأرى ما فيه في هذا المقام (اهدنا الصراط المستقيم) الهداية تستعمل في الإرشاد إلى الطريق والدلالة على الخير كقوله تعالى في سورتي فصلت « ٦ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى » والشورى « ٥٢ وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم » وتستعمل في الايصال بالتوفيق والتسديد كقوله تعالى في سورة القصص « ٥٠ إن الله لا يهدي القوم الظالمين — ٥٦ إنك لا تهدي من أحببت ولكنّ الله يهدي من يشاء » والنساء « ٧٠ ولهديناهم صراطا مستقيما » والأنعام بعد ذكر عدة من الأنبياء « ٨٧ وهديناهم إلى صراط مستقيم » وهذا المعنى هو الظاهر والمراد من الآية حتى إذا كانت سورة الفاتحة أول ما نزل من القرآن الكريم . والهداية تتعدى إلى المهدي اليه بنفسها وبإلى . والصراط هو الطريق والمستقيم ما لا انحراف فيه ولا اعوجاج وهو أقرب نهج موصل إلى المقصود . ويكون سالكه أبعد من الضلال وخوفه . وعلى بصيرة من أمره من اول سلوكه اذ يتضح منه منار الحق وبشائر الوصول من أول الاقبال اليه . وفي حديث الجمهور كما في الدر المنثور انه في الآية كتاب الله . أو الاسلام او رسول الله وصاحباه بعده . وفي تفسير البرهان عن تفسير وكيع بن الجراح مسندا عن ابن عباس في قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم قال قولوا يا معاشر العباد ارشدنا الى حب محمد واهل بيته . وعن تفسير الثعلبي مسندا عن ابي بردة قال صراط محمد (ص) واهل بيته . وفي روايات الإمامية انه امير المؤمنين . او انه الأئمة . وكلما صح من ذلك فهو من باب النص على احد المصاديق او اظهرها (صراط الذين انعمت عليهم) بالتوفيق والسداد فنعموا بالوصول وفازوا بالزلفى (غير المغضوب عليهم) لأنهم عاندوا الحق بعد ما استنار صبح الارشاد ووضحت الدلالة وقامت الحجة فاستوجبوا بذلك غضب الله . وكلمة غير مجرورة على انها صفة للذين . وفي الحديث والروايات ان المغضوب عليهم هم اليهود أو النواصب . وما صح من ذلك فهو من باب النص على بعض المصاديق (ولا الضالين) بجهلهم وتقصيرهم عن طلب الحق ومعرفته مع وضوح الدلالة وقيام الحجة وجيء بكلمة «لا» مع الضالين لأجل الاستقصاء في التعوذ من الفريقين المغضوب عليهم والضالين

سورة البقرة

مدنية وهي مائتان وست وثمانون آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٭ آلم ٭ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ٭ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ٭

(بسم الله الرحمن الرحيم) مرّ تفسيرها في سورة الفاتحة

(١ آلم) علم معناها عند الله ورسوله ومستودعي علمه وأمنائه على وحيه . ولا غرو في ان يكون في القرآن ماهو محاورة بأسرار خاصة مع الرسول وامناء الوحي «ذلك الكتاب» القرآن أشير اليه باشارة البعيد لرفعة مقامه وعلو شأنه وذلك متعارف عند العرب في الإشارة الى العظيم الرفيع الشأن (لا ريب فيه) ليس فيه محل للريب ولا ينبغي الريب في أمره . او ليس فيه شيء مريب بل هو (هـدى) بالفعل وموصل الى حقيقة الدين وشريعة الحق وأركان الإيمان (للمتقين) لله الذين من تقواهم يقبلون على القرآن ويتبعونه حق الاتباع ويأتمرون بأوامره وينتهون بنواهيه ويتأدبون بآدابه ويسترشدون بمعارفه . والاتقاء مأخوذ من الوقاية يقال اتقى السيف بالدرقة أي اتقى ما يخاف منه وفي الآية الثانية والعشرين « فاتقوا النار » و ٤٦ « واتقوا يوما لا تجزى » وتقوى الله عبارة عن اتقاء ما يخاف منه كغضبه وعذابه فيتقي ذلك بطلب رضاه وطاعته في أوامره ونواهيه . واطلاق التقوى في وصفهم يدلّ على انها صفة عامة ثابتة لهم وملكة راسخة كالعالم والفقيه . والذين في الآية الآتية وكذا التي بعدها ليست مبتدأ وخبره جملة أولئك على هدى كما احتمل في بعض التفاسير بل هي صفة للمتقين (٢ الذين) من قوتهم في التقوى والإيمان بالحق واتباع الدليل والهداية (يؤمنون بالغيب) بما لم يروه ولم يحسوا به بل يحصل لهم يقين الإيمان بالحجة من كتاب الله وقول من قامت الحجة على عصمته وذلك كالبعث والنشور والوعد والوعيد والجنة والنار واحوال القيامة والنعيم والعذاب . ومن مصاديق المؤمنين بالغيب والمؤمنون بقيام المهدي المنتظر عجل الله فرجه كما في الرواية عن اهل البيت (ع) (ويقيمون الصلاة) يواظبون عليها في أوقاتها قائمة على حدودها وشروطها واخلاصها في العبادة والرغبة إلى الله في مناجاته والمثول في طاعته بحضرته (ومما رزقناهم) من مال بل وعلم كما في رواية أهل البيت (ينفقون) كما فرضه الله عليهم أو ندبهم اليه من البر والاحسان بالتعليم والبيان . وينفقونه على حين معرفة منهم واعتراف بأنه رزق الله ونعمته عليهم فيكون انفاقهم أدخل في الطاعة المقرونة بالشكر وأقرب الى المعرفة والإحسان والدوام (٣ والذين) صفة اخرى

(٤) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * (٥) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

للمتقين وجيء بواو العطف استلفاتا الى فضيلة هذه الصفة فإن التعدد بالعطف يمثل للذهن كلا من الصفات مستقلة بمزاياها لا كما اذا طردت من غير عطف . ألا ترى ان الذهن يجد من الرونق للصفات في قولهم جاء الرجل العالم والصالح والكريم والشجاع ما لا يجده في قولهم جاء الرجل العالم الصالح الكريم الشجاع (يؤمنون بما انزل اليك) من الوحي من الكتاب وغيره ويذعنون بأنه منزل من الله على رسوله رحمة للعباد ولطفا منه فيظهر عليهم بذلك شعار الإيمان به (وما أنزل من قبلك) على الرسل والأنبياء حسب ما يحصل لهم من اسباب العلم بإنزاله . واظهر الأسباب في ذلك اخبار القرآن الكريم والرسول المصطفى به . وذلك من الايمان بالغيب لأنهم لم يشاهدوا آية ومعجزة من أولئك الأنبياء الماضين (وبالآخرة) التي ذكرها القرآن ومافيها وعرّفتهم انت بذلك في بشراك وانذارك (هم يوقنون) ويرونها بإيمانهم بالغيب حق اليقين كان ذلك رأي العين . وصيغة المضارع في يوقنون تدل على ثبات اليقين ودوامه وهو الذي تظهر سيماؤه في دوام الطاعة والرهبة من سخط الله وعقابه والرغبة في رضا الله وثوابه الذي اعدّه في الآخرة للصالحين. وهؤلاء المتصفون بهذه الصفات بالآخرة هم يوقنون لا من يكذبها باعتقاده وقوله . او يصورها بتكلف اعتقاده بها على خلاف ما جاءت به رسل الله وكتبه . او من كانت سيرته في أعماله السيئة وتفريطه في الطاعات تمثل ضعف إيمانه بالآخرة وإن غفلاته عنها في أعماله وتروكه تكاد أن تأتي على ما يتكلفه من الاعتقاد بها والعياذ بالله.

وبعد التنويه بصفات المتقين المهتدين بالكتاب جاءت البشرى بكرامة مقامهم وربح تجارتهم فقال الله في شأنهم (٥ أولئك) مستقرون (على هدىً من ربهم) وتوفيق وتسديد اذ كانوا بإيمانهم وإقبالهم على الطاعة أهلا لذلك (وأولئك هم المفلحون) دون غيرهم أما في الدنيا فبراحة ما استشعروه من القناعة وتقدير النعم وشكرها وفضيلة الرضا بأمر الله والتسليم لحكمته وراحة الهدوء والصلاح وحسن الأخلاق . وأما في الآخرة فبفلاح النعيم المقيم . وبمناسبة حال الكتاب في هداه مع المتقين الموصوفين وما لهم من الاهتداء والفلاح ذكر الله لرسوله حال بعض الكافرين بأنهم في تماديهم بالغيّ على الكفر والتمرّد لا يجدي معهم انذارك ولا يؤمنون

(٦) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * (٧) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ

بالله ورسوله وكتابه . هذا ما يقتضيه سياق القرآن الكريم خصوصا مع ابتداء الإخبار عن الذين كفروا بدون عطف بالواو (٦ إن الذين كفروا) يعني قسماً خاصاً ممن ينتحل الكفر والمعهودين عند الرسول أو هم مطلق الطواغيت الذين يعلم الله انهم من تمردهم يموتون على التمادي على ضلال الشرك والكفر بالله ورسوله وكتابه وما جاءا به في دعوة الحق مع الحجج القيمة والدلالة الواضحة . هؤلاء (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) ولا يختارون الإيمان لأنهم بطغيانهم وانهماكهم بضلال الكفر قد ارتجوا قلوبهم وأسماعهم وأحكموا سدها عن ان يلجها شيء من دعوة الإيمان ودلائل آياتها ولا شيء من نور الحق وشافي البيان فاستحقوا بذلك حرمانهم من توفيق الله وتسديده لهم . وإن توفيقه وتسديده جلت آلاؤه من أقوى ما يعين العبد في اختياره للطاعة والإيمان إذ يرفع عنه من طريقها ما يعرقله ويزل اقدامه من نزغات الشيطان وهفوات الهوى وطموح النفس الأمارة إلى شهواتها ونزعاتها الردية ومألوفاتها . فكان حرمان المتمردين من التوفيق والتسديد بمنزلة الختم على ما سدوه بسوء اختيارهم وطغيانهم . ولأجل ان ذلك الحرمان من الله لخروجهم عن الأهلية نسب الختم الذي سمي به إلى الله عز وجل لأن الله هو الذي بيده أمر التوفيق منحة وحرماناً . وعلى هذا قال جل اسمه (٧ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم . وعلى ابصارهم غشاوة) من التمرد حيث استحبوا العمى على الهدى فلا يبصرون انوار الحق والعرفان مع اشراقها كالشمس راد الضحى (ولهم) بما جنوه من التمرد في الكفر والطغيان ومحادة الله ورسوله (عذاب عظيم) وغير خفي ان مذهب العدلية من الإمامية والمعتزلة هو انه يمتنع على جلال الله القدوس الكامل الغني أن يمنع الإنسان بالإلجاء عن قبول الإيمان أو يلجئه إلى الكفر أو يكون هو الخالق للكفر فيه فضلا عن ان يلومه ويعاقبه مع ذلك عليه . فإن ذلك كله قبيح عقلا كما هو من البديهيات الفطرية . ومن البديهي ان القبيح ممتنع الصدور من الله الغني القدوس . وقد ذكرنا في أخريات شواهد المقام الثاني من الفصل الرابع في المقدمة ان الله عز وجل قد مجد قدسه في القرآن الكريم بالنزاهة عما هو دون ذلك في القبيح ووبخ الناس على أعمال السوء . ولكن ابن المنير

في تعليقته على الكشاف تحامل على الزمخشري في هذا المقام واورد لمذهبه وجوهاً طالما لهج بها الأشاعرة « أولها » ان مذهب العدلية في المسألة مخالف لدليل العقل على وحدانية الله فإن مقتضاه ان لا حادث إلا بقدرة الله « ويدفعه » ان مسألة القدرة غير مسألة التوحيد وغاية ما يقال في قدرة الله انها لا تقصر ولا تضعف عن الممكن وإن صار لقبحه ممتنع الصدور منه لجلال شأنه وقدسه وكماله وغناه . وليس مقتضى دليل العقل على الوحدانية ان يكون الزنا واللواط والكفر ومنع الكافرين عن الايمان وأمثالها من القبائح تقع بفعل الله وخلقه وقدرته . وأما قولهم ان نسبة الفاعلية للناس وايجادهم لأفعالهم وخلقهم لها يقضي بالشرك والإشراك مع الله في صفته وهو خلاف الوحدانية والتوحيد . فهو مردود بأن التوحيد الواجب في الإيمان هو توحيد الله ونفي الشريك له في الآلهية وما يعود اليها . وأما في غير ذلك فإن القرآن الكريم نفسه قد شرك بين الله وعباده في نوع صفة الحياة والعلم والرحمة والرأفة والخلق وغير ذلك وإن كانت صفات الله ممتازة عن نوعها بكماله ومميزاتها « ثانيها » دليل النقل كقوله تعالى خالق كل شيء . وهل من خالق غير الله . ويرده ان ابن المنير ومن يحتج بهذا كأنهم لم يقرأوا ولم يسمعوا من سورة العنكبوت قول ابراهيم خليل الله لقومه ١٦ أتخلقون افكا . وقول الله لعيسى كما في سورة المائدة ١١٠ وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير . وقول عيسى رسول الله كما في سورة آل عمران ٤٣ إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير . وقوله تعالى من هذا الباب في سورة المؤمنون ١٦ فتبارك الله أحسن الخالقين . ولماذا لم يلتفتوا من ذلك إلى أن الخلق المقصور على الله إنما هو خلق الإله وإيجاده مما هو من أعمال الآلهية . وعلى ذلك جاء قوله تعالى في سورة الرعد ١٧ ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء « ثالثها » انه وإن قبح صدور بعض الأفعال من الناس بحسب الشاهد لكن الحكم بقبح صدورها من الله قياس للغائب على الشاهد وهو باطل . ويردهم أولا انه ما اسمج التعبير عن الله وشؤونه بالغائب . وهو على كل شيء شهيد . وهو أقرب اليكم من حبل الوريد «وثانيا» ان الحكم على بعض افعال الناس بالقبح ليس من الحواس الخمس لكي يقال ان الحواس لا تدرك الله . وإن الناس ليعلمون ان العدلية يعنونون هذه المسألة ومحل نزاعها بالحسن والقبح العقليين وينادون بأن الحاكم بالحسن أو القبح إنما هو العقل بنفسه وادراكه من دون مداخلة للحس أو وجود الفعل في الخارج . وليت شعري هل عند العقل شاهد وغائب « وثالثا » ان حكم

العقل الفطري بقبح صدور القبيح من فاعله انما هو بالنظر الى عقل الفاعل وجهة كماله وعلمه بالفعل وبجهة قبحه ولذا لا يحكم بالقبح الفاعلي على الفاعل من الاطفال والمجانين الذين لا يميزون ولا على الغافل عن الفعل اوجهة قبحه . وان الله هو الكامل العليم الخبير فهو جل قدسه اول من ينظر العقل إلى فعله ويحكم بامتناع صدور القبيح منه جل شأنه « رابعها » انه يقبح من الإنسان أن يمكن عبده من القبائح والفواحش بمرأى منه ومسمع ثم يعاقبه على ذلك مع أن القدرة التي يفعل بها الناس الفواحش هي من الله على علم منه بمن سيفعل الفواحش منهم « ويردهم » ان التمكين القبيح هو ما كان مختصاً بفعل الفواحش ولكن الله عز و جل أعطى القوى للإنسان ليتمتع بها في المباح والراجح نعمةً منه لإبقاء نوعه وانتظام اجتماعه . غاية الأمر ان الإنسان يتمكن من أن يُعملها في المحرم الذي أرشده إلى تركه بالعقل وزجر الأنبياء ونواهيه في وحيه وانذارهم لهم بالوعيد . فهذه القوى نعمة مسددة لا مساس لها بما ذكروه من المثال . ولم يخلق الله قوة مختصة بأعمال الشر لكي تكون نقضاً على ما نقول به من مسألة القبح «خامسها» أن ما يكون ظلماً قبيحا إنما هو التصرف في ملك الغير بغير إذنه والله مالك العباد وكل شيء . فكل ما يفعله بالعباد ليس بظلم . ويرده أولاً ان العقل لا يتوقف في احكامه وموضوعاتها على ما يذكر في بعض المتون الفقهية أو معاجم اللغة في معنى الظلم تساهلاً أو قصوراً أو اقتصاراً على محل الحاجة في البيان . فإن كل ذي شعور إذا رأى مالك العبد قد سدّ فمه ومنعه بالقهر عن شرب الماء واستمرّ على المنع وهو يقول له اشرب الماء اشرب حتى إذا أضرّ به العطش وهو ممنوع عن الشرب استشاط مالكه غضباً عليه وصار يعنفه وينكل به لأنه لم يشرب الماء . وكذا لو فعل مثل ذلك فيما يملكه من الحيوان . فإن الرائي لذلك الحال وكل من علم به يحكم بالبداهة ان العبد والحيوان المذكورين مظلومان . وإن المالك المذكور ظالم قد فعل قبيحاً . وثانيا . ان مقتضى ما زعموه انّ الأنبياء والرسل الذين افنوا أعمارهم في طاعة الله وعبادته والدعوة اليه وصبروا في ذلك على الشدائد هؤلاء الكرام يجوز أن يعذبهم الله يوم القيامة في جهنم خالدين فيها بعذاب ابليس وفرعون بزعمهم وإنه ليس بظلم ولا قبيح فإنهم عبيد الله وملكه «سادسها» أنه يجوز ان تكون هناك حكمة تسوغ ان يلجئ الله عباده على الكفر وأعمال الشر ثم يعاقبهم على ذلك فلا سبيل للعقل مع هذا الجواز إلى حكمه بقبح هذا الإلجاء وهذا العقاب « ويردهم » ان العقل يحكم بالقبح والامتناع في هذا وأمثاله لأنه يجد ان لا حكمة ترفع قبحه وامتناعه من الله ولا يصلح

(٨) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ *

لأن ترفع حكمه قبحه . ولو حاول أحد أن يسد على العقل باب هذا الوجدان كان ذلك منه سفسطة سخيفة تسد على العقل باب احكامه وذلك باطل بالضرورة . على ان هذا الاحتمال والتجويز للحكمة يرد عليهم بنحو لا مخلص لهم منه أبداً فإنهم بإنكارهم للقبح العقلي وامتناع صدور القبيح من الله قد سدّوا على أنفسهم باب العلم بصدق النبوات وبأن الله لا يظهر المعجز على يد الكاذب وبصدق الكتب الإلهية وما فيها من تقديس الله وأمر القيامة والنعيم والعذاب والجنة والنار فإن قالوا إنا نعرف من عادة الله انه لا يكذب جلّ وعلا ولا يظهر المعجز على يد الكاذب . قلنا عليهم أولاً لماذا لا تجوزون ان تكون هناك حكمة تسوغ مخالفة العادة وإذ قد عزلتم العقل في هذا المقام لم يكن لكم أن تقولوا ان العقل يجد أن لا حكمة تجوز مخالفة العادة . مع ان مخالفة العادة ليس فيها محذور لا تعارضه حكمة بخلاف القبيح كما قلناه «وثانيا» ان دعوى العلم بعادة الله لا تليق إلا من قديم أزلي مطلع على جميع اعمال الله منذ الأزل نفياً وثبوتا لكي يعرف ماصار عادة لله وما لم يصر . ومن ذا الذي يزعم انه ذلك الأزلي المطلع على جميع أعمال الله منذ الأزل . وما هو المانع من مخالفة العادة حتى مع عدم الحكمة . سبحانك اللهم ما أجلى قدسك وكمالك للعقول التي وهبتها لعبادك وأقمت باحكامها عليهم الحجة

(٨ ومن الناس) أي قوم منهم وهم المنافقون (من يقول) افرد الضمير باعتبار لفظ «من» (آمنا بالله وباليوم الآخر) والظاهر كما حكي عليه الاتفاق ان المراد منهم الذين يظهرون الإيمان ويبطنون النفاق ومن الشواهد لذلك قوله تعالى فيما بعد وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا الى شياطينهم . ذكروا إيمانهم بالله واليوم الآخر جمعاً لأطراف الإيمان لأن ايمانهم باليوم الآخر متفرع على الإيمان بالرسول والقرآن . ولأجل أن يظهروا في مخادعتهم أنهم يخافون الله وعذاب الآخرة ويرجون نعيم الثواب فهم ملازمون للتقوى من أجل ذلك . ومرادهم من قولهم آمنا انهم ثبتت لهم صفة الإيمان فهم من زمرة المؤمنين ولا يريدون الاخبار بمجرد صدور الإيمان منهم في الماضي والذي يجتمع مع الثبات عليه ومع الارتداد والنفاق بعده ولذا قال الله جلّ شأنه (وما هم بمؤمنين) بل منافقون (٩ يخادعون الله والذين آمنوا) والمخادعة هو ما يسبب الخديعة ويولدها من قول او فعل والخديعة هو ما يسبب ويتولد من

(٩) يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ *
(١٠) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ *

ذلك إذا لم يمنع منه علم من طلبت خديعته او تسديده من الله او حذره . والمفاعلة قد تجيء من طرف واحد كما في عافاه الله وعاقب المجرم وعاينت الشيء وحاولت الأمر وزاولته. ولكن مخادعتهم هذه لا تسبب ولا يتولد منها خديعة إلا لهم (وما يخدعون) بها (إلا أنفسهم) لما يعود عليهم في الدنيا والآخرة من وبال مخادعتهم هذه ونفاقهم (وما يشعرون) فإن قيل ان هؤلاء المنافقين ان كانوا في الحقيقة دهريين ينكرون وجود الإله فكيف يتوجهون اليه بالمخادعة . وإن كانوا وثنيين يعترفون بالله وإلهيته وعلمه ولكنهم يشركون الأوثان معه في الإلهية فكيف يتصور اقدامهم على مخادعته فيحاولون منه الغرة والانخداع . قلنا إذا لم يتصور ذلك في تذبذبهم في النفاق وخبطهم في ضلالات الأهواء والكفر فقد قال بعض المفسرين ان المخادعة جاءت هنا على نحو التجوز والاستعارة باعتبار ان قولهم ذلك يشبه المخادعة وان لم يريدوها . ولكن الذي يظهر من المقام انهم بقولهم ذلك يخادعون الرسول والذين آمنوا على حقيقة المخادعة . ولا يجوز استعمال اللفظ في المعنى الحقيقي والمعنى المجازي معاً . ولذا أبقى المخادعة بعضهم على حقيقتها وقال ان التجوز إنما هو بإضافتها الى الله دون إضافتها إلى الذين آمنوا والتجوز باعتبار ان الجرأة على مخادعة الرسول في مقدمة الذين آمنوا من حيث انه رسول الله بمنزلة الجرأة على مخادعة الله فأضيفت المخادعة الى الله على النهج الذي جاء عليه قوله تعالى في سورة الفتح « ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله » وهذا أظهر القولين (١٠ في قلوبهم مرض) مرض النفاق والتلون واستعير اسم المرض هنا لأن فيه خروجا عن الصحة العادية والنفاق خروج عن الإستقامة الفطرية للبشر وجريهم على ما توضحه الدلائل النيرة . ولأجل تمردهم في نفاقهم خرجوا عن أهلية التوفيق للاستقامة فأعرض الله بوجهه الكريم عنهم وحرمهم الله بركات لطفه (فزادهم الله) بحرمانهم التوفيق (مرضا) على وتيرة من تمرد بالطغيان فوكله الله إلى نفسه المنهمكة بالقبح منذ اسلست قيادها للهوى والشيطان . وقيل المرض هو غم الحسد والعداوة للمؤمنين وبحرمان الله لهم من توفيقه زاد مرضهم وبهذا الاعتبار نسبت الزيادة إلى الله وقيل ان فزادهم دعاء عليهم ولكن الفاء لا تناسبه . وقيل غير ذلك (ولهم

(١١) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * (١٢) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ * (١٣) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ * (١٤) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ

عذاب أليم) شديد الألم (بما كانوا يكذبون) في نفاقهم ومخادعتهم وقولهم آمنا وماهم بمؤمنين . وما ظنك بعذابهم على كفرهم وسوء أعمالهم وفسادهم (١١ واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض) بنفاقكم وسوء اعمالكم (قالوا إنما نحن مصلحون) وما أكذبه من قول يقوله مريض القلب والمتحكم بجهله او نفاقه على الحقائق والدين وشؤون الناس . فيسميه اذنابه بالمصلح الكبير (١٢ الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) بنقصهم وبما يلحقهم من ذلك من وصمة الضلال وظهور الحال ووخامة السمعة (١٣ واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس) بالإيمان المعهود وثبتوا على حقيقة الايمان وتعاليمه الصالحة وأخلاقه الفاضلة والطاعة في نصرهم لدين الحق (قالوا) من غيهم (أنؤمن كما آمن السفهاء) الذين آمنوا وخضعوا للإسلام واحكام دينه والجهاد في سبيل الله وإظهار الحق (ألا انهم) وهم المنافقون (هم السفهاء) الذين هم اختاروا سفاهة النفاق ورذيلته وأضاعوا رشدهم في المعارف ودين الحق وسعادة الدارين والعاقبة الحسنى (ولكن) لأجل تماديهم في الغي (لا يعلمون) بما يكون العلم به فضيلة للإنسان ووسيلة لسلامته من خسة السفاهة الموبقة . وهؤلاء المنافقون زيادةً على ما ذكر لهم من قبائح الكفر والأقوال والأفعال مذبذبين ذوي لسانين ووجهين (١٤ واذا لقوا الذين آمنوا) بحقيقة الايمان الثابت عن بصيرة (قالوا) بتزويرهم (آمنا) ونحن الآن من زمرة المؤمنين (واذا خلوا الى شياطينهم) الذين يغرونهم بالكفر ومحادة الله ورسوله (قالوا) لهم في خلوتهم بهم (انا معكم) على ما انتم عليه ومن زمرتكم (انما نحن) في حالنا مع المؤمنين واظهارنا لهم انا منهم (مستهزؤن) بهم . فتعساً لآراء المنافقين (١٥ الله يستهزئ بهم) بأن يمهلهم ويخولهم من حطام الدنيا وحياتها شيئا ومصيرهم في عاقبة ذلك الى اخس الهوان واشد العذاب فاستعير لذلك لفظ الاستهزاء لمشابهته له في ابتهاجهم بظاهر الامهال والتحويل مع انه مقرون بالاستهانة بهم واعداد العذاب الأليم .

(١٥) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * (١٦) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ * (١٧) مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ

ويزداد حسن هذه الاستعارة في مقابلة قولهم انما نحن مستهزؤون . واين عنها قول عمر بن كلثوم في معلقته : ألا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

(ويمدهم في طغيانهم) يملي لهم ويمهلهم في تماديهم على طغيانهم مع حرمانهم التوفيق وهذا بمنزلة التفسير لما استعير له لفظ الاستهزاء (يعمهون) العمه هو العمى في الرأي والبصيرة والتردد في الضلال (١٥ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) اذ كانوا ممن هيأ الله بألطافه لهم اسباب الاهتداء وجعل بلادهم محط بركة الهجرة ومشرق انوار الوحي ومنار الدلائل والحجج قد أحاطت الألطاف بهم وتوارد عليهم الارشاد في مصبحهم وممساهم واجابوا دعوة الإسلام بلا اكراه حرب ولا إرهاب سيف . ولكن هذا الهدى الذي سعدوا بالقرب من موارده العذبة وثماره الجنية قد اشتروا به الضلالة . وان كل مشتر من العقلاء لا بد من ان يراعي منفعته بما اشتراه وغبطته بتجارته وهذا أول ما يطلب من الربح فيها . والربح نقيض الخسران ومن لم يربح في تجارته ولم يكن لما اشتراه منفعة فهو خاسر ويكفي هؤلاء من السفه إنهم اشتروا وتاجروا (فما ربحت تجارتهم) ولا نفع لهم فيما اشتروه فضلاً عن وباله في الدنيا والآخرة (وما كانوا مهتدين) من أول الأمر لأنهم لم يظهروا الإسلام عن بصيرة وإيمان وإنما أظهروه لأغراض أخرى . وقيل وما كانوا مهتدين في تجارتهم والأول أظهر وأوفق بمقتضى الحال (١٧ مثلهم) في حالهم (كمثل الذي استوقد ناراً) وطلب وقودها لحاجته إلى الضياء (فلما أضاءت ما حوله) من النواحي وحان انتفاعه بنورها فيما يعنيه من أموره ذهب ذلك النور وعاد هذا المستوقد في ظلام دامس لا يبصر فيه شيئا وخبط عشواء لا يهتدي فيه سبيلا . وهؤلاء المنافقون المذكورون كانوا يتشرفون بحضرة الرسول (ص) ويستمعون إلى كلامه وحججه في بيانه ودلائله في ارشاده وتلاوته لكتاب الله فهم بذلك كمن استوقد ناراً لهدى فلما أضاءت لهم للطف الله مناهج الرشد ومغاني الحق تمرّدوا على الله بنفاقهم فخرجوا عن كونهم أهلاً

(١٨) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ

للتوفيق والتسديد ووكلهم الله الى أنفسهم الأمارة وأهوائهم الخبيثة . فأسدلا عليهم ظلمات الضلال بسوء اختيارهم . ولأجل ان ينوه الله بما للتوفيق والتسديد من الأثر الشريف في تأييد العقل على مكافحته لوساوس الشيطان ونزغات النفس الأمارة واهوائها عبر عن حالهم في غيهم على سبيل المجاز واستعارة التشبيه بأنهم حينئذ (ذهب الله بنورهم) وأشار إلى معنى ذلك بقوله تعالى (وتركهم في ظلمات لا يبصرون) أي خلى الله بينهم وبين أهوائهم وسوء اختيارهم وصاروا يخبطون في ظلمات الضلال لا يبصرون فيها طريق الهدى والرشاد . وقد سلك القرآن الكريم أحسن منهاج البلاغة في بيان مثلهم ونتيجتهم السيئة فذكر مجرى المثل ومغزاه واكتفى بذكر نتيجته بدلالة النتيجة السيئة لحال الذين ضرب المثل في شأنهم فتناول السامع تتمة المثل ونتيجة حال المنافقين بأوجز بيان مفهم كما اكتفى بمقدمات المثل عن ذكر المنافقين في استيقادهم لنار الهدى واضاءتها لما حولهم كما ذكرناه وربما تصوره جودة الفهم أحسن مما ذكرناه . ولو بسط القرآن الكلام كما شرحناه لازم التطويل . ولو أهمل ما ذكره لحال المنافقين لما تمثلت من ضرب المثل فائدة لها قيمة بل لو ذكر قبلها نتيجة المستوقد المذكور لأنس الذهن بها ولم يرعه ما ذكر من نتيجة المنافقين السيئة المهولة وذلك خلاف المقصود وحسن البيان

(ومما ينبغي التنبيه عليه) هو ان بعض التفاسير المعروفة بالفضيلة ذكرت تفسير الآية على غير ما ذكرناه فنشأ من ذلك أمور « احدها » جرأة غير المسلمين على الاعتراض على القرآن الكريم « ثانيها » التجاوء إلى ان يجعل « الذي » بمعنى « الذين » وهذا مع وهنه مناف لإفراد الضمير في « استوقد» و « ما حوله » « ثالثها » استشهاده بقوله تعالى في سورة التوبة « ٧٠ وخضتم كالذي خاضوا » مع ان كلمة « الذي » في الآية للمفرد لا بمعنى الذين « رابعها » عدم ذكر النتيجة السيئة لحال المنافقين وفي ذلك ما فيه . مع ان قوله تعالى صم بكم عمي إنما هي من صفات المنافقين لا من تتمة المثل وعلى ما ذكره يستلزم ربطها بالمنافقين طفرة كبيرة وفصلاً بالأجنبي الطويل وهؤلاء المنافقون الذين ذهب الله بنورهم على ما ذكرناه هم في ضلالهم (١٨ صم) جمع أصم وهو الفاقد لحاسة السمع وقيل هو من ولد كذلك (بكم) جمع ابكم قيل هو الأخرس وقيل من ولد كذلك وقيل هو الأخرس مع عيّ وبله (عمي)

فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ * (١٩) أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ

جمع اعمى شبهوا بذلك لأنهم بإصرارهم على الغي قد أخرجوا انفسهم عن الانتفاع والاهتداء بما يسمعون من الدلائل والوعظ والإنذار والتعليم وعن الاهتداء بسؤالهم عن الحق ومكالمتهم في ذلك وعن الانتفاع بما يشاهدونه مما يوضح لهم سبيل الرشد (فهم لا يرجعون) إلى حقيقة الإيمان إذ قد استحوذ عليهم الشيطان (١٩ أو كصيب من السماء) عطف بأو لأجل التنبيه بالترديد بين المثلين على اختلاف مجراهما ومغزاهما . فكأنه قيل ان شئت ضرب المثل لحال المنافقين مع الإسلام وهداه بالذي استوقد ناراً إلى آخره . وان شئت ضرب المثل لشأن الإسلام مع المنافقين فإن مثله كمثل صيب من السماء وحذف لفظ المثل لدلالة ما سبق وسياق الكلام عليه . والصيب هو المنهمل النازل من العلو والسماء جهة العلو فوق الأرض فالمراد من الصيب هو المطر الغزير المنصب والذي تحيى به الأرض وتزهر بنباتها وينمو به الزرع والضرع وهو قوام المعيشة للناس وخصوص العرب وأهل البوادي والأنعام ولكنه مع ذلك لا يخلو من ان تقارنه ظلمات تتتابع كلما اكفهر السحاب الهاطل وادلهمت به الآفاق خصوصاً إذا كان بالليل . ولذا وصف المطر الصيب بالتوسع في الظرفية بأنه (فيه ظلمات ورعد وبرق) إذ لا ينفك عن الرعد والبرق والصواعق وهي الرعود القاصفة المخيفة بصوتها وهي المرادة في الآية وان كانت الصاعقة ايضاً اسماً للنار النازلة مع ذلك الرعد المخيف. فالإسلام للناس ونظام اجتماعهم كالمطر الصيب فيه حياتهم وسعادتهم في الدارين وزهرة الأرض بالعدل والصلاح والأمن وحسن الاجتماع ولكن معاندة المعاندين للحق وأهله جعلت الإسلام كالمطر لا يخلو من ظلمات شدائد وحروب ومعاداة من المشركين ورعود قتل وقتال وتهديدات مزعجات لغير الصابرين من ذوي البصائر والذين ارخصوا نفوسهم في سبيل الله و نيل السعادة . وفيه بروق من النصر وآمال الظفر واغتنام الغنائم وعز الانتصار والمنعة والهيبة. فهم إذا سمعوا صواعق الحرب أخذهم الهلع والحذر من القتل وشبهت حالهم في ذلك بأنهم (يجعلون أصابعهم في آذانهم من) اجل (الصواعق حذر الموت) وخوفاً من أن تخلع قلوبهم من هول أصواتها . وسفهاً لعقولهم اين يفرون عن الموت وماذا يجديهم حذرهم (والله محيط

بِالْكَافِرِينَ * (٢٠) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * (٢١) يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * (٢٢) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

بالكافرين) المنافقين لا مفر لهم من قضائه . اينما تكونوا يدركم الموت . ولو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم . وان المراد ما هذا الخوف والهلع والتحذر والحال ان الله محيط بالكافرين المحاربين للإسلام وخاذلهم ومهلكهم وقد ظهرت آيات ذلك في غزوة بدر وما قبلها (٢٠ يكاد البرق) اي ما ذكرناه من برق الإسلام وأنوار عزه وسعادته . (يخطف أبصارهم) بشدة انواره فهم (كلما أضاء لهم) وارتاحوا ببهجته وعلقت آمالهم بسعادة الدنيا (مشوا فيه) وجاروا المسلمين واظهروا موافقتهم (وإذا أظلم عليهم) بأن انقطع عنهم ضوء الآمال لما يرونه أحيانا من ظلمات الشدائد (قاموا) ووقفوا في مكانهم في النفاق وثبتوا على حيرة ضلالهم (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم) فلا يسمعون بما حصل من المبشرات في الإسلام ولا بما يرد احيانا على المسلمين من الشدائد ولا يبصرون ذلك فلا يترددون في ضلال النفاق (ان الله على كل شيء قدير) (٢١ يا ايها الناس اعبدوا) الله (ربكم) واخضعوا له حق الخضوع للإله واطيعوه فإنه هو ربكم ومالككم ومدبركم ومربيكم (الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) لم تجيء لعلّ للترجي بل لبيان انه لا يلزم من عبادتهم لله انهم يتقونه حق تقاته بل يجوز أن تقع منهم التقوى المذكورة بحسن اختيارهم ويجوز ان لا تقع لسوء اختيارهم . ولأجل الاحتجاج بآلاء الربوبية وآثار القدرة ذكر من صفات الرب ايضا انه (٢٢ الذي جعل لكم الارض فراشا) ممهداً يتيسر لكم الانتفاع بها في السكنى ونحوها والزرع والغرس (والسماء بناء) لا تخشون سقوط اجرامها عليكم . وليس في ذلك صراحة بموافقة الهيئة القديمة ولا صراحة بمخالفة الهيئة الجديدة فإن حقيقة الأمر لا يعلمها إلا الله وان الأوضاع المذكورة في الهيئتين لا مبنى لها إلا الحدس الذي تدافعه الشكوك والردود . والمحسوس إنما هي حركات الكواكب (وانزل من السماء) أي من جهتها او ان المراد من السماء هنا جهة العلو (ماء) وهو المطر الذي يحيي به

فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْداداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * (٢٣) وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ

الارض بعد موتها (فأخرج به) بما خلقه فيه وقدره من الخواص (من الثمرات) يجوز ان يراد بها ما يعم الحبوب والأطعمة (رزقا لكم) وهل يكون ذلك من غير الإله القادر العليم الحكيم . وانكم لتعترفون بالإله وان هذا كله من خلقه وانعامه فما بالكم تجعلون معه آلهة ولو بزعم انها من تنزلات الإلهية . او انها منبثقة من الإله . او انها مظاهره . او بناء على مزاعم العقول العشرة وانه لا يمكن أن يصدر من الله إلا العقل الأول تعالى الله عما يصفون (فلا تجعلوا لله اندادا) جمع ندّ بكسر النون . قيل ان الندّ المثل وقيل الضدّ . وفي النهاية هو مثل الشيء الذي يضادّه في أموره ويناده أي يخالفه . وفي المصباح لا يكون الندّ إلا مخالفا . وفي التبيان ومجمع البيان في الآية المئة والستين وأصل الندّ المثل المناوئ . وفي الكشاف في هذه الآية ولا يقال إلا للمثل المخالف المناوي ومثله في جمع الجوامع . وفي المصباح ناويته عاديته او فعلت مثل فعله مماثلة . وفي القاموس فاخره وعاداه ونحوه في النهاية . والمشركون يجعلون لأوثانهم وما يؤلهونه صفة الإلهية واعمالها وبذلك يجعلون كلا مما يشركون به ندّاً لله ومثلا معارضا له في إلهيته واعمالها (وأنتم تعلمون) ان الإله الخالق المعبود والمطاع هو الله فما هذه المزاعم وما هذا الشرك المناقض لعلمكم ومعرفتكم ولو تدبرتم الحجج الساطعة لعرفتم كيف لبست عليكم الأوهام ودلست على عقولكم الاهواء . فوحدوا الله ايها الناس كما هو حقه وآمنوا بعبد الله رسوله الذي جاء بالحجج الباهرة وأنزل عليه القرآن العظيم (٢٣ وإن كنتم في ريب مما نزلنا) من القرآن (على عبدنا) وشككتم في انه كلام الله ووحيه المنزل من عنده وجوزتم أن يأتي به بشر من عند نفسه بلا وحي من الله (فأتوا بسورة من مثله) أي مثل القرآن فإنه نزل بلسانكم العربي وانتم اهل الفصاحة والبلاغة . وقد بلغتم أوج الرقي في الأدب العربي بما تناله القدرة البشرية ولكم المهلة والأناة (وادعوا شهدائكم من دون الله) الذين ينصرونكم ويشهدون لكم لكي تستظهروا بشهادتهم فإن الله لا يشهد لكم فإنه يعلم انكم لا تقدرون على ذلك . او وادعوا رجال بلاغتكم الذين يشهدون المواسم واسواق العرب

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * (٢٤) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ * (٢٥) وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ

لأجل المفاخرة في البلاغة والمسابقة في ميادينها فاستعينوا بهم على ذلك من دون الله . فإن الاستعانة بالله على ذلك ودعاءه يجعل الاتيان بالسورة والاكثر ممكنا بواسطة اعانة الله ووحيه كامكانه لرسول الله (إن كنتم صادقين) في زعمكم ان القرآن يمكن للانسان بقدرته البشرية أن يأتي به او بمثله او بسورة من مثله . وهؤلاء وإن كان صدقهم في ذلك ممتنعاً يناسب ان يقال فيه لو كنتم صادقين لكن قيل « إن كنتم » مجاراة لهم وملاينة في الخطاب واما قوله تعالى « وان كنتم في ريب » مع ان ظاهرهم الجحود لكون القرآن منزلا من الله فيجوز أن يكون لأجل علمه جل شأنه بأن منهم من تأثر قليلا بكثرة الشواهد على الرسالة وانزال القرآن من الله فيرجع أمره من الجحود الى الشك والريب في ذلك فاحتج الله عليهم بالحجة القاطعة لوساوس الشك وعناد الجحود . او انه جـل شأنه احتج على ادنى معارض للإيمان وهو الريب بالحجة الجارية فيه وفي الجحود (٢٤ فإن لم تفعلوا) ولم تأتوا بسورة من مثله لعجزكم وقصور القدرة البشرية عن ذلك (ولن تفعلوا) اخبار لهم بأنهم لا يفعلون ذلك لخروجه عن القدرة البشرية مهما برعوا وتقدموا في الفصاحة والبلاغة ومهما تعاونوا واستعانوا بالبشر (فاتقوا النار) أي فإن عجزتم ولم تفعلوا لزمكم ان تعرفوا ان القرآن منزل من الله على رسوله ولزمكم الإيمان بالكتاب وبالرسول وان لم يدعكم الى الإيمان شرف الانسانية والعقل والرغبة في السعادة على نهج إيمان الأحرار فلا أقل من ان يدعوكم الخوف كما في طاعة العبيد فإن من ورائكم النار التي أنذركم بها القرآن (التي وقودها الناس والحجارة) الوقود بفتح الواو ما توقد به النار فما ظنكم بنار يكون وقودها الناس بلحومهم ودمائهم وفضلاتهم ووقودها مطلق الحجارة فاتقوها بإيمانكم وطاعتكم لله ورسوله (أعدت) وهيئت (للكافرين) الذين يموتون على الكفر . ثم قرن جل شأنه وعيده للكافرين ببشراه للمؤمنين بقوله جل اسمه (٢٥ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات) يتنعمون بها ومن كمال بهجتها وروحها وجمال منظرها انها (تجري من تحتها الانهار) على عادة الجنان ذوات البهجة والرونق من ان الماء لا ينقطع عنها ولا يعلوها فتكون كالمستنقعات

كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * (٢٦) إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا

بل تكون مجاري مياهها اوطأ من ارضها يتنعمون بثمارها و(كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا)رأوا ذلك من جنس ثمار الدنيا و(قالوا) عند ذلك (هذا الذي رزقنا من قبل) في الدنيا. والحكمة في كون ثمار الجنة من جنس ثمار الدنيا هو ان ذلك ادعى للرغبة الى نعيم الجنة واحسن وقعا في البشرى فإن النفوس تهش الى مألوفاتها ولو ذكر للناس ما لم يروا له نموذجا في الدنيا لما رغبوا فيه رغبتهم فيما يعرفونه (وأتوا به) الظاهر انه رزق الجنة (متشابها) فيما بينه في الحسن والجودة لم يختلط مع جيده ردي (ولهم فيها) في الجنة (أزواج مطهرة) طهرهن الله في خلقه لهن وناهيك بذلك وصفا ثابتا ومقتضى اطلاق التطهير انهن منزهات من كل ما يستقذر في خلقهن واخلاقهن (وهم فيها) في الجنة (خالدون) مدى الأبد (٢٦ ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما) أي مثل يكون بحسب المناسبة في التمثل سواء كان بالحقير او بالخطير والاية تشعر بأنها توبيخ لمن استنكر ضرب الله للأمثال ويجوز ان يكون لمنع الاعتراض على ضرب الله للمثلين المتقدمين وغيرهما وان لم يسبق من احد اعتراض. ورويت في نزولها اسباب ولم تصح ولا تسلم من وجوه الشك والخدشة. ولا يخفى ان في ضرب المثل فوائد كبيرة في التلقين والفهم لا تحصل بدونه. فإنه بتمثيله بالمحسوسات والمعهودات والمألوفات يشتد تأثر النفس بها ويستلفت الذهن الى الاقبال على فهم الأمر الممثل له فيستحكم تأثر النفس به. ومعنى أن الله لا يستحيي هو ان ضرب المثل مع ما فيه من الحكمة واللطف في البيان لا يتركه الله لأجل حقارة الممثل به او ان الممثل له اعظم منه بكثير. وقد اقتضت المناسبة والتشبيه ان يستعار للترك المذكور لفظ الاستحياء الذي هو انفعال في النفس وخجل يمنع عن ابداء الشيء وان تعلق به غرض (بعوضة) من هذا البعوض المستحقر لصغره (فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم) والجاري على الحكمة في بيان الحقيقة (واما الذين كفروا فيقولون) على سبيل الاستنكار والاستخفاف (ماذا أراد الله بهذا مثلا) والظاهر انهم يقولون « اراد الله » على

يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الفَاسِقِينَ *(٢٧) الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ *

سبيل الاستهزاء بدعوى الرسول ان المثل وحي منزل من الله فإن الكافرين بل والمنافقين ينكرون الوحي المذكور ولو اعترفوا به لما قالوا قولهم هذا . وقد اعرض الله عن بيان ما أراد بالمثل فإن بيانه مقرون به وعن ذكر فائدته فإن حكمته ومغزاه ونتيجته واضحة لا يتجاهل فيها إلا السفيه المعاند ولكنه جل شأنه أجابهم بعاقبته السيئة بالنسبة اليهم فيما هم عليه من العناد وبأثره الحميد بالنسبة للمؤمنين فقال جل اسمه (يضل به كثيراً) من الناس المنكرين على المثل اوالمستهزئين أي تكون عاقبتهم في ذلك الضلال وان اراد الله به تفهيمهم وهدايتهم . وذلك كما قيل فلان قتل فلانا بحلمه فإنه لم يرد بحلمه إلا فضيلته ولكن صارت عاقبته ان فلان الآخر اغتر بجهله واجترأ على آخر فقتله فنسب القتل الى فلان الأول باعتبار ان حلمه كانت عاقبته قتل ذلك المغتر بسوء اختياره (ويهدي به كثيرا) وهم المؤمنون إذ يتدبرونه ويهتدون بمفاده ويعرفون حكمته (وما يضل به) بالمعنى المذكور (إلا الفاسقين) وهم الكافرون والمنافقون الهاتكون للحجاب فإن الفسق في اللغة هو خروج الشيء من حجابه يقال فسقت التمرة إذا خرجت من قشرها . ولا يضر بعمومه للكافرين والمنافقين كونه في الإصلاح المتأخر مختصا بالمسلم العامل بالمعاصي (٢٧ الذين) الأظهر ان ذلك بيان لصفات مطلق الفاسقين لا خصوص من يضلهم ضرب المثل (ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) نقض البناء هدمه ونقض الحبل حل فتله فهو ضد ابرامه . والعهد يستعمل في الوصية نحو قوله تعالى ألم أعهد اليكم يا بني آدم . وفي الوعد المقرون بإظهار الالتزام به . والميثاق مصدر من الوثوق مثل الميعاد من الوعد والميلاد من الولادة أي ينقضون وصية الله لهم أو ما أعطوه لله من العهد مع توثيقه بالمؤكدات . وشبه عهد الله في توثيقه وربطه ما بين العبد وربه بالحبل وابرامه فاستعير لمخالفته لفظ النقض . والأظهر ان المراد ما عهده الله إلى الناس ووثقه سواء كان بدلالة العقل أم بتبليغ الرسل والكتب المنزلة وسواء كان في التوحيد والمعرفة أم في النبوة أم في الإمامة ام في الدين والشريعة (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) ومن ذلك صلة الأرحام وصلة الرسول والإمام بالطاعة كما أمر

(٢٨) كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ *

الله . وصلة قربى الرسول بالمودة ونحوها (ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون) في فسقهم وما ذكر من سوء اعمالهم (٢٨ كيف تكفرون بالله) يجوز أن يكون الخطاب المتكرر في الآية للكافرين وتكون « كيف » لتوبيخهم على كفرهم مع ما يذكر من الحجة . ويجوز أن يكون ذلك خطاباً لجميع الناس وبياناً لأنه لا يليق ان يختار الكفر انسان له شعور مع قيام الحجج في نفس وجوده وأحواله على حقيقة العرفان لله افيكفر بالله (وكنتم أمواتاً فأحياكم) الواو حالية ولا حاجة إلى اضمار « قد » بل لا يصحّ لأنه يستلزم ان تكون الحال جملة « و كنتم أمواتاً » وليس كذلك لأنها لا تفي بالحجة بل الجملة الحالية مجموع و كنتم أمواتا فأحياكم او هو وما بعده ولا ينتظم ذلك بمعنى واحد يكون حالاً إلا إذا جعل الجميع خبراً لأنتم محذوفة اي وانتم تعتور عليكم هذه الأمور الكافية في الدلالة على وجود الإله الواحد القهار . والمراد من كونهم امواتا انهم كانوا اشياء فاقدة للحياة ومن اقرب عهودهم بذلك انهم كانوا نطفاً في الأصلاب أو كانوا في الأرحام علقةً أو مضغة أو عظاماً ولحماً ولا حياة في شيء من ذلك فجعل فيهم الحياة ولا يكون ذلك بلا موثر ولا من لا شيء ولا من فاقد العلم والحكمة والإرادة . فليعتبر الإنسان بما في تركيب بدنه وأجزائه وأوضاعها وأسباب حياته من بواهر الحكم وعجائب الصنع ثم ليعتبر بما وهب له من الحياة والحواس والإدراك وقد أوضح وجه الاعتبار بذلك بالنحو العرفي والعقلي في رسالة البلاغ المبين (ثم يميتكم) في آجالكم (ثم يحييكم) ان كان هذا من تتمة الاحتجاج فلا بد من أن يحمل على أمر معلوم محسوس لجميع الناس ومعناه حينئذ انه يحيي نوعكم باحياء أمثالكم من الناس وفي هذه القدرة التامة الدائمة عبرة وحجة لأولي الألباب . وإن لم يكن من تتمة الاحتجاج كما هو المناسب لقوله تعالى ثم اليه ترجعون بل كان اخباراً بمواقع قدرته وآثار حكمته فإنه يكون المراد يحييكم في القبر . ويجوز ان يكون المراد يحيي بعضكم في الرجعة التي يقول بها الإمامية ونسبت الحياة إلى النوع تجوزاً (ثم اليه ترجعون) يوم القيامة وليس رجوعهم بعد غيبوبتهم أو انفصالهم عنه جل وعلا بل كما تقول للحاضر عندك إليّ مرجعك أي لا مهرب لك ولا بد من أن أنفذ فيك حكمي وعدلي وإن

(٢٩) هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ *

أمهلنك زماناً . ومن تأكيد الاحتجاج المسوق بسياق الامتنان ولله الشكر قوله تعالى (٢٩ هو الذي خلق لكم) لمنافعكم التي تعرفونها والتي لا تعرفونها ومن منافعكم اعتباركم بخلقتها (ما في الأرض جميعا) من نبات ومياه وحيوان ومعادن فتبصروا واعتبروا والتفتوا إلى ما في الأرض والبحار والنبات والحيوان من مظاهر قدرة الإله وإرادته وحكمته ورحمته (ثم استوى إلى السماء) أي جهة العلو . والتعبير بالاستواء مجاز باعتبار توجه إرادته وحكمته الى خلق السماوات في العلو بعد أن خلق الأرض وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيام (فسوّاهن) وفسر ابهام الضمير بقوله تعالى (سبع سماوات وهو بكل شيء) مما خلقه (عليم) كما يظهر على المخلوقات دلائل علمه وخلقه بالإرادة على مقتضى حكمته . وذكر جل اسمه من السماوات سبعاً باعتبار ما يرونه ويعرفونه في تلك العصور من السيارات السبع وكسف بعضها البعض وإن كانت السماوات في الهيئة القديمة تسعاً لأن فلاك الثوابت والأطلس كما يزعمون سماءان أيضاً . وفي الهيئة الجديدة باعتبار المدارات للسيارات اكثر من ذلك « وهو بكل شيء عليم »

﴿ تنبيه ﴾

لا يخفى ان الحذف لما يدل على المقام ويرشد وجه الكلام إلى حذفه باب من أبواب البلاغة عند العرب وهو في نثرهم وشعرهم كثير . ولنذكر له شيئا من شعرهم لمناسبة المقام وتوطئة لما يأتي في بلاغة القرآن الكريم من نوع الحذف . قال لبيد بن ربيعة العامري

قالت غداة انتجينا عند جارتها ... انت الذي كنت لولا الشيب والكبر

فحذف خبر « كنت » اي جميلاً ونحو ذلك وغيرك الشيب والكبر . وقال مساور بن هند بن قيس

زعمتم أن اخوتكم قريش ... لهم الف وليس لكم إلاف

اولئك اومنوا اخوفا وجوعا ... وقد خافت بنو اسد وجاعوا

فحذف تكذيبهم لدلالة حجته على ذلك . وقال عبد مناف الهذلي في آخر قصيدته

حتى إذا سلكوهم في قتائدة ... شلاً كما تطرد الجمالة الشردا

فحذف جواب إذا وعاملها لدلالة المقام وقوله « شلاً » وقال الحارث بن حلزة اليشكري في معلقته

(٣٠) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ في الأَرْضِ خَلِيفَةً

لا تخلنا على غراتك انا قبل ما قد وشى بنا الاعداء

فحذف المفعول الثاني وهونهاب الملك أو نبالي به ونحو ذلك. أو حذف خبر «إنا» بهذا المعنى. أو كليهما فحذف المفعول الثاني بالمعنى المتقدم وخبر «إنا» بما يريد ان يتصوره السامع من التهويل بالتحمس. وقال آخر

إذا قيل سيروا ان ليلى لعلها جرى دون ليلى مائل القرن أعقب

فحذف خبر «لعل» لنكتة آثرها فيما يتمناه من ليلى. وقال عبيد بن الأبرص يخاطب امرء القيس

نحن الأولى فاجمع جمو عك ثم وجههم الينا

فحذف الصلة ليحضر في ذهن السامع ما يريده الشاعر من وجوه الحماسة والتهويل. وقد جمعنا في هذه المقدمة بعض الشواهد للحذف وأغراضه السامية لنحيل عليه في الاستشهاد لما يأتي من فرائد القرآن الكريم في وجوه البلاغة وبراعة البيان: هذا وقد استفاضت الرواية عن أهل البيت عليهم السلام في انه كان قبل آدم في الأرض نوع من الخلق قد أفسدوا وأهلكوا كما في رواية علي بن ابراهيم في تفسيره في الصحيح عن ابي عبد الله عليه السلام والقوي عن الباقر (ع) عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السلام ورواه الصدوق أيضاً في العلل. ورواية تفسير البرهان عن العياشي عن هشام بن سالم عن ابي عبد الله (ع) والعياشي عن علي بن الحسين وعن عيسى بن حمزة عن ابي عبد الله. وروى ذلك الحاكم في مستدركه من طريق الجمهور وصححه عن ابن عباس. وأخرجه الطبري في تفسيره أيضاً ولما ذكر الله خلقه للأرض وما فيها لينتفع الإنسان بذلك وذكر خلق السماوات ذكر ابتداء خلقه للإنسان وما جرى في ذلك من الشؤون وما في خلق الإنسان من الحكمة والكرامة لبعض أفراده ذوي الفضل فقال عز وجل (٣٠ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) «إذ» ظرف وعامله محذوف يفسره قوله تعالى «قالوا» إلى آخر القصص كما يأتي ان شاء الله. وجاعل خالق من أجمله خليفة. والخليفة من يخلف غيره ويجوز أن يكون المراد من يخلف الخلق السابق المذكور في الروايات المشار اليها. وقيل ان «إذ» مفعول به أي اذكر في القرآن ذلك الحين للناس كقوله تعالى واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت ولكن يلزم من هذا القول ان يكون

قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ *

الذكر مختصاً بقول الله تعالى للملائكة « اني جاعل في الارض خليفة » ويكون ما بعده أجنبيا لأنه لم يفرّع عليه ليكون مرتبطا به كالارتباط الذي في قوله تعالى فأجاءها المخاض إلى آخره فالمناسب إذن هو أن تكون «إذ» ظرفاً متعلقاً بمحذوف يدل عليه سوق الكلام الذي يفسره وذلك بأن يكون التقدير وحين قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة جرت في ذلك محاورات وشؤون يفسرها قوله تعالى (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) قالوا ذلك حيث قد رأوا الخلق السابق وافسادهم وسفكهم للدماء كما دلت عليه الروايات المشار اليها وروى العياشي بسنده عن هشام بن سالم عن ابي عبد الله عليه السلام ما علم الملائكة بقولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء لولا انهم قد رأوا فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء . ولا يلزم أن يكون قولهم هذا اعتراضاً وذنباً منهم . بل قالوا ذلك لأن الله أخبرهم في هذا الخطاب بأن الخليفة هو بشر من طين كما في قوله تعالى في سورة ص المكية « ٧١ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين » فعرفوا من بشريته انه ذو شهوة وغضب وقد عهدوا من حال السابقين ان الشهوة والغضب ينشأ منهما الفساد وسفك الدماء . ولأجل بغضهم للفساد ومعصية الله سألوا عن الحكمة في خلق هذا الخليفة مع انه في الشهوة والغضب مثل السابقين الذين طهرت الأرض من فسادهم (ونحن) من لطفك في خلقنا بلا شهوة ولا غضب إنا دائما (نسبح) والتسبيح (بحمدك ونقدس) والتقديس (لك) فإن شئت عمران الأرض بصلاح عبادتك فاجعلنا فيها . ولكن مع ذلك كان الأولى بهم أن لا يصدر منهم هذا السؤال في هذا المقام وإن كان سؤالهم للتعلم بل يفوّضوا الأمر إلى الله وحكمته وعلمه بما هو الصالح (قال) الله لهم (إني أعلم ما لا تعلمون) فإن في ذلك حكمة شريفة ولطفاً خفيا إذ يكون من البشر انبياء ورسل وأئمة فيهم شهوة وغضب وهم مع ذلك في اعلى درجات الطهارة والعصمة الاختيارية والطاعة والعبادة لله والتفاني في هداية الناس واصلاحهم . وفيما أشرنا اليه في تفسير القمي وعلل الصدوق عن امير المؤمنين عليه السلام جاعل في الأرض خليفة تكون حجة لي على خلقي . وفيه ايضا . اجعل من ذريته انبياء وعباداً

(٣١) وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * (٣٢) قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * (٣٣) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ *

صالحين وأئمة مهديين وأجعلهم خلفاء الحديث ٠ (٣١ وعلم آدم الأسماء كلها) اي اسماء هؤلاء الهداة ٠ روى الصدوق بسندين معتبرين عن الصادق (ع) ان الله تبارك وتعالى علم آدم اسماء حججه كلها ثمَّ عرضهم وهم ارواح على الملائكة فقال انبؤوني بأسماء هؤلاء (ثم عرضهم) وهم ارواح طاهرة وانوار قدسية تضيء بالهدى والطهارة والعصمة الاختيارية (على الملائكة) ليعرفوا فضلهم الفائق ويظهر لهم شيءٌ من وجه الحكمة في خلق الله للبشر وعلمه بالذين تشرق الأرض بنورهم وتقوم بهم الحجة على الملائكة (فقال) الله بعد ان عرضهم وعرف الملائكة حالهم من الفضل (انبؤوني بأسماء هؤلاء) الذين عرفتم فضلهم (إن كنتم صادقين) في دعوى العلم حتى قلتم قولكم ذلك (٣٢ قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم) في أعمالك (٣٣ قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال) الله للملائكة (ألم أقل لكم) فيما علمتكم من جلال الإلهية أو في معنى القول السابق إني أعلم ما لا تعلمون (إني أعلم غيب السماوات والأرض) وفوق ذلك إني أعلم ما في الضمائر (وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) يدل قوله تعالى وما كنتم تكتمون ان هناك شيئا كتمته الملائكة ٠ ٠ هذا وقيل في هذه الآيات ان الله علم آدم اسم الصفحة والقدر وكل شيءٌ حتى البعير والبقر والشاة ٠ وقيل اسماء الأدوية والنبات والشجر والجبال ونحو ذلك ٠ ولكن هذا كله ليس فيه مناسبة لسؤال الملائكة ولا للاحتجاج عليهم بالعلم بمواقع الحكمة في خلق الخليفة ٠ بل ليس فيه جواب لسؤال أصلا ٠ مع ان ذلك لا يناسب قوله تعالى ٠ عرضهم ٠ هؤلاء ٠ بأسمائهم فإن الإشارة وهذه الضمائر مختصة بمن يعقل ٠ ودعوى ان الله غلب من يعقل على سائر الأشياء ما هي إلا مجازفة ٠ مضافاً إلى ان الله قال الأسماء كلها ليظهر فضل العلم بهذا العموم خصوصاً على ما قيل فلا يناسب ان يؤتى بلفظ مختص في اللغة بالعاملين على خلاف

(٣٤) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * (٣٥) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ

العموم لما ذكروه ولا ينطبق على ما يدعى من العموم لكل الأشياء إلا بعد التي واللتيا من دعوى التغليب الذي لا قرينة عليه في اللفظ ولا في سياق الكلام وليس هو كالتغليب في قوله تعالى خلق كل دابة من ماء فمنهم من الآية (٣٤ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) الظاهر ان « إذ » هنا كسابقتها في المعنى والعامل وان قوله تعالى فسجدوا إلى قوله تعالى يا بني اسرائيل يكون تفريعاً وتفسيراً لما حدث في ذلك الحين . والأمر للملائكة بالسجود شامل لابليس لاندماجه حينئذ في زمرتهم وان كان في الأصل من الجن وقد علم ابليس بشمول الأمر له ولذا لم يعتذر بأن الأمر لم يكن شاملاً له بل التجأ في استكباره إلى القياس .. والسجود يجوز ان يكون لآدم ابتداء بعنوان التكريم لا العبادة . فإن السجود الذي يختص بالله ويمنع العقل والشرع ان يؤتى به لغيره إنما هو ما كان بعنوان العبادة والخضوع بعنوان الإلهية . ويجوز ان يكون لله شكراً على خلقه لآدم وما له ولبعض ذريته من الفضل ومن ذلك يحصل لآدم نوع من التكريم والتعظيم وبهذا الاعتبار قال الله اسجدوا لآدم والوجه الأول أظهر من اللفظ . وإن ثبت في شرعنا تحريم مطلق السجود لغير الله فلم يثبت المنع منه حتى في ذلك الحين (فسجدوا إلا ابليس أبى) عن السجود (واستكبر وكان من الكافرين ٣٥ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) يقال لامرأة الرجل زوج وزوجة والأول هو اللغة العالية وبها جاء القرآن . والجنة اسم للبستان وروى الكليني وابن بابويه مسنداً والقمي مرفوعاً عن ابي عبدالله (ع) ان جنة آدم من جنان الدنيا تطلع فيها الشمس والقمر ولو كانت من جنان الآخرة او الخلد لما أخرج منها انتهى . وهذا لا يستلزم كونها في الأرض (وكلا منها رغداً حيث شئتما) الأمر بالأكل كالأمر بالسكنى في الجنة إنما هو للاباحة والإنعام . والرغد صفة للمصدر اي اكلا رغداً رافها ليس فيه عناء وكلا من أي مكان شئتما مما يؤكل منه بلا حجر ولا نهي ارشادي (ولا تقربا هذه الشجرة) لا يخفى من دلالة المقام والنظائر ورواية العياشي عن الباقر (ع) ان المراد هنا هو عدم الأكل منها لا مطلق القرب ولكن صدر النهي بصورة النهي عن

فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * (٣٦) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ

القرب لأجل بيان التحذر من الأكل منها كقوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم . ولا تقربوا الصلاة وانتم سكارى . ولم يصح ما روي في حقيقة الشجرة . والنهي ههنا للإرشاد . لا للتحريم بدليل قوله تعالى في بيان الحال في سورة طه المكية « ١١٥ — ١١٨ انه عدو لكما فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى » اي تقع في شقاء العيش ومشقته ويؤكد دلالة السياق على ذلك انه نسب الشقاء إلى آدم دون زوجته نظراً إلى ما جرت به العادة في الأرض في ان الرجل هو الذي يتعب في تحصيل المعيشة والمرأة عيال عليه « ان لك ان لا تجوع فيها » اي في الجنة « ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى » ولا تحتاج لأن تتعب فكرك وبدنك في تحصيل المأكول والملبوس والمشروب والشيء الذي يظلك من حرارة الشمس . فلم يرتب على اخراج ابليس لهما اثم معصية وفسق خروج عن الطاعة ولا حذّره من ذلك كما يقتضيه اللطف فالنهي لمحض الإرشاد إلى ان لا يقع في ورطة الأكل المستتبع بحسب الحكمة للخروج من نعيم الجنة إلى شقاء عيش الأرض وتعبه . وإن مخالفة النهي الإرشادي تسمى ايضا معصية وما كل معصية تساوي الذنب والاثم (فتكونا من الظالمين) لأنفسكما بالخروج من النعيم إلى التعب . ومثل هذا الظلم لا يستوجب ذما ولا يعد ذنباً . والظلم في اللغة يساوق وضع الشيء في غير محله . وضد الإنصاف او العدول ومنه الحديث لزموا الطريق فلم يظلموه اي لم يعدلوا عنه . ولقد اغرب من قال ان الظلم اسم ذم لا يجوز ان يطلق على غير المستحق للعن لقوله تعالى الا لعنة الله على الظالمين . أفلا يدري ان الآية المذكورة وردت في سورة الاعراف ٤٢ وسورة هود ٢١ في الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون (٣٦ فأزلهما الشيطان عنها) زلت قدمه ورجله لم تثبت في مكانها وتحولت عنه وكذا الانسان وأزله حمله او ألجأه إلى الزلة والزلل فأزلهما الشيطان بوسوسته وغوايته ومخادعته باليمين الكاذبة عن الوصية المدلول عليها بقوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة . ولا يخرجنكما من الجنة فتشقى . او ازلهما عن الجنة ولم يتركهما ثابتين فيها . وقد رويت في كيفية وصوله اليها بالوسوسة والمخاطبة بالاغواء روايات لم تصح (فأخرجهما) صار باغوائه لهما سببا لخروجهما من حيث تبدل المصلحة في اسكانهما الجنة فنسب الاخراج اليه على سبيل المجاز في الاسناد (مما كانا فيه) من النعيم

وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * (٣٧) فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * (٣٨) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى

واللباس والعيش الرغيد (وقلنا اهبطوا) الخطاب لآدم وحوا وابليس . وإذا كان ابليس هابطا الى الارض قبل ذلك جاز هـذا الخطاب بمعنى تساووا في الهبوط منها (بعضكم) ابليس وآدم وحوّا او ذريتها (لبعض عدوّ) وعداوة البشر لإبليس باعتبار النوع وان اطاعه بعض الناس (ولكم في الارض مستقر) اسم مكان أي موضع استقرار ومصدر والاستقرار معروف (ومتاع) اسم لما ينتفع به (الى حين) محدود لكل بموته حتى ابليس عند الصعقة الأخيرة قريب القيامة والبعث (٣٧ فتلقى آدم من ربه كلمات) التلقي هنا اخذ آدم للكلمات من الله باستقبال وقبول وتعلم وعمل . ومقتضى السياق هو ان آدم ندم على مخالفة الله في أمره الارشادي وأراد التوبة والرجوع الى مقام الأولياء المتبعين لارشاد الله في العمل والترك وصار يحاول الوسائل التي يتوب الله بها عليه فيعلمه الله كلمات توقفه في مقام المنيبين وتعرفه فضيلة ذوي الفضل . وقد روي من طرق الفريقين انه نحو من الدعاء وفي الدر المنثور مما اخرجه الديلمي في الفردوس مسنداً عن علي عليه السلام دعاء فيه اللهم إني اسألك بحق محمد وآل محمد مكرراً . ومما اخرجه ابن النجار والبيهقي مسندا عن ابن عباس عن رسول الله «ص» سألته عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه قال سئل بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فتاب عليه وروي من طريق الإمامية نحو ذلك كما رواه الكليني والصدوق عن ابن عباس ومرفوعا والعياشي نحوه عن عبد الرحمن بن كثير عن الصادق عليه السلام وعنه ايضا مرسلا . ولا منافاة بين روايات الدعاء وروايات الاستشفاع بأهل البيت لجواز الجمع بينهما (فتاب عليه) فرجع عليه بالرحمة ولطف الارشاد وقرب المنزلة والزلفى (انه هو التواب الرحيم) ولأجل الاختصار لم تذكر هنا توبة حوّا ولأنها معلومة مذكورة في سورة الاعراف المكية ٢٢ (٣٨ قلنا اهبطوا منها جميعا) كرر ذكر الأمر بالهبوط لأجل ان يذكر ما كان مرتبطا به من الكلام كما تدل على ذلك سورة طه المكية ١٢١ و١٢٢ فقد جمع فيها ما بعد الأمرين بالهبوط هنا بعد امر واحد . وجميعا يراد منه ايضا ذرية آدم باعتبار هبوط ابويهم (فإما يأتينكم مني هدًى) امـا شرطية

فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاهُمْ يَحْزَنُونَ (٣٩) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٤٠) يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ

والهدى الرسالة والآيات ودلائل الحق (فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) في الآخرة وهذه الجملة جواب للشرط في اما يأتينكم (٣٩ والذين) لا يتبعون الهدى بل (كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك اصحاب النارهم فيها خالدون) (٤٠ يا بني اسرائيل)خطاب للموجودين منهم عند النزول . واسرائيل لقب يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل معرب يسرئيل في العبرانية . وروي ان معناه عبد الله او قوة الله (اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) فيما خص الله به آباءهم من التوفيق للتوحيد الموروث من ابراهيم وارساله موسى والأنبياء منهم ونجاتهم من فرعون وقومه وظهور الآيات لهم وانزال المن والسلوى عليهم وتوريثهم الارض المقدسة واهلاك اعدائهم وغير ذلك . وهذا النهج متعارف في الخطاب بأن يخاطب الموجودين من القبيلة والأمة بأمور اسلافهم لاسيما مايعود أمره في الفخر والوبال على الموجودين . وشواهده في النثر والنظم من العرب وغيرهم كثيرة جداً (وأوفوا بعهدي) قد قطع الله العهد مع بني اسرائيل على العمل بما في التوراة من توحيده وعبادته واتباع دين الحق والعمل بالشريعة واتباع النبي الذي يقيمه الله لهم من اخوتهم بني اسماعيل ويجعل كلامه في فمه وان يسمعوا له ويطيعوا . ومهما حرفت التوراة فقد بقي هذا العهد فيها . وان قراءة اليهود لها والالتزام بها في جميع اجيالهم التزام بهذا العهد وكذا المخاطبين بالآية من اليهود المعاصرين لرسول الله «ص»(أوف بعهدكم) من اللطف والتوفيق والتسديد وثواب الآخرة . ويؤخذ من الآية قاعدة كلية وهي ان من لم يف بعهد الله فيما أخذه من الدين والشريعة فهو بنفسه قد نقض عهد الله معه وخرج عن كونه اهلا لما وعد به من اللطف والرحمة واستجابة الدعاء وعلى ذلك جاءت صحيحة القمي عن جميل عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام في استجابة الدعاء . ومن عهود الله ومصاديق هذه القاعدة كما في الكافي في موثقة سماعة عن الصادق عليه السلام ورواية ابن بابويه عن ابن عباس هو ما عقد رسول الله «ص» لأمير المؤمنين«ع» في غدير خم كما تواتر به الحديث بين المسلمين (وإياي فارهبون) الرهبة الخوف والتقدير وإياي ارهبوا أي ولتكن رهبتكم منحصرة

(٤١) وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ * (٤٢) وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * (٤٣) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ *

بي ولا يحملكم على نقض عهدي رهبة من شيءٍ فارهبوني ولا تنقضوا عهدي وحذفت كلمة ارهبوا لدلالة «فارهبون» (٤١ وآمنوا بما انزلت) اي القرآن الذي انزلته على رسولي محمد(ص) وهو النبي الذي وعدكم به الله وموسى وأخذ الله عهدكم باتباعه (مصدقا لما معكم) وبقي عندكم حتى في توراتكم المحرفة وهو أن الله يجعل كلامه في فم ذلك النبي . وقد دلكم اعجاز القرآن على أنه كلام الله . ومصدقا لما معكم من الإيمان بالله واسم توحيده والاعتقاد بالنبوات ورسالة موسى وآياته . ولا يصح أن يقال أنه مصدّق لما معهم من التوراة محرّف بأشد التحريف المشتمل على الكفر والخرافات. والقرآن صريح في مخالفتها في ذلك وقد اشرنا إلى شيءٍ من ذلك في الفصل الأول من المقدمة في اعجاز القرآن في وجهة التاريخ (ولا) تكفروا به (تكونوا) مع عهد توراتكم بالنبي وجعل الله كلامه في فمه ومع دلالة الوجوه المتعددة في اعجاز القرآن (اول كافر به) اول من يعدّ من الكافرين به .وذلك لتفاحش كفركم بعد قيام الحجة عليكم من وجوه عديدة . يقال لكثير الكذب وشديد الفسق اول كاذب واول فاسق اي اول من يعد من الكافرين ومن الفاسقين (ولا تشتروا بآياتي) مع وضوح الحجة عليكم (ثمنا قليلا) الثمن يشتريه الإنسان في معاملته كما أن الآخر يشتري السلعة واستعير لاستبدالهم آيات الله بأهوائهم لفظ الشراء لما فيه من استبدال شيءٍ بشيءٍ كما قال ابو ذؤيب الهذلي

وان تزعميني كنت اجهل فيكم   فإني شريت الحلم بعدك بالجهل

والثمن القليل الحقير هو خوفهم من اكابرهم او حرصهم على جامعتهم الاسرائيلية او حسدهم للرسول (ص) وغير ذلك من اباطيل الأهواء (واياي) اتقوا او احذروا نكالي وعذابي للكافرين المعاندين للحق باهوائهم (فاتقون ٤٢ ولا تلبسوا الحق بالباطل) ولا تجعلوا على الحق المعروف لباس الباطل ترويجا لباطلكم (وتكتموا الحق وانتم تعلمون) به . فأسلموا وفاء بعهد الله وعملا بالحق الذي تعلمون به (٤٣ واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين) من المسلمين

(٤٤) أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * (٤٥) وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ * (٤٦) الَّذِينَ

(٤٤ أتأمرون الناس بالبر) من الصدق واتباع الحق وطاعة الله (وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب) فإن فيه بقية من وصايا التوراة الحقيقة في الإرشاد والتعليم باتباع الحق والعمل بالعلم (أفلا تعقلون) كيف لا يقبح من الانسان ان يترك عمل البر الذي يعلم به (٤٥ واستعينوا) على ما يراد منكم مما فيه سعادتكم في الدين والدنيا وتوصلوا اليه بالأسباب المروضة للنفس والموجهة لكم الى الله في استعانته وطلب توفيقه وتسديده (بالصبر) على الوفاء بعهد الله والإيمان برسوله محمد (ص) وما أنزل اليه وعلى طاعة الله في أوامره ونواهيه وعلى مخالفة النفس الأمارة وعلى مكافحة الكفر والضلال بنصر الدين ونشر الهدى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى نوائب الدنيا بالتسليم لأمر الله . فإن الصبر في الآية الكريمة مطلق وأثره في جميع ما ذكرناه جلي محمود كما يدل عليه ما جاء في الكتاب والسنة في فضل الصبر وفي بعض رواياتنا المعتبرة تفسير الصبر بالصوم وذلك باعتبار كونه احد المصاديق وله الأثر الكبير في ترويض النفس وتمرينها على الصبر وتصفيتها وتوجيهها الى الله (والصلاة) فإن اقوالها واحوالها تعلم بكل وجهة من تهذيب الأخلاق . وان الاتيان بها بحقيقتها والتدبر لمضامين آياتها واذكارها يهدي الى كل خير وهي باب الله في مناجاته والاستعانة به (وانها لكبيرة) على نوع الناس يرونها حملا كبيراً يثقل عليهم فيقوم اليها من يقوم على كسل وتثاقل (إلا على الخاشعين) الخشوع فوق الخضوع لا يقبل التصنع فيه نوع من الانكسار يظهر على الانسان وعلى القلب وعلى البصر وعلى الصوت كما جاء في القرآن الكريم أي إلا على الذين شعارهم الخشوع من خوف الله كأنهم اشرفوا على الموت والمعاد والحساب فخشعوا لذلك واستعدوا للزاد وطلب المغفرة ومناجاة الحق رغبةً ورهبةً ودعاء وثناء لم يغلبهم طول الأمل ليروا الموت بعيداً فيطمئنوا بالحياة ويسوفوا الأعمال الصالحة والاستعداد للآخرة بل غلبوا الأمل وقرّبوا الموت الى ظنهم كما قال امير المؤمنين لهمام في صفة المتقي يراه قريبا أجله أي يرى آثار ذلك عليه . وحالهم كما قال الحسن (ع) في وصيته لجنادة واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً (٤٦ الذين) نظروا الى الدنيا

يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * (٤٧) يا بَنِي إِسرَائِيلَ اذكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلى العَالَمِينَ * (٤٨) وَاتَّقُوا يَوْماً لاَ تَجزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنهَا عَدلٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ * (٤٩) وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العَذَابِ

وفنائها بعين البصيرة واشتاقوا الى نعيم الآخرة فهم (يظنون انهم ملاقوا ربهم) ومستوفو آجالهم في ساعتهم وما يقرب منها (وانهم) عن قريب (اليه راجعون) رجوع جزاء واستسلام (٤٧ يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) وقد مرّ شيء من بيان ذلك في الآية الثامنة والثلاثين وكرر هنا تأكيداً في استلفاتهم الى النعم واقامةً للحجة بها عليهم (و) اذكروا (اني فضلتكم) بها (على العالمين) في زمان اسلافكم (٤٨ واتقوا) يوم القيامة يوم الحساب والنكال (يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئاً) أي لا تقضي ولا تؤدي مما عليها شيئا من جزى الدين إذا قضاه (ولا يقبل منها) من النفس الأولى (شفاعة) من حيث انها نفس لها نحو صلة بالمشفوع له . وقد تقدم في تفسير سورة الفاتحة ما يدل من القرآن الكريم على تحقق الشفاعة بإذن الله ورضاه واجمع المسلمون على ان لرسول الله (ص) شفاعة مقبولة وان جازفت المعتزلة بدعوى اختصاصها بمنافع المؤمنين . واجمعت الإمامية على ثبوت الشفاعة للنبي الكريم وأهل بيته الطاهرين واصحابه المنتجبين وصالحي المؤمنين وبذلك جاءت احاديث الفريقين (ولا يؤخذ منها) من النفس الثانية (عدل) عدل الشيء بالفتح ما يقوم مقامه من غير جنسه بمعنى ولا يقبل منها فداء معادل . واحتمل عود الضمير هنا الى النفس الأولى ايضا بمعنى لا تقبل شفاعتها ولا يؤخذ منها فداء للنفس الثانية والأول اظهر وأنسب بالاستقصاء وأبعد عما يعود الى التكرار لمعنى لاتجزي (ولا هم ينصرون) أي اهل ذلك اليوم المدلول عليه بتعدد النفوس ليس لهم ناصر على الله وحسابه وعذابه وناهيك بالتهديد بذلك اليوم ما ذكر فيه فليتقه ذوو الشعور (٤٩ و) اذكروا يا بني اسرائيل (إذ نجيناكم من آل فرعون) حال كونهم (يسومونكم) قريب من معنى يولونكم (سوء العذاب) قال عمر بن كلثوم في معلقته

إذا ما الملك سام الناس خسفاً ابينا ان يقر الخسف فينا

يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ * (٥٠) وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ * (٥١) وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ

(يذبحون أبناء كم) أي يكثر ويعم ذبحهم لهم (ويستحيون نساء كم) أي البنات اللاتي يولدن لكم ولا يذبحونهن كالأبناء . فكأنهم يتركهن" طلبوا احياتهن" وسميت نساء باعتبار بقائهن نوعاً إلى زمان الكبر (وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) نسب البلاء إلى الله باعتبار قدره وقدرته على رفعه واملائه لآل فرعون (٥٠ و) اذكروا (إذ فرقنا بكم البحر) فصلنا البحر بعضه من بعض . ومن قوله تعالى في سورة الشعراء « فكان كل فرق كالطود العظيم » يعرف ان افراقه كانت متعددة وطرق بني اسرائيل فيما بينها متعددة . فرقنا بكم أي انتم الفاصل والفارق ما بين اجزائه في عبوركم فيه على اليابسة وهذا أوضح في المعجز وأوضح في خرق العادة (فأنجيناكم) من مضايقة فرعون وجنوده ومن البحر (وأغرقنا آل فرعون) حين اتبعوكم في البحر (وأنتم) خارج البحر (تنظرون) إلى غرقهم . والبحر هو خليج السويس من البحر الأحمر وعرضه بحسب اختلاف مواقعه من نحو عشرة أميال إلى نحو عشرين ميلا واقتصر هنا في ذكر الغرق على آل فرعون باعتبار الامتنان بالنجاة من جيشهم بغرقه . وفي ذكر فرعون وعتوه والانتقام منه قال الله في سورة الاسراء ١٠٥ فأغرقناه ومن معه جميعاً (٥١ وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة) باعتبار مجموع الوعدين الوعد الأول وهو ثلاثون ليلة والثاني وهو اتمامها بعشر كما في سورة الأعراف ١٣٨ (ثم اتخذتم العجل) إلهاً كما في سورة طه المكية ٩٠ « فقالوا هذا إلهكم وإله موسى » ولم نجد صراحة يعوّل عليها في ان الذين عبدوا العجل هم كل بني اسرائيل الموجودين حينئذ ما عدا هارون أو بعضهم . لأن سوق الخطاب هنا وفي سورة النساء إنما هو باعتبار البعض من بني اسرائيل فيجوز ان يكون باعتبار البعض من جيش موسى نعم في سورتي الاعراف وطه نسب اتخاذ العجل واضلال السامري إلى قوم موسى ولكن يجوز ان يكون ذلك باعتبار البعض الكثير . نعم ربما يستظهر انهم البعض من قول هارون كما في سورة طه « إني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل » ولكن تزاحم الاحتمالات في مراده من التفريق يزاحم ذلك الاستظهار . وغرض القرآن الكريم من قصصه

مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ * (٥٢) ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * (٥٣) وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * (٥٤) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ

انما هو التذكير والموعظة ولا يهمه تاريخيتها لكي ينص على الكل أو البعض (من بعده) من بعد ان غاب عنكم موسى في ميعاد ربه (وانتم ظالمون) لأنفسكم ولعقولكم وللحقايق(٥٢ ثم عفونا عنكم من بعد ذلك) أي من بعد ما وقعت عبادة العجل . والسياق في خطاب بني اسرائيل بأحوال بعضهم لا يترك في الآية ظهوراً في العفو عمن عبد العجل ويجوز ان يكون حينئذ من لم يعبد العجل ولكنهم تخاذلوا ولم ينصروا هارون بالنهي عن هذا المنكر العظيم فعفا عنهم بتوبتهم كما في الآية الآتية (لعلكم تشكرون) جيء بلعل عوضاً عن لام الغاية للوجه الذي سنذكره ان شاء الله في الآية الحادية والثمانين بعد المائة (٥٣ وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان) ترتيب القصة يقضي انها الألواح التي جاء فيها في سورة الاعراف ١٤٢ « وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء ١٥٣ : أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة » فتكون بهداها فارقة بين الحق والباطل فسميت فرقاناً ويجوز ان يراد بالكتاب والفرقان التوراة (لعلكم تهتدون) أي لغاية ان تهتدوا وجيء بلعل لما اشرنا اليه (٥٤ وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل) إلهاً (فتوبوا إلى بارئكم) الله الذي خلقكم وبرأكم بعد عدمكم . وما ذكرناه من سياق الآيات في خطاب القبيلة بفعل بعضها لا يترك في الآية ظهوراً بأنهم كلهم عبدوا العجل . وإن اردتم التوبة الصادقة التي تمحو ما وقع فيكم من الشرك بالله بعبادة العجل (فاقتلوا انفسكم) الجملة بدل من « فتوبوا » لبيان أن الذي تتحقق به توبتكم هو ان تقدموا على قتل بعضكم بعضاً فكان ذلك نفس التوبة هنا والظاهر انه ليس المراد ان ينتحروا ويقتل كل انسان نفسه بل قتل النفوس المضافة اليهم بالقرابة والرحم الماسة فقد كانوا عبارة عن آباء وأبناء واخوان واعمام وبني اعمام وكلهم مرتبطون بولاء القبيلة والقومية والجامعة الاسرائيلية (ذلكم) اي توبتكم بقتلكم نفوسكم واقدامكم على ذلك طاعة لله وتكفيراً لما وقع من الشرك وردعا عن مثله (خير لكم عند بارئكم) وفي التعبير بقوله تعالى « بارئكم » في

فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٥٥) وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٦) ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٧) وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا

الآية اشارة إلى أن الله هو بارئكم والمنعم بخلقكم فما اهون نفوس المشركين وقتلهم في جنب الحماية لتوحيده وقمع ضلال الاشراك به وفي جنب رضاه وتوبته عليكم . ففعلوا شيئاً من ذلك كما يدل عليه السياق مع قوله تعالى (فتاب عليكم) وهو خطاب لبني اسرائيل الموجودين في عصر الرسول بالنهج المتقدم من خطاب بعض القبيلة باعمال بعضها وباعتبار ان التوبة على قوم موسى في تلك الواقعة يعود نفعها على المخاطبين وعلى كل بني اسرائيل في جميع أجيالهم ببقاء جامعتهم القومية وصورة الدين والتوحيد (انه هو التواب الرحيم ٥٥ واذ قلتم) خوطبوا بذلك باعتبار قول الأسلاف من قبيلتهم (يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة) الصوت الشديد وأخذها هو استيلاؤها عليهم والمراد اماتتها لهم (وانتم تنظرون) توهما منكم انكم ترون الله تعالى شأنه . روى ابن بابويه في العيون عن الرضا عليه السلام ما ملخصه: ان بني اسرائيل قالوا لموسى لن نؤمن لك بأن الله أرسلك وكلمك حتى نسمع كلام الله فاختار منهم سبعين رجلاً فلما سمعوا كلام الله من الجهات الست قالوا لن نؤمن بأنه كلام الله حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة فماتوا (٥٦ ثم بعثناكم من بعد موتكم) كل الخطاب باعتبار أحوال السلف (لعلكم تشكرون) اي لغاية ان تشكروا الله على الاحياء بعد الموت (٥٧ وظللنا عليكم الغمام) الظاهر من الامتنان بالتظليل انه غير السحاب الذي للمطر (وانزلنا عليكم المنّ) ويسمى بذلك أيضا في التوراة العبرانية الدارجة او يسمى مان بفتحة مشالة إلى الألف . وقال بعض المفسرين انه الترنجبين وليس له مستند يعوّل عليه (والسلوى) وتسمى في التوراة العبرانية ايضا سلو . او سلاو . وفي السبعينية تقرأ سلبو وفي كتب اللغة انه طائر او نحو الحمامة (كلوا من طيبات ما رزقناكم) حكاية لخطاب القدماء في عصر موسى (وما ظلمونا) بما صدر منهم من المعاصي وكفران النعم وعبادة العجل وقولهم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فإن الله غني عن طاعتهم ولا تضره معصيتهم . بل هم الذين تنفعهم الطاعة وتضرهم

وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُم يَظلِمُونَ (٥٨) وَإِذ قُلنَا ادخُلُوا هَذِهِ القَريَةَ وَكُلُوا مِنهَا حَيثُ شِئتُم رَغَداً وَادخُلُوا البَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغفِر لَكُم خَطَايَاكُم وَسَنَزِيدُ المُحسِنِينَ (٥٩) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَولاً غَيرَ الَّذِي قِيلَ لَهُم

المعصية (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) بمعاصيهم (٥٨ وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية)لا اعرف قرية في زمان موسى (ع) أمروا بدخولها ودخول بابها سجداً على ما هو مذكور في الآية في نسق هذه القصص ومن البعيد جداً أن يراد بها الخيمة التي نصبها موسى في البر وقدسها للعبادة(١) إذ لا يناسبها اسم القرية ولا قوله تعالى (وكلوا منها حيث شئتم رغداً) نعم يناسبها ان تكون قرية بيت المقدس الذي بناه سليمان وكان بنو اسرائيل يأتونها في مواسمهم للعبادة ويتمتعون فيها بالرغد والأمن · ويمكن أن يكون هذا القول من الله قد جاء في الوحي إلى موسى (ع) فإن التوراة الرائجة تذكر ان موسى (ع) كان يذكر لهم من وحي الله احكام مجيئهم إلى المكان الذي يختاره الله بعد الخيمة كما في سفر التثنية متفرقاً من الفصل الثاني عشر إلى الحادي والثلاثين . ولا بعد في ان يوجد في هذه التوراة المحرفة شيء من انقاض التوراة الحقيقية والله العالم بحقائق الأمور (وادخلوا الباب سجدا) جمع ساجد ولعل المراد باب بيت المقدس والمعنى ان دخولكم يكون للسجود والعبادة والاستغفار كما هو شأن المساجد (وقولوا حطة) بالرفع خبر لمحذوف اي سجودنا وعبادتنا حطة لذنوبنا والجملة خبرية يراد بها الدعاء أي اجعل سجودنا وعبادتنا سبباً لحط ذنوبنا عنا يقال حط الحمل من الدابة أي ازاله وانزله عنها (نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين) بأعمالهم على المغفرة بالثواب (٥٩ فبدّل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم)وقالوا ما لا يرجع إلى الاستغفار وطلب الحط لأثقال ذنوبهم عنهم · ولعل من مصداق ذلك انهم حذفوا الأمر بالعبادة والاستغفار ودوام السجود في بيت المقدس وبدلوه بأن الله امرهم في التوراة بأنهم إذا لم يقدروا ان يحملوا زكواتهم ان يبيعوها بفضة وينفقوها في بلد بيت المقدس

(١) ذكرت في دعاء السمات بعنوان قبة الزمان بالزاي المعجمة وإن كان الناس يقرأونها قبة الرمان بالراء المهملة وهذا ترجمة حرفية لاسمها في التوراة العبرانية الرائجة « اهل موعد » اهل . قبة . وموعد . الزمان . والمترجمون للتوراة يترجمونها تحريفا بخيمة الاجتماع إلا طبعة قديمة بيروتية ترجمتها في بعض الموارد قبة الزمان

فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٦٠) وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * (٦١) وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا

بما تشتهي نفوسهم في البقر والغنم والخمر والمسكر (١) كما في الفصل الرابع عشر من سفر التثنية وهل يقبل ذو شعور ان الله يأمر بانفاق الزكاة بشرب الخمر والمسكر في بيت عبادته (فأنزلنا على الذين ظلموا) كرر ذكر الظالمين اما لتخصيص الرجز بالظالمين أو تسجيلاً لقبيح ظلمهم وبيانا لأن ظلمهم هو السبب في انزال الرجز عليهم (رجزاً) أي عذابا (من السماء بما) أي بسبب ما (كانوا يفسقون) ولم يستغفروا ويطلبوا حط ذنوبهم عنهم بل بدلوا ما قيل لهم (٦٠ وإذ استسقى موسى) طلب من الله السقيا (لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر) فضرب به وحذف ذلك لأن دلالة المقام عليه واضحة (فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً) يشربون من مائها (قد علم كل اناس مشربهم) وإن عدد العيون وامتياز الأناس بعضهم من بعض بالمشرب ليستفاد منه ان كل عين كانت مشرباً لسبط من اسباط بني اسرائيل الإثني عشر (كلوا واشربوا من رزق الله) الذي رزقكم إياه على سبيل المعجز وخارق العادة بدون شائبة من سعي أو تسبيب منكم وذلك هو المن والسلوى وهذا الماء المنفجر من الحجر فاشكروا الله واطلبوا رحمته وأطيعوه وتوكلوا عليه (ولا تعثوا) معناه قريب من لا تطغوا ونحوه (في الأرض مفسدين) حال من الضمير في لا تعثوا (٦١ وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد) لانجد له بديلا في بعض الأيام وهو المن والسلوى (فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها) وهو النبات الذي تخضر به الأرض ومنه النعنع والكراث والكرفس ونحوها مما يأكله الإنسان (وقثائها) وهو الخيار الطويل الأخضر (وفومها) روى في مجمع البيان مرسلاً عن الباقر «ع» ان الفوم الحنطة ورواه ابن جرير في تفسيره والسيوطي في الدر المنثور عن ابن عباس مستشهداً بقول

(١) ذكروا ذلك بنحو لا يقبل التأويل ففي الأصل العبراني « وبيايين » وهو اسم الخمر الصريح « وبسكار » وهو اسم صريح في المسكر

وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * (٦٢) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا

ابي محجن الثقفي أو احيحة بن الجلاح « ورد المدينة عن زراعة فوم » وروي في الدر المنثور عن ابن عباس ايضا انه الثوم وانه استشهد له بشعر امية بن الصلت ولا شهادة فيه وكلام اللغويين غير كاف في البيان (وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير) منه (اهبطوا مصراً) بالتنوين يحتمل ان يراد بها مصر المعروفة ونوّنت لجواز صرفها بسبب سكون وسطها كهند ورعد وان ذكرت في غير هذا الموضع اربع مرات غير منصرفة . أواهبطوا مصراً من الأمصار كما هو انسب بالتنوين والأمر بالهبوط على كلا الوجهين إنما هو للتعجيز لأن مصر هي بلاد عبوديتهم وذلتهم ومجمع عدوهم المنكوب مضافاً إلى انهم كتب عليهم التيه فكيف يستطيعون الهبوط إلى مصر (فإن لكم) هناك إن قدرتم وانى (ما سألتم وضربت عليهم الذلة) الظاهر ان الضمير لا يختص بالذين طلبوا البصل وما ذكر . فإنهم لم يعهد منهم قتل النبيين . بل يعود الضمير على نوع بني اسرائيل إذ ضربت عليهم الذلة (والمسكنة) كما يعرف ذلك جلياً بعد انحلال مملكتهم في السامره وتم ذلك بسبي بابل (وباؤا) يقارب معنى رجعوا (بغضب من الله . ذلك) أي ضرب الذلة والمسكنة ولزوم غضب الله عليهم (بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين) والصفة اللازمة لقتل النبيين كونه (بغير الحق) كقوله تعالى لا برهان له به في قوله جل شأنه في سورة المؤمنون ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه (ذلك) يحتمل أن يكون تأكيدا للاشارة الأولى ويحتمل قريبا انه اشارة الى قتلهم النبيين (بما عصوا) أي بعصيانهم الذي اعتادوه (وكانوا يعتدون) بحيث صار لهم الاعتداء عادة (٦٢ إن الذين آمنوا) أي اظهروا الإيمان من المسلمين (والذين هادوا) أي انتحلوا اليهودية . يقال في التاريخ ان بني اسرائيل من بعد سليمان ارتد اكثر اسباطهم الى الشرك وعبادة الأوثان وعجلي الذهب للذين عملها ملكهم ثم بادوا من بعد ذلك بالقتل والأسر ولم يبق لهم اسم ولا رسم قومي في الاسرائيلية . والذين بقوا على صورة التوحيد والشريعة على

وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ *

تقلب في الوثنية والايمان بحسب الأزمنة والملوك وبقي اسمهم وعنوان الموسوية واحترام بيت المقدس في اكثر الأزمنة فيهم الى اليوم إنما هم سبط يهودا ومن تبعهم كسبط بنيامين . فصار العنوان لمن ينتمي الى الملة الموسوية هم الذين هادوا . وذكر لهذه الصفة وجوه أخر والله العالم (والنصارى) وهم المنتمون الى اتباع الرسول عيسى . قيل مفرده نصران ونصرانةواستشهدوا له بقول الشاعر « وهو نصران شامس » وقول الآخر « كما سجدت نصرانة لم تحنف » وقيل في وجه التسمية انه من النصرة لقول المسيح من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله كما في سورتي آل عمران والصف . وقيل نسبة الى الناصرة قرية من بلاد الجليل في فلسطين نشأ فيها المسيح وكان يسمى الناصري فلحق المنتمين الى اتباعه هذا اللقب والله العالم (والصابئين) قيل فيهم اقوال كثيرة والظاهر ان منهم الصابئة الموجودين فيما بين البصرة وبغداد ولعلهم شعبة من اليهود امتازوا بديانة سرّية وربما عرف من بعضهم انهم ينتمون الى اتباع يحيى بن زكريا . ولهم في ديانتهم ولع شديد بالماء وعناية بأمره (من آمن) من هؤلاء (بالله) بحقيقة الايمان به في الاخلاص بتوحيده في الإلهية وما له جل شأنه من صفات الجلال والجمال (واليوم الآخر) على حقيقة الايمان بالمعاد الجسماني والجنة والنار والحساب والجزاء وما ذكر في القرآن الكريم في شأن اليوم الآخر . ومن كان كذلك لم يتمرّد على آيات الله ودلائله ولم تأخذه نخوة القومية بل يتفانى في طلب الحق ولا تأخذه فيه لومة لائم او نزعة اهواء (وعمل صالحا) على حقيقة الشريعة المقدسة ولا يخفى ان الايمان برسول الله محمد (ص) وبما جاء به لازم لحقيقة الايمان المذكور والعمل الصالح . ألا ترى اقلاً ان حقيقة الايمان بالمعاد واليوم الآخر على ما جاء في القرآن الكريم لا توجد عند فرقة من الفرق فضلا عن الايمان بالله وما له من الجلال والقدس والوحدانية حق الايمان(فلهم أجرهم) وجزاؤهم معدّ (عند ربهم ولا خوف عليهم) في الآخرة (ولا هم يحزنون) وخبر « ان » اما جملة من آمن مع جزائها واما جملة فلا خوف . ويكون من آمن بدلا من اسم ان والمعطوف عليه ودخلت الفاء على الخبر لأجل تضمن « مَن » معنى الشرط ولعل الأول اظهر . وقد روعي في « من » لفظها في آمن . وعمل . ومعناها في «لهم»

(٦٣) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * (٦٤) ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ * (٦٥) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ * (٦٦) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ *

وما بعدها (٦٣ وإذ) واذكروا يا بني اسرائيل إذ (أخذنا ميثاقكم) وهو العهد الموثق الذي أشير اليه في الآية الثامنة والثلاثين (ورفعنا فوقكم الطور) جبل سينا او قطعة منه وقد قيل في رفعه وتسميته ما لا يصلح حجة والله العالم (خذوا ما آتيناكم) وهو التوراة (بقوة) وفي موثقة البرقي سئل ابو عبد الله الصادق (ع) أقوة الأبدان او قوة القلب قال فيها جميعاً وعن العياشي عن الصادق (ع) نحو ذلك أي لا تهنوا في ابدانكم وقلوبكم عن أخذ ما في التوراة (واذكروا ما فيه) أي في التوراة ولا تنسوه ومن ذلك وصف النبي الذي يقيمه الله لهم من اخوتهم ولد اسماعيل لا منهم ويجعل كلامه وهو القرآن الكريم في فمه (لعلكم تتقون) أي لأجل أن تتقوا الله وجيء بلعلّ في مقام الغاية لأن حصول التقوى منهم غير لازم بل هو راجع الى حسن اختيارهم (٦٤ ثم توليتم) التولي بمعنى الاستدبار واستعمل هنا كناية عن الاعراض عما أخذ عليهم من الميثاق (من بعد ذلك) الأخذ للميثاق (فلولا فضل الله عليكم ورحمته) بقبول التوبة (لكنتم مـن الخاسرين) الذين ذهب رأس مالهم كني بالخسران عن هلكتهم بالضلال (٦٥ ولقد علمتم) شأن(الذين اعتدوا منكم في السبت) بعد ان نهاهم الله عن الصيد فيه وهم أهل القرية التي كانت حاضرة البحر كما ذكرت قصتها قبل هذا في سورة الاعراف المكية من الآية الثالثة والستين بعد المائة الى السابعة والستين (فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) على نحو قوله تعالى إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون (٦٦ فجعلناها) أي حادثة المسخ ولعلّ الأقرب انها القرية المدلول عليها في سورة الاعراف (نكالا) النكال اسم للعقوبة الظاهرة أو الباقية الأثر او لنفس الأثر والمصدر هو التنكيل (لما بين يديها وما خلفها) أي ظاهر لما بين يديها من القرى والأمكنة باعتبار اهلها كما يقال أثر للناظرين (وموعظة للمتقين) أي وتزيد بالنسبة للمتقين ان تكون لهم موعظة تزيدهم بصيرة في الإيمان والمعرفة وتسددهم للثبات على التقوى وهناك احتمالات أخر والله العالم

(٦٧) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ * (٦٨) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ * (٦٩) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ * (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ

(٦٧ واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة) وملخصا القصة مما رواه القمي بسند معتبر عن الصادق عليه السلام وابن بابويه في العيون في الصحيح عن الرضا عليه السلام ان رجلا من بني اسرائيل قتل ابن عمه غيلة واتهم بقتله بني اسرائيل فصاروا يتدارؤن ويدفعون عن انفسهم هذه التهمة فرجعوا في امرهم الى موسى فشاء الله ان يظهر حقيقة الامر بنحو المعجز فقال لهم موسى ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة فاستغربوا الحال و(قالوا) بجهلهم (أتتخذنا هزواً قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي) وفي الصحيح عن الرضا عليه السلام لو انهم عمدوا الى اي بقرة لأجزأتهم ولكن شدّدوا فشدد الله عليهم . وروي ذلك في الدّر المنثور من طرق متعددة عن النبي (ص) وابن عباس . وفي رواية القمي ان الله اشار باوصاف البقرة الى بقرة رجل بارّ بابيه جزاءً لبره ليشتروها بالثمن الغالي ولا تنافي بين الروايتين لجواز ان يكون ذلك نتيجة علم الله بتشديدهم على انفسهم (قال انه يقول انها بقرة لا فارض) لامسنة (ولابكر) فتية في اوائل سنها بل هي (عوان) ومتوسطة في منتصف عمرها (بين ذلك) اي ما ذكر من الوصفين (فافعلوا ما تؤمرون ٦٨ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها) اي شديد الصفرة وخالصها (تسر الناظرين ٦٩ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا) بهذه الصفات (وانا ان شاء الله لمهتدون ٧٠ قال انه يقول انها بقرة لا ذلول) الذلول السهلة المنقادة بالتذليل والتعليم للاعمال التي تراد من نوعها وهذه لا تنقاد لكل اعمال البقر و بين ذلك بانها (تثير الارض)

وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ * (٧١) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ * (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * (٧٣) ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ

وتنقاد لكرابها (و) لكنها (لا تسقي الحرث) اي الارض المزروعة اوالزرع ولا تطاوع لأن يدلى عليها من الآباروالأنهار (مسلمة) من العيوب (لاشية فيها) ليس فيها لون يخالف معظم لونها (قالو الآن جئت بالحق) اي بحق الوصف المبين والمعين (فذبحوها وما كادوا يفعلون) إما لغلاء ثمنها كما يروى واما لغير ذلك من الاسباب (٧١ واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها) اي قتلها بعض منكم فسرت فيكم التهمة والخصومة فصار كل منكم يريد ان يدفعها ويدرأها عنه (والله مخرج) بقدرته من سرّ الخفاء الى العلم والظهور (ما كنتم تكتمون) اي يكتمه القاتل منكم من القتل وسببه • وقد كان الأمر بذبح البقرة وتعنتهم في السؤال عنها وتثاقلهم عن ذبحها من متعلقات القتل واتهام بعضهم بعضا وتدارئهم لها فيما بينهم ولكن افرد الله تلك الأمور بالذكر تذكيرا لبني اسرائيل بتباطي اسلافهم عن امتثال امر الله • ونسبة موسى الى الاستهزاء لما بلغهم امر الله بما يزيح علتهم • وشقاقهم بكثرة السؤال حتى انهم ما كادوا يفعلون • وامتنانا عليهم بالمجازاة لهم في شقاقهم وتباطئهم عن اوامره لكي يرفع تخاصمهم وينجي البريء ويظهر البراءة بعلم اليقين• ثم شرع في تذكيرهم بمننه عليهم واظهار الحق وفصل الخصومة بالنحو المعجز الذي يوضح لهم قدرة الله وربط اطراف القصة بقوله جلت آلاؤه (٧٢ فقلنا اضربوه) اي المقتول المذكور في الآية السابقة (ببعضها) اي تلك البقرة التي امروا بذبحها فذبحوها• فضربوه ببعضها ورجع حيا واخبر بقاتله وظهر امر القتل بالمعجز حق اليقين وارتفعت الخصومة وقد دل على هذا كله سياق الكلام والتذكير بما فيه من المنة عليهم مع قوله جلت قدرته (كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون) بالتدبر والاعتبار بآيات الله وقدرته واحيائه الميت ورحمته لكم لكي تعرفوا رشدكم وتهتدوا الى سواء السبيل وان تعقلهم احد الغايات وان كان اشرفها واكثرها لهم نفعا • وجيء بلعل لأن تعقلهم غير لازم بل هو راجع الى حسن اختيارهم في التفكر وحسن الاعتبار والتبصر وعدم التناسي والانقياد الى وساوس الاهواء وضلالها (٧٣ ثم قست قلوبكم)

مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * (٧٤) أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ

فزاغت عن الاعتبار بآيات الله والتعقل لدلائل الرشد(من بعد ذلك) اي من بعد كل ماذكر من الآيات وافرد كاف الخطاب في « ذلك » باعتبار الجمع أو القوم لا الجماعة (فهي كالحجارة) في قسوتها وناهيك بها قسوة (او اشد قسوة) اي وان شئت ان تصفها باعتبار الاثار فهي اشد قسوة من الحجارة (وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار) ومن ذلك العيون الجارية من الجبال الصخرية (وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء) ومن ذلك مايحدث عند الزلازل من الانشقاق والانفجار (وان منها لما يهبط من خشية الله) وقد حدث هذا كله لبني اسرائيل وشاهدوه رأي العين في الحجر الذي انفجرت منه العيون والجبل الذي تجلى له الله فجعله دكا . واما انتم يا بني اسرائيل فلا تتأثر قلوبكم بالآيات ودلائل الحق بل تعملون بما يغريكم به الهوى المردي والشيطان المضل ويحملكم عليه العناد للحق والتمادي على الطغيان(وما الله بغافل عما تعملون) بل يمهلكم ويملي لكم ثم اليه ترجعون (٧٤ افتطمعون) خطاب لرسول الله (ص) والمؤمنين (ان يؤمنو لكم) بالله ورسوله وقرآنه ويجيبوا دعوتكم لهم الى حقيقة الايمان وهم اهل العناد والإصرار على الضلال على عمد (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله) عند خطابه لموسى . اومن موسى والانبياء مع اعترافهم بنبوتهم زيادة على دلالة المعجزات على ذلك (ثم يحرفونه) يغيرونه ويبدلونه لا عن جهل بل عن عمد وضلال (من بعد ما عقلوه) وفهموه حق الفهم (وهم يعلمون) انهم محرفون كاذبون على الله. هذا حال سلفهم في الغي . واما هؤلاء الذين تطمعون ان يؤمنوا لكم بالحق فهم كما في هذه الآية (٧٥ واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) من علم التوراة وتخبرونهم بما فيها من صفة محمد (ص) ورسالته والامر باتباعه (ليحاجوكم به) فتكون الغاية من ذلك ان تقوم به

عِندَ رَبِّكُم أَفَلا تَعقِلُونَ * (٧٦) أَوَلا يَعلَمُونَ أَنَّ اللهَ يَعلَمُ ما يُسِرُّونَ وَما يُعلِنُونَ * (٧٧) وَمِنهُم أُمِّيُّونَ لا يَعلَمُونَ الكِتابَ إِلاَّ أَمانِيَّ وَإِن هُم إِلاَّ يَظُنُّونَ فَوَيلٌ لِلَّذِينَ يَكتُبُونَ الكِتابَ بِأَيدِيهِم ثُمَّ يَقُولُونَ هٰذا مِن عِندِ اللهِ لِيَشتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيلٌ لَهُم مِمَّا كَتَبَت أَيدِيهِم وَوَيلٌ لَهُم مِمَّا يَكسِبُونَ (٧٨) وَقالُوا لَن تَمَسَّنَا النّارُ إِلاَّ أَيّاماً مَعدُودَةً قُل أَتَّخَذتُم عِندَ اللهِ عَهداً فَلَن يُخلِفَ اللهُ عَهدَهُ أَم تَقُولُونَ عَلَى اللهِ ما لا تَعلَمُونَ * (٧٩) بَلى

الحجة عليكم فيحاجوكم به (عند ربكم افلا تعقلون) ما يترتب على ذلك من الغايات . وفي تبيان الشيخ الطوسي (قده) وروي عن ابي جعفر عليه السلام انه قال كان قوم من اليهود ليسوا من المعاندين المتواطئين اذا لقوا المسلمين حدثوهم بما في التوراة من صفة محمد (ص) فنهاهم كبراؤهم عن ذلك وقالوا لا تخبروهم بما في التوراة من صفة محمد فيحاجوكم به عند ربكم انتهى فتعساً لأوهامهم (٧٦ او لا يعلمون ان الله) ربهم الذين يكتمون الحق حذرا من محاجة المؤمنين لهم عنده هو الله الذي (يعلم ما يسرون وما يعلنون ٧٧ ومنهم اميون) الامي كما في مجمع البيان من لا يحسن الكتابة ولا القراءة (لا يعلمون الكتاب الا اماني)استثناء منقطع بمعنى ليس لهم الا الاكاذيب والاختلافات التي يسمعونها من المدلسين . او ليس الا اماني العلم (وان هم الا يظنون) ظنا بما يسمعونه (فويل) مبتدأ لانه نكرة مفيدة وللذين خبره والويل الحزن والهلاك والمشقة من العذاب (للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا) من حطام الدنيا والزعامة الكاذبة او ترويج الباطل قال في مجمع البيان انهم عمدوا الى التوراة وحرّفوا صفة النبي (ص) ليوقعوا الشك بذلك للمستضعفين من اليهود وهذا هو المروي عن ابي جعفر (ع) (فويل لهم مما كتبت ايديهم) اذ يحرفون ذلك اولا يعلمون بما يوجبه (وويل لهم مما يكسبون) من الآثام والكفر واعمال الضلال اوالتحريف لأجل الاضلال وكتمان الحق (٧٨ وقالوا) اي اليهود (لن تمسنا النار الا اياما معدودة) اي قليلة (قل) لهم يا رسول الله (اتخذتم)على سبيل الاستفهام الانكاري (عند الله عهدا) منه على ذلك (فان يخلف الله عهده ام تقولون) افتراءً او تحكماً (على الله) في هذا الزعم الباطل (ما لا تعلمون ٧٩ بلى)رد لقولهم

مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨٠) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨١) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ * (٨٢) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ

وبيان لحقيقة الامر وهو ان (من كسب) بسوء اختياره (سيئة واحاطت به خطيئته) اي لزمته واستولت عليه استيلاء الشيء المحيط به ولم يكفرها عنه الايمان والتوبة بعد الكفر (فاولئك) اشير بالجمع باعتبار الجمع في معنى من كسب (اصحاب النار هم فيها خالدون) الى الابد (٨٠ والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك اصحاب الجنة هم) دون غيرهم (فيها خالدون ٨١ واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل) اي واذكروا اذ قلنا لهم اقوالا واوصيناهم بها واخذنا منهم العهد الموثق بالعمل بها (لا تعبدون الا الله) وحده لا شريك له في العبادة والالهية والجملة خبرية يراد بها النهي والخبرية في مقام الطلب ابلغ من الانشائية وهي والجمل المعطوفة عليها معمولة للقول المدلول عليه باخذ الميثاق (وبالوالدين احسانا) احسانا مصدر نائب عن الفعل وهذا السبك أبلغ وآكد من ان يقال وأحسنوا (وذي القربى واليتامى والمساكين) عطف على الوالدين في الامر بالاحسان بهم (وقولوا للناس حسنا) وهذه الوصايا غير مختصة ببني اسرائيل بل هي من اهم ما يقتضيه اللطف بكل امة ارسل اليها رسول . روي في الكافي بسند معتبر عن الصادق (ع) في قوله تعالى وقولوا للناس حسنا قال قولوا للناس حسنا ولا تقولوا الا خيراً حتى تعلموا ما هو روى ابن بابويه بسند معتبر عن الباقر عليه السلام قولوا للناس احسن ما تحبون ان يقال فيكم الحديث (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم) وادبرتم في المخالفة لذلك الميثاق (الا قليلا منكم وانتم معرضون) عن الميثاق متمردون على أوامر الله ونواهيه (٨٢ وإذ أخذنا ميثاقكم) التفات الى خطاب اليهود اما باعتبار أخذ الميثاق على اسلافهم او باعتبار ان إيمانهم برسالة موسى وتوراتهم التزام بالوصية الشاملة لهم واعطاء للميثاق عليها كاسلافهم (لا تسفكون دمائكم) لا يسفك بعضكم دم بعض (ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) لا يخرج بعضكم بعضا من بلادكم

ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ * (٨٣) ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيارِهِمْ تَظاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسارى تُفادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْراجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَما جَزاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَيَوْمَ الْقِيامَةِ يُرَدُّونَ إِلى أَشَدِّ الْعَذابِ وَمَا اللهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * (٨٤) أُولئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَياةَ الدُّنْيا بِالآخِرَةِ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ * (٨٥) وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ وَقَفَّيْنا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ

وعبر بالأنفس تأكيدا في النهي فإنهم أمة واحدة وبنو أب واحد والكلام في الجملة الخبرية في مقام الطلب ومحالها من الاعراب كما تقدم (ثم أقررتم وأنتم تشهدون) بأخذ الميثاق (٨٣ ثمَّ أنتم هؤلاء) القوم الذين أخذ عليهم الميثاق وأقروا وشهدوا ذكر ذلك للتغليظ في التوبيخ (تقتلون أنفسكم) يقتل بعضكم بعضا (وتخرجون فريقا منكم من ديارهم) بغير حق بل (تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان) وهم قومكم ومنكم (وإن يأتوكم أسارى) مستعينين بكم على فدائهم (تفادوهم) وتبذلون فداءهم عملا بكتابكم فلماذا تخرجونهم من ديارهم ظلما (وهو) والشأن انه (محرم عليكم) في الكتاب (اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم) اي القتل والإخراج . او التقلب الأهوائي في الايمان والكفر (الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيمة يردُّون) بيان لأن المراد من قوله ومن يفعل هو الجمع (الى اشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون) فانه لا تخفى عليه خافية وقد اعدّ لكل عمل جزاءه (٨٤ اولئك) اي المنافقون لميثاق الله هم (الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة) وما اقبح خسرانهم بهذا الشراء اذن (فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون) ومن ذا الذي ينصرهم على الله (٨٥ ولقد آتينا موسى الكتاب) اي التوراة (وقفينا من بعده) اي اتبعناه بعد موته (بالرسل) في الكافي في باب الفرق بين الرسول والنبي أنَّ الرسول هو من يعاين الملك ويأتيه جبرآئيل فيراه ويكلمه بالوحي كما في صحيحتي زرارة والأحول عن الباقر(ع) وروايتي اسماعيل عن الرضا (ع) وبريد عن الباقر(ع) والصادق (ع) والذين ذكرت اسماؤهم من الأنبياء بعد موسى هم داود وسليمان والياس واليسع وذوالكفل والظاهر انه حزقيال

وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ * (٨٦) وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ * (٨٧) وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا

ويونس وزكريا ويحيى والمسيح ورسول الله (ص) . والذين نص القرآن على رسالتهم هم الياس ويونس والمسيح ورسول الله صلى الله عليه وآله (وآتينا عيسى بن مريم البينات) من المعجزات (وايدناه بروح القدس) جبرائيل . يا بني اسرائيل (افكلما جائكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم) على دعوته الى دعوته الى الحق وجهدتم في مضادته ومعاندة الحق (ففريقا) من الرسل (كذبتم وفريقا تقتلون ٨٦ وقالوا) اي بنو اسرائيل (قلوبنا غلف) اي في غلاف لا نفهم ما يقول الرسول في تبليغه وغرضهم العيب لما يقوله في التبليغ كما حكى الله عن المشركين في سورة حم السجدة «وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب» وليسوا لا يفهمون ما يقول رسول الله (ص) فإنه اتى في رسالته وتبليغه بما تقتضيه الفطرة وبداهة العقول ولا يخفى صلاحه على احد (بل) تمردوا على الله وكفروا على عمد فحرمهم بركة التوفيق و (لعنهم الله) وابعدهم عن رحمته (بكفرهم) وعنادهم (فقليلا ما يؤمنون) الفاء للتفريع على حرمانهم من التوفيق وطردهم عن رحمة الله بعتوهم في كفرهم و «قليلا» صفة للمصدر اي إيمانا قليلا و «ما» لتأكيد القلة بزيادة الإبهام في القليل . والظاهر ان المراد بقلة ايمانهم قلة من آمن منهم (٨٧ ولما جاءهم كتاب من عند الله) وهو القرآن الكريم بما فيه من دلائل الاعجاز والحجج على انه من الله (مصدق لما معهم) من التوحيد وارسال الرسل وانزال الكتب والشريعة (وكانوا) اي هؤلاء المردة المعاندون (من قبل) اي من قبل انزال القرآن او مجيء الرسول الى المدينة (يستفتحون على الذين كفروا) روي في الكافي في الموثق عن الصادق عليه السلام ما ملخصه ان اليهود كانت تجد في كتبها ان مهاجرة محمد (ص) ما بين عير واحد فخرجوا يطلبون الموضع ونزله قوم منهم ثم صاروا يقولون للأوس والخزرج اما لو قد بعث محمد لنخرجنكم من ديارنا فلما بعث الله محمداً (ص) آمنت به الأنصار وكفرت به اليهود وهو قول الله وكانوا من قبل يستفتحون . وعن تفسير العياشي عن الصادق (ع) مثله . وفي صحيحة اسحق بن عمار

فَلَمَّا جَاءَهُم مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ * (٨٨) بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ * (٨٩) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ

عن الصادق (ع) ما يقرب من هذا . وكذا الحديث الأول والسابع والثامن الذي صححه الحاكم مما رواه في الدرّ المنثور . فيكون معنى يستفتحون يستنصرون بالتهديد او يطلبون في كلامهم ما يأملون من الفتح والنصر في المستقبل . وروى في الدرّ المنثور ايضا ان اليهود كانوا عند محاربتهم للعرب يستنصرون الله في الدعاء باسم النبي محمد (ص)(فلما جاءهم ما عرفوا) من امر النبي (ص) ورسالته وان الله يجعل كلامه في فمه(كفروا به) مع معرفتهم به ككفر ابليس (فلعنة الله على القوم الكافرين ٨٨ بئسما اشتروا به انفسهم) في مجمع البيان اكثر الكلام اشتريت بمعنى ابتعت وربما استعمل اشتريت بمعنى بعت انتهى ولكن فيه هنا كما في التبيان والكشاف اشتروا بمعنى باعوا اقول ويجوز ابقآء الاشتراء على معناه المتعارف وتكون الآية توبيخا وتسفيها لليهود فإن حق النفس ان تشترى بالإيمان والاخلاق الفاضلة والعمل الصالح في هذه الحياة الدنيا لتكون كاملة زكية فائزة بالسعادة الأبدية . اذن فما بال هؤلاء السفهآء قد حملهم الحسد الذميم على ان يحفظوا لأنفسهم خرافات القومية والجامعة اليهودية وجعلوا الثمن لاشترائها لهذا الغرض الوخيم هو الكفر بآيات الله حسدا وبغيا فبئس ما فعلوا وبئس الذي اشتروا به انفسهم او بئس شيئا اشتروا به (ان يكفروا بما انزل الله) اى كفرهم بما انزل الله وهو المخصوص بالذم مثل عمرو في قولهم بئس الرجل عمرو وتزداد شناعة كفرهم بما انزل الله مع معرفتهم بأنه كلام الله المنزل الذي وعدوا به بأن كفرهم هذا كان حسدا و(بغيا) على ان يبعث الله من غيرهم رسولا و (ان ينزل الله من فضله) كلامه وآياته ووحي ارساله (على من يشاء من عباده) ويعلم اهليته للرسالة من ولد اسماعيل (فباءوا) نحو معنى رجعوا (بغضب على غضب) غضب الله عليهم من أجل الكفر مع المعرفة وقيام الحجة وغضبه من أجل حسدهم وبغيهم وعنادهم للرسول لكونه من غيرهم (وللكافرين عذاب مهين) يذلهم ويهينهم (٨٩ وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله) من القرآن بأنه كلام الله المنزل على رسوله الكريم

قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩٠) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (٩١) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ

وانقادوا بإيمانكم الى اتباعه فقد عرفتم انه من الله وقامت به الحجج عليكم (قالوا) مـن غيهم وبغيهم وضلال عصبيتهم اليهودية (نؤمن بما أنزل الينا) ومفهوم قولهم الكفر بغير ما في كتبهم (ويكفرون بما وراءه) أي بما عداه مما أنزله الله عـلى غيرهم كقوله تعالى « وأحل لكم ما وراء ذلك » اوما بعده (و) الحال ان القرآن يكفرون بـه إذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله (هوالحق مصدقا لما معهم) من صفة الرسول وان الله يجعل كلامه في فمه وانه من اخوتهم ولد اسماعيل لا منهم أي هو الحق الذي يكون به صدق تلك المواعيد ثم ردّ الله منطوق قولهم نؤمن بما أنزل الينا مبينا كذبهم في هذه الدعوى وتمادي اسلافهم على معاندة الايمان والقوم ابناء القوم وعلى وتيرتهم فقال جل اسمه لرسوله (قل) لهم في ردهم (فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين) بما أنزل اليكم فإن أنبياء الله لم يدعوكم إلا إلى الإيمان والعمل بما انزل اليكم (٩٠ ولقد جائكم موسى بالبينات) والآيات الباهرة التي لا مجال بعدهـا للشك والانحراف عن الإيمان (ثم اتخذتم العجل من بعده) وارتددتم ذلك الارتداد القبيح واشركتم (وانتم ظالمون ٩١ و) اذكروا (إذ أخذنا ميثاقكم) عـلى الإيمان والتوحيد والعمل بالتوراة (ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا) وهو معنى قوله تعالى في الآية الستين « واذكروا ما فيه لعلكم تتقون » (قالوا سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم) أي انهم بسبب كفرهم وغيهم انهمكوا في حب العجل حـتى كأن العجل دخل في اعماق قلوبهم كما يدخل المشروب الذي يقبل عليه الانسان الى اعماق بدنه حتى صار العجل كالحبيب الحاضر في القلب بحبه . والذي اشربهم إياه في قلوبهم هو الشيطان او غوايـة الاهواء . ثم عاد الكلام على توبيخهم وردهم في قولهم الكاذب « نؤمن بما أنزل الينا » بما معناه ان الإيمان يأمر ويحمل عـلى اتباع ما آمن الانسان بهِ والعمل بـهِ . والذي انزل عليكم يأمركم بتوحيد الله ومجانبة

قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٩٢) قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٩٣) وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٩٤) وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ

الأوثان وعبادته وحده وطاعة الأنبياء واحترامهم والإيمان برسول او كتابه . أفتقولون ان إيمانكم المزعوم الموهوم أمركم بما ذكر من افعالكم القبيحة إذن (قل بئسما يأمركم بِهِ إيمانكم) واين منكم الإيمان ولكن قيل (إن كنتم مؤمنين) للمجاراة في خطابهم والتنازل من النفي الى صورة التشكيك وهذا من بديع الأساليب في التقريع والتوبيخ . ومن افحامهم بالحجة انهم يدعون انهم هم شعب الله ولهم الآخرة والنجاة والنعيم وانهم ابناء الله وأحباؤه كما في سورة المائدة ويذكرون في توراتهم انهم ابن الله البكر فقال الله لرسوله (٩٢ قل) لهم (إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة) مختصة بكم (من دون الناس فتمنوا الموت) شوقا لما أعد في الآخرة من النعيم العظيم الدائم والسعادة الكبرى لأهلها (إن كنتم صادقين) في زعمكم عارفين بصدقكم (٩٣ ولم يتمنوه أبداً بما قدمت ايديهم) من موبقات الخطايا والضلال وإن جحدوا ذلك فإنه لا يخفى على الله (والله عليم بالظالمين ٩٤ و) وزيادة على انهم لا يتمنون الموت (لتجدنهم احرص الناس على حيوة) أي حياة ما وإن كانت قليلة (و) احرص على الحياة (من الذين اشركوا) الذين ينكرون المعاد والنعيم بعد الموت (يودّ احدهم) من حرصهم على الحياة (لو يعمر) الظاهر ان « لو » بعد « ودّ . ويودّ » مصدرية كما حكاه في المغني عن الفراء وابي علي وابي البقا والتبريزي وابن مالك . يؤتى بها بدل « ان » فيما كان مدخولها بعيد الحصول او ممتنعا في نفسه او بحسب العادة . او يراد ابرازه بصورة البعيد او الممتنع . وذلك كما في الآية والآية ١٠٣ وسور آل عمران ٢٨ و ٦٢ والنساء ٤٥ و ٩١ و ١٠٣ والحجر ٢ والاحزاب ٢٠ والقلم ٩ والمعارج ١١ . وما لا يكون كذلك تأتي فيه مكان « لو » أن المفتوحة المشددة المصدرية كما في صورتي الأنفال ٧ وهود ٨٢ . أو « ان » الساكنة المصدرية كما في هذه السورة ٩٩ و ٢٦٨ . أو « ما » المصدرية كما في سورة آل عمران ١١٤ وليس في « لو » هذه معنى التمني كما هو ظاهر وبدليل ان ما يقع بعد الفاء متفرعا على ما بعدها لم يجئ في القرآن إلا

الفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ العَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ * (٩٥) قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ *

مرفوعا كقوله تعالى في سورة النساء ٩١ ودّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء و ١٠٣ ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أمتعتكم واسلحتكم فيميلون عليكم وفي سورة القلم ٩ ودّوا لو تدهن فيدهنون . والتي هي للتمني جاء ما بعد الفاء بعدها منصوبا كما في قوله تعالى١٦٢ لو ان لنا كرّةً فنتبرأ منهم وفي سورة الزمر لو ان لي كرة فأكون بنصب اكون « فإن قيل » ان « لو » التي بعد يودّ وودّ كيف تكون مصدرية مع انها تقع بعدها اداة مصدرية كما في قوله تعالى في سورة آل عمران ٢٨ تودّ لو ان بينها وبينه أمدا . وفي سورة الأحزاب ٢٠ يودّوا لو انهم بادون « قلت » ان « لو » كيفما كانت لا تدخل على الجملة الاسمية بل لا بد فيها من تقدير فعل . فالتقدير إذن لو يمكن او لو يتيسر ونحوهما كما تقول تود أن يتيسر ان بينها وبينه امدا ويودوا أن يمكن او يتيسر انهم بادون. وعبر بذلك التعبير لخصوصية « لو » وظهور المقام وخصوص الجملة الاسمية في مزايا الكلام كما لا بد من هذا التقدير على قول القائل انها للتمني (الف سنة) وماذا ينفعه ذلك التعمير . هل يحط عنه شيئا من ذنوبه او يدفع عنه العذاب ما لم يؤمن ويعمل صالحا . كلا (وما هو) أي احدهم (بمزحزحه) مزحزحه خبر للضمير هو والباء زائدة لتأكيد النفي (من العذاب أن يعمر) المصدر فاعل لمزحزحه أي وما هو مزحزحه تعميره (والله بصير بما يعملون) من السيئات وان طول اعمارهم في عمل السيئات هو الذي يركسهم في درك العذاب (٩٥ قل من كان عدوا لجبريل فإنهُ نزّلهُ) أي القرآن (على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديهِ) لما تقدمهُ من كتب الله الحقيقية ومعارف الحق (وهدى) حال ثان معطوف على مصدقا (وبشرى للمؤمنين) اي ان الذي يهتدي ويصل بهِ الى الحق ويكون القرآن له بشرى انما هم المؤمنون . والآية تشعر بان لها شأن وسبب نزول والسياق يقتضي ارتباطه باليهود . وقد روي في ذلك شيء ذكره في الدرّ المنثور ولكنه غير متصل الإسناد ولا سالم من الخلل . وروي في تفسير البرهان شيء وفي مستنده ما فيه وذكر القمي شيئا ولم يذكر مأخذه والله هو العالم بحقيقة الحال (٩٦ من كان عدوا لله وملائكته ورسله

(٩٦) مَنْ كانَ عَدُوّاً لِلّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِلْكافِرِينَ * (٩٧) وَلَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ آياتٍ بَيِّناتٍ وَما يَكْفُرُ بِها إِلاَّ الْفاسِقُونَ * (٩٨) أَوَكُلَّما عاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ * (٩٩) وَلَمّا جاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ كِتابَ اللّهِ وَراءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ * (١٠٠) وَاتَّبَعُوا ما تَتْلُوا الشَّياطِينُ عَلى مُلْكِ سُلَيْمانَ وَما كَفَرَ سُلَيْمانُ وَلكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النّاسَ السِّحْرَ وَما أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبابِلَ هارُوتَ وَمارُوتَ

وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين) اي لايكون كذلك الا كافر والله عدوللكافرين وكفى بذلك خزيا لهم ووبالا (٩٧ ولقد أنزلنا اليك آيات بينات) لا ريب فيها (وما يكفر بها إلا الفاسقون) الذين خرجوا من طاعة الحق والرشاد واستحبوا الكفر (٩٨ أوكلما) الاستفهام للتوبيخ والتقريع على عادتهم القبيحة من انهم كلما (عاهدوا) الله او رسله او أنبياءه عهدا نبذه) والقاه كناية عن نقضه ومخالفته (فريق منهم) ليس الفريق القليل (بل اكثرهم لا يؤمنون) ولا يثبتون على عهدهم ومنهم بنو قريضة والنضير وقينقاع وغيرهم ممن نقض عهده وميثاقه لرسول الله والمسلمين اقبح نقض باقبح عذر (٩٩ ولما جاءهم رسول من عند الله) وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم (مصدق لما معهم) من التوحيد وارسال الرسل وانزال الكتب الإلهية وصفات الرسول الذي وعدوا به وتبين لهم انه هو المصداق المصدق وجاءهم بالكتاب كلام الله المذكور في توراتهم (نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب) وهم الأكثر الذين لا يؤمنون (كتاب الله) القرآن الذي قامت به عليهم الحجة وعلموا بأنه كتاب ورموه (وراء ظهورهم) كناية عن اعراضهم وكفرهم به (كأنهم لا يعلمون) انه كتاب الله المبشر به في كتبهم وقامت به الحجج النيرة (١٠٠ واتبعوا) من الأباطيل والكفر (ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان) أي على اهل مملكته (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على على الملكين ببابل هاروت وماروت) روى ابن بابويه في العيون عن الرضا عليه السلام ان هاروت وماروت علما الناس السحر ليحترزوا به عن سحر السحرة ويبطلوا كيدهم وذكر مضمون

وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا

قوله تعالى (وما يعلمان من أحد حتى) ينذراه و (يقولا إنما نحن) من جهة (فتنة) وابتلاء وامتحان نعلم الناس لغاية صحيحة (فلاتكفر) وتستعمل ما نعلمه في غايات الضلال (فيتعلمون) أي اليهود (منهما) من الشياطين وهاروت وماروت او من المتعلمين منهما (ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا باذن الله) والمراد من الاذن عدم ابطال الله لأثر السحر أي ليس أثر السحر أمر لازم لا يقدر الله على رفعه ولكن لم يبطله بل خلى بينه وبين الناس في سوء اختيارهم كما خلى بينهم وبين سائر المعاصي وانواع الظلم لحكمة قدرها في العالم (ويتعلمون) من السحر (ما يضرهم ولا ينفعهم) إذ لا يستعملونه في ابطال سحر السحرة ودفع كيدهم . روى القمي في تفسيره ان الباقر(ع) سأله عطاءكة عن هاروت وماروت فذكر من أمرهما في المعصية نحو ما يذكر الجمهور عن ابن عباس وابن عمر وكعب الأحبار كما تراه مجموعا في الدر المنثور وفيما ذكرنا روايته عن الرضا(ع) نحو معارضة لما روي عن الباقر عليه السلام وراويه عن الباقر محمد بن قيس وهو مشترك بين الضعيف وغيره ويمكن أن يكون الباقر (ع) بحسب حال الوقت وعطا حكى له مايروونه عن ابن عمر وابن عباس و كعب من دون مايشعر بتصديقه . والشيخ في التبيان لم يشر الى هذه الرواية ويبعد أن يكون لم يطلع عليها. والقول بكونها منافية لعصمة الملائكة يمكن دفعه بأن يقال بأن المسلم من عصمتهم هو ما داموا مجردين عن الشهوة والحرص لا ما إذا جعلا فيهم كما تقوله الرواية والله العالم بحقيقة الحال (ولقد علموا) اللام للقسم والجملة التي بعدها جوابه (لمن اشتراه) اللام للابتداء و« من » مبتدأ والضمير يعود الى السحر وما تتلوه الشياطين . وعبر عن اتباعه وتعلمه بالشراء اشارة الى انهم بذلوا بازائه وبدلا عنه دينهم وآخرتهم فمن اتبعهُ واشتراه (ماله في الآخرة من خلاق) أي نصيب وذلك هو الخسران المبين وجملة « ماله » خبر «لمن» والجملة من المبتدأ والخبر معموله « لعلموا » لأن الأصل في افعال القلوب أن تتعلق في العمل بالنسب الموجودة في الجمل (ولبئس ما شروا)

بِهِ أَنفُسَهُم لَو كَانُوا يَعلَمُونَ * (١٠١) وَلَو أَنَّهُم آمَنُوا وَاتَّقَوا لَمَثُوبَةٌ مِن عِندِ اللهِ خَيرٌ لَو كَانُوا يَعلَمُونَ *(١٠٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرنَا

أي باعوا . ويمكن أن يراد بهِ معنى الاشتراء المتعارف على نحو ما ذكرناه في الآية الثامنة والثمانين (بهِ أنفسهم لو كانوا يعلمون) فانهُ اقبح الأثمان وأخسها (١٠١ ولو انهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير) لهم مما يرونه بعمل السحر وتعلمه فضلا عن كمال الإيمان والتقوى وخسة السحر ونقصه واللام رابطة لجواب « لو » ومثوبة بمعنى ثواب مبتدأ وخير خبره والجملة جواب لو . ونكرت « مثوبة » لبيان ان فرداً واقل مصداق مما عند الله من الثواب خير لهم مما اتبعوه (لو كانوا يعلمون) ولو هنا بمعنى التمني جرياً على ما يستعمله الناس في المحاورات في مثل المقام والله يجل ويتقدس عن حقيقة التمني (١٠٢ يا ايها الذين آمنوا) اخرج احمد في مسنده عن ابن عباس وفي الدر المنثور اخرج ابو نعيم في الحلية عن ابن عباس قال قال رسول الله(ص) ما أنزلت آية فيها يا ايها الذين آمنوا إلا وعليٌ رأسها واميرها . وفي الحلية ان الناس يروون هذا الحديث وفي الينابيع اخرجه موفق بن احمد عن مجاهد وعكرمة عن ابن عباس عن رسول الله(ص) وقال موفق رواه جماعة من الثقاة هم الأعمش والليث وابن أبي ليلى وغيرهم عن مجاهد وعكرمة وعطا عن ابن عباس عن رسول الله . وفي الصواعق اخرجهُ الطبراني وابن ابي حاتم عن ابن عباس واللفظ إلا وعلي عليهِ السلام اميرها وشريفها . وفي كشف الغمة من نحو هذا كثير عن ابن مردويه بأسانيده عن ابن عباس وحذيفة . ولا معنى للرواية إلا أن علياً(ع) رأس الذين آمنوا واميرهم وشريفهم (لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا) جاء في الآية التاسعة والاربعين من سورة النساء ان اليهود يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون راعنا لياً بألسنتهم وطعنا في الدين . وفي تبيان الشيخ قال ابو جعفر (ع) يعني الباقر هذه الكلمة « يعني راعنا » سبٌ بالعبرانية اليه كانوا يذهبون قال الحسين بن علي المغربي فبحثت عن ذلك أي عن السب الذي ذكره الباقر(ع) فوجدتهم يقولون راع على وزن قال بمعنى الفساد انتهى اقول وقد تتبعت العهد القديم العبراني فوجدت ان كلمة « راع » بفتحة مشالة الى الألف وتسمى عندهم « قامص » تكون بمعنى الشر او القبيح . ومن ذلك ما في الفصل الثاني والثالث من السفر الأول من توراتهم وبمعنى الشرير واحد الأشرار . ومن ذلك ما في الفصل الأول

وَٱسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ * (١٠٣) مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ * (١٠٤) مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا

من السفر الخامس. وفي الرابع والستين والثامن والسبعين من مزاميرهم. وفي ترجمة الأناجيل بالعبرانية و« نا » ضمير المتكلم وفي العبرانية تبدل الفها واواً او تمال الى الواو فتكون راعنا في العبرانية بمعنى شريرنا ونحو ذلك. وراعنا في العربية فسرها في التبيان استمع منـا ونسمع منك وفي القاموس استمع لمقالي وفي النهاية المراعاة الملاحظة ونهى المؤمنون عن قولهم لرسول الله (ص) راعنا لئلا يتخذها اليهود في خطابهم لرسول الله وسيلة لسبه والطعن في الدين (واسمعوا) ما يقول الرسول (وللكافرين) الذين يسبون رسول الله او الذين لا يسمعون قوله (عذاب أليم ١٠٣ ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا) من(المشركين أن ينزل عليكم من خير) من زائدة لوقوعها في حيز النفي وفائدتها بيان الاستغراق وتأكيده (من ربكم والله يختص برحمته) ورسالته (مـن يشاء) عـلى مقتضى المصلحة والأهلية فإنه اعلم حيث يجعل رسالته (والله ذو الفضل العظيم) لا يمنع فضله عمن هو اهل من أي قوم كان (١٠٤ ماننسخ من آية) قد سمى القرآن ما جاء في الكتب الإلهية السابقة بالآية والآيات ومدح من يتلوها ففي سورة آل عمران بعد ذم اهل الكتاب « ١٠٩ ليسوا سواء من اهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون » وفي سورة مريم بعـد ذكر النبيين والصالحين من السلف « ٥٩ إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خرُّوا سجدا وبكيا فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة الآية » وفي سورة الزمر « ٧١ ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم» والنسخ والتبديل نظيران والظاهر ان المراد تبديلها لا تبديل حكمها بالنسخ الاصطلاحي فإن في الثاني تجوز لا قرينة عليه بل قد يمنع منه السياق والضماير (او ننسها) بضم النون الأولى وسكون الثانية وكسر السين وحذف الياء حرف العلة للجزم بالعطف على ننسخ وهو من النسيان وأنسى بالألف اللينة حرف العلة ينسى بالياء في آخرها لا من النسيء وانسأ ينسأ بالهمزة في الأواخر ولو كان من ذلك لكان جزمه بسكون الهمزة أو الياء إذا ابدلت ياء إذ لا يجوز حذفها لأنها ليست بحرف علة وإن مناسبة السياق في الآية التي قبلها لتشير الى ان المضمون هو انه وان كبر على اهل

نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * (١٠٥) أَلَمْ

الكتاب نسخ كتب الأنبياء وآياتها بالقرآن وآياته في مقام التلاوة والذكر والصلاة والشريعة والهداية وغير ذلك فضلا عن ان تلك الكتب وآياتها قد حرفت وبدلت حتى صارت حقيقتها نسياً منسيا فإن القرآن منزل من الله بحسب المصلحة التي اقتضت انزاله وانه ما ننسخ من آية او ننسها (نأت بخير منها) في الأثر . (او مثلها) ونسب الإنساء الى الله مجازا كما نسب الاضلال باعتبار تمرد المنتسبين الى كتابها حتى خرجوا عن أهلية اللطف والتوفيق فوكلهم الله الى انفسهم الأمارة فحرفوها وبدلوها الى ان صارت نسيا منسيا . ولا مصداق لهذه الآيةفي آيات القرآن بعضها مع بعض . امـا نسخ نفس الآية القرآنية بمعنى نسخ تلاوتها فلا تكاد أن تعرف له مصلحة تقتضيه فضلا عما يختلج من وجوه المفسدة مضافا إلى انه لا دليل على وقوعه ولئن روي في ذلك شيء فقد مرّ في الأمر الثاني والثالث من الفصل الثاني من المقدمـة ما يبطله ويكذبه وقد حكي عن مقالات الشيخ المفيد ان عدم هذا النسخ مذهب الشيعةوجماعة من اهل الحديث وغيرهم . واما ما حكي عن العلامة في نهاية الأصول . والكركي فيطهارة جامعه والطبرسي. في اقسام النسخ من القول بوقوعه . فقد استندواله بما يزعم من آية الرجم وقد اشرنا الى ما فيها مضافا الى ما ذُكر . والظاهر ان نسخه بهذا المعنى مناف لقوله تعالى «انا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » واماانساؤهاونسيانها فهو مناف لآية الحفظ المذكورة ولقوله تعالى « سنقرئك فلا تنسى » ولا تشبث بقوله تعالى « إلا ما شاء الله » فإن حمل الكلام على الاستثناء بالمشيئة لا يبقي وجهـا للامتنان والوعد بقوله تعالى « سنقرئك فـلا تنسى » بل ان المقصود منهالاستدراك لبيان ان عدم النسيان إنما هو بقدرة الله ومشيئته لالأمر طبيعي لازم بل لو اقتضت المصلحة وشاء الله ان يتركـه وبشريته لنسي كما في قوله تعالى في سورة هود ١١٠ « واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مـا دامت السماوات والارض إلا ما شاء ربك عطاء غيرمجذوذ » وقد اطلنا الكلام في المقام لأنه لم يعط حقه (ألم تعلم) خطاب وتوبيخ للانسان بدليل ما يأتي (أن الله على كل شيء قدير) ينزل الخير ويرسل الرسل ويرحم ويلطف بهم ويأت بخير مما نسخ ولايخص بلطفه قوما دون قوم وهم اهل له (١٠٥ ألم تعلم) ايهاالانسان (أن الله له ملك السموات والأرض) وكل الناس عباده يفعل مايشاء وما يقتضيه لطفه ورحمته

تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ * (١٠٦) أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ * (١٠٧) وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * (١٠٨) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ *(١٠٩) وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ

بمن هو اهل ولا يفوته احد ممن تمرد عليه وعصاه (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ١٠٦ أم تريدون أن تسئلوا رسولكم) الذي ارسل اليكم كافة (كما سئل موسى من قبل) من طلبهم روءية الله وغير ذلك من اقتراحات العباد (ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل) يقال ضل الطريق وضل عنه (١٠٧ ودَّ كثير من اهل الكتاب لو يردُّونكم من بعد إيمانكم كفاراً) قد تقدم الكلام في « لو » بعد « ودَّ » في الآية الرابعة و التسعين (حسداً) لكم (من عند أنفسهم) الأمارة الزائغة التي اختاروا غوايتها على هدى عقولهم (من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا) عن فلتات حسدهم ومحاولتهم لاضلالكم (حتى يأتي الله بأمره) من الأمر بعقابهم من الطرد والجلاء او القتل حينما يتظاهرون بالغدر والعداوة لكم وللدين فتقوم عليهم الحجة ويمكنكم الله منهم (إن الله على كل شيءٍ قدير ١٠٨ وأقيموا الصلاة) بحدودها ومواقيتها (وآتوا الزكاة) فإن ذلك خير يعود لأنفسكم (وماتقدموا لأنفسكم) في دار العمل والتكليف لدار الجزاء والنعيم (من خير) بالأعمال الصالحة (تجدوه) أي تجدوا جزاءه وثوابه (عند الله إن الله بما تعملون بصير) وإن اسررتم به (١٠٩ وقالوا) أي اهل الكتاب المذكورون فيما قبل (لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً) أي يهوديا قالت اليهود ذلك وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا واوجز الكلام بأحسن إيجاز بقوله تعالى (او نصارى) ومغزى كلام كل منهم ان المسلمين لا يدخلون الجنة (تلك) أي دعوى كل فريق

أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * (١١٠) بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * (١١١) وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ

منهم انهم يدخلون الجنة (أمانيهم) الكاذبة التي يعللون بها أنفسهم انهم يدخلون الجنة (قل هاتوا برهانكم) وحجتكم على هذه الدعاوي وتلك الأماني (إن كنتم صادقين) فيها فإن الصادق لا بد له من حجة وبرهان (١١٠ بلى) رد وابطال للنفي الذي قالوه على نحو قوله تعالى في سورة التغابن « زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن (من اسلم) نحو اسلم أمره الى الله أي وكله وخلاه ولم يتداخل فيه بمعارضة المشيئة فالمراد هنا كما في سورة آل عمران ١٨ والنساء ١٢٤ ولقمان ٢١ أي وكل وخلا (وجهه) الوجه معروف والمراد الكناية عن اقباله وتوجهه في سبيل المعرفة والعبادة والطاعة وطلب التوفيق والهدى واسلمه (لله) ولم يتداخل فيه بزيغ الاهواء ونزغات الضلال ونزعات النفس الأمارة . والى هذا تنحو اقوالهم في التفسير . اخلص نفسه لله . او وجه وجهه لطاعة الله . او فوّض امره لطاعة الله (وهو محسن) في عمله (فله أجره عند ربه) افرد الضماير باعتبار لفظ « من » (ولا خوف عليهم) من عقاب الله (ولا هم يحزنون) من اجل استحقاقهم للعقاب . قال في الدر المنثور في نزول الآية الآتية اخرج ابن اسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس وذكر قصة ذكرت في التبيان ومجمع البيان بقولها قال ابن عباس وأوردها الواحدي كالمعلومات بلا رواية وفي القصة ان واحداً من نصارى نجران قال لليهود ما أنتم على شيء وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة . ويوهن القصة انه ليس في النصارى من يجحد نبوة موسى ويكفر بالتوراة بحيث ينسب الله كلامه الى النصارى بقوله وقالت النصارى « وما آفة الأخبار إلا رواتها » (١١١ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء) لأنهم ليسوا على نحلتهم (وقالت النصارى ليست اليهود على شيء) لأنهم ليسوا على نحلتهم وكل من الفريقين يوجه قوله المذكور الى كل من لم يكن على نحلته حتى الى المسلمين يقولون قولهم هذا (وهم يتلون الكتاب) أي نوعه وهي الكتب التي بأيديهم وينسبونها الى الوحي والنبوة مع ان في تلك الكتب كلمات حق وبقية من الوحي الحقيقي بحيث يدينون

كَذٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * (١١٢) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * (١١٣) وَلِلّٰهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ

به وفي تلك الكلمات التي يتلونها ما حاصله ان الجنة والنجاة ودين الحق مقرونة بتوحيد الله حق التوحيد وعبادته وطاعته والتصديق بأنبيائه وكتبه وآياته وان في اليهود قبل زمان عيسى وفي النصارى من خواص المسيح واتباعه من كان على الصراط المستقيم من ذلك فكيف يقول كل فريق قوله المذكور وهم يتلون كتبهم ويعلمون ما هو الأساس في دين الحق و (كذلك قال) المشركون (الذين لا يعلمون) ما هو الأساس في دين الحق (مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) ويحكم لمن كان على حقيقة الدين الصحيح (١١٢ ومن اظلم ممن منع مساجد الله) المسجد هو الذي تعتاد فيه عبادة الله والسجود له وإن كان من المشاهد التي لا تسمى في اصطلاح الفقهاء مسجدا (ان يذكر فيها اسمه) ويعبد فيها بالصلاة وتلاوة كتابه (وسعى في خرابها) وفي التبيان قيل المراد به مشركو العرب من قريش لأنهم صدوا رسول الله (ص) عن المسجد الحرام وهو المروي عن أبي عبد الله الصادق (ع) قلت وفي الدر المنثور اخرج ابن اسحاق وابن ابي حاتم عن ابن عباس ما هو من هذا النحو وعليه فمعنى خرابه أن يبقى للعبادة الباطلة كالمكاء والتصدية والسجود للأصنام وطواف العراة من الرجال والنساء . والظاهر ان ما روي بيان لمورد النزول الذي لا يجعل العام خاصا وفي المقام تفاسير عجيبة غريبة منها ما ذكره الواحدي عن قتادة وذكره غيره عن الحسن ايضا وهو ان بختنصر خرّب بيت المقدس وأعانته على ذلك النصارى . وليت شعري اين بختنصر من النصارى وهو قبل المسيح بنحو ستمائة سنة وقريب منه في الغرابة ما ذكره الواحدي . وروي عن كعب الأحبار (أولئك ما كان لهم أن يدخلوها) أي مساجد الله (إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ١١٣ ولله المشرق والمغرب) على سبيل المثال أي له جميع الجهات وكلها في سلطانه بدليل قوله تعالى فيما يأتي «لله المشرق والمغرب» في تحويل القبلة من بيت

فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ *

المقدس وجهة الشمال الغربي الى الكعبة وجهة الجنوب أي ولله كل الجهات ليس لجهة من الجهات دون الأخرى خصوصية ذاتية طبيعية تربطها بالتوجه الى عبادة الله ودعائه (فأينما تولوا فثم وجه الله) وحاشا لله أن تختص به جهة او مكان . وفي صحيحة الفقيه عن اسحاق بن عمار عن ابي عبد الله(ع) ونزلت هذه الآية في المتحير اي في صلاة الفريضة ولله المشرق والمغرب فأينما الآية . وروى انه احتج الصادق (ع) بالآية لصحة سجود التلاوة لغير القبلة كما في رواية الصدوق في العلل عن الحلبي عنه (ع) . ولعدم القضاء لصلاة الفريضة إذا صليت خطأ لغير القبلة كما في رواية التهذيب عن محمد بن الحصين الجعفي عنه (ع) . وروى الجمهور في صحة الصلاة في هذه الصورة انه اخبر رسول الله(ص) بها او سئل عنها فنزلت الآية . ذكر في الدر المنثور اسماء عشرة اخرجوا هذا عن عامر بن ربيعة . واسماء ثلاثة اخرجوه عن جابر الانصاري. ورواها الواحدي في إسباب النزول باسناده عن عامر وجابر . وفي الدر المنثور ان ابن مردويه اخرج نحوه بسند ضعيف عن ابن عباس . وفي رواية الصدوق المتقدمة ان الصادق عليه السلام احتج بالآية لصحة صلاة النافلة على الدآبة أينما توجهت . وفي الدر المنثور ذكر اسماء عشرة منهم مسلم والترمذي والنسائي اخرجوا ذلك عن ابن عمر . واسماء اربعة منهم الحاكم وصححه عن ابن عمر ايضا . وفي الدر المنثور اخرج ابن جرير وابن المنذر عن مجاهد قال لما نزلت « ادعوني استجب لكم » قالوا الى اين فأنزلت « فأينما تولوا فثم وجه الله » . هذا وان النظر الى مجوع هذا المروي ودلالة الآية وحجتها يرشد بأن رواية نزولها في مورد خاص إنما هو باعتبار انطباقها عليه وارادته في عموم تنزيلها . كما ان المروي ولسان الآية وسوقها تشهد بأن مفادها قاعدة عامة مبينة بالحجة التي يشهد بها العقل ايضا إلا ان الله خص بعض الأماكن تكريما لها بأن يستقبلها من يصلي الفريضة وقسما من النافلة ويوجه اليها الميت والذبيحة حسبما يدل عليه الكتاب والسنة وما عدا ذلك يبقى لحكم العموم في هذه الآية المحكمة وحجتها . ويؤكد عمومها ويحكمه قوله تعالى (ان الله واسع) في الرحمة واللطف (عليم) بمن يتوجه الى حضرته بالطاعة . ومن العجيب قول الواحدي ومذهب ابن عباس ان هذه الآية منسوخة بقوله تعالى « وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره » . أفلا يعلم كل مسلم ان آية أينما تولوا إن

(١١٤) وَقَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمٰوات وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ * (١١٥) بَدِيعُ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (١١٦) وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللهُ

كان نزولها قبل تحويل القبلة الى الكعبة فهي مخصصة من اول نزولها بالتوجه في الفريضة الى جهة خاصة وكانت إذ ذاك جهة بيت المقدس لأن صلاة الرسول اليها كان من اول وروده الى المدينة : وما عشت أراك الدهر عجبا : فقد نشأ في بدع قوم في عصورنا يمنعون ويضربون من يتوجه في مسجد الرسول الأكرم عند دعائه واستشفاعه بالرسول الى جهة قبره الشريف في ناحية المشرق كأنّ الله لم ينزل الآية المتقدمة ولم يعرفوا من العادة ان المستشفع يقدم شفيعه بين يديه . ويحكم الله وهو خير الحاكمين (١١٤ وقالوا اتخذ الله ولداً) والقائل بذلك النصارى بل وغيرهم ممن اخذوا عنه كاليونان وغيرهم والبراهمة والبوذيين إذ جعلوا زعماء دياناتهم آلهة مولودين من الله (سبحانه) تنزيهــا وتعظيما له عن ذلك (بل له ما في السموات والارض) والكل سواء في انهم مخلوقون لله ولله وملكه (كل له قانتون) ذكروا من معاني القنوت الخشوع والطاعة أي خاشعون او مطيعون بالانقياد الخالقية وقدرته وإلهيته فأين الولديـة والإلهية من المخلوق وجاء قانتون بالجمع المذكر السالم تغليبا (١١٥ بديع) مبالغة في مبدع أي منشئ ومخترع (السموات والارض) لا باحتذاء مثال قبلها (وإذا قضى أمراً) أي خلق وصنع كقوله تعالى في سورة فصلت « فقضاهنّ سبع سموات في يومين » وقول ابي ذويب

« وعليهما مسرودتان قضاهما داود او صنع السوابغ تبع »

والأمر الشيء او الحادث (فإنما يقول له كن) أي لا يحتاج الى تمهيد مقدمات ومعدات يحتاج اليها وجوده ويمتنع بدونها . بل الأشياء طوع ارادته يريد فيكون وقوله تعالى « يقول له كن » إنما هو كناية عن ارادته بما يظهر به الناس ارادتهم وهو أمرهم (فيكون) تفريع على يقول وليس جزاء لقوله تعالى «كن» لأن الكون بعد الفاء هو نفس الكون المأمور به لا أجزاؤه المترتب عليه وتوهم انه جزاء لذات الطلب او للكون مع الطلب مدفوع بأنه لو صح لوجب أن ينصب قوله تعالى فيكون (١١٦ وقال الذين لا يعلمون) بمواقع حكمة الله وحجته ودلالة آياته (لولا يكلمنا الله) لولا هنـا بمعنى هلا للعرض والطلب والمراد تكليمه لهم بخصوصهم

أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ * (١١٧) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ * (١١٨) وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ

(أو تأتينا آية) خاصة بهم بحسب اقتراحهم عتواً واستكباراً كما حكاه الله عنهم في سورة الاسراء المكية من قوله تعالى « ٩٢ — ٩٦ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً » إلى قوله تعالى « حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه » (كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم) في الاقتراح الفاسد مع انهم شاهدوا ما تقتضيه الحكمة من الآيات والدلائل حيث قال اليهود « لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة » وذلك بعد ما رأوا الدلائل على رسالة موسى كآية العصا وشق البحر (تشابهت قلوبهم) في الضلال والكفر بالآيات البينات . ولو جرت الآيات على حسب اقتراح المقترحين من المنهمكين بالضلال والمماراة لخرجت عن كونها آيات بل صارت بذلك اموراً عادية لا تقوم بها حجة فضلاً عن ان كثيراً منهم يطلب المستحيل عقلا كقول بني اسرائيل « لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة » وهل الآيات إلا ما تقتضيه الحكمة بحسب حال المدعوين إلى الإيمان مما يفيد اليقين وتقوم بالحجة وقد جاء رسول الله «ص» بذلك على أحسن وجه (قد بينا الآيات لقوم يوقنون) بما يوجب اليقين بدلالته الكافية ولا يمارون فيها بعناد الضلال وتحكم الاهواء فقد نزل القرآن معجزاً على ما تقتضيه الحكمة من وجوه عديدة فاستنار بيقينه الموقنون وقطع المعاذير على الجاحدين والمرتابين إذ تحداهم بالاتيان بعشر سور او سورة من مثله . قلت وقد اشير إلى شيء من ذلك في الفصل الأول من المقدمة ولا تأس يا رسول الله من قول هؤلاء (١١٧ إنا ارسلناك بالحق بشيراً) للمؤمنين بما اعد لهم من النعيم (ونذيراً) بما اعد للكافرين والمعاندين من العذاب والهوان (ولا تسأل عن اصحاب الجحيم) الذين استحقوها بسوء اختيارهم (١١٨ ولن ترضى عنك اليهود) حتى تتبع ملتهم وحذف ذلك لدلالة قوله تعالى (ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل) اني اتبع الهدى واين منه اهواؤكم وتقليد كم فيها و (ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم) بدين الحق وضلال هؤلاء فيما هم عليه اذن (مالك) ولا لكل احد قامت

ٱلَّذِي جَاءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ * (١١٩) ٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ * (١٢٠) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ٱذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ٱلَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ * (١٢١) وَٱتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ * (١٢٢) وَإِذِ ٱبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ

عليه الحجة من عقله وتبليغك (من الله) متعلق بالمطلوب من الولي والنصير وهو الانقاذ والتخليص (من ولي ولا نصير) من زائدة وولي مبتدأ. ومالك خبره (١١٩ الذين) مبتدأ (آتيناهم الكتاب) القرآن (يتلونه حق تلاوته) الجملة حال «لآتيناهم» لا خبر فإن ما كل من اوتي القرآن تلاه حق تلاوته. وفي مجمع البيان وعن العياشي عن ابي عبد الله (ع) ان حق تلاوته هو الوقوف عند ذكر الجنة والنار يسأل في الأولى ويستعيذ من الأخرى. وهذا ملازم في المعنى لما عن الديلمي عن ابي عبد الله ايضاً قال يرتلون آياته ويتفقهون به ويعملون بأحكامه ويرجون وعده ويخافون وعيده ويعتبرون بقصصه ويأتمرون بأوامره وينتهون بنواهيه ما هو والله حفظ آياته ودرس حروفه وتلاوة سوره ودرس اعشاره واخماسه حفظوا حروفه واضاعوا احكامه وإنما هو تدبر آياته والعمل بأحكامه قال تعالى «كتاب انزلناه اليك مبارك ليدّبروا آياته» (اولئك يؤمنون به) جملة «اولئك» خبر للذين (ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون) وذلك هو الخسران المبين (١٢٠ يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين ١٢١ واتقوا يوماً لاتجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون) قد مرّ الكلام في الآيتين بعد الآية الثالثة والاربعين وقد كررت الآيتان هاهنا تسجيلا لمعناهما على اليهود (١٢٢ وإذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهنّ قال إني جاعلك) سياق الآيات الثلاث التي بعد هذه الآية وعطفهن عليها يقتضي ان تكون كلمة «اذ» مفعولاً «لاذكر» القولية المقدرة فتكون الآية وارتباط كلماتها ومعانيها تستلزم ان يكون قوله تعالى «اني جاعلك» إلى آخره تفسيراً للكلمات والفاعل في اتمهنّ هو الله. ويشهد لذلك رواية ابن بابويه في كتاب النبوة عن المفضل ابن عمر عن الصادق عليه السلام. وعليه جرى ماحكاه

لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي

في مجمع البيان عن قتاده وابي القاسم البلخي واختيار الحسين بن علي المغربي . وفي الدر المنثور اخرج ابن جرير عن ابن عباس قال الكلمات اني جاعلك اماماً والآيات التي بعدها واخرج ابن جرير وابن ابي شيبة عن مجاهد نحوه . وإن كانت كلمة « إذ » ظرفاً معمولا « لقال اني جاعلك » كانت الكلمات شيئا آخر فيظن ان يكون الفاعل في اتمهن هو ابراهيم . وفي تفسير القمي قال هو ما ابتلاه الله بما أراه في نومه من ذبح ولده فأتمها ابراهيم الخ . ولم يعلم ان القائل هو القمي أو الإمام . وروى في الدر المنثور عن ابن عباس في هذا النحو خمس روايات متدافعة نحو ما ذكره في مجمع البيان وعلى ما ذكرناه اولاً يكون المعنى ابتلى ابراهيم بكلمات امامته وامامة الأئمة وتحمل اعبائها واداء شكرها (للناس اماما) ومرجعاً ومقصداً وزعيماً في امور الدين والدنيا . وقد استفاض الحديث عن الأئمة عليهم السلام ان امامة ابراهيم كانت بعد نبوته ورسالته كما في الكافي عن جابر عن الباقر (ع) . وعن زيد الشحام وعن هشام ودرست عن الصادق (ع) . وفي العيون عن عبد العزيز بن مسلم عن الرضا (ع) . ويدل على ذلك ايضا ان نبوة ابراهيم كانت قبل ان يولد له ولد وقبل شيخوخته ومقتضى الآية ان قول الله له بجعله اماماً كان بعد ان صار له اولاد يرجو ان يكون له منهم ذرية وأما قبل ذلك فلم يكن له رجاء فإن القرآن في سورة الحجر يخبر انه لما بشر باسحق قال أبشرتموني على ان مسني الكبر فبم تبشرون . ولا يكون جاعل هنا بمعنى جعلت في الماضي لأنه عامل بالمفعول وهو اماماً وقوله تعالى « للناس » متعلق « بجاعل » وفيه اشارة إلى الامتنان على الناس وان الإمامة لطف من الله ومن اكبر المصالح لأمورهم ويجوز ان يكون متعلقا بقوله « اماماً » وقدم للاهتمام بعموم الإمامة للناس وارتباطها بمصالحهم العامة والخاصة (قال) ابراهيم (ومن ذريتي) الظاهر ان هذا عطف على « جاعل » في جاعلك اي وجاعل من ذريتي ويكون بمنزلة الاستفهام التقريري لمزيد الاستبشار والابتهاج ونحو من الشكر إذا علم من الكلمات والأسماء ان الأئمة من ذريته . او للاستفهام ان لم يعرف انهم من ذريته . وقيل ان المعنى واجعل من ذريتي . وفيه تكلف في التقدير الزائد على دلالة السوق خصوصا مع النظر إلى رواية الفضل الدالة على معلومية اسماء الأئمة في ضمن الكلمات فإنه يبعد من مقام ابراهيم ان يطلب الزيادة على

قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ * (١٢٣) وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً

ما اخبره الله بتقديره (قال) الله جل اسمه في بيان ما لهذه الإمامة من الفضل (لا ينال عهدي الظالمين) بياناً لشرف الإمامة في فضليتها العظمى وفضل الإمام فإن الإمامة بجعلي وعهدي في الدلالة على الإمام بحسب أهليته لهذه الكرامة في كماله وقيامه بمصلحة الناس على ما يقتضيه اللطف في صلاحهم واهليته لانقيادهم اليه وهذا العهد الكريم من نحو الوصية والدلالة على التعيين ونظير ذلك قولهم ولي العهد . والظالم يعم من ظلم نفسه بمخالفته للحق وكيف يليق من لا رادع له من كماله عن الظلم لنفسه او لغيره لأن يعهد الله اليه بإمامة الناس واصلاح امورهم وارشادهم «افمن يهدي إلى الحق احق ان يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدى» وفي رواية البرهان عن الكافي والمفيد عن هشام بن سالم ودرست عن الصادق عليه السلام في تفسير الآية من عبد صنما أو وثنا أو مثالاً لا يكون اماما . وعن امالي الشيخ مسنداً وابن المغازلي في المناقب مرفوعاً عن عبد الله بن مسعود عن النبي (ص) في الآية عن قول الله لابراهيم من سجد لصنم دوني لا اجعله اماماً . وقال (ص) فانتهت الدعوة إليّ وإلى أخي عليّ لم يسجد أحدنا لصنم قطّ . وعن الكافي مسنداً والشيخ المفيد مرفوعاً عن الصادق عليه السلام لا يكون السفيه امام التقي . فيكون ذكر عبادة الصنم من باب النص على احد المصاديق من موانع الإمامة وهي ما تنافي العصمة التي يدل العقل على اعتبارها في هذه الإمامة . ومن شواهد ذلك ورشحاته ان الفطرة وحكم العقل بعثت جميع الحكومات المتمدنة على ان تجعل من قوانينها الأساسية ان من حكم عليه بجريمة توجب العقوبة ولو بسجن مدة قليلة يكون ساقطا باصطلاحهم عن الحقوق المدنية اي لا تكون له وظيفة في الحكومة يتسلط فيها على غيره ولا تنفعه في ذلك توبة . أليس الله بأحكم الحاكمين (١٢٣ وإذ) عطف على اذ ابتلى في الآية السابقة (جعلنا البيت) الحرام وهو الكعبة (مثابة للناس) مرجعاً لهم والتاء للمبالغة لأن مرجعيته للناس جعلت دائمة فإنك ترى من يتحمل المشاق في زيارته يشتاق إلى الرجوع اليه مرّة بعد أخرى وهذا سرٌّ غريب وآية من آيات الله (وأمناً) يأمن من حلَّ في حماه من الناس مع وحشية الاعراب وتعاديهم وعداوتهم . وهذا ايضاً من آيات البيت ويأتي له انشاء الله مزيد بيان في تفسير الآية الثانية والتسعين من سورة آل عمران (واتخذوا) عطف على اذكر (من مقام ابراهيم

وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ مُصَلًّى

مصلىً) مقام ابراهيم يسمى به الآن محل يصلى فيه باعتبار ان فيه الصخرة التي قام عليها ابراهيم(ع) فصار فيها اثر قدميه . وقال فيه ابو طالب

وموطئ ابراهيم في الصخر وطأة   على قدميه حافياً غير ناعل

وفي الكافي في الحسن كالصحيح عن ابي عبد الله مقام ابراهيم حيث قام على الحجر فأثرت فيه قدماه . وفي مجمع البيان عن ابن عباس قصة فيها ان المقام صخرة وضعتها زوجة اسماعيل تحت رجلي ابراهيم لما غسلت رأسه فأثرت فيها قدماه . وفيه ايضاً ان عليّ بن ابراهيم روى مسنداً عن ابان عن الصادق عليه السلام هذه القصة بعينها . وفي الدرّ المنثور ان الازرقي اخرج عن المطلب بن ابي وداعه . وآخر ان سيل ام نهشل في ايام عمر احتمل المقام من محله فسأل عمر عن محله فزعم المطلب ان عنده مقياس محله فوضع في محله الآن . وفيه اخرج البيهقي في سننه عن عائشة ان المقام كان في زمن رسول الله «ص» وزمان ابي بكر ملتصقاً بالبيت ثم أخره عمر بن الخطاب . وفي الكافي والفقيه في الموثق كالصحيح عن الباقر «ع» كان موضع المقام الذي وضعه ابراهيم عند جدار البيت فلم يزل هناك حتى حوله أهل الجاهلية إلى المكان الذي هو فيه اليوم فلما فتح النبي «ص» مكة رده إلى الموضع الذي وضعه ابراهيم «ع» إلى ان ولي عمر بن الخطاب فسأل الناس من منكم يعرف المكان الذي كان فيه المقام فقال بعض انا قد كنت اخذت مقداره بنسع فهو عندي فأتاه به فقاسه ثم رده إلى ذلك المكان . وذكر نحوه في المسالك عن سليمان بن خالد عن ابي عبد الله عليه السلام وذكر ان المقام هو العمود من الصخر الذي كان ابراهيم يقف عليه حين بنائه للبيت . وكان في زمن أبراهيم ملاصقاً للبيت بحذاء الموضع الذي هو فيه اليوم . وفي تفسير القمي في سورة الحج ان المقام كان في زمن ابراهيم يلصق بالبيت وعليه نادى ابراهيم بالحج . وفي مضمرة ابن مسلم وصحيحة ابراهيم بن ابي محمود عن الرضا (ع) المرويتين في الكافي ما يدل على ان محل المقام على عهد رسول الله (ص) غير محله في ايام الأئمة إلى الآن . اقول والظاهر ان المراد من مقام ابراهيم في الآية هو جهة موقفه ومحل قيامه لا خصوص موطئه في قيامه او نفس الصخرة فإنه لا يمكن ان يتخذ منه مصلى . وقد روي في الوسائل عن ائمتنا عليهم السلام اكثر من

وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ *

اثني عشر حديثا في ان صلاة الطواف خلف المقام بحسب موضعه في زمانهم عليهم السلام والآن خمس منها استشهد فيها بقوله تعالى « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » وست نصت على الخلف . وعلى ذلك يحمل ما كان لفظه عند المقام والتعبير بعند فيه أيضا تقييد لاطلاق الخلف وكذا ما كان لفظه ارجع إلى المقام اوائت المقام . وهذا مما يشهد لارادة الجهة ومقدار سعتها . ولعل وجوب تقديم المقام بحسب موضعه الثاني لأجل احترامه عن الاستدبار أو لأجل الستر على الشيعة والحصر في رواية زرارة بالمقام المعروف ظاهر في انه بالاضافة إلى الصلاة لطواف المتطوع في انها حيث شاء المتطوع من المسجد ويمكن ان تنزل على ذلك مرسلة صفوان كما يمكن ان تنزل صحيحة ابراهيم بن ابي محمود وسائر الروايات على الستر على الشيعة فتجوز الصلاة ما بين موضعي المقام اولا وثانيا . ولكن الاحتمال لاحترام ذات المقام يرجح ظاهر الروايات ويمنع عن اليقين بالفراغ الا بالصلاة خلفه (وعهدنا إلى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود) اي الطائفين به لعبادة الله . والعكوف اللبث حوله للعبادة ولو بذات اللبث بفنائه . والركع جمع راكع . والسجود جمع ساجد والمراد المصلين حوله . وعن الصدوق في العلل والشيخ في التهذيب بسندين صحيحين عن عمران وعبد الله الأخوين الحلبيين سألت أبا عبد الله (ع) أيغتسلن النساء إذا اتين البيت قال نعم ان الله عز وجل يقول ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود فينبغي للعبد ان لا يدخل إلا وهو طاهر قد غسل عنه العرق والأذى وتطهر والمراد من اتيان البيت التوجه اليه للطواف ونحوه . وعن الكليني بسند معتبر عن محمد الحلبي عن ابي عبد الله (ع) نحوه باسقاط السؤال وفيه فينبغي للعبد ان لا يدخل مكة إلا وهو طاهر « الرواية » وهذا يفسر متعلق الدخول في روايتي اخويه . ومن المعلوم ان طواف الناس وعكوفهم وركوعهم وسجودهم العاديين انما هي خارج البيت وحوله . وهكذا يدل على أن المراد تطهير فناء البيت من حيث حرمة البيت المضاف إلى الله والذي جعله يطاف حوله ويعكف ويركع ويسجد ويكون بالاعتبار الثانوي العرضي مراعاة لحال الناسكين حوله وبه جرى التعليل بالآية الكريمة لأنه يدل على الاعتبار الاولي الذاتي دلالة واضحة . والمراد من التطهير هو ما يقتضيه اطلاقه بمعناه اللغوي وهو التنزيه

(١٢٤) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * (١٢٥) وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * (١٢٦) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا

عن كل ما ينافي حرمة البيت من القذارات الصورية والمعنوية عرفية كانت او بكشف الشارع كما يشهد لها رواية الحلبيين والأمر في طهرا بمنزلة الخبر لبيان الوظيفة والغرض كقوله اغتسل للجنابة والجمعة كما يشير إلى ذلك قوله تعالى « وعهدنا » فلا يمتنع شموله للواجب والندب ويسري التكليف المفهوم منه إلى غير ابراهيم واساعيل (١٢٤ و) اذكر (إذ قال ابراهيم رب اجعل هذا) اي فناء البيت وحرمه الذي هو مكة (بلداً آمناً) اي يأمن اهله ومن فيه من اذى الناس (وارزق أهله) سكانه (من الثمرات) لا كل سكانه بل (من آمن منهم بالله) ولم يقل بك محافظة على تخصيص الإيمان بالله بالنص على اسمه المظيم (واليوم الآخر قال) الله جلت آلاؤه ما حاصله اني استجبت دعاءك ولا اخص رزقي في هذه الدنيا الفانية بالمؤمنين بل أرزق فيها المؤمن والكافر (ومن كفر) واصرَّ على كفره (فأمتعه) في الدنيا (قليلا) اي مدة حياته القصيرة بالنسبة إلى ما وراءه وامهله وأقيم عليه الحجة وامـلي له (ثم اضطره) اي آخذه قهرا بالموت والحشر (الى عذاب النار) التي أعدت للكافرين (وبئس المصير) مصيره (١٢٥ و) اذكر (إذ يرفع ابراهيم القواعد) قاعدة البيت اساسه ورفع القواعد هنا هو البناء عليها وجعله مرتفعا (من البيت) أي الكعبة (واساعيل) حال كونهما متقربين قائلين (ربنا تقبل منا) طاعتنا (انك انت السميع) للدعاء (العليم) بنياتنا في طاعتك (١٢٦ ربنا واجعلنا) بتوفيقك (مسلمين لك) الظاهر أن الإسلام في الاصل هو الدخول في السلم بكسر السين وسكون اللام مثل الانجاد والاتهام والاقحال والسلم هو عدم المحاربة والمحادة. وبالنسبة لله يتحقق بالاذعان بإلهيته وتوحيده ورسالة رسله وكتبه. وقد اختص في الاستعمال بهذا المعنى فصار هو الظاهر من لفظ اسلام وأسلم واسلم ومسلم. وبعد رسالة خاتم النبيين محمد (ص) صار المتداول في الاستعمال هو ما ذكرناه مع الاذعان برسالته وأن قرآنه وشريعته من الله والإسلام الحقيقي هو الإذعان في النفس المساوق للإيمان وهو المراد هنا أي اجعلنا مسلمين لك مدة عمرنا بمعنى

مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * (١٢٧) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * (١٢٨) وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ

ثبتنا بهدايتك وتوفيقك على الإسلام كما هديتنا له (و) اجعل بتوفيقك ولطفك (من ذريتنا أمة مسلمة لك) لم يسألا ذلك لكل ذريتهما لما سبق من قول الله لابراهيم «لاينال عهدي الظالمين» لما قال ابراهيم «ومن ذريتي» اولما يعرفانه من حال البشر في اختيارهم للايمان وان الكثيرمنهم من يستحب العمى على الهدى . فطلبا أن تكون من ذريتهما أمة مسلمة لا خصوص الإمام (وأرنا) يحتمل أن يراد بالضمير ما يعم الأمة المسلمة من ذريتهما (مناسكنا) النسك العبادة والناسك هو العابد . والنسك هو الموضع المعد للعبادة الخاصة . فتكون الرؤية المطلوبة على حقيقتها (وتب علينا) طلب التوبة باعتبار دخول الامة المسلمة في الدعاء . ويحتمل أن يختص الضمير بابراهيم واسماعيل فيراد من التوبة عليهما الرجوع والعود عليهما بالرحمة واللطف فان المعنى الاصلي للتوبة هو الرجوع والعود . ويحتمل أن يريد بالتوبة نحواً من معناها المعروف تصاغراً لله واستصغاراً لأعمالها في جنب جلال الله كما هو شعار الأولياء المخلصين (إنك أنت التواب الرحيم ١٢٧ ربنا وابعث فيهم) اي الأمة من ذريتهما (رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم) بارشاده وجهاده في الدعوة (إنك أنت العزيز) في تنفيذ ارادتك ونصر رسولك في تبليغه واجراء احكامك وتعليمه وتزكيته لعبادك (الحكيم) فيما تفعل . ومصداق هذا الدعاء هو رسول الله صلى الله عليه وآله برسالته العامة فهو رسول الله في ذرية ابراهيم واسماعيل وبهم ابتدأت دعوته وهو (ص) ايضا من ذريتهما . وفي تفسير القمي قال رسول الله (ص) انا دعوة ابي ابراهيم . وفي البيان روى انه (ص) قال ذلك . ورواه في الدر المنثور عن جماعة (١٢٨ ومن) استفهام يرجع الى الانكار والنفي (يرغب عن ملة ابراهيم) في التوحيد والمعرفة والاخلاق الفاضلة والحنيفية (الامن) الذي (سفه نفسه) السفه والسفاهة والسفيه معروفة . وسفه بالضم من افعال السجايا لا يتعدى . وسفه بالكسر متعد والمعنى إلا من اضر نفسه بسفاهته ونحو ذلك فإن ملة ابراهيم جارية في معارفها واخلاقها على النهج الفطري الواضح المعقول فلا يرغب

وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * (١٢٩) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * (١٣٠) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * (١٣١) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * (١٣٢) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ *

عنه إلا السفيه (ولقداصطفيناه) أي ابراهيم واخترناه رسولاً وإماماً وهادياً (في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين) أي معدود من الذين كانوا في الدنيا صالحين هادين (١٢٩ إذ قال) ظرف لاصطفيناه (له ربه اسلم) وهذا القول لمثل ابراهيم يكون قبل زمان البلوغ وقد ذكرنا معنى الإسلام قريبا (قال اسلمت) واشار الى معرفته وان اسلامه عن حجة وبصيرة بقوله (لرب العالمين ١٣٠ ووصى بها ابراهيم بنيه) أي وصاهم بالملة الحنيفية ملة ابراهيم (ويعقوب) أي ووصى بها يعقوب بنيه وقال كل منهما لبنيه في مقام التوصية والتحريض على اتباع الملة حتى الممات وان لا تلعب بهم الاهواء فيغتنم ابليس منهم الفرصة عند الموت فيردهم عن الحنيفية والإسلام (يا بني إن الله اصطفى لكم الدين) المعهود دين الحنيفية والإسلام واختاره لكم صافيا مصفى فالزموه واثبتوا على اتباعه حق الاتباع (ولاتموتنّ إلا وأنتم مسلمون) على الدين الحنيف (١٣١ أم كنتم) اضراب وانكار وهو يناسب أن يكون خطاباً لأهل الكتاب وانكاراً على دعوى ليس لهم بها علم ولاحضروا ولا شهدوا ما يسندون الدعوى اليه (شهداء) حضوراً (إذ حضر يعقوب الموت) وذاك لم يجر فيه ما تزعمون بل (إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي) قال ما تعبدون لأن معبودات اهل الضلال اكثرها مما لا يعقل كالحيوان والتماثيل (قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق) وادرج اسماعيل في تفسير الآباء بنحو من التغليب عليه ولأنه عم ليعقوب والعم كالأب (إلها واحداً) لاشريك له(ونحن له مسلمون ١٣٢ تلك أمة قد خلت) ومضت والظاهر ان المراد من الأمة بنو اسرائيل (لها ما كسبت) من خير (ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون) بل كل مسئول عن تكليفه وما قامت

(١٣٣)وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * (١٣٤) قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ *

به الحجة عليه فانظروا لأنفسكم (١٣٣ وقالوا) أي اهل الكتاب اليهود والنصارى كل من الفريقين يدعو الى نحلته (كونوا هوداً او نصارى) او لتقسيم قولي الفريقين (تهتدوا قل) يا محمد (بل) نتبع (ملة ابراهيم حنيفا) الحنيف هو الموحد التابع لدين الحق . ولا حاجة الى بيان المأخذ لاستعمال اللفظ في هذا المعنى (وما كان من المشركين) ولعله تعريض باليهود والنصارى « تعالى الله عما يشركون » وفي قوله ملة ابراهيم الى آخره احتجاج لوجوب اتباعها فإن قدَّرنا نتبع يكون مفاد الاحتجاج وعليكم أن تتبعوا ذلك . وان قدر اتبعوا يكون مفاد الاحتجاج كما اتبعنانحن . يا اهل الكتاب لا تأخذنكم اهواء القومية وعصبية اليهودية او النصرانية فإن الحق أحق ان يتبع بل (١٣٤ قولوا) عن إيمان حقيقي واعتقاد واتباع للحجة (آمنا بما أنزل الينا) باعتبار النزول على أنبيائهم ورسلهم كالتوراة والانجيل والزبور (وما انزل الى ابراهيم) وهي صحف ابراهيم التي جرى عليها بنوه الى زمان موسى وبهذا الاعتبار قيل (واساعيل واسحاق ويعقوب والأسباط) إذ لم يعهد نزول كتاب الى خصوص المذكورين . وعن الكافي باسناده عن سدير عن أبي جعفر ان اولاد يعقوب أي ما عدا يوسف لم يكونوا أنبياء ونحوه عن العياشي . والأسباط جمع سبط وهو ولد الولد . ومنه سمي الحسنان عليهما السلام بالسبطين وسميت قبائل الاسرائيليين باعتبار انتسابهم الى اولاد يعقوب اسباطا . والقبيلة الواحدة منهم سبط . وعليه استعمال القرآن الكريم . وقد سموا بذلك ايضا فيما بأيديهم من التوراة العبرانية و كتاب يوشع وغيرهما(١) وان سموا فيها ايضا بغير ذلك (وما أوتي موسى وعيسى) من المعجزات او كرامة النبوة (وما أوتي النبيون) من كرامة النبوة والوحي (من ربهم لا نفرق بين احد منهم) من أي قبيلة كان اذا دلت الدلائل على نبوته (ونحن له) أي لله (مسلمون

(١) سفر العدد ٣٢ : ٣٣ و ٣٦ : ٣ وسفر التثنية ١٠ : ٨ و ١٨ : ١ و ٢٩ : ٢٠

(١٣٥) فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * (١٣٦) صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ * (١٣٧) قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ * (١٣٨) أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا

١٣٥ فإن) قالوا ذلك و(آمنوا بمثل ما آمنتم به) ايها المسلمون (فقد اهتدوا وان تولوا) بكفرهم (فإنما هم في شقاق) ومعاندة لا في طلب الحق (فسيكفيكهم الله) يا رسول الله ويمنعك من كيد شقاقهم (إنه هو السميع) لدعائك او لما يقولون (العليم) بما في الضمائر (١٣٦ صبغة الله) منصوبة بدلاً من ملة ابراهيم . وعن الكافي مسنداً عن الصادق او احدهما عليهما السلام بأسانيد ثلاثة اثنان منها من الموثق كالصحيح . وعن الصدوق في الصحيح عن ابي عبد الله (ع) . وعن العياشي بسند آخر ان الصبغة هو الإسلام وهو ملة ابراهيم . وفي الدر المنثور اخرج ابن جرير وابن ابي حاتم عن ابن عباس قال دين الله . وسميت صبغة باعتبار الأثر الكريم الظاهر من التوحيد ومكارم الأخلاق وزينة الشريعة (ومن احسن من الله صبغة) بما يهدي اليه من الدين القيم . ويوفق لاتباعه (ونحن له) وحده (عابدون) لا نشرك في الإلهية والعبادة غيره (١٣٧ قل أتحاجوننا) وتجادلوننا (في الله) زاعمين انكم الموحدون وفيكم النبوة . وكيف تحاجوننا بذلك مع ان الله لا يحابي بلطفه ورحمته الواسعة قبيلا دون قبيل . بل يراعى بها الأهلية وهو اعلم حيث يجعل رسالته ولا يمنع لطفه وتوفيقه الا عمن تمرد عليه بالشرك والعصيان . فكيف يحابيكم ويخص بكم ما تزعمون (وَ)الحال (هو ربنا وربكم)وكلنا عباده ولطفه عام ورحمته واسعة لكل عباده (ولنا اعمالنا) فقد آمنا بالله ووحدناه وعبدناه وان الله لا يضيع اجر من احسن عملا (ولكم اعمالكم) ان عملتم خيرا من الايمان الخالص والعبادة (ونحن له مخلصون) في عبادته وإلهيته لا نشرك به شيئا . وفي ذلك حسن التعريض بهم تعالى الله عما يشركون (١٣٨ ام تقولون) يا اهل الكتاب وتزعمون (ان ابرهيم واسماعيل ويعقوب واسحاق والاسباط كانوا هوداً او نصارى) او للترديد بين قولي الفريقين اليهود يقولون كانوا يهوداً والنصارى يقولون كانوا نصارى (قل أأنتم اعلم) مع انكم ادعيتم المحال .

أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللهِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * (١٣٩) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ * (١٤٠) سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا

(الجزء الثاني)

اين كانت اليهودية والنصرانية في زمان هؤلاء (ام الله) الذي اخبر بان ابراهيم كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين . وانه اسلم لرب العالمين ووصى بها يعقوب بنيه . فقالوا نعبد الله إلهاً واحداً ونحن له مسلمون كما تقدم قريبا (ومن اظلم ممن كتم شهادةً عنده من الله) اما بالنسبة الى علمهم بأن هؤلاء الذين ذكروهم كانوا مسلمين على الدين الحنيف او الشهادة برسالة رسول الله صلى الله عليه وآله . فلا ينحصر الامر باليهودية ولا النصرانية لو بقيتا على التوحيد والشريعة . وقد اخبرهم الله في التوراة ان الله يقيم لهم نبيا من اخوتهم ويجعل كلامه في فيه . واخبرهم المسيح برسول يأتي من بعده اسمه احمد (وما الله بغافل عما تعملون) وما ينفعكم زعمكم وكذبكم على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط مع قيام الحجة بارسال الله ورسله في زمانكم بالآيات الباهرات فعليكم بأنفسكم فلا تتعللوا زورا بمن مضى فان (١٣٩ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون) بل تسئلون عن اعمالكم ومعاملتكم مع رسول الله ودين الحق (١٤٠ سيقول السفهاء من الناس ماولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها) وهي بيت المقدس فان رسول الله (ص) صلى اليه عند مقدمه الى المدينة مدة . وفي رواية التهذيب عن معاوية بن عمار عن ابي عبد الله الى ما بعد رجوعه من بدر . وعن رسالة الفضل بن شاذان كذلك وفيها وكان يصلي في المدينة الى بيت المقدس سبعة عشر شهرا . وعن قرب الاسناد عن الباقر تسعة عشر شهرا . وهو الذي ذكره في الفقيه وعن الشيخ المفيد في مسار الشيعة في النصف من رجب سنة اثنتين من الهجرة حوّلت القبلة من بيت المقدس الى الكعبة . ونحو هذا ما رواه في الدرّ المنثور من روايات الجمهور . وفي الكافي في الحسن كالصحيح عن الحلبي عن ابي عبد الله (ع) سألته هل كان رسول الله يصلي الى بيت المقدس قال نعم فقلت اكان يجعل الكعبة خلف ظهره قال اما اذا كان بمكة فلا واما اذ هاجر الى المدينة فنعم حتى حوّل الى الكعبة . وربما تشعر الرواية بانه (ص) صلى في مكة الى بيت المقدس بدون ان

قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * (١٤١) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً

يستدبر الكعبة . وعن النعماني باسناده عن امير المؤمنين عليه السلام ان رسول الله (ص) كان يصلي في أول مبعثه الى بيت المقدس جميع ايام مقامه بمكة «الرواية» وفي الفقيه وصلى رسول الله (ص) الى بيت المقدس بعد النبوة ثلاث عشرة سنة وتسعة عشر شهرا بالمدينة وفي الدر المنثور اخرج الطبراني عن عثمان بن حنيف . وفي الحديث كان رسول الله قبل ان يقدم من مكة والقبلة الى بيت المقدس ويمكن الجمع بان رسول الله كان يجمع بين القبلتين في مكة كما يومي اليه الاشعار المتقدم في رواية الحلبي . وفي الدر المنثور اخرج ابن ابي شيبة وابو داود في ناسخه والنحاس والبيهقي في سننه عن ابن عباس ان النبي (ص) كان يصلي وهو بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه الحديث والله العالم (قل لله المشرق والمغرب) أي جميع الجهات فإن تحويل القبلة كان من ناحية الشمال الغربي الى نقطة الجنوب تقريبا . وليس اعتراضهم هذا إلا من السفه فهل يزعمون ان الله تحويه جهة خاصة او ان الذي له وفي ملكه جهة خاصة او ان لبعض الجهات استحقاق للاستقبال لازم لا يعقل التخلف عنه أفلا يعقلون ان الاستقبال أمر تعبدي من الله يجريه بحسب الحكمة والمصلحة (يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) مما تقتضيه الحكمة ويوصل الى الهدى والحق (١٤١ و كذلك) أي وكما هديناكم الى صراط مستقيم (جعلناكم أمة وسطا) الوسط خيار الشيء لأنه محمي عن الفساد. وفي تفسير القمي وسطا أي عدلا . وهو المروي في روايات الجمهور كما في الدر المنثور (ليكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) ومن المعلوم ان الأمة كلها لا تتصف بالخيار والعدل و كونهم شهداء على الناس فإن فيهم الكثير ممن لا يخفى حاله . فهذه الصفات إنما تكون باعتبار البعض والموجه اليه الخطاب هو ذلك البعض . وقد روي في أصول الكافي عن بريد عن أبي عبد الله(ع) نحن الأمة الوسط ونحن شهداء الله على خلقه . وفي الحسن كالصحيح عن ابي جعفر(ع) مثله . وعن الصفار بهذا السند نحوه. وروي نحوه ايضا بسند آخر صحيح. وعن الحسكاني في شواهد التنزيل عن سليم الهلالي عن علي(ع) نحن الذين قال الله وجعلناكم أمة وسطاً . وعن العياشي عن ابن ابي عمير الزبيري عن ابي عبد الله(ع) في هذه الآية افترى ان من

وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ

لا تجوز شهادته في الدنيا على صاع من تمر يطالب الله شهادته يوم القيامة ويقبلها منه بحضرة جميع الأمم (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها) ظاهر قوله تعالى في الآية التي بعد هذه « فلنولينك قبلة » انها نزلت قبل تحوله(ص) الى الكعبة وظاهر السوق ان هذه الآية نزلت قبل تلك مع ان ظاهر قوله تعالى فيها كنت عليها كنت تتوجه اليها فيما مضى وصرفت عنها . فتشكل هذه الظواهر . ولأجل ذلك قال بعضهم أنّ كان تامة بمعنى انت عليها . وقال في الكشاف ان التي كنت عليها مفعول ثاني لجعلنا والمقصود من الموصول مكة أي وما جعلنا القبلة مكة وفيه تعقيد ومخالفة للاعتبار مع ان الاشكال المذكور على حاله ويرتفع من أصله بأن قوله كنت عليها لا يختص بما بعد الانصراف عنها وانقطاع الكون . بل قيل باعتبار الكون الماضي وتوجهه(ص) الى بيت المقدس اشهراً عديدة من دون نظر الى الانقطاع نحو وكان الله غفورا رحيماً اي وما جعلنا بيت المقدس قبلة لك هذه المدة (إلا لنعلم) اللام للعاقبة والحصر انما هو باعتبار العاقبة لا حكمة التشريع (من يتبع الرسول ممن) متعلق بنعلم لما في العلم بأحد الفريقين من التمييز له عن الفريق الآخر (ينقلب على عقبيه) ومثل ذلك في القرآن كثير كما في قوله تعالى وليعلم المؤمنين . وليعلم الذين نافقوا . ليعلم الله من يخافه بالغيب . وليعلم الله من ينصره . لنعلم أي الحزبين أحصى . إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة . ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين . والوجه في كل هذه الموارد وامثالها واحد وهو ان علمه التابع جل شأنه وان كان أزليا أبديا لكن لمقارنته لوجود المعلوم في الخارج أثر ووقع في الزجر والتوبيخ او البشرى عند الناس . ولأجل هذا الاثر والوقع جرى مجرى التعبير بالفعل المستقبل في هذه الموارد باعتبار تلك المقارنة والعلم المقارن وعلى هذا النهج جرى التعبير في القرآن الكريم بقوله تعالى يريد الله كما ورد في اكثر من عشرين موردا وان كانت ارادته ازلية وايضا لو قيل ليقع ذلك لأوهم الجبر مع انه تفوت فائدة الاعلام بكون الله عالما به . ولو قيل ليقع ما هو معلوم لله بالعلم الازلي لثارت شبهة الجبر وقالوا اذن ان العبد لا يقدر على الترك اذ يلزم منه ان ينقلب علم الله جهلا ولم يلتفتوا كما لم يلتفتوا الى ان هذا العلم تابع لا اثر له في قدرة العبد (وان كانت

لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى اللهُ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُم إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ * (١٤٢) قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

لكبيرة الا على الذين هدى الله) ان هي المخففة وتلزمها اللام التي هي للتأكيد . وظاهر السوق يقتضي ان الضمير في كانت يرجع الى القبلة التي كان عليها وهي بيت المقدس وهو الظاهر ايضا من معتبرة التهذيب عن ابي بصير عن احدهما عليهما السلام قال قلت له امره ان يصلي الى بيت المقدس قال نعم الا ترى ان الله تعالى يقول « وما جعلنا القبلة » وتلا جميع الآية الى قوله « رحيم » و كبيرة ثقيلة . ومن اللازم ان يكون استقبال بيت المقدس ثقيلا على قريش والعرب الا الذين هداهم الله الى الايمان برسول الله فيعلمون ان ذلك امر من الله الحكيم (وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤوف رحيم) في الكافي عن ابن ابي عمير الزبيري عن ابي عبد الله (ع) في الآية ان الله سمى الصلاة ايمانا . وفي الفقيه قال المسلمون صلاتنا الى بيت المقدس تضيع يا رسول الله فانزل ذلك . وذكر انه اخرج حديثه في كتاب النبوة . وفي رواية العياشي انه لما حولت القبلة قالوا ما حالنا اي في صلاتنا الماضية وما حال من مضى في صلاتهم الى بيت المقدس فانزل الله وما كان الله ليضيع ايمانكم . وفي الدر المنثور عن ابن عباس نحوه وصححه الحاكم

(١٤٢ قد نرى تقلب وجهك في السماء) قد هنا للتكثير

قد اترك القرن مصفراً انامله كأن اثيابه مجت بفرصاد

وقول عمران الانصاري . او امرؤ القيس

قد اشهد الغارة الشعواء تحملني جرداء معروقة اللحيين سرحوب

قال القمي في تفسيره ان اليهود كانوا يعيرون رسول الله ويقولون انه تابع لنا يصلي الى قبلتنا فاغتمّ رسول الله وخرج في جوف الليل ينظر آفاق السماء ينتظر امر الله الخ . وفي مجمع البيان نسبه الى رواية القمي عن الصادق (ع) مع كلام ذكره القمي بعد ذلك . نعم ذكر في الفقيه نحو ما ذكره القمي واحال روايته على كتاب النبوة . فتدل الآية على انه (ص) كان له شأن في امر القبلة (فلنولينك قبلة ترضاها) لانها مرضية بفضلها وسابقتها وحكمة دعوة العرب وهي اول بيت وضع للناس فيه آيات بينات (فول وجهك شطر

وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ * (١٤٣) وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

المسجد الحرام) أي نحوه والقبلة هي الكعبة بالضرورة كما يلهج بذلك المسلمون في تلقين موتاهم وفي تعقيباتهم وغير ذلك . وجاءت بذلك الاحاديث بنحو لا يقصر عن التواتر . ففي جامع البخاري وغيره عن ابن عمر ان النبي ركع ركعتين في قُبل الكعبة وقال هذه القبلة . وفي جوامع البخاري ومسلم وابي داود والنسائي والموطأ عن البراء وانس وابن عمر في حديث تحول القبلة ان تحول المصلين كان الى الكعبة وروى الفريقان ان الارض زويت لرسول الله ورأى الكعبة فجعل محرابه بازاء الميزاب . ومن طريق الامامية اورد في الوسائل نحو اربعة عشر حديثا في ان الكعبة هي القبلة . واكثر هذه الاحاديث تصرح بان الكعبة هي التي صرف اليها رسول الله في هذه الآية . ولا مانع من ان تسمى الكعبة مسجدا باعتبار انها يسجد اليها . او يقال ان الآية نزلت في السنة الثانية من الهجرة فكان الخطاب بجعل الكعبة قبلة عامة ومتوجها لرسول الله ومن معه من المسلمين واهل المدينة وضواحيها فجرى التعبير بالمسجد الحرام باعتبار سعة استقبالهم للكعبة باستقبال المواجهة والاحترام والتعظيم مما يتحقق به ذلك عند الناس كما هو الظاهر من الآية . وان استقبالهم للمسجد بهذا النحو يلزمه استقبال الكعبة بهذا النحو ايضا (وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) اي نحوه بالنحو المتقدم دون الاستقبال الهندسي لان تكليف النائين به حتى مثل اهل المدينة بل ما كان عن مكة بمرحلة مثلا يستلزم التكليف بما لا يطاق . ولا شك في انه كلما بعد المستقبل اتسعت وجهة استقباله للكعبة بالمواجهة الاحترامية التعظيمية وقد استقصينا الكلام في ذلك في رسالتنا في القبلة (وان الذين أوتوا الكتاب) اليهود والنصارى (ليعلمون انه) أي التحويل الى الكعبة هو (الحق من ربهم) إما لأنهم يعلمون ان أمر القبلة والاستقبال منوط بتشريع الله وأمره وإما لأنهم يعلمون ان الكعبة هي بيت الله من زمان ابراهيم . وفي مجمع البيان لأنه كان في بشارة الأنبياء لهم انه يكون نبي صفاته كذا وكذا وانه يصلي الى القبلتين ونحوه في الكشاف (وما الله بغافل عما يعملون) من اقوالهم وافعالهم عناداً على خلاف ما يعلمون (١٤٣ ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب) ولم يوفقوا للإيمان بك

بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ * (١٤٤) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * (١٤٥) الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * (١٤٦) وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ

(بكل آية ما تبعوا قبلتك) أي الكعبة (وما انت بتابع قبلتهم) اتباعاً خصوصا بعد ما أمرت بالتوجه شطر المسجد الحرام (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) فان النصارى تتوجه الى المشرق واليهود الى بيت المقدس (ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذاً لمن الظالمين) هذا توبيخ لهم وتبكيت بانهم اصحاب اهواء فاسدة لا يتبعها الا الظالمون ٠ وخوطب بذلك رسول الله لقطع اطماعهم ولبيان فضله لانه لا يتبع اهواءهم ابدا بدليل قوله تعالى «وما انت بتابع قبلتهم» (١٤٤ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه) اي يعرفون رسول الله على الصفات التي وصف بها في كتبهم والاسم الذي سمي به بنحو لا ينبغي الريب فيه كما في تفسير البرهان عن محمد بن يعقوب الكليني بسند فيه رفع عن امير المؤمنين عليه السلام ٠ وعن علي بن ابراهيم في الحسن كالصحيح عن الصادق (ع) ٠ وفي الآية التفات من الخطاب الى الغيبة (كما يعرفون ابناءهم) وان غابوا عنهم مدة طويلة (وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) به من كتبهم وهذا الفريق هم من عدى الأوباش الذين لا يعلمون شيئا من كتبهم ومن عدى الذين اسلموا او شهدوا بالحق وأصروا على الغيّ (١٤٥ الحق من ربك) أي هو الحق من ربك (فلا تكونن من الممترين) الشاكين فيما تقوم عليه الحجة العلمية ٠ والخطاب في النهي يراد به غير النبي كما في قوله تعالى في سورة الاسراء «٢٤ و٢٥ اما يبلغن عندك الكبر — فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما — وقل — واخفض — وقل» (١٤٦ ولكل وجهة هو موليها) لم اجد عن النبي واهل البيت شيئا في ذلك ٠ ويمكن تفسير الآية بالنظر في سورة المائدة في قوله تعالى «لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا» «ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات» «الآية» فالمعنى والله العالم ولكل من الأمم الذين شرع الله لهم احكاما شريعة ولاه الله اياها وامره باتباعها مالم تنسخها الشريعة والوجهة التي بعدها فيولي الله الناس اياها (فاستبقوا الخيرات)

أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ ٱللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * (١٤٧) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا

وجاء قوله تعالى «فاستبقوا» متعدّياً الى المفعول بنفسه هاهنا وفي آية الانعام وفي سورة يوسف واستبقا الباب وفي سورة يس فاستبقوا الصراط ولو كانت بمعنى الاستباق وطلب السبق بكسر السين لوجب تعديتها بإلى . والنصب بنزع الخافض في مثل المقام بعيد من كرامة القرآن في عربيته وفصاحته . فالوجه انها في هذه الموارد من طلب السبق بفتح السين والباء وهوما يحصله السابق بسبقه ومنه السبق المجعول في رهان المسابقة وفي جعل الخيرات والباب والصراط في الآيات سبقا بفتح السين والباء كناية لطيفة عن انه هو الغاية المطلوبة والفائدة المقصودة في المسابقة وحاصل المعنى والله العالم لكل أمة شريعة أمرت باتباعها وقد نسخ بعض الشرائع فسارعوا الى الحق واطلبوا ان تكون خيرات الأحكام وهي التي لم تنسخ وجاء بها الكتاب الذي يهدي للتي هي اقوم هذه اطلبوها سبقا لكم والغاية الشريفة من مسارعتكم وما هي إلا شريعة رسول الله والقرآن الكريم . ومن ذلك وأهم مصاديق الخيرات هي الولاية كما عن الكافي عن الباقر«ع» كما في آية إنما وليكم . وحديثي الغدير . والثقلين وغير ذلك . (أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا إن الله على كل شيء قدير) وباعتبار السياق يكون المعنى ان يجمعكم يوم القيامة للحساب والجزاء من عذاب او نعيم ولا يعجز الله حشركم وجمعكم فإنه يأتي بكم أينما تكونوا . واما باعتبار عموم اللفظ وكثرة مصاديقه فقد روى في تفسير البرهان نحو اثنتي عشر رواية عن الأئمة«ع» انهم استشهدوا بالآية لجمع الله اصحاب الحجة المنتظر من اطراف الأرض الى النهوض مع الحجة عليه السلام . وللتأكيد في امر استقبال الكعبة في الصلاة وعمومه في جميع الاحوال سفراً وحضراً قال الله تعالى (١٤٧ ومن حيث خرجت) سواء كان الخروج من مكة الى المدينة اومن المدينة الى الشام بحيث يكون الوجه في المسير الى بيت المقدس على الانحراف اليسير او الاستقامة ام كان الى جهة مكة او المشرق او المغرب (فول وجهك) في جميع هذه الاحوال وجميع الجهات (شطر المسجد الحرام) نحوه (وانه) اي التوجه الى المسجد الحرام في الصلاة على الاطلاق المنصوص عليه (للحق من) امر (ربك) وشريعته الجارية على الحكمة وكرامة البيت وان الله لا يضيع اجركم في امتثال امره (وما الله بغافل عما تعملون ١٤٨ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد

اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعمَلُونَ * (١٤٨) وَمِنْ حَيثُ خَرَجتَ فَوَلِّ وَجهَكَ شَطرَ المَسجِدِ الحَرَامِ وَحَيثُ مَا كُنتُم فَوَلُّوا وُجُوهَكُم شَطرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيكُم حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنهُم فَلَا تَخشَوهُم وَاخشَونِي وَلِأُتِمَّ نِعمَتِي عَلَيكُم وَلَعَلَّكُم تَهتَدُونَ * (١٤٩) كَمَا أَرسَلنَا فِيكُم رَسُولًا مِنكُم يَتلُو عَلَيكُم آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُم وَيُعَلِّمُكُمُ الكِتَابَ وَالحِكمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَا لَم تَكُونُوا تَعلَمُونَ *

الحرام) وهـذا الخطاب للرسول وان كان كافيا في عموم الشرعية والتكليف للمسلمين لكن الحكمة تقتضي التأكيد بالنص وتأكيده فقيل كما سبق (وحيثما كنتم) خطاب للرسول وامته (فولوا وجوهكم شطره) وان كنتم عند بيت المقدس وفي بلده (لئلا) اي شرع لكم ذلك بالاوامر المذكورة لئلا (يكون للناس عليكم حجة) وان كانت داحضة (١) هذا يقول اتبع قبلتنا وهذا يقول تركوا كعبتهم مع افتخارهم بسابقتها وفضلها وهذا يقول تركوا قبلة ابراهيم واسماعيل. او وهذا يقول مكتوب ان النبي يصلي الى القبلتين. وهذا يقول مكتوب انه يصلي الى الكعبة (الا الذين ظلموا) منهم استثناء من الناس فان هؤلاء الظالمين لا يقطعون جدلهم واحتجاجهم بالاباطيل حسب ما تغريهم اهواؤهم وظلمهم (فلا تخشوهم واخشوني) اي ولتكن خشيتكم لي (ولأتم نعمتي عليكم) بتشريع الاستقبال للقبلة المرضية قبلة ابراهيم وحصره بها (ولعلكم تهتدون) اي ولأجل ان تهتدوا الى معرفة لطف الله باتمام النعمة بذلك عليكم وقطع حجج المجادلين لكم. او والى اقامة الصلاة بحدودها الى هذه القبلة ولكن لما كان الاهتداء من افعال الانسان وناشئا عن اختياره للتفكر ومجانبته لشكوك الاهواء وعنادها قيل في تعليله لعل وكذا كل غاية في القرآن هي من اعمال العباد وراجعة الى اختيارهم نحو لعلكم تشكرون. تتفكرون لم تخرج مخرج الجزم في التعليل. وقد لطف الله في امر القبلة بعباده لهذه الغايات الشريفة (١٤٩ كما ارسلنا فيكم رسولا منكم) وكونه منكم اقرب الى انقيادكم للأسلام (يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم) بدينه وشريعته وتعاليمه (ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) مما يهمكم ويزينكم ويهذبكم وان تعدوا نعمة الله في ذلك لا تحصوها (١٥٠ فاذكروني) بما فيه سعادتكم

(١) في سورة الشورى ١٥ حجتهم داحضة . وفي الجاثية ٢٤ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين

(١٥٠) فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ * (١٥١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ * (١٥٢) وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ * (١٥٣) وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * (١٥٤) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * (١٥٥) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ *

وكما لكم من العبادة والطاعة والشكر لنعمي اعد عليكم بالجزآء واللطف والنعمة والمزيد. ولأجل المقابلة اللفظية جرى التعبير عن ذلك بقوله تعالى (اذكركم واشكروا لي) نعمائي عارفين بها (ولا تكفرون) لا تكفروني نعمتي لاتجحدوني نعمتي كفره حقه جحده (١٥١ يا ايها الذين امنوا استعينوا) في امر دينكم وعبادتكم وطاعتكم لله واجتناب معاصيه وفي مصائبكم (بالصبر) فانه نعم المطية ومفتاح الفرج ووسيلة البشرى بالصلوات من الله والرحمة (والصلاة) عطف على الصبر فانها باب الله في مناجاته والاستعانة به ومعراج السعادة والناهية عن الفحشاء والمنكر (ان الله مع الصابرين) وكفى بذلك بشرى (١٥٢ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله) هم (اموات بل) هم (أحياء ولكن لا تشعرون) بحياتهم لأن عالمهم غير عالمكم. وقد اخبر الله جلت آلاؤه عما لحيوتهم السعيدة من الكرامة والحبور كما في الآية الثالثة والستين بعد المائة والتين بعدها من سورة آل عمران (١٥٣ ولنبلونكم) يا ايها الذين آمنوا كما يقتضيه سياق الخطاب. او يا ايها الناس (بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين) على ذلك رضىً بما قضى الله وتسليما لحكمته فلا يصدهم ما ذكر عن شكر ما هم فيه من نعمة ولا عن عبادته وطاعته والجهاد في سبيله بل هم (١٥٤ الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله) وكل ما هو لنا من حياة ونعمة إنما هو من عنده بدون استحقاق لنا في أقل شيء من ذلك يفعل بحكمته مايشاء (وإنا اليه راجعون) في الآخرة فيعاملنا بصبرنا او جزعنا الذي هو كفران لنعمه (١٥٥ أولئك عليهم صلوات من ربهم) ثناء جميل (ورحمة) بالثواب والجزاء (وأولئك هم المهتدون) الى الحق بصبرهم وتسليمهم لله

(١٥٦) إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِما وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً

وعلمهم واعترافهم بأنهم لله وانهم اليه راجعون (١٥٦ إن الصفا والمروة) موضعان معروفان بمكة يسعى بينهما في الحج والعمرة (من شعائر الله) من معالم اعمال الطاعة التي جعلها الله في الحج والعمرة وان عرض ان المشركين جعلوا عليهما الأصنام كما جعلوها على البيت الحرام الى ان القاها عنه رسول الله في فتح مكة إذ أصعد اميرالمؤمنين على كتفيه ورمى بها الى الارض (فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما) الحج والعمرة معروفان والتطوف الطواف . وسمي السعي تطوفا باعتبار تكرره فيكون كالطواف الذي يرجع الى مبتداه وطاف به اعم من الطواف حوله وجعله في وسط المطاف كالطواف بالبيت ومن المرور به في الطواف كما تسمى الكثيرة الخروج من دارها طوّافة بالبيوت . وقد اتفقت الرواية من المسلمين على ان قريشا جعلوا من اصنامهم على الصفا والمروة فتوقف المسلمون من الطواف بهما لمكان الأصنام فرفع توهم التحريم بقوله لا جناح لأنها من شعائر الله وذلك لاينافي الوجوب كما ثبت من السنة وعليه اجماع الإمامية واكثر الجمهور . ففي تفسير البرهان عنه أي عن محمد بن يعقوب في الكافي في الحسن كالصحيح عن ابي عبدالله «ع» في حديث حج النبي «ص» وان المسلمين كانوا يظنون ان السعي بين الصفا والمروة شيء صنعه المشركون فأنزل الله تعالى ان الصفا والمروة الآية . قلت ولم أجد هذا الكلام في مظانه في الكافي . وعن العياشي قال ابو عبد الله في خبر حماد بن عثمان انه كان على الصفا والمروة اصنام فلما ان حج الناس لم يدروا كيف يصنعون فأنزل الله هذه الآية فلما حج النبي رمى بها . وفي الكافي في باب السعي في المرسل المعتبر عن أبي عبد الله «ع» ان رسول الله «ص» شرط على قريش في عمرة القضاء ان يرفعوا الأصنام من الصفا والمروة فجاؤا اليه وقالوا يا رسول الله ان فلانا لم يسع بين الصفا والمروة وقد أعيدت الأصنام فأنزل الله عزّ وجلّ « فلاجناح عليه أن يطوّف بهما » وذكر القمي في تفسيره نحوه . وفيه ايضا ان عمرة القضاء كانت سنة سبع من الهجرة . وذكر الآية من أولها ولم ينسب شيئا من ذلك الى رواية (ومن تطوع خيراً) تجيء صيغة تفعل للاتخاذ والجعل نحو توسد الحجر . وقد يتجلى عليها معنى الطلب والرغبة والتحصيل نحو تعرّفت وتعلمت وتبصرت من البصيرة في

فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ * (١٥٧) إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ * (١٥٨) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * (١٥٩) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * (١٦٠) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ * (١٦١) وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

غير المطاوعة. ومن ذلك قول امرؤ القيس في معشوقته :

« تنورتها من اذرعات ودارها ... بيثرب أدنى دارها نظر عالي »

فالمعنى ومن اتخذ الخير المشروع طاعة بطلب لها ورغبة . ولا دليل من اللغة ولا من هيئة التطوع او مادته على اختصاصه بالمستحبات . بل ان المقام يأبى ذلك فإن السعي حق في الحج والعمرة المندوبين يجب بالشروع فيهما . وحاصل الآية ان التطوف بالصفا والمروة خير لأنه تعظيم لشعائر الله وطاعة له في ذلك من تطوع خيرا (فإن الله شاكر عليم) بالطاعة لا يخفى عليه شيء منها ومجاز عليها . وإن كان الشكر مختصا بالنعمة واليد فنسبته الى الله مجاز(١٥٧ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات) الواضحات في الارشاد (والهدى من بعد ما بيناه للناس) وأوضحنا دلائله (في الكتاب) والعموم في الكتاب للقرآن وغيره من كتب الله أنسب بعموم التوبيخ وقيام الحجة واستحقاق اللعنة . ولذلك مصاديق كثيرة . ومنها ما رواه في البرهان عن العياشي (أولئك يلعنهم الله) يطردهم عن رحمته (ويلعنهم) أي يدعو عليهم بالطرد عن الرحمة (اللاعنون ١٥٨ الا الذين تابوا وأصلحوا) اعمالهم (وبينوا) ما كانوا يكتمونه وغيره مما ينبغي بيانه من الحق (فأولئك اتوب عليهم وانا التواب) على من تاب حق التوبة (الرحيم ١٥٩ ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله) وطردهم عن رحمته (و) لعنة (الملائكة) اي دعائهم باللعنة (والناس اجمعين) بلعنهم للظالمين والجاحدين للحق . ومن طرده الله عن رحمته فهو معذب (١٦٠ خالدين فيها) اي في اللعنة فهم خالدون في العذاب (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) من النظرة والإمهال في العذاب والإمهال للاعتذار والتوبة (١٦١ وإلهكم إله واحد) في الالهية وصفاتها لا شريك له فيها (لا إله الا هو)

الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ * (١٦٢) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللّٰهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ

وهذه العبارة في توحيدالله في الآلهية ونفي ما عداه فيها اوضح من ان تشوش بقواعد الإعراب (الرحمن الرحيم) وقد مر تفسير الكلمتين في بسملة الفاتحة. ولعمر الحق ان مضمون هذه الآية الكريمة في وجود الإله ووحدانيته في الإلهية وابداع العالم بحكمته وارادته ورحمانيته ورحمته امر تجاوه الفطرة للعقول الحرة باوضح المجالي. ولكن الله جلت آلاؤه شاء بلطفه ان يستلفت العقول الى ذلك بالحجة القيمة بنحو يكتفي منه العلمي بنظرته البسيطة ويستنبط المتعلم لها بحسب استعداده في العلوم من كل شيء يجاوه العلم برهانا كافيا. فذكر هنا جلت الطافه بعض الآيات المشاهدة من خليقته وقال (١٦٢ ان في خلق السماوات) وما يرى فيها من الكواكب الثابتة والسيارات المرتفعة بعضها عن بعض على مدار مخصوص والمستمرة كل على سيره المنتظم على منطقة البروج فضلا عما يعرف بالعلم من فوائد سير السيار على تلك المنطقة (والارض) وما فيها من الجبال وحكمها الباهرة. ومنها تفجر العيون من اعاليها واخراج النار من براكينها. ومن انواع المعادن. ومن البحار وتياراتها وما في ذلك من الحكم (واختلاف الليل والنهار) على نظام موزون مستمر متماثل في ايام السنين يزيد النهار في كل محل من نصف الارض الشمالي بمقدار ما ينقص في ذلك اليوم من مثل ذلك المحل في العرض من النصف الجنوبي. وتجري نقيصة الليل وزيادته على عكس النهار في المحال المتماثلة في العرض من النصفين (والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس) من تجارة البلدان النائية والوصول الى البلاد البعيدة وكيف سخرت لها الرياح المسماة بالتجارية. فترى السفن تجري في زمان واحد وبحر ولحد كل الى مقصدها شمالا او جنوبا اوشرقا اوغربا (وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض) بالنبات والشجر والنمو (بعد موتها) بكونها قاحلة ماحلة واوجد فيها روح قوة الإنبات لاتحصل بالدوامل(١) العادية. ولا الماء الجاري نعم قد يحصل من القوة شيء باطيان الفيضان المتشبعة بروح المطر (وبث فيها من كل دابة) ببركة احيائها (وتصريف الرياح) التي يسمونها استوائية

(١) الدوامل ما يداوى بها ضعف الارض في الإنبات من سماد ونحوه

الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٣) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَاداً

وقطبية وموسمية وتجارية . وما في استقامتها وهدوّها في البحر المسمى بالمحيط الهادئ أي الساكن وهو الواقع ما بين آسيا وامريكا مع ان مساحة قطره من المشرق الى المغرب تزيد على سبعة آلاف ميل ومن الجنوب الى الشمال اكثر من ذلك. واستقامة انواعها ايضا في البحر المسمى بالمحيط الأطلسي وهو الواقع بين أوروبا وامريكا وربما يبلغ عرضه اربعة آلاف ميل فلا يكون في هذين المحيطين العظيمين والطريقين الموصلين ما بين الدنيا القديمة والدنيا الجديدة خطر العواصف والأعاصير التي تكون في بحر الصين والهند وبحر انتيلة المقابل لأمريكا الوسطى (والسحاب المسخر بين السماء والأرض) يجري حيث توجهه القدرة والحكمة تراه في محل واحد ينزل مطره قطرات وسحا وهكذا وتتخلل بين ذلك فترات واحوال مختلفة في نزوله وبينما هو واقف إذ اقلع مسرعا او على تأنٍ . هذا وفي كل أمرٍ من هذه الأمور وكل حال من هذه الأحوال المنتظمة بأحسن نظام يجد العقل الحر دلالة واضحة على ان كلا من ذلك إنما هو من إيجاد إله قادر عليم حكيم وتدبيره بحسب ارادته وحكمته ورحمته . ودلالة جلية على انه وحده لا شريك له في الإلهية وهذا الخلق العجيب والتدبير المنتظم ولو كان معه إله لاختل هذا النظام وفسدت المخلوقات كما قال جل شأنه في سورة الأنبياء « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » وفي سورة المؤمنون « وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض » وقد جرى الكلام بأكثر من هذا الشرح في مضامين هذه الآيات في الجزء الثاني من المدرسة السيارة في صفحة ١١٦ — الى ١٢٥ و ١٥٥ الى ١٦٠ وفي الجزء الثالث في صحيفة ١٧ و ١٨ وأنى يبلغ الشرح والبيان معشار ما في هذه الآيات من اسرار القدرة والحكم الدالة على الإله وتوحيده. وعلى الاجمال ان فيما ذكر في الآية الكريمة (لآيات) باهرات ودلالات نيرة (لقوم يعقلون) وكلما تفكروا فيما ذكر ظهرت لعقولهم من الآيات والدلالات اضعاف ما عرفوه (١٦٣ ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا) قد مر الكلام في الند في الآية الثانية والعشرين . واتخاذ الانداد اعم من تأليههم واتباعهم على ظلمهم وباعتبار القسم الثاني جاءت الرواية عن الباقر عليه السلام كما في التبيان والبيان. وعن العياشي مرفوعة عنه

يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ * (١٦٤) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ

(ع) وفي البرهان عن الكافي واختصاص الشيخ المفيد مسندة . وقيل في هذه الآية من دون الله باعتبار ان اتخاذ الأنداد حتى بالمعنى العام المذكور انما هو نكوص عن معرفة الله وحقيقة إلهيته وقدس توحيده وعبادته او نكوص عن طاعته واتباع شريعته ومن امر باتباعه (يحبونهم كحب الله والذين آمنوا اشد حبا لله) اصدق عرفانهم له في اخلاصهم في توحيده ويقينهم بأن الخلق والامر بيده وهو الرحمن الرحيم (ولو يرى الذين ظلموا) باتخاذهم الأنداد وتعديهم حدود الله في العدل (اذ يرون العذاب) ويشاهدون اهواله وانه ليس من دونه نصير (ان القوة لله جميعا) جملة ان القوة أي مصدرها مفعول ليرى (وان الله شديد العذاب) عطف على مفعول يرى . وفي الآية توبيخ شديد وتسفيه لهؤلاء بالإشارة الى انهم لا يهتدون بعقولهم ودلالة العقل على وحدانية الله في الإلهية وانحصار القوة الإلهية به . ولزوم اتباع أوامره فيمن امر باتباعه . واتباع نواهيه فيمن نهى عن الضلال باتباعه . ولا يهتدون الى اليقين بما توعد الله به من انواع العذاب الأليم في يوم القيامة . وانه ليس من دونه وليّ ولا نصير . بل هؤلاء كالبهائم لا تلتفت إلا الى ما تراه وتحسه . فلو ان هؤلاء الظالمون حينما يرون بالحس عذاب القيامة وما تذكره الآيتان بعد هذه الآية من اهوالها ويرون انحصار القوة الإلهية بالله وشدة عذابه لأقلعوا عن غيهم واتخاذهم الأنداد وأنابوا الى توحيد الله وطاعته . وحذف جواب « لو » لدلالة المقام عليه اختصارا . وليقدر بكل نحو يناسب المقام . قال امرؤ القيس

« فلو أنها نفس تموت سوية ولكنها نفس تساقط أنفسا »

وقد مرّ بعد الآية السابعة والعشرين شيء من شواهد الحذف لدلالة المقام (١٦٤ إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا) في التبيان والبيان العامل في إذ قوله تعالى « شديد العقاب » والأظهر انها بدل من إذ يروا العذاب او عطف بيان فالعامل فيها « لو يرى » (ورأوا العذاب) جميعا التابعون والمتبوعون (وتقطعت بهم الأسباب) السبب هو الحبل الذي يتوصل به الى الصعود فإذا انقطع بالشخص المتعلق به آيس من نجاته من ورطته . كنى بذلك عن انقطاع

(١٦٥) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ * (١٦٦) يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ

آمالهم بوسائلهم التي كانوا يتوهمونها (١٦٥ و قال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة) لو للتمني والتقدير لو يمكن ان لنا كرة كما تقدمت الإشارة اليه في الآية التسعين. وقيل انها لا تحتاج الى جواب كجواب الشرط. وقال بعضهم هي لو الشرطية اشربت معنى التمني ومعناه انها تحتاج الى الجواب ولكن الغالب حذفه لدلالة سياق الكلام عليه . واحتجوا بقول مهلهل بن ربيعة

فلو نبش المقابر عن كليب فيخبر بالذنائب أي زير
بيوم الشعثمين لقرّ عينا وكيف لقاء من تحت القبور

فجاء بجوابها مقرونا باللام. ولا بأس بهذه الحجة وقولها. وربما يكون بعض ما جيء بجوابها مع اللام في القرآن الكريم هي «لو» التي للتمني (فنتبرأ منهم) من المتبوعين بنصب نتبرأ لوقوعها في جواب التمني بعد الفاء (كما تبرؤا منا) أي تبريا ينفعنا في العمل والجزاء في دار لا فيها عمل ولا حساب (كذلك) أي كما تبرأ بعضهم من بعض . وتقطعت بهم الأسباب وخابت آمالهم (يريهم الله) في الآخرة (اعمالهم) في الدنيا (حسرات عليهم) أي اسباب حسراتهم على انفسهم فيما فرّطوا فيها واقيم المسبب مقام السبب مبالغة ومن مصاديق ذلك ما في التبيان والبيان . روي عن ابي جعفر«ع» قال الرجل يكسب المال ولا يعمل فيه خيرا فيرثه من يعمل منه عملا صالحا فيرى الأول ما كسبه حسنات في ميزان غيره . ورواه ايضا في تفسير البرهان عن أمالي الشيخ المفيد مسندا عن احدهما عليه السلام. وعن الكافي نحوه مسندا ايضا عن ابي عبد الله«ع» كما رواه عن العياشي ايضا (وما هم بخارجين من النار) وذلك معنى الخلود فيها والعياذ بالله (١٦٦ يا ايها الناس كلوا) الأمر هنا للإباحة (مما في الأرض) من بعضه مما أحله الله (حلالا) في نفسه (طيبا) في مأخذه وفي ذلك بلاغ لكم تعيشون به من نعمة الله ورحمته في هناء وسلامة في الآخرة (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) وتقتفوا أثره في غوايته وطريق ضلاله ووسوسته لكم فإنه لا يوسوس لكم إلا بما يضركم ولا يدعوكم إلا الى ما يوبقكم في الدنيا والآخرة (إنه لكم عدو مبين) لعداوته ولو تبصرتم فيما يغوي به الكفار

عَدُوٌّ مُبِينٌ * (١٦٧) إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * (١٦٨) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ * (١٦٩) وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * (١٧٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ * (١٧١) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ

والفساق لعرفتم انه لا يتخفى بعداوته لكم وارادته مضرتكم في الدارين. وروى في الكافي والتهذيب عن الصادق والباقر عليهما السلام ان الحلف على ذبح الولد والحلف بالطلاق والعتاق والنذر وان يقول عليّ الف بدنة وانا محرم بألف حجة او ان جميع مالي هدي وكل مملوكي حرّ ان كلمت فلانا إن هذا كله من خطوات الشيطان كما في البرهان مسندا عن العياشي مرفوعا. وروى في الدر المنثور فيما اخرجه الرواة وصحح بعضه الحاكم شيئا من نحو هذا عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وجابر بن زيد (١٦٧ إنما يأمركم) الشيطان بغوايته ووسوسته (بالسوء) بحيث تعرفون إذا نظرتم بعين البصيرة انه سوء يزجر عنه العقل والشرع (والفحشاء) وهو ما يستعظم قبحه (وان تقولوا) كاذبين (على الله ما لا تعلمون) انه منه (١٦٨ وإذا قيل لهم) أي للضالين عن الحق اتبعوا ما أنزل الله) من الدين والشريعة (قالوا) لا نتبع ذلك (بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا) من الاعتقاد والعمل ويقلدون بذلك آباءهم على عمى وضلال فسفها لهم (أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) وهم كذلك إذ كانوا على غير ما يهدي اليه العقل والشرع (١٦٩ ومثل الذين كفروا) في اقوالهم هذه التي لا يتفكرون في فساد معانيها ولا يعرفون غلطها وما يقولونه فيها (كمثل) الأصم (الذي ينعق) كنعاق الراعي في غنمه (بما لا يسمع) ولا يميز من مداليل نعاقه معنى معقولا (إلا دعاءً ونداءً) وصوتا بلا معنى وانهم في ذلك (صمٌّ بكمٌ عميٌ فهم لا يعقلون (كيف ينطقون (١٧٠ يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله) نعمه (إن كنتم إياه تعبدون) ليس المراد منه حقيقة الشرط وتعليق الشكر على عبادته. بل لبيان ان الشكر لنعمه ملازم لعبادته عن معرفة بأنه إله العالم وخالقه ومدبره (١٧١ إنما حرّم عليكم الميتة) وهي الحيوان الذي عرض عليه

وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ

الموت والمراد منها غير الحيوان المذكى بما شرعه الله له من اسباب التذكية المحللة للأكل (والدم ولحم الخنزير) نص على لحم الخنزير الشامل هنا لشحمه عناية ببيان تحريمه وان كان من الميتة المحرمة (وما أهل به) ورفع الصوت عند ذبحه او نحره بالتسمية (لغير الله) كالذي يذبح قربانا للصنم او الوثن والشجر او الذي يذكر عليه اسم الصنم والوثن وكلاهما مروي فإنه من الميتة. والحصر في الآية اضافي بالنسبة الى المأكول من الحيوان (فمن اضطر) إلى أكل شيء من ذلك بمقدار ما يحفظ به حياته حال كونه (غير باغٍ ولا عادٍ) وقد جاء في القرآن باغ في البغي وما يشتق منه في اكثر من عشرين موردا على معنى واحد لا يتعدى بنفسه وإنما يعدى بعلى. واختلفت كلمات المفسرين واللغويين في تفسيره بحسب ما يتراءى لهم من مناسبات الموارد لاستعماله لا لاختلاف فيه او اختلافه في تلك الموارد . فقالوا انه الحسد او الظلم او الاعتداء او الفساد من بغى الجرح إذا فسد او مجاوزة الحد عن الحق او عن القصد كما في تبيان الشيخ والنهاية والقاموس والمصباح والكشاف ومجمع البيان وهذا غير معنى الباغي بمعنى الطالب . ومنه في القرآن «ويبغونها عوجا» وابتغى ويبتغي وتبتغي ونحوه مما يتعدى بنفسه . وفي الكافي ومعاني الأخبار عن البزنطي عمن ذكره عن ابي عبد الله «ع» الباغي الذي يخرج على الإمام والعادي الذي يقطع الطريق . وسندها صحيح باعتبار رواية الصدوق وكون البزنطي ممن اجمع على تصحيح ما يصح عنه وبذلك فسره في المبسوط والشرائع والقواعد والارشاد واللمعة . وفي الروضة انه الأشهر . وفي البرهان عن تفسير العياشي عن حماد بن عثمان عن ابي عبد الله عليه السلام الباغي الخارج على الإمام . وعن محمد بن اسماعيل يرفعه الى ابي عبد الله «ع» الباغي الظالم والعادي الغاصب . وفي التبيان وقيل غير باغ على إمام المسلمين ولا عاد بالمعصية طريق المحقين . وفي البيان هو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام . وفيه نظر فإن روايته عن الباقر غير مذكورة والرواية عن ابي عبد الله «ع» ليست منحصرة بذلك . ففي الكافي والتهذيب عن حماد بن عثمان عن ابي عبد الله «ع» قال الباغي باغي الصيد والعادي السارق . وفي رواية الفقيه والتهذيب عن عبد العظيم الحسني عن ابي جعفر الجواد (ع) الذي يبغي الصيد لهواً وبطراً . وتفسير الباغي في هذه الروايات باعتبار

فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * (١٧٢) إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * (١٧٣) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ * (١٧٤) ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ *

ان ما ذكر فيها من مصاديق البغي والباغي . اما الخارج على الإمام فظاهر واما طالب الصيد لهواً وبطراً فباعتبار ان هذا النحو من التصيد مصداق من مصاديق البغي . ففي الكافي والتهذيب عن ابي عبد الله (ع) ان الخروج الى الصيد صيد اللهو ليس بمسير حق . وفي الكافي والتهذيب وعن المحاسن انه مسير باطل . وعن الخصال من الكاظم (ع) قال قال رسول الله اربعة يفسدن القلب وينبتن النفاق وعد منها الصيد . ثم ان كلا من الروايتين في تفسير الباغي تكون قرينة على ان لا ينحصر تفسير الباغي بما ذكرته . بل هو احد المصاديق ولكن خرج في نقل الرواية والسؤال والجواب بهذا الأسلوب . اذن فكل من صدق عليه انه باغ او عاد لم يجز له ان يتناول من الميتة وان اضطر اليها اخذاً باطلاق الكتاب المجيد (فلا اثم عليه اذا أكل مما ذكر بمقدار ما يحفظ به نفسه وما فوق هذا المقدار محرم لانه غير مضطر اليه (إن الله غفور رحيم ١٧٢ ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به) اي يستبدلون به (ثمنا) ومهما بلغ ذلك الثمن كان (قليلا) بالنسبة لكتمانهم لما انزل الله (أولئك) خبر ان (ما يأكلون في بطونهم) من هذا الثمن الخسيس (الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم) فلا يغتروا بأن الناس في الدنيا الفانية يكلمونهم ويزكونهم فإن لهم شديد العقاب (ولهم عذاب اليم ١٧٣ أولئك الذين) في عملهم هذا قد (اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة) ففعلوا بذلك فعل الصابر على النار بصبر عظيم (فما اصبرهم على النار ١٧٤ ذلك)وهو ان الله لا يكلمهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم (بان الله نزل الكتاب بالحق) بيناً هداه كافية دلائله (وان الذين اختلفوا في الكتاب) شقاقا ونفاقا (لفي شقاق بعيد) امده (١٧٥ ليس البر) ايها الناس هو (ان تولوا وجوهكم) فيما اعتدتم عليه من صور عباداتكم التي لا يسعكم

(١٧٥) لَيسَ البِرَّ أنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشرِقِ وَالمَغرِبِ وَلكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ وَالمَلائِكَةِ وَالكِتابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى المَالَ عَلى حُبِّهِ ذَوِي القُربَى وَاليَتامَى وَالمَساكِينَ وَابنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقابِ وَأقامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكاةَ وَالمُوفُونَ بِعَهدِهِمْ إذا عاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي البَأساءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ البَأسِ أُولئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولئِكَ هُمُ المُتَّقُونَ *

تركها بين الناس (قبل المشرق والمغرب) اي نحوهما على سبيل المثال (ولكن البر من آمن بالله) حق الايمان ولم يشرك به شيئا ولم يهدم ايمانه باتباع الهوى والشيطان في مخالفة اوامر الله ونواهيه (واليوم الآخر) يوم القيامة وحقيقة الايمان بـه ان يظهر اثره على افعاله واقواله واخلاقه (والملائكة والكتاب) القرآن ويلزمه الايمان بما ذكر فيه من الكتب الإلهية (والنبيين) وراس ذلك واساسه هو الايمان بخاتمهم رسول الله صلى الله عليه وآله فإنه بالايمان به ينفتح باب الايمان بمن سبقه من الأنبياء لانه (ص) اخبر بهم وذكروا في القرآن المنزل عليه ولولا ذلك لما وجد الطريق الى معرفتهم لأن نقل معجزاتهم وادعاءهم النبوة منقطع مريب (وآتى المال على حبه) اي حب الله خالصا لوجهه الكريم (وذوي القربي) قال في التبيان والبيان اراد به قرابة المعطي . اقول وهو اقرب من حيث اللفظ وفيهما ايضا ويحتمل ان يكون اراد قرابة النبي . اقول وهو اقرب في العادة الى ايتاء المال على حب الله خالصا لوجهه فإنه ابعد عن الدواعي النفسانية وحب الاقرباء وفي البيان وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليه السلام . قلت ولم اجد الرواية بالنسبة لهذه الآية (واليتامى) المحتاجين (والمساكين وابن السبيل) المسافر المحتاج في سفره وان كان له مال لا يصل اليه (والسائلين) منه مالا (وفي) عتق (الرقاب (واقام الصلاة) بحدودها (وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا) ذكر الشرط لبيان هذا النحو من العهد وهو الذي يصدر منهم وجيء بصيغة الجمع للاشارة الى العهود التي تقع بين الجماعات من الناس وللتعريض بغدر بني النضير وقريضة وامثالهم ممن لم يرع في العهد إلا ولا ذمة (والصابرين في البأساء الفقر ونحوه (والضراء) المرض ونحوه (وحين البأس) الحرب وشدتها ونصب الصابرين على المدح لما في صبر هؤلاء الصابرين من الفضيلة الكبرى اذ عليه يبتني الثبات على الدين والطاعة لله وشكر نعمه والشدة والاقدام في نصرة الحق والسلامة من

(١٧٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى

الضلال والارتداد (اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون) ومن المعلوم انه لم يجمع هذه الصفات من صحابة رسول الله (ص) الا امير المؤمنين علي عليه السلام واستقراء الأحوال . ومنها يوم أحد والأحزاب وخيبر وحنين يعرفك اختصاصه (ع) بهذه الفضيلة . فهو معني بهذه الآية يقينا واما غيره فلا أقل من الشك في جامعيته لها . وفي مجمع البيان عن الزجاج والفراء انها اي هذه الصفات وجامعيتها مخصوصة بالأنبياء المعصومين وليت شعري ما ذانقموا من ابي الحسن . واما قوله (تعالى) ولكن البر من آمن بالله فهو اسلوب فائق من البلاغة يخرج الكلام به من صورة الفرض الذي لا يهم في البيان الى صورة الوقوع والحجة بالعيان . قال الحارث بن حلزة اليشكري

والعيش خير في ظلال النو ك ممن عاش كدا

وقال النابغة الجعدي كأن غديرهم بجنوب سلى نعام قاق في بلد قفار

وقال الحطيئة وشر المنايا ميت وسط اهله كهلك الفتى قد اسلم الحي حاضره

فالغرض من الآية هي الإشارة الى الذين اتصفوا بهذه الصفات واشرقت الأرض بنورهم والاحتجاج والمقابلة بهم لا مجرد المقابلة بين تولية الوجه قبل المشرق والمغرب وبين حقيقة البر . ولو قيل ولكن البار من آمن الى آخره لخرج الكلام الى الفرض لا الوقوع . وكذا لو قيل ولكن البر بر من آمن (١٧٦ يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم) في الشريعة رعاية لحق المقتول واوليائه (القصاص في القتلى) القصاص اخذ الجاني بمثل جنايته واتباع اثره فيها وهذا خاص بالعمد لقوله تعالى في سورة النساء « ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة ودية مسلمة الى اهله » الآية . وعلى ذلك اجماع المسلمين واحاديثهم وما كل المسلمين تتكافأ دماؤهم وتتساوى . بل (الحر بالحر والعبد بالعبد) ويقيد اطلاق جنسهما في شموله للذكر والأنثى بقوله تعالى (والأنثى بالأنثى) كما يتقيد اطلاق هذا بقوله تعالى « الحر بالحر والعبد بالعبد » فإن الأمة المسلمة لا تكافئ المسلمة الحرة . وفيما يتعلق بهذه الآية مبحثان « الأول » فيما خرج من اطلاقها وفيه مسائل

« الأولى » لا يقتل مسلم بكافر وان كان ذميا . وعليه إجماع الإمامية و كثير من الجمهور . ولم يعرف الخلاف فيه منهم الا عن الشعبي والنخعي وابي حنيفة وصاحبيه . ويردهم قوله تعالى في

سورة النساء « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » نعم تثبت الدية للذمي بنص الآية الرابعة والتسعين من سورة النساء . فإن كان ذلك منافيا لظاهر نفي السبيل كان تخصيصا له ويبقى ما عداه لحكم العموم . ويحتج عليهم ايضا بما اخرجه احمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي باسانيدهم من ابي جحيفة عن علي عليه السلام في الصحيفة التي عن رسول الله (ص) لا يقتل مسلم بكافر . واخرج احمد والنسائي وابو داود باسانيد صحيحة عندهم عن ابي حسان تارة وعن قيس بن سعد اخرى عن علي (ع) في الصحيفة التي عهد بها رسول الله . المؤمنون تكافأ دماؤهم — لا يقتل مؤمن بكافر الحديث » والمراد من تكافأ دمائهم ان الصغير يكافئ الكبير والوضيع الشريف . وعن احمد وابن ماجة عن ابن عمر عن النبي (ص) مثله . وفي كنز العمال في ذلك عدة احاديث . نعم المشهور عند الإمامية ولعله اجماع ان المسلم اذا اعتاد قتل اهل الذمة قتل تأديبا ولا كرامة له كما نطقت به احاديثهم . وفي الكنز عن عبد الرزاق في جامعة وق عن عمر نحو ذلك

« الثانية » لا يقتل الأب بابنه باجماع الإمامية واحاديثهم الكثيرة وهو المعروف من فقهاء الجمهور ورواه في كنز العمال مما اخرجه ابن ابي شيبة وابن ماجه والطبراني في الأوسط وابن عساكر واحمد في العلل والدارقطني وعبد الرزاق في احاديثهم عن عمر عن رسول الله (ص) واسنده الترمذي عن عمر وسراقة بن مالك عنه (ص) وقال الترمذي ان العمل على هذا عند اهل العلم . وعن مالك ان ذبحه ذبحا او شق بطنه فعليه القود . واما الأم فإنها تقتل بولدها على اصولنا اذ لم يثبت المخرج لها

« الثالثة » لا يقتل حر بعبد ولا حرة بأمة سواء كان المقتول ملكا للقاتل اولغيره . وعليه اجماع الإمامية واحاديثهم . قيل وهو مذهب الصحابة . بل لم يعرف الخلاف من الجمهور الا من النخعي حيث قال يقتل بعبده وعبد غيره . وقال ابو حنيفة يقتل بعبد غيره ويحتج عليهما من حديثهم بما اخرجه البيهقي عن ابن عباس عن النبي (ص) لا يقتل حر بعبد . وما أخرجه ابن عبد الرزاق في جامعه عن عمر لا يقاد العبد من الحر . وما اخرجه ابن أبي شيبة والقزويني ان ابا بكر وعمر يقولان لا يقتل المولى بعبده

« المبحث الثاني » ان الآية مسوقة لبيان التساوي والتكافؤ فلا دلالة فيها على حصر القصاص وانحصاره بخصوصيات هذه المقارنات الثلاث بحيث لا يقتل كل الا بمن جعل في الآية مقارنا

فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ

له . ولا بما اذا كان القاتل واحدا . ويشهد لذلك اجماع المسلمين واحاديثهم على عدم الالتزام بهذه المقارنات وفي ذلك مسائل

« الاولى » يعرف ما يحصل به التكافؤ والتساوي والجبران في القصاص بالنظر الى السنة في التفرقة بين دية الرجل والمرأه

« الثانية » اذا قتلت المرأة رجلا او قتل العبد حراً كفى قتل الجاني باجماع الإمامية وحديثهم بانه لا يجني الجاني على اكثر من نفسه ولا يحضرني نقل خلاف فيه من الجمهور

«الثالثة» اذا قتل جماعة واحداً بحيث او انفرد كل منهم بجنايته كان بها التلف جاز أن يقتلوا به جميعا الا من كان لو انفرد لا يقتل به كالأب بالنسبة للولد والمسلم بالنسبة للذمي والحر بالنسبة للعبد . وعلى كلي المسئلة اجماع الإمامية واحاديثهم . والجمهور ومنهم في ملتقى الأنهر نقلوا عليه اجماع الصحابة وكأنهم لم يعتنوا بما يحكي من خلاف ابن الزبير و معاذ . بل لم يعرف الخلاف من فقهائهم الا من ابن سيرين والزهري وربيعة وداود واصحابه اهل الظاهر . والحجة ايضا على ما ذكرناه من القرآن الكريم اطلاق قوله تعالى « كتب عليكم القصاص في القتلى » والذي بعد ذلك إنما ينظر الى المساواة والمقابلة لا الى التقييد . نعم كل واحد يردّ عليه من ديته بقدر ما على اصحابه من الجناية . وظاهر بعض الأصحاب ان قتل الولي لكل واحد يتوقف على اداء ما يردّ عليه من ديته . وفي المسئله فروع تتكفل بها كتب الفقه

« الرابعة » اذا قتل الرجل امرأة جاز ان يقتل بها بعد أن يردّ اولياؤها مايفضل به عليها وهو نصف ديته . ومن ذلك والمسئلة السابقة يعرف الحكم فيما لو اشترك اكثر من واحد . هذا وان كتابة القصاص وشرعيته على المؤمنين بأن ينقادوا ويسلموا أنفسهم له اذا جنوا ليدل بالأولوية على كتابته على غيرهم من اهل الذمة والمستأمنين اذا قتلوا محترم النفس ولو بالعرض . ولا ينافي ذلك سقوطه بعفو الولي كل العفو . وجواز العفو ورجحانه بآيات العفو في القرآن الكريم او بعفو بعض العفو كأن يعفو عن خصوصية القتل ويصالحه على الدية كقوله تعالى (فمن) كان ممن عليهم القصاص (عفي له من أخيه) وفي التعبير بالاخ ترغيب في العفو بالإشارة ان الجاني من المسلمين اخ اسلامي للولي والولي اخوه وينبغي للأخ ان يرعى

شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ * (١٧٧) وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٨) كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ *

لأخيه اخوّته ويسامحه ويقيله عثرته (شيء)صفة للمفعول المطلق النائب عن الفاعل اي بعض العفو وشيء منه بأن رضي منه بالدية كما يدل عليه باقي الكلام (فاتباع) اي فالمعاملة المناسبة ان تكون بينهما بعد العفو والشأن الذي ينبغي ان يكون بينهما في هذا المقام هو اتباع من الولي للجاني الذي استقرت عليه الدية (بالمعروف) كالنظرة إلى الميسرة (واداء) من الجاني (اليه) اي الولي (باحسان) كما احسن اليه بالعفو عن القصاص (ذلك) اي شريعة العفو والانتقال الى الدية بالاتباع بالمعروف (تخفيف) عليكم ايها الجانين (من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك) وعاد الى القتل (فله عذاب) في الآخرة (اليم ١٧٧ ولكم في القصاص) المذكور (حياة) فانه احسن رادع للناس عن جرئتهم على قتل النفوس الذي ربما يجني حربا يفنى فيها كثير من الناس فإن القصاص قتل لا يقدم عليه لما فيه من ذلة الانقياد الى ما يعلمه من القتل صبرا حيث لا مانع ولا رادع . فهو فيه حياة للناس من حيث الأمن من القتل ظلماً ومما تجنيه عواقبه وحياة لمن يرتدع عنه بخوف القصاص فهب انه مات اتفاقا بحق القصاص انسان واحد ظالم لكن تحفظ بذلك حياة كثيرين كما لا يخفى ذلك عليكم (يا اولي الألباب)والعقول الذين يعرفون الغلط في قول بعض الناس ان القصاص محض نقصان في حياة الانسان . وقد كتب القصاص لغاية ان تتقوا قتل الناس خوفا منه او تتقوا الله في ذلك ولكن لأجل ان الاتقاء والتقوى امر اختياري للانسان لا الجاء فيه قيل فيه (لعلكم تتقون ١٧٨ كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت) اي قرب منكم بان ظهرت اماراته بالمرض ونحوه (ان ترك خيراً) اي مالاً (الوصية للوالدين) بإهما والدان لا بقيد اجتماعهما في الحياة والوصية نائب الفاعل لكتب (والأقربين بالمعروف) اقرب الاقرباء وقد يكونون اثنين او جماعة في مرتبة واحدة من القرابة وقد يكون الأقرب واحدا وجرى الجمع في الآية باعتبار الناس لا للتقييد بالجمع (حقاً) الظاهر انه حال من الوصية (على المتقين) لله وفي هذا تأكيد لكتابتها . ولا يخفى ان المسلمين مجمعون على ان هذه الوصية غير واجبة

(١٧٩) فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * (١٨٠) فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ

بعد زمان من الهجرة الى آخر الأمر . واجمعت الإمامية على ان شرعية الوصية للوارث غير منسوخة وعلى ذلك احاديثهم . ويمكن ان يكون الوجوب المذكور في الآية كان في بدء التغيير بالشريعة لمواريث الجاهلية فإنهم كانوا لا يورّثون النساء ولا الأطفال ولا من يعجز عن حمل السلاح فاقتضت الحكمة ان يكون التغيير تدريجيا بنحو الوصية اولاً ثم باحكام المواريث فإن تغيير الميراث الجاهلي صعب على الناس. ولذا ترى كثيرا من القبائل حتى في هذه الأزمنة لا ينقادون للميراث الشرعي . بل يجرون على النحو الجاهلي (١٧٩ فمن بد له) اي الإيصاء مطلقا المدلول عليه بذكر الوصية لا خصوص الوصية المتقدمة كما يدل عليه التذكير المتكرر لضميره اربع مرات كما يشهد له ما استفاضت روايته عن الأئمة عليهم السلام بهذه الآية للوصية بالمال في سبيل الله والحج (بعد ما سمعه) وعلم به ولو بالبينة (فإنما اثمه) اي الذي يترتب على مخالفة الايصاء (على الذين يبدلونه) فإن الموصي اذا لم يكن مقصراً بتأخير ما اوصى به خرج بالوصية عن عهدته واثمه دينا كان او عينا وبقي الإثم كله على المبدّل (ان الله سميع عليم) لا يخفى عليه شيْ من ذلك (١٨٠ فمن خاف من موص جنفا) ميلاً عن الحق خطأً (او إثماً) كالوصية بما لا يخفى كونه معصية . وظاهر الآية خوف ما وقع من الجنف أوالإثم لا خوف وقوعها في المستقبل او الخوف في المستقبل كما لو قيل ان خاف او ومن يخاف ومقتضى الخوف ان يكون ذلك في مقام الابتلاء والعمل وهو ما بعد موت الموصي وخوفهما هو الخوف من تبعات العمل بها او ترك ردها الى الحق ولو من باب الأمر بالمعروف للقادر عليه كما تقول خفت الأسد اذا خفت من تبعات عاديته (فأصلح) أصلح عمله وعمل الصالح برد الوصية الى الحق المشروع كقوله تعالى في سورة المائدة ٤٣ فمن تاب من بعد ظلمه واصلح ونحوه في سورة المائدة ٤٨ و ٥٤ وغير ذلك (بينهم) ظرف لأصلح والضمير يعود الى الوارث والموصى لهم كما يدل عليه المقام. وفي مجمع البيان انشد الفرآء في مثله

« اعمى إذا ما جارتي خرجت   حتى يواري جارتي الخدر »
« ويصمُّ عما كان بينهما   سمعي وما بي غيره وقر »

فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * (١٨١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ *(١٨٢) أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ

أي عما كان بينها وبين زوجها . وبما ذكرناه جاءت الرواية عن اهل البيت «ع» كما في الكافي في مرسل علي بن ابراهيم المضمر وصحيح محمد بن سوقه عن الباقر «ع» . وفي الفقيه في مرفوعة يونس عن الصادق «ع» . ورواه ابن جرير من الجمهور في تفسيره عن ابن عباس وقتادة والربيع وابراهيم بل والسدي ولم يذكر خلافا صريحا إلا عن مجاهد (فلا إثم عليه) بيان للأمن من إثم التبديل المذكور في الآية وتخصيص عمومه واكتفى برفع توهم الخطر لأن جهة الوجوب في هذا الإصلاح واضحة ولزيادة التأمين قال تعالى (إن الله غفور رحيم) للمذنبين . فكيف يخاف من اصلح وردّ جور الوصية الى حق الشريعة (١٨١ يا ايها الذين آمنوا كتب) وفرض (عليكم الصيام) وهو في اللغة الامساك والكف عن الشيء قيل ومنه قول النابغة الذبياني « خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وخيل تعلك اللجما »

ويراد به في الشرائع امساك مخصوص على حسب ما تقتضيه المصلحة في تخصيصه وحدوده في الشريعة ولا يخرج بإرادة الخصوصية ولا يفهم الخاص بقرائن الشريعة عن كونه مصداقا للمعنى اللغوي (كما كتب على الذين من قبلكم) أي ككتابته عليهم وحظيتم بفضله واللطف به كما حظوا . وقيل المراد تسلية المؤمنين بذلك فقد دلت الآثار على انه مختلف بحسب الشرائع في الحدود والوقت . ففي رواية العلل عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام عن جده «ص» ان الصوم على الأمم كان اكثر مما هو على المسلمين في شهر رمضان . وفي رواية الفقيه عن حفص بن غياث عن الصادق عليه السلام ان صوم شهر رمضان لم يفرض على الأمم قبلنا وإنما فرض على الأنبياء . وقد اختلفت روايات الجمهور في هذا المقام (لعلكم تتقون) بمعنى لتتقوا بلام الغاية وابدلت بلعلّ لكون التقوى اختيارية وحصول التقوى بالصوم هي الغاية العامة للناس وان اشتمل على غايات أخر لكسره للشهوات الباعثة على المعاصي (١٨٢ اياما معدودات) لا تتجاوز مقدار الشهر الى الأشهر . وقوله تعالى بعد آية شهر رمضان . فمن شهد منكم الشهر . فمن كان مريضا الآية . يبين فيه مقدار الأيام ومحلها . والعامل في اياما هو الصيام وهو كاف في العمل في الظرف فلا حاجة الى فضول التقدير (فمن كان منكم مريضا)

فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ

يزيد الصوم مرضه او يبطوء بسببه بروءه (أو على سفر) وبيان السفر ومقداره موكول الى السنة (فعدّة) بالرفع كما عليه مصاحف المسلمين وقراءتهم المتداولة حتى القراءآت السبع · والتقدير فالذي كتب الصيام فيه في الحالين كما يدل عليه اللفظ والسياق ولا دلالة على تقدير غيره هو عدة (من ايام أخر) في غير المرض والسفر والعدة هي بمقدار الفائت بالسفر والمرض كما يدل عليه قوله تعالى « اياما معدودات » وسوق الشرط والجزاء يدل على ان الصيام في المرض والسفر المذكورين غير مكتوب ولا مشروع كما انه في الأيام الأخر هو المكتوب والواجب المشروع وعلى ذلك اجماع اهل البيت «ع» واحاديثهم (وعلى الذين يطيقونه) أي يأتون به جهد طاقتهم · قال في النهاية الطوق اسم لمقدار ما يمكن ان يفعل بمشقة منه · ومنه حديث عامر بن فهيره « كل امرء مجاهد بطوقه » أي اقصى غايته · واخرج ابن جرير عن ابن عباس الذين يطيقونه يتكلفونه · ومن طريق آخر عنه من لم يطق الصوم إلا على جهد · وفيما ورد من قراءته يطوّقونه · اخرج ابن جرير كما عن الأنباري عنه يتجشمونه ويتكلفونه · وقد كثرت الرواية في الكتب ان ابن عباس كان يقرأ يطوقونه لهذا المعنى · ورويت هذه القراءة عن عائشة وعكرمة وعطا ومجاهد وسعيد بن جبير · واخرج ابن جرير عن علي امير المؤمنين «ع» ان الآية نزلت في الشيخ الكبير و كثرت الرواية بذلك عن ابن عباس وتصريحه بأنها غير منسوخة · وعن أنس بن مالك انه ضعف عن الصوم عاما قبل موته فأفطر فصنع جفنة من ثريد فدعا ثلاثين مسكينا فأطعمهم كما ذكر كل ذلك ونحوه في تفسير الطبري والدر المنثور · وفي الصحيح عن الباقر «ع» قوله تعالى وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين قال الشيخ الكبير والذي يأخذه العطاش · ونحوها مرسلة ابن بكير عن ابي عبد الله · ورواية العياشي عن ابي بصير ورفاعة عن الصادق «ع» · والروايات في نفس الحكم مستفيضة وفيها العجوز الكبيرة والمرأة تخاف على ولدها وعليهم (فدية) لكل يوم (طعام مسكين) وقدر في الروايات بمد من حنطة (فمن تطوّع خيراً) تقدم تفسير ذلك في الآية السادسة والخمسين بعد المائة (فهو) أي التطوع (خير) حاصل (له) ولا دليل على اختصاصه بزيادة الإطعام بل هو عام ومن موارده الصوم

وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ *

المكتوب (وان تصوموا) مصدره في مقام المبتدأ وعدل الى الفعل ليتجلى منه الصدور من الفاعل والترغيب في اختياره في المستقبل (خير لكم) خبر المبتدأ تعرفون انه خير لكم (إن كنتم تعلمون) ان التكليف لطف من الله بعبده وان الطاعة وامتثال الفرائض معراج للسعادة وان الصيام فيه فضل كبير وفوائد كثيرة وقد تكرر الترغيب والتأكيد في أمر الصيام بقوله تعالى لعلكم تتقون . فمن تطوّع خيراً . وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون . وذلك لأجل ما في الصيام من الفضل العظيم والكلفة في امساكه . وقال بعض ان قوله تعالى وان تصوموا الآية راجع الى من رخص له بالفدية . ويدفعه « اولا » انه لا معين لرجوعه الى ما ذكر مع صلاحيته للرجوع الى غيره « وثانيا » ان رجوعه الى ما زعموا لا يناسب التأكيد بقوله تعالى إن كنتم تعلمون « وثالثا » سياق الخطاب في الآية يقضي بأنه خطاب لمن خوطبوا بأنهم كتب عليهم الصيام . والذي عليه الفدية إنما جاء بلفظ الغيبة . وقال بعض انه راجع الى الصيام في السفر ويدفعه « اولا » انه لا معين لرجوعه الى ذلك مع صلاحيته للرجوع الى غيره « وثانيا » انه لا يناسب سوق الآية بأنّ المكتوب في السفر هو عدة من أيام أخر . وليس في حكم السفر ذكراً وإشارة الى البدلية لكي يفضل احد البدلين على الآخر . بل الذي ذكر هو ان صوم العدة من ايام آخر هو المكتوب ولو اراد الله الرجوع الى ما زعموا لما ساق كلامه المجيد باساوب يأباه « وثالثا » منافاته لما صح عن رسول الله (ص) من قوله ليس من البر الصيام في السفر . كما رواه احمد والبخاري ومسلم وابو داود والنسائي وعن ابن حبان في صحيحه عن جابر عنه (ص) . وابن ماجه عن ابن عمر عنه (ص) واحمد والنسائي وعن عبد الرزاق في جامعه والطبراني والبيهقي عن كعب بن عاصم الأشعري عنه (ص) . وما رواه ابن ماجة عن عبد الرحمن بن عوف عنه (ص) والنسائي عن عبد الرحمن موقوفا الصائم في السفر كالمفطر في الحضر . وما عن الديلمي في الفردوس وعبد الرزاق في جامعه عن ابن عمر عنه (ص) ان الله تصدق بافطار الصائم على مرضى امتي ومسافريهم افيحب احدكم ان يتصدق على احد بصدقة ثم يظل يردها . وروى نحوه في الكافي والفقيه والعلل والتهذيب في الصحيح عن الصادق عليه السلام عن رسول الله (ص) . وما اخرجه النسائي والترمذي ونص على صحته

عن جابر ان رسول الله (ص) في سفره إلى مكة عام الفتح دعا بقدح ماء فأفطر وأفطر بعض الناس وصام بعض فبلغه ان ناساً صاموا فقال اولئك العصاة · ورواه في الكافي والفقيه في الصحيح عن الصادق (ع) قال ان رسول الله الحديث · وما أخرجه احمد والأربعة وجماعة عن انس الكعبي عن النبي (ص) انه دعاه إلى الطعام فاعتذر بالصيام فقال له (ص) ان الله وضع عن المسافر شطر الصلاة والصيام · واخرج النسائي ايضاً عن عمر بن امية الضمري عنه (ص) نحوه · وما في كنز العمال عن الشافعي والبيهقي في المعرفة عن سعيد بن المسيب مرسلا عنه صلى الله عليه وآله خياركم الذين إذا سافروا قصروا الصلاة وافطروا ورواه في الكافي والفقيه في الصحيح عن الباقر (ع) · وما عن عبد الرزاق في جامعه وابن شاهين في السنة وجعفر الفريابي في سننه ان عمر أمر رجلاً صام في شهر رمضان في سفره ان يقضيه · وما قاله الترمذي رأي بعض اهل العلم من اصحاب النبي (ص) ان الفطر في السفر افضل حتى رأى بعضهم ان عليه الإعادة إذا صام في السفر · وحكى غير واحد هذا القول عن عمر بن الخطاب وابن عباس وعبد الله ابن عمر وعبد الرحمن بن عوف وابي هريرة وعروة بن الزبير · هذا واما ما يتشبثون به من الأحاديث فمنه ما هو وارد في الصوم المستحب لحديث حمزة الأسلمي فإنه فيه كنت اسرد الصيام او كان كثير الصيام · ومنه ماهو مردد بين الواجب والمستحب فلا تشبث بذلك اصلا·

واما ما كان التخيير فيه صريحا بالصيام في شهر رمضان فمع غض النظر عن سنده ومخالفته لاهل البيت وكثير من الصحابة واجماع الإمامية وابتلائه بما ذكرناه من المعارضات وعدم صلاحيته للتصرف بأسلوب الآية والتي بعدها لا يخفى انه يلزم في التشبث بهِ ان يثبت ان مدلوله كان بعد نزول الآية الشريفة والتي بعدها وانى بأثبات ذلك · وعن العياشي عن محمد بن مسلم عن الصادق (ع) ان الآية نزلت ورسول الله في كراع الغميم عند صلاة الفجر فافطر وامر الناس أن يفطروا وسمى من اراد الصيام بالعصاة· فإن قيل ان سورة البقرة كان نزول آية القبلة منها في السنة الثانية من الهجرة فكيف يتأخر النزول لبعض آياتها الى عام الفتح قلت أي بعد في ذلك وان سورة البقرة لم يحدد ختامها · وقد روي من طرقنا ما ذكر من ان آية الصفا والمروة نزلت في عمرة القضاء في السنة السابعة من الهجرة واخرج احمد والبخاري ومسلم والترمذي وغيرهم عن كعب بن عجرة انهُ نزل في شأنه في الحديبية قوله تعالى من السورة فمن كان منكم مريضا او بهِ أذًى من رأسه ففدية الآية · وكانت عمرة الحديبية في ذي القعدة من السنة

(١٨٣) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ

السادسة . ومن المعلوم ان التمتع بالعمرة الى الحج لم يكن معهودا في الشريعة قبل حجة الوداع . بل يعرف من احاديثه ان أمره شيء نزل على رسول الله في ذلك الحين فكلما نزل في سورة البقرة في شأن حج التمتع وهديه نزل في حجة الوداع حتى قوله تعالى وأتموا الحج والعمرة لله كما هو في روايتنا عن الصادق عليه السلام (١٨٣ شهر رمضان) تفسير للأيام المعدودات أي وهي شهر رمضان . وفي الكافي والفقيه وغيرهما عن الباقر (ع) لا تقولوا جاء رمضان وذهب رمضان فإن رمضان اسم من اسماء الله ولكن قولوا شهر رمضان . وعن امير المؤمنين (ع) ما يقرب من هذا . وفي كنز العمال مثل قول الباقر (ع) عن ابن عمر وابي هريرة (الذي أنزل فيه القرآن) الى البيت المعمور في السماء ثم صار ينزله جبرائيل نجوماً على رسول الله (ص) كما في الكافي عن الصادق عليه السلام . وفي تفسير ابن جرير عن ابن عباس . وفي الدر المنثور فيما اخرجه جماعة وصححهُ الحاكم عن ابن عباس وفيه الى بيت العزة (هدى) حال من القرآن أي هاديا (للناس و) دلائل (بينات من الهدى والفرقان) في الكافي وعن العياشي عن ابي عبد الله (ع) القرآن جملة الكتاب والفرقان المحكم الواجب العمل بـه . ثم قسم الله حال الناس في وقت صومهم ومشروعيته ووجوبه تأكيداً لما سبق ورفعاً للشكوك فقال جل شأنه (فمن شهد) أي حضر (منكم الشهر) الشهر منصوب على الظرفية أي حضر فيه وهو غير مريض (فليصمهُ) فإنهُ الوقت الموقت لصيامه (ومن كان مريضا او على سفر فعدة) فالمكتوب عليه ووقت صيامه المكلف به عدة أي عدة ما لم يصمهُ في شهر رمضان (من ايام أخر) لا يكون فيها مريضاً ولا مسافراً ففصل الله بين الحكمين وميز بين الموضوعين فجعل لصوم الحاضر وقتاً ولصوم المسافر وقتاً . ولو كان صوم المسافر في شهر رمضان راجحا عند الله لما أكد هذا التقسيم والتمييز بين الموضوعين والوقتين بهذا السياق البين ولكان ذكره في هذه الآية أولى من التي قبلها لما فيه من بيان الفضل لشهر رمضان وصومه بل ان الله جلت آلاؤه ذكر في هذه الآية ما يزيد في البيان ويعزز الايضاح فقال جلت آلاؤه (يريد الله بكم اليسر)

وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا العِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ *

النوعي بافطار المريض والمسافر (ولا يريد بكم العسر) النوعي فالصوم في السفر غير مراد لله لأن فيهِ عسراً نوعيا . وفي الكافي والفقيه عن عبيد بن زرارة قال قلت لأبي عبدالله (ع) قوله تعالى « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » قال (ع) ما ابينها من شهد فليصمه ومن سافر فلا يصمه . وعن العياشي عن زرارة عن الباقر (ع) ما ابينها لمن عقلها . ولأن قوله تعالى « يريد الله بكم اليسر » في مقام التعليل وبيان بعض الغايات في كتابة الصيام على النهج المذكور في الآيتين فباعتبار جعل الصوم في المرض والسفر في أيام أخر علل بالتيسير كأنه قيل ليتيسر عليكم (ولتكملوا العدة) عطفاً على المقدر فتفوزوا بفضل صوم الأيام المعدودات كاملة العدد بخلاف ما لو لم يشرع ذلك واضطر المريض والمسافر إلى الافطار كما هما مظنة للاضطرار إلى ذلك نوعا . وباعتبار الهداية إلى شريعة الحق قال جل اسمه (ولتكبروا الله على ما هداكم) على هدايتكم إلى الدين والشريعة وهذا التكبير مستحب عندنا بالاجماع ولا يضر الخلاف النادر . وبذلك قال الشافعي وأحمد وابو حنيفة على ما نقل عنه ونسبه في الخلاف إلى الفقهاء . ووقته عندنا بعد صلاة المغرب من ليلة شوال والعشاء والصبح . والعيد باجماع الإمامية ورواية الكافي والفقيه عن سعيد النقاش عن الصادق (ع) ورواية الاقبال بسنده عن معاوية بن عمار عن ابي عبد الله (ع) . ويقرب من مذهب الإمامية ما أخرجه ابن جرير في تفسيره بسنديه عن زيد بن اسلم وابن عباس . وصورة التكبير مذكورة في كتب الفقه (ولعلكم تشكرون) اي ولتشكروا الله على نعمته عليكم بدين الحق ولطفه بتشريع الصيام وما فيه من الفوائد وتيسيره عليكم وعلى نعمة الطعام والشراب إذ تلتفتون اليها بجوعكم وعطشكم . ولا يخفى ان الشكر المطلوب ليس من الأفعال الموقتة المنقطعة التي يسوق اليها التكليف كإكمال العدة والتكبير بل هو عمل نفسي دائم كالتقوى والاهتداء يرجع إلى اختيار الإنسان يديم التفاته إلى نعم الله ومعرفة قدرها وفقره اليها وعجزه عنها فيختار الشكر الثابت . وذلك يحتاج إلى قوة في الاختيار وثبات عليه وعلى مجاهدة الأوهام المعارضة . ولأجل هذه النكتة جرى التعبير عن التعليل والغاية بقوله تعالى « ولعلكم تشكرون » وكذا نظائره مما قيل في تعليله « لعلكم » وأما مقدار

(١٨٤) وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ * (١٨٥) أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ

السفر الذي لا يصام فيه وصفته وصفة المرض فبيانه موكول إلى معرفته من السنة والاجماع في كتب الفقه (١٨٤ وإذا سألك عبادي عني فإني) اي فأخبرهم اني ونحوذلك وهوالعامل في إذا (قريب) باللطف والرحمة والاجابة . لأنه يجل عن المكان (أجيب دعوة الداع إذا دعان) ذكر الشرط مع انه معلوم مما قبله لأجل التنبيه على انه ما كل من يدعو الله لحاجته هو داع لله بحقيقة الدعاء لله من حيث الانقطاع وصدق التوجه إلى الله ومعرفته . ومن معرفته الاذعان بحكمته وسعة رحمته لعباده (فليستجيبوا لي) فيما دعوتهم اليه مما فيه صلاحهم وسعادتهم ورشدهم . وكأن هذه الجملة في مقام الشرط أي ان ارادوا أن أجيب دعوتهم فليستجيبوا لي (وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) اي ليرشدوا وقد سبق الكلام على مثله (١٨٥ أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) الرفث هنا هو الافضاء إلى النساء بالجماع (هنّ لباس لكم وأنتم لباس لهنّ) كناية عن شدة ارتباط المرأة والرجل في التمتع (علم الله أنكم كنتم تختانون انفسكم) وتوقعونها في فعل الحرام (فتاب عليكم) مما فعلتم (وعفا عنكم) أي عن تحريم الجماع في ليلة الصيام من شهر رمضان (فالآن باشروهن) الأمر للاباحة والمباشرة ايصال بشرة إلى بشرة وهي ظاهر الجلد كنى بذلك عن الجماع لأن المباشرة من مقدماته اللازمة . والمراد من الآن ما بعد نزول الآية . والآية بنفسها تدل على ان الجماع كان محرما في ليلة الصيام مطلقا او في حال خاص . وان بعض المسلمين فعلوا المحرم وجامعوا فنسخ ذلك التحريم عفوا من الله . وفي الكافي في الصحيح مسندا عن الصادق عليه السلام ما حاصله كان الجماع والأكل والشرب محرمة في شهر رمضان على من نام أي بعد العشاء فاتفق لرجل انه نام فلما عمل في النهار في الخندق صار يغشى عليه فنزلت الآية . وفي تفسير القمي عن ابيه مرفوعاً عن الصادق (ع) نحوه وزاد و كان قوم من الشبان ينكحون بالليل سراً فأنزل الله الآية . وروى نحو ذلك في الدر المنثور من طرق متعددة . وزاد انه أخرج ابن جرير وابن

وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ

المنذر في حديث عن ثابت وابن جرير وابن ابي حاتم في آخر عن ابن عباس . واخرج ابن جرير في ثالث عن ثابت ان من المجامعين بعد العشاء في زمان التحريم عمر بن الخطاب . ونحوه عن عبد الرحمن بن ابي ليلى . وعن كعب بن مالك عن ابيه (وابتغوا ما كتب الله لكم) أي لنوعكم من الذرية (وكلوا واشربوا) الأمر فيهما للاباحة ويمتد امدها (حتى) غاية الجواز ينقطع بها (يتبين لكم) يوجد في الافق ويلزمه عادة ونوعا ان يتبين لنوع الناس فالغاية ان يكون الصبح بحيث يراه الصائم لا استيلاؤه عليه كما يأتي في الليل . وهذه الغاية هي غاية الرفث ايضا باجماع المسلمين لأن حله مقيد بالليل وهو ينقطع بالفجر (الخيط الأبيض) وهو الفجر الصادق المعترض وفيه قوة التبين لا الكاذب المستطيل كذنب السرحان المبتني على الخفاء والاضمحلال وعلى ذلك اجماع المسلمين واحاديث الفريقين وقد جمع شطر منها في الوسائل والدر المنثور . وسمي بالخيط اشارة إلى ان الغاية ما يتبين حينما هو كالخيط (من الخيط الأسود) وهو ماحول الفجر من الليل (من الفجر) بيان للخيط الأبيض (ثم أتموا الصيام إلى الليل) ثم اوجدوا الصوم تماما إلى الليل وعطف بثم لجريان العادة بالفصل والتراخي بين انقطاع الأكل والشرب وبين الفجر محافظة على حدود جوازهما في الليل وحرمتهما بأول الفجر . والليل هو السواد والظلام المعاقب للنهار ولذا يقولون ليل أليل أي شديد الظلام او السواد . والغاية للصيام ان يغشي الليل الصائم ويصل اليه لا وجوده . فإنه موجود في كل زمان بحسب التناوب على البلاد ولا رؤيته والا لقيل حتى يتبين ونحو ذلك كما قيل في الفجر فالغاية إذن ان تذهب الحمرة المشرقية ويصل سواد الليل المعاقب لها إلى الصائم اي الى سمت رأسه فإن المشرق في جهة السماء مطل على المغرب فيكتسب من نور الشمس ما تظهر به الحمرة ويبقى به النهار إلى ان تحتجب الشمس شيئاً فشيئاً فيظهر الليل ويسري على وتيرة احتجابها حتى يصل إلى الرأس فلا يذهب النهار عن الصائم الا بذهاب الحمرة عن سمت رأسه . وعلى ذلك من روايات الإمامية رواية ابان عن الباقر (ع) وروايات ابان وعمار وابن شريح . ومرسلتا ابن اشيم وابن ابي عمير . ومرفوعة المفيد عن الصادق (ع) . ولا ينافيها ما عبر فيه بغيبوبة الشمس وغروبها لما أشرنا

وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ » (١٨٦) ولا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ

اليه ٠ وهذا هو الذي يفقه مما اخرجه البخاري ومسلم والترمذي وابو داود وابن جرير وعن ابن ابي شيبة والنسائي عن عمر قال قال رسول الله (ص) إذا اقبل الليل من هاهنا وأدبر النهار من هاهنا وغربت الشمس فقد افطر الصائم ٠ واخرج البخاري وابو داود وابن جرير عن عبد الله بن ابي اوفى بعدة اسانيد في حديث قال قال رسول الله (ص) إذا أقبل الليل من هاهنا وضرب بيده نحو المشرق افطر الصائم ٠ وفي الدر المنثور اخرج أحمد وعبيد بن حميد وابن ابي حاتم والطبراني في حديث عن بشير بن الخصاصية قول رسول الله(ص)وأتموا الصيام إلى الليل فإذا كان الليل فافطروا ولا يخفى انه عند وجود الحمرة المشرقية لم يقبل الليل من ناحية المشرق ولم يكن على الصائم ليل (ولا تباشروهن) أي لا تمسّ بشرتكم بشرتهن باللمس والتقبيل بشهوة وبالجماع مطلقا ٠ وهذا مذهب الإمامية وعليه اجماعهم لاطلاق المباشرة ودلالة المقام على ان المراد منها ما يرجع إلى التمتع والتلذذ (وانتم عاكفون في المساجد) العكوف الاقامة في المكان والملازمة له واعتكف قصد العكوف وجعل نفسه عاكفاً ٠ وامر هذا العكوف وصفاته وشروطه الشرعية موكول إلى السنة ويعرف مدلولها من كتب الفقه (تلك) اي ما عرف في هذه الآيات من حرمة ما يجب الامساك عنه في الصوم وحرمته قبل الليل وحرمة تضييع العدة من الأيام الأخر وحرمة المباشرة للنساء على المعتكف (حدود الله فلا تقربوها)مبالغة في التحذير منها وامر بملازمة الواجبات المحدودة وعدم الميل عنها إلى جانب تلك الحدود (كذلك) البيان في هذه الأمور (يبين الله آياته) ودلائله (للناس) فيما فيه صلاحهم (لعلهم يتقون) اي ليتقوا وجيء بلعل لما ذكرناه قريباً (١٨٦ ولا تأكلوا أموالكم) أي لا يأكل بعضكم اموال بعض (بينكم بالباطل) وغير المشروع ومنه القمار كما رواه في الكافي في الصحيح عن الصادق عليه السلام وروى في الكافي ايضاً عن الصادق (ع) ان من ذلك ان يكون عند المديون مال فينفقه على نفسه ولا يفي به دينه ٠ ومنه ما في مجمع البيان مرفوعا عن الباقر(ع)أكل المال باليمين الكاذبة (وتدلوا بها) أي ترسلوها رشوة (إلى الحكام) كمن يدلي دلوه ليستخرج الماء

لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ *(١٨٧) يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالحَجِّ وَلَيْسَ البِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا البُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ البِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا البُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ* (١٨٨) وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ* (١٨٩) وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ

(لتأكلوا فريقا من اموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون) بأن ذلك محرم عليكم (١٨٧ يسألونك) يا رسول الله (عن الأهلة) قيل يسمى هلالا ايضاً في ليلته الثانية وقيل في الثالثة وقيل حتى يستدير بخطة دقيقة وقيل إلى الليلة السابعة (قل) لهم ما تدركه عقولهم من حكمتها (هي مواقيت للناس) تميزلهم مايحتاجون اليه في مهماتهم من مقادير الزمان واوقاته بحسب الأشهر والسنين بتوقيت محسوس للعامة . بل ان الدور الذي تتكون بهِ الأهلة يعرف الناس منهُ ساعات الليل بتدرج الهلال في الطلوع والغروب الى أن يصير بدراثم أن يعود هلالا (والحج) أي مواقيت للحج (وليس البرُّ) وعمل الخير (بأن تأتوا البيوت من ظهورها) كناية عن تشريعاتهم الجهلية الاهوائية وزعمهم ان العمل بها بر (ولكن البر من اتقى) فانظر الى هؤلاء الذين اتقوا الله واخلصوا له في طاعته واتباع شريعته واعرفوا البر من اعمالهم . وفي الآية الخامسة والسبعين بعد المائة ذكرنا الوجه والفائدة في جعل « من » الموصولة خبراً للبر (وأتوا البيوت من ابوابها) والأمور من وجوهها واعمال البر من حيث أمر الله وشرع . وعن محاسن البرقي مسندا والعياشي مرفوعا عن جابر عن الباقر(ع) في قوله عزَّ وجل « واتوا البيوت من ابوابها » قال(ع) أن يؤتى الأمر من وجهه أيّ الأمور كان . ومن هذا الباب ما اتفقت عليه رواية الفريقين من قول النبي(ص) انا مدينة العلم وعلي بابها (واتقوا الله) في أوامره ونواهيه فيما شرعه من الدين القيم وهذا هو البر (لعلكم تفلحون)أي لتفلحوا (١٨٨ وقاتلوا في سبيل الله) ونصر دين الحق (الذين يقاتلونكم) عناداً للدين (ولا تعتدوا) في القتال عن الحد المشروع (إن الله لا يحب المعتدين) وما أشد خسران الذي لا يحبه الله (١٨٩ واقتلوهم حيث ثقفتموهم) أي ظفرتم بهم (واخرجوهم من حيث اخرجوكم) وهي مكة المعظمة . ولا يكبر في قلوب الضالين قتالهم وقد عدوا على المسلمين يقاتلونهم لأنهم اسلموا من قبل ذلك واخرجوهم عن ديارهم في مكة وفوق ذلك انهم لا زالوا يجهدون في أن يفتنوا

أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * (١٩٠) فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * (١٩١) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ * (١٩٢) الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ

المسلمين ويصرفوهم عن دينهم بالعذاب مرة وبالقتال أخرى (والفتنة) وصرف المؤمنين عن دينهم واضلالهم (أشد من القتل) ضررا على نوع الانسان فإن الضال المضل جرثومة فساد في الارض كما قال جلّ اسمه في سورة البروج « إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق » (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام) ويشمل التحريم مكة وما هو حريم للمسجد (حتى يقاتلوكم فيه) أي في حرمه بقرينة قوله تعالى عند المسجد (فإن قاتلوكم) عند المسجد (فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين) في اعتدائهم وهتكهم لحرمة المسجد الحرام (١٩٠ فإن انتهوا) قيل انتهوا عن كفرهم بالتوبة والإسلام . ويحتمل أن يكون المراد فإن انتهوا عن قتالكم فاغفروا لهم نحو قوله تعالى في سورة الأنفال « وان جنحوا للسلم فاجنح لها » (فإن الله غفور رحيم ١٩١ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) في التبيان الفتنة الشرك وهو المروي عن ابي جعفر اقول ولعله باعتبار انه يسبب الافتتان إذ يسبب الضلال ويصرف عن الحق كقوله تعالى في سورة المائدة « واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك » (ويكون الدين لله) أي على الحقيقة المعقولة منه ليس فيه كفر ولا شرك ولا عبادات اوثانية ولا شرائع اهواء جاهلية فإن الدين في هذا المقام وامثاله عبارة عن روابط الانسان مع مقام الإلهية من حيث الاعتقاد بما يرجع للإله ورسله و كتبه وعبادته والطاعة والشريعة (فإن انتهوا) في التبيان ومجمع البيان أي امتنعوا عن الكفر وأذعنوا للإسلام ويحتمل الانتهاء عن قتال المسلمين (فلا عدوان) عن حد السلم (إلا على الظالمين) المعتدين . وفي التبيان والبيان ان هذه الآية مؤكدة لمضمون الآية الأولى لا ناسخة لقيودها في القتال . وهذا هو الظاهر من سياق الآيات مع قوله تعالى (١٩٢ الشهر الحرام بالشهر الحرام) فمن قاتل المسلمين في شهر حرام قاتله المسلمون في شهر حرام كما ان من قاتلهم عند المسجد الحرام قاتلوه فيه (والحرمات قصاص) فإذا كان المشركون في

فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ * (١٩٣) وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * (١٩٤) وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ

عداوتهم للتوحيد ودين الحق ومحادتهم لله ورسوله لا يمنعهم عن عداوتهم وقتالهم للمسلمين حرمة للشهر الحرام ولا حرمة البيت الحرام فليس لهم أن يلوذوا بالحرمات بل يحتج عليهم بقصاصهم بذلك واما نفس الحرمات فلم تسقط ولا يقتص منها بجناية المشركين بل عارضتها حرمة الله في نصر توحيده ورسوله ودين الحق واحترام الحرمات . والأشهر الحرم هي رجب الفرد وذو القعدة وذو الحجة ومحرم ولعل الأصل في حرمتها شريعة ابراهيم كحرمة البيت فاستمر العرب على ذلك وامضاه الإسلام (فمن اعتدى عليكم) حدود الحق (فاعتدوا عليه) حدود السلم والمجاراة وافرد الضمير في «عليه» باعتبار لفظ «من» (بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين) وناصرهم (١٩٣ وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا) انفسكم (بأيديكم الى التهلكة) وهذا النهي عام لكل اقتحام في اسباب التهلكة ومظانها ولا بد من أن يكون النهي مقيداً بما إذا لم يكن في ذلك الاقتحام حياة الدين ونصرته كما في نهضة رسول الله(ص) في اول دعوته واقدام سيد الشهداء في امتناعه عن بيعة يزيد في مثل زمانه(وأحسنوا) اعملوا الحسن واطلبوه في افعالكم وتروككم على حد قوله تعالى في سورة الكهف «إنا لا نضيع أجر من احسن عملا» وغير ذلك (إن الله يحب المحسنين) لأعمالهم وتروكهم وما اعظم هذا التعليم الجامع للخير فإن احسان العمل والترك غير خفي وان غالطت فيه الاهواء بما لا يخفى على العقل من التدليس . ومن مصاديق احسان العمل ما جاءت فيه رواية الكافي . وعن العياشي عن ابي عبد الله (ع) لو ان رجلا أنفق ما في يديه في سبيل الله ما كان احسن ولا وفق اليس يقول الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين أي المقتصدين . فإن المقتصد هو الذي عمل الحسن واحسن عمله وان معنى التهلكة . ومقام الإمام (ع) وقوله ما كان احسن وتفسيره المحسنين بالمقتصدين لا يدع مجالا للقول بأن مضمون الرواية قريب من تفسير التهلكة بالاسراف (١٩٤ وأتموا الحج والعمرة لله) العمرة منصوبة بالعطف على الحج والحج والعمرة عبادتان معروفتان قد ذكرت اجزاؤهما وشروطهما في السنة

فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ

ونظمتها كتب الفقه وإتمامها لله دليل على انها عبادتان يعتبر فيهما الاتيان بهما لله تقرباً اليه والظاهر من مراجعة الحديث وسبك اللفظ ان قوله تعالى وأتموا الحج والعمرة أمر وإيجاب لا بإيجادهما تامين بأجزائهما وشروطهما المشروعة كقوله تعالى من احسن عملا أي اوجده حسنا وكقولهم . ضيق فم الركي . واطل جلفة القلم . وافرج بين سطورك . وكثير من ذلك فمن مدلول الآية إيجاب العمرة كما في صحيحة التهذيب عن زرارة عن الباقر (ع) في قوله العمرة واجبة على الخلق بمنزلة الحج وذكر الآية ونحو صحيحة الكافي عن معاوية بن عمار عن الصادق (ع) وصحيحة العلل عن معاوية عنه (ع) وصحيحة التهذيب عن الفضل ابي العباس عنه . وفي الدر المنثور اخرج ابن عيينة والشافعي في الأم والبيهقي عن ابن عباس وذكر نحوه . واخرج الحاكم عن زيد بن ثابت عن رسول الله (ص) ان الحج والعمرة فريضتان . وفي الكافي في الصحيح عن ابن اذينة في حديث عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى واتموا الحج والعمرة قال يعني بتمامها اداءها واتقاء ما يتقي المحرم فيها ونحوه عن العياشي عن ابي بصير عن الصادق عليه السلام وقال في الكشاف في تفسير أتموا ائتوا بهما تامين ثم بعد ذلك حمله على محض الأمر بإتمامها أي بعد الشروع فيها واختار كون العمرة غير واجبة واغرب في تأوله لحديثي ابن عباس وعمر . ثم قال بأن الأمر بالإتمام للوجوب والندب كما تقول صم شهر رمضان وستة من شوال تأمر بفرض وتطوع وقال في سورة المائدة في آية الوضوء ما معناه انه لا يجوز ان يكون الأمر للوجوب والندب لأن تناول الكلمة لمعنيين مختلفين من باب الألغاز والتعمية أقول وفي هذا الذي نقلناه عنه من التدافع والغرابة ما يعجب منه الناظر . وقد نبه عليه في زبدة البيان (فإن أحصرتم) في المصباح قال ابن السكيت وثعلب حصره العدو في منزله حبسه واحصره المرض بالألف منعه من السفر . وقال الفراء هذا هو كلام العرب وعليه اهل اللغة انتهى . ونقل نحو ذلك ايضا عن الكسائي وابي عبيدة وعن الفراء أيضا انه يجوز ان يقوم احدهما مقام الآخر ورده المبرد والزجاج . وفي الخلاف عن الفراء احصره المرض لا غير وحصره العدو واحصره معا . وقد تكرر في رواياتنا الصحاح وغيرها ان المحصور غير المصدود وانهما يختلفان في بعض الأحكام كما في روايات زرارة عن الباقر (ع) وابن ابي نصر عن الرضا

فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ

عليه السلام ومعاوية بن عمار عن الصادق عليه السلام . وفيها المحصور هو المريض والمصدود هو الذي يردّه المشركون كما ردّوا رسول الله ليس من مرض . وفي الدر المنثور أخرج سعيد ابن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن ابي حاتم من طريق ابراهيم عن علقمة عن ابن مسعود في الآية يقول إذا اهل الرجل بالحج فاحصر إلى ان قال فإذا برء الحديث وقال ابراهيم ذكرت هذا الحديث لسعيد بن جبير فقال هكذا قال ابن عباس في هذا الحديث (فما استيسر من الهدي) اي فإن احصرتم ومنعكم المرض عن الاتمام فارسلوا لأجل ان يسوغ لكم التحالل ما استيسر لكل بحسب حاله ووقته من الهدي من الابل او البقر او الشاة والمشهور عندنا ان من ساق الهدي ثم احصر كفاه ذلك لأنه مما استيسر . والهدي هو ما يهدى من النعم للذبح في مكة او منى (ولا تحلقوا رؤوسكم) أي لا تحلوا فإن الحلق أول الاحلال (حتى يبلغ الهدي محله) اي المحل المقرر له بالسنة في نوع ذلك النسك فإن كان حاجا فمحل الهدي منى وإن كان معتمرا بالعمرة المفردة فمحله مكة او بفناء الكعبة أو بالحزورة . واما رسول الله (ص) واصحابه في عمرة الحديبية فقد كانوا مصدودين عن المسجد الحرام لا محصورين (فمن كان منكم) في حال الاحرام (مريضاً) يحتاج في مرضه إلى الحلق (أو به أذى من رأسه ففدية من صيام او صدقة او نسك) في التهذيب بسنده عن عمر بن يزيد عن الصادق (ع) فمن عرض له اذى او وجع فتعاطى ما لا ينبغي للمحرم إذا كان صحيحاً فصيام ثلاثة ايام إلى ان قال والنسك شاة يذبحها الرواية . والأذى ما يؤذي ومنه القمل الكثير . فقد روى في الكافي في المعتبر والتهذيبين في الصحيح على الظاهر . وعن العياشي عن الصادق (ع) ان رسول الله (ص) مرّ على كعب بن عجرة الأنصاري والقمل تتناثر من رأسه فقال له رسول الله (ص) اتؤذيك هوامك قال نعم فأنزلت الآية فأمر رسول الله بحلق رأسه وجعل عليه الصيام ثلاثة ايام او الصدقة على ستة مساكين لكل مسكين مدّان او النسك شاة وذكر في الفقيه والمقنع نحوه بقوله مر رسول الله الحديث . واخرج نحو ذلك من الجمهور أحمد وأصحاب الجوامع وغيرهم وزادوا ان ذلك كان في عام الحديبية (فإذا أمنتم) من الصدّ ونحوه (فمن تمتع) أي أحل وتمتع بما يحرم

فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ

التمتع به على المحرم كالطيب والمخيط والنساء ونحو ذلك (بالعمرة) بسبب الاتيان بالعمرة واكمالها (إلى الحج) أي إلى احرام الحج . وقد شرع هذا التمتع في حجة الوداع وهو اظهر من ان ينكر ولا بأس بالإشارة إلى شيء من حديثه . فعن التهذيب والعلل في الصحيح عن الصادق عليه السلام عن آبائه (ع) لما فرغ رسول الله (ص) من سعيه بين الصفا والمروة اتاه جبرائيل عند فراغه من السعي فقال ان الله يأمرك ان تأمر الناس ان يحلوا إلا من ساق الهدي فأقبل رسول الله (ص) على الناس بوجهه فقال أيها الناس هذا جبرائيل واشار بيده إلى خلفه يأمرني عن الله عز وجل أن آمر الناس بأن يحلوا الا من ساق الهدي فأمرهم بما أمر الله فقام اليه رجل فقال يا رسول الله نخرج من منى ورؤوسنا تقطر من النساء.. وقال آخرون يأمرنا بشيء ويصنع هو غيره فقال ايها الناس لو استقبلت من امري ما استدبرت لصنعت كما صنع الناس ولكني سقت الهدي فلا يحل من ساق الهدي حتى يبلغ الهدي محله فقصر الناس واحلوا وجعلوها عمرة وقام اليه سراقة بن مالك المدلجي فقال يا رسول الله هذا الذي امرتنا به لعامنا هذا ام للأبد فقال بل للأبد إلى يوم القيامة وشبك بين اصابعه وانزل الله بذلك قرآنا « فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي » وهذا الحديث جزء مما جاء في الرواية الطويلة عن معاوية بن عمار عن الصادق عن الباقر عليهما السلام كما في الصحيح في الكافي والتهذيب . ورواها على طولها مسلم وابو داود والنسائي وابن ماجة في جوامعهم واحمد في مسنده وغيرهم عن الصادق (ع) عن الباقر (ع) عن جابر . واخرج اصحاب الجوامع الست وغيرهم ان الناس قد كانوا أهلوا بالحج لا يرون غيره كما عن جابر وانس وابي سعيد والبراء بن عازب وابن عباس واسماء بنت ابي بكر . بل وعائشة من طرق الاسود وعمره ومحمد بن القسم . وقد كثرت الرواية في أمر الاحلال والتمتع لقوله (ص) لو استقبلت من امري ما استدبرت لما سقت الهدي ولفعلت كما فعلتم . او كما امرتكم . او احل كما احلوا . وفي بعضها اني لأبركم واصدقكم واتقاكم ولولا اني سقت الهدي إلى آخره . اخرجه مسلم والنسائي والحاكم في مستدركه وابن حبان في صحيحه . وفي رواية الطبراني عن جابر اتتهموني وانا امين أهل السماوات والأرض اما اني لو استقبلت الحديث . .
وممن روى ذلك من طريق الجمهور جابر والبراء وانس وعائشة وحفصة . وروى جابر في

حديثه الطويل في الحج وابن عباس وابن عمر وسراقة بن مالك وابن اخ لجبير بن مطعم قوله (ص) دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة كما في جوامع مسلم وابي داود والنسائي والترمذي ومسند احمد وابن عدي والطبراني والبغوي . وقد تكررت هذه المضامين مجتمعة ومتفرقة في المسانيد وجوامع الحديث الستة وغيرها مرويةً عن عدة كثيرة من الصحابة . ولا يخفى ان شرعية هذا التمتع والاحلال المطلق كما هو مدلول الأحاديث من الفريقين عليها اجماع الصحابة وعامة المسلمين في جميع الأعصار ولم يقل احد بنسخها نسخاً شرعيا . وقد استمر العمل عليها بفتيا جميع العلماء في جميع الأعصار . نعم وقعت في بعض الأحاديث بعض الشواذ فينبغي التنبيه عليها في ضمن امور

« الأول » ان هذه الآية التي شرع بها حج التمتع والاحلال مقيدة بالأمن وان المسلمين في حجة الوداع كانوا على أعز جانب من القوة والأمن وكانت جزيرة العرب إذ ذاك خاضعة لسلطان الإسلام متمتعة بأمنه العام وسلطة عدله القاهرة . واخرج البخاري عن حارثة ابن وهب الخزاعي صلى بنا رسول الله (ص) ونحن اكثر ما كنا قط وأمنه بمنى ركعتين : فمن الشواذ ما يروى في جوامع الجمهور عن بعض الصحابة انه منع من متعة الحج فاحتج عليه امير المؤمنين(ع) بأنها سنّة رسول الله التي سنها في حجة الوداع فاعتذر وقال نعم ولكن كنا خائفين كما اخرجه مسلم واحمد وابو عوانة والصحاوي والبيهقي

« الثاني » روى في الجوامع الستة وغيرها ان اصحاب رسول الله كانوا في حجة الوداع جميعا حتى عائشة قد أهلوا بالحج لا يرون غيره كما عن جابر وابن عباس وابي سعيد وابن عمر وأنس واسما بنت ابي بكر بل وعائشة من طرق الأسود وعمره ومحمد بن القسم . فمن الشاذ ما تفردت بهِ الرواية عن عروة عن عائشة من ان الناس أهلّ بعضهم بالحج وبعضهم بالعمرة وهؤلاء هم الذين أمروا بالاحلال والتمتع . وان عائشة كانت مهلةً بالعمرة

« الثالث » روي من طريق الإمامية عن اهل البيت وجابر ان رسول الله (ص) قال دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة . ورواه الجمهور في جوامعهم ومسانيدهم كما تقدم . وروى الإمامية عن اهل البيت وجابر ايضا ان سراقة بن مالك قال يا رسول الله هذا الذي أمرتنا به يعني الاحلال بعد العمرة الى الحج لعامنا هذا أم الى الأبد فقال بل للأبد الى يوم القيامة . وروى الجمهور في جوامعهم ومسند احمد وغيره نحوه عن جابر وسراقة وعلى ذلك

عمل المسلمين وفقهائهم . واخرج مسلم واحمد عن ذكوان عن عائشة ان رسول الله(ص)دخل عليها وقد كان غضبان لأنهُ أمر الناس بالحل فتردد بعضهم . واخرج احمد عن البرّا ورواه كنز العمال عن النسائي عن البراء نحوه . واخرج البخاري واحمد والنسائي وغيرهم عن علي امير المؤمنين ان المتعة سنّة رسول الله فلا يدعها لقول احد من الناس واخرج احمد ومسلم انه قيل لابن عباس في الاحلال بعد العمرة فقال سنّة نبيكم وان رغمتم . وفي حديث اخرجه احمد والبخاري ومسلم الله اكبر سنة ابي القاسم(ص) . وإذا أحطت بما ذكرنا عرفت انهُ من الشواذ ما اخرجه مسلم وغيره عن ابي ذرّ ان المتعة في الحج كانت لأصحاب محمدخاصة ونحو ذلك كما اخرجه مسلم او للركب الذي كان مع رسول الله كما اخرجه ابو داود والنسائي نعم ان كان المراد من ذلك اخراج حاضري المسجد الحرام من مشروعية المتعة جرت الرواية على مقتضى الكتاب والسنة واجماع المسلمين . ومن الشواذ ايضا ما اخرجه مسلم انهُ كان ابن عباس يأمر بالمتعة وكان ابن الزبيرينهى عنها. فذكرت ذلك لجابر فقال على يدي دار الحديث تمتعنا مع رسول الله(ص) فلما قام عمر قال ان الله كان يحل لرسول الله ما شاء بما شاء وان القرآن قد نزل منازله وأتموا الحج والعمرة لله كما أمركم الله وابتوا نكاح هذه النساء فلن أوتى برجل نكح امرأة الى أجل إلا رجمته بالحجارة . وليت شعري ما هو المراد بقول القائل ان الله كان يحل لرسول الله ما شاء بما شاء . وهل كان الأمر بالاحلال نقضاً لأمر الله بإتمام الحج والعمرة ومخالفةً له ولئن كان نقضاً فلماذا لا يكون نسخا بهذا النحو خصوصا مع قوله(ص) لو استقبلت من أمري ما استدبرت وقوله دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة وقوله(ص) لسراقة الى الأبد . ومن الشواذ ايضا ما اخرجه احمد والبخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة وغيرهم عن سعيد بن المسيب ان عمر بن الخطاب نهى عن المتعة في اشهر الحج وقال فعلتها مع رسول الله وانا أنهى عنها وذلك ان احدكم يأتي الى آخر الرواية . ولم تذكر فيها إلا آراء لا تروج في الاستحسان فضلا عن مقاومة الشريعة . ومثل ذلك ما اخرجه احمد ومسلم والنسائي وابن ماجة وغيرهم عن ابي موسى انه سئل عمر عن نهيه عن التمتع فقال قد علمت ان رسول الله فعله واصحابه ولكن كرهت ان يظلوا بهن معرسين تحت الاراك ثم يروحون الى الحج تقطر رؤسهم . وما اخرجه احمد والبخاري ومسلم وغيرهم عن ابي موسى ان عمر قال في ذلك ان نأخذ بكتاب الله فإن الله قال وأتموا الحج والعمرة لله وان أخذنا بسنة رسول الله «وفي

فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ

رواية من روايات البخاري وان أخذنا بقول النبي(ص) » فانه لم يحل حتى بلغ الهدي محله انتهى وقد سبق الكلام في قوله تعالى وأتموا الحج والعمرة لله . واما السنة فيا سبحان الله هل سن رسول الله(ص) لأمته إلا ما اتفق عليه حديث المسلمين واجماعهم من التمتع والحل وانه سنة الى الأبد . وان العمرة دخلت في الحج الى يوم القيامة . وهذا الدخول مع الاحلال يبين ان كلا من العمرة والحج يقع تاما في الشريعة بهذا الوجه وأما فعله(ص) فقد كان موقتا مختصا بمن ساق الهدي في تلك السنة كما يحدده قوله(ص) لو استقبلت من أمري ما استدبرت . دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة وقوله (ص) لسراقة بل الى الأبد (فما استيسر من الهدي) من البدنة أو البقرة او الشاة وهو نسك لا جبران كما قال الشافعي (فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام) متواليات (في الحج) وهي يوم التروية وما قبله ويوم عرفة وعليه اجماع الإمامية ورواية الفريقين ولو فاته ذلك لم يصمه ايام التشريق . وفي الخلاف عليه اجماع الإمامية انتهى. وعلى ذلك روايات كثيرة وفي صحيح ابن سنان ان الصادق (ع) استشهد لذلك بأن بديل ابن ورقاء أمره رسول الله بأن ينادي بمنى في الناس ان لا يصوموا ونحوه صحيح سليمان بن خالد وابن مسكان عنه(ع) . ونحوه في خبر عبد الرحمن بن الحجاج عن الكاظم عليه السلام كما في التهذيبين ومعاني الأخبار . واخرج احمد ومسلم عن نبيشة الهذلي قال قال رسول الله ايام التشريق ايام أكل وشرب . وعن كعب بن مالك ان رسول الله ارسله واوس بن الحدثان ايام التشريق فنادى ايام منى ايام أكل وشرب . واخرج احمد والنسائي عن حمزة الأسلمي ان منادي رسول الله ينادي بمنى ورسول الله شاهد لا تصوموا هذه الأيام فإنها ايام أكل وشرب . واخرج احمد والحاكم وصححه على شرط البخاري ومسلم عن بديل بن ورقاء ان النبي بعثه على جمل أورق وأمره أن يتخلل الفساطيط وينادي في الناس ايام منى الا لا تصوموا فإنها ايام أكل وشرب وبعال . وعن الطيالسي عن أنس والبيهقي عن ابي هريرة نهى رسول الله عن صوم ايام التشريق . وهؤلاء المنادون أعرف بما أمروا به وما نادوا به فلا يعارضهم ما أخرجه البخاري وابن جرير عن عائشة وابن عمر من الرخصة في صيامها لمن لم يجد الهدي مع انهما لم يسندا الرخصة الى النبي(ص) بل هو أشبه بالاجتهاد كما اخرج البخاري ان

وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

عائشة كانت تصومها وكان أبوه او أبوها يصومها (وسبعة إذا رجعتم) الى أهاليكم والسرّ في هذا التعبير دون قوله تعالى إذا رجع هو ان من أقام بمكة يقدر له رجوع اصحابه الى بلده كما عليه فتوى الإمامية واحاديثهم . ومنها صحيحة التهذيب عن معاوية بن عمار وفيها ان الصادق (ع) روى ذلك عن رسول الله (ص) . ويحتمل ايضا النظر الى اعتبار الرجوع بالنفر العام في الثالث عشر من ذي الحجة بمنى ان من رجع الى اهله بالنفر الأول لم يصح منه صوم الثالث عشر عند اهله (تلك) أي الثلاثة في سفر الحج والسبعة عند الرجوع (عشرة) تعد عندالله نسكا واحداً لا يضر فيها الفاصل الطويل ولا الاتيان بالسبعة في غير مناسك الحج وغير اشهره ولا الصوم في السفر (كاملة) في النسك ككمال الأضحية والهدي (ذلك) أي التمتع بالعمرة الى الحج (لمن لم يكن أهله) باعتبار وطنه ومسكنه (حاضري المسجد الحرام) من الحضر بفتحتين والحضارة المخالفين للبدو والبداوة أي من لم يكن من أهل مكة وقراها وما ينسب عرفا اليها بحيث لا يعد القاطن هناك من البادين عن المسجد الحرام بل من اهل حضره وحاضريه . وقد اجمع المسلمون على ان من كان في الحرم فهو من حاضري المسجد الحرام وان بلغ من جهة المشرق اثني عشر ميلا . والمظنون ان الميل منها ثلاثة آلاف وخمسمائة ذراع بذراع اليد لكن بعضا من الإمامية قدّر الحد لحاضر المسجد الحرام من كل جهة من جهاته بما لا يبلغ اثني عشر ميلا ولا دليل عليه والروايات الصحيحة صريحة في خلافه . ومنها ما ذكر فيها ان اهل مرّ الظهران من حاضري المسجد فإنه عن مكة بمرحلة . والمروي الذي لا يقبل التأويل هو ما لا يبلغ ثمانية واربعين ميلا للنص على ان اهل عسفان وذات عرق من حاضري المسجد الحرام . وبُعد المكانين عن مكة اكثر من ثلاثين او اربعين ميلا . وفي بعض الروايات ان اقرب المواقيت خارج عن هذا الحد . وذهب ابو حنيفة واصحابه الى ان حاضر المسجد الحرام من كان داخلا في المواقيت وينبغي ان يريدوا بها يلملم وقرن المنازل وما ساواهما في البعد دون مسجد الشجرة او الجحفة . وقال الشافعي من لا يبلغ مسافة قصر الصلاة نظراً الى ان مسافة القصر تكون سفرا عن مكة لا حضراً قلت لو أخذنا الحضر في اللغة

وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * (١٩٥) الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ

مقابل السفر لكانت مسافة عشرة اميال ونحوها سفراً لغويا وعرفيا وضربا في الارض وما التحديد في القصر إلا تحديداً لبعض اقسام السفر وقال بعضهم من كان في الحرم (واتقوا الله) بطاعته فيما أمرتم به او نهيتم عنه في أمر الحج واحكامه (واعلموا ان الله شديد العقاب) على مخالفة الشريعة في ذلك فإنه شرع الحج بهذه الحدود لطفا بكم فإنه غني عن عبادتكم ومن لطفه أن يشدد عليكم بالوعيد على المخالفة لما يعلمه من عبث الاهواء بكم (١٩٥ الحج) أي وقت الحج والذي يصح فيه (اشهر معلومات) معينة ولئن كان المشركون ينسئونها الى اشهر أخر فإنما النسيء زيادة في الكفر . وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة لا غيرها . نعم كل ذي الحجة وقت ببعض الاعتبارات لبعض الاجزاء كشوال وذي القعدة . قال في التذكرة وعليه اكثر علمائنا . وهو الظاهر مما روي في الكافي والفقيه والتهذيب عن سماعة ومعوية عن الصادق (ع) انها شوال وذو القعدة وذو الحجة . ونحوه ما رواه في الكافي والتهذيب عن زرارة عن الباقر(ع) . وفي الدر المنثور وغيره كالبيهقي والبخاري في احاديث مسندا عن رسول الله(ص) انها شوال وذو القعدة وذو الحجة كما في احاديث ابي امامة وابن عباس وابن عمر . وصريح قول الكاظم(ع) كان جعفر « يعني الصادق (ع) » يقول ذوالحجة كله من اشهر الحج . كما رواه في التهذيب في الصحيح عن عبد الرحمن بن الحجاج وروي نحوه في تفسير البرهان اخذاً من تفسير العياشي و كذا صريح قول الصادق (ع) في شمولها لما بعد ايام التشريق في صوم الثلاثة في بدل الهدي حينئذٍ انا اهل بيت نقول ذلك لقوله تعالى فصيام ثلاثة ايام في الحج يقول في ذي الحجة . كما رواه في الكافي والتهذيب في الحسن كالصحيح او الصحيح عن رفاعة عنه(ع) . ويؤيده ما رواه في الوسائل والبرهان أخذاً من تفسير العياشي عن حفص بن البختري عن الصادق(ع) . وربعي عن الكاظم (ع) . والمراد في الآية ان مجموع الوقت من الأشهر الثلاثة وقت للمجموع من افعال الحج أي يصح بعض الاجزاء فيها كالاحرام الذي هو جزء من أحد النسكين الحج والعمرة وان اختصت بعض الأفعال بيوم عرفة وما بعده . فلا يجوز أن يقدم احرام الحج على الأشهر المذكورة باجماع الإمامية وحديث اهل البيت وبذلك قال عطا ومجاهد وطاووس والشافعي . وفي الدر المنثور

فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدالَ فِي الحجِّ

ذكر جماعة رووا ذلك منهم الشافعي والحاكم وصححه عن ابن عباس وابن مردويه عن جابر عن رسول الله(ص) والشافعي وغيره عن جابر موقوفاً . والاحرام جزء من الحج والحج أشهر معلومات . وحكى في التذكرة عن مالك والثوري والنخعي وابي حنيفة واسحاق واحمد ان الاحرام ينعقد قبل الأشهر المذكورة فإذا بقي على احرامه الى اشهر الحج جاز للحج . تشبثا منهم بقوله تعالى «يسئلونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج» ويرده ان كون الأهلة كلها مواقيت للناس والحج إنما هو باعتبار مجموع الحوادث للناس والحج فإنها إنما تكون مواقيت للحج والناس في حوادثهم وأمورهم إذا امتازت بعض الأهلة عن بعض باعتبار الوقوع او البداية او النهاية وإذا لم يمتز بعض الأهلة عن بعض في التوقيت كان الزمان كله ظرفا ليس فيه وقت ولا ميقات فلا تكون الأهلة مواقيت . ولو تنزلنا لكان قوله تعالى الحج اشهر معلومات نصا على التعيين كنص السنة على تعيين التاسع والعاشر من ذي الحجة على بعض اعماله . وعمرة التمتع كالحج لا يقع شيء منها في غير الأشهر المذكورة بإجماع الإمامية وحديث اهل البيت وما رووه عن جدهم(ص) من قوله(ص) دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة كما أسنده الجمهور في جوامعهم ومسانيدهم عن خمسة من الصحابة عن رسول الله(ص) كما أشرنا اليه آنفاً . فإذا كانت داخلة فيه كانت موقتة بوقته . وان الاحرام الذي جعله للعمرة المتمتع بها الى الحج كان في ذي القعدة ولم يرد ما يجوّز تقديمه على شوال . وقد اجمع المسلمون على انه لا يجوز أن تقدم عمرة التمتع على اشهر الحج بجميع اعمالها . لكن في التذكرة عن ثاني قولي الشافعي إذا أحرم بالعمرة في شهر رمضان وأتى بباقي اعمالها في شوال وحج من سنته كان متمتعا . وقال ابو حنيفة ويجوز ايضا ان يقدم من اعمالها على أشهر الحج الى ثلاثة اشواط من طوافها . ولعل أبا حنيفة يتشبث لتقديم احرامها بما يتشبث به لتقديم احرام الحج وقد عرفت ما فيه . ويبقى قول الشافعي هنا وتقديم الأشواط الثلاثة ونحوها ليس له ما يتشبث به (فمن فرض فيهن الحج) اي جعل اتمامه فرضا واجبا عليه بسبب عقده للإحرام بالتلبية اواشعار الهدي او تقليده كما في صحيحة الكافي عن معاوية عن الصادق (ع) ويدخل في ذلك الإحرام من المواقيت في حج التمتع لدخول العمرة في الحج (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) اي ان الحج بطبيعته

ومصلحة تشريعهِ يأبى هذه الأمور . وتقدير الكلام فمن فرض فيهن الحج فلا يأت في حجه برفث ولا فسوق ولا جدال لأنه لا رفث ولا فسوق إلى آخره فحذف جواب الشرط لدلالة هذه الجملة المذكورة عليه دلالة يكون ذكره معها من فضول الكلام . وجيء بالجملة الخبرية . وصرح باسم الحج في قوله جل شأنه «في الحج» لايضاح ان الحج بذاته ينافر هذه الأمور . وليعرف ان عدمها ليس تكليفا محضا يختص بمن فرض الحج بل هو غرض يريد الشارع تحصيله من المكلفين حتى في مورد لا يكون فيه من غير هذه الجهة منكر يجب النهي عنه وأثم تحرم المساعدة عليه كما لو اكره المحل بحق الزوجية زوجته على وطئها في حجها الواجب أو المستحب بإذنه أو المولى أمتهُ في حجها باذنه . او طاوعت المحلة زوجها غير البالغ على وطئها في حجه وما اشبه ذلك . فإنهُ بمفاد الآية والغرض يراد من كل مكلف عدم حصوله كمنعه ان كان لمنعهِ أثر وعلى ذلك جاءت صحيحة اسحاق بن عمار عن الكاظم (ع) في ان المولى المحل إذا كان عالما بأنهُ لا ينبغي له ان يطأ امتهُ في حجها باذنهِ كان عليه الكفارة كما افتى الأصحاب على اطلاقها سؤالا وجوابا بل الظاهر انهُ لا يخفى عليهِ ان وطأها مع رضاها لا ينبغي لهُ لأنهُ اعانة على الإثم. ولو قيل ولا جدال فيهِ لاحتمل عود الضمير إلى ذلك الحج المفروض من حيث انهُ فرضه على نفسهِ وما يرجع إلى تكليفهِ الخاص بهِ لا من حيث منافرة ذات الحج لهذه الأمور وإن كان بعضها حلالاً في غيره كجماع الزوجين وقول لا والله وبلى والله في مقام الصدق . هذا وفي التبيان وغيره الرفث عند اصحابنا كناية عن الجماع قلت وهو احدى روايات الجمهور عن ابن عباس عن رسول الله ورووه ايضا عن ابن عباس وابن عمر وابن الزبير موقوفا . والحجة لأصحابنا فيه اجماعهم وما في الكافي عن الصادق (ع) الرفث الجماع . والفسوق الكذب والسباب . والجدال قول الرجل لا والله وبلى والله ونحوه ما روى في الفقيهِ عن الصادق (ع) إلا انهُ لم يذكر السباب . ونحوه ايضا ما روي في التهذيب عن الكاظم (ع) الا انهُ ذكر المفاخرة بدل السباب . ولعل ذكر السباب والمفاخرة كان رعاية لبعض الوجوه باعتبار الغالب من اشتمالها على الكذب ويشهد لذلك خلوّ رواية الفقيهِ منهما وخلوّ رواية الكافي من المفاخرة وخلوّ رواية التهذيب من السباب وكلها في مقام البيان . وايضا ان الجماع هو المتيقن من الرفث في التفسير مع شهادة قولهِ تعالى فيما سبق «احل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم» ولئن ذكر لهُ في كتب اللغة معان أخر فهي على سبيل الاحتمال . والأصل فيه البراءة (وما تفعلوا

وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ * (١٩٦ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ

من خير يعلمهُ الله) ويوفكم جزاءكم وهو العليم الذي لا يضيع أجر المحسنين (وتزودوا) من تقوى الله والأعمال الصالحة . والزاد ما يعد من الطعام لحاجة السفر كني بهِ هنا عن الاستعداد للآخرة (فإن خير الزاد) مما يعتني الإنسان بتزودهِ وبعدهِ لضرورتهِ ويراه واجبا لازما لحاجتهِ إنما هو (التقوى) لله والعمل بأوامره ونواهيهِ . ولعمري ان التفريع بالفاء ليوضح الرد لما ذكر في تفسير الآية من ان قوما كانوا يرمون ازوادهم ويتسمون بالمتوكلين فقيل لهم تزودوا من الطعام ولا تلقوا كالكم على الناس. ولئن ذكرت بذلك رواية عن ابن عباس وغيره كما احصاه في الدر المنثور فإن عرضها على كتاب الله في تفريع الآية بالفاء يعرّفك وهاهنا (واتقون) عطف تفسير على تزودوا فائدتهُ البيان والتأكيد (يا أولي الألباب) الذين يعرفون بعقولهم حاجتهم إلى التزود بالأعمال الصالحة ووجوب تقوى الله وما للتقوى من فضل الغاية العظمى(١٩٦ ليس عليكم جناح) في (ان تبتغوا فضلا من ربكم) في تفسير البرهان عن تفسير العياشي عن الصادق (ع) في تفسير الآية قولهِ (ع) يعني الرزق فإذا أحل الرجل من احرامه وقضى نسكهُ فليشتر وليبع انتهى. ويكون وجه المناسبة في السياق في هذه الجملة هو الاستدراك ورفع ما يتوهم بسبب تحريم الرفث والجدال والأمر بالتقوى والحث عليها فلا بأس في ان يكتسب ما هو زائد نوعاً عما اعد من المال لسفر الحج . وروى في ذلك ونحوه في الدر المنثور عدة احاديث . وفي التبيان روى عن ابي جعفر (ع) قال لا جناح عليكم ان تبتغوا فضلا من ربكم معناه ان تطلبوا المغفرة . وفي مجمع البيان رواه جابر عن ابي جعفر (ع) . ولعل ذكر المغفرة باعتبار انها المصداق الأهم لنوع الإنسان مما يبتغي حينئذ من الله . ووجهُ المناسبة في السياق هو انهُ بعد الترغيب في التقوى وملازمة الحدود في الواجبات والمحرمات اقتضى اللطف ان يرغب في الازدياد من الخير ومنه طلب المغفرة بأسبابها فجرى الترغيب بنحو الاحتجاج بثبوت المقتضي وعدم المانع فإن المقتضي لابتغاء الفضل من الله بديهي عند العقل والعقلاء وليس في ذلك مانع ولا على المبتغي جناح . واي جناح عليه في ذلك فابتغوه واغتنموا فيه الفرص(فإذا

فَاذْكُرُوا اللهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ * (١٩٧) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ

أفضتم من عرفات) الافاضة جعل الشيء فائضا من فيض الماء اي فإذا أفضتم جمعكم تشبيها لاندفاع جمعهم الكثير في رحيلهم لساعتهم بعد العصر دفعة بفيض الماء المنبعث في ابتدائه من عرفات يقال افاض الحديث اي افاض كلامهُ فيه . وعرفات هو الموقف المعروف وفيه نسك اليوم التاسع . وفي التعبير بالافاضة دلالة على ان الموقف في عرفات له مكث محدود الوقت يجتمع فيه الناس ثم يرحلون بأجمعهم كالماء الفائض وان عرفات منشأ هذه الافاضة وفيض الجمع . وصرفت عرفات مع العلمية والتأنيث لأنها بصيغة الجمع فحملت عليه (فاذكروا الله) بالصلاة والتقرب اليه بطاعته في النسك والوقوف (عند المشعر الحرام) وهو المزدلفة وجمع وسمي مشعراً لأنه محل لنحو من شعائر الله . وإذا جعلت جملة « فاذكروا» لبيان الوظيفة بمنزلة الجملة الخبرية جاز ان يراد بالذكر ما يعمّ المستحب . ثم اكد الله الترغيب بذكره والاقبال عليه ببيان الاحتجاج والتذكير باستحقاقه شكراً لنعمته العظمى فقال جلت آلاؤه (واذكروه كما هداكم) وانعم عليكم بالهدى تلك النعمة الجليلة (وإن كنتم) الواو للحال «وان» مخففة من الثقيلة تفيد التأكيد بمعنى وقد كنتم (من قبله) اي من قبل الهدى المدلول عليه بقوله هداكم (لمن الضالين) ولا تجعلوا المشعر سبيل عابر من عرفات إلى منى كما كانت قريش تقترحه بتشريعهم وجبروتهم على سائر العرب بل قفوا فيه للنسك بحيث يكون اندفاع جمعكم منهُ بعد الوقوف فيه افاضة منهُ كالافاضة من عرفات واذكروا الله فيه (١٩٧ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) العاملين على شريعة الحج بحقيقتها وهو ابراهيم الخليل (ع) الذي أتى بشريعة الحج واسماعيل واسحاق ومن كان بعدهم من المتبعين لهذه الشريعة . جاء فيما أشرنا اليه آنفا من الكافي والتهذيب في الصحيح عن الصادق (ع) عن الباقر (ع) عن جابر في ذكره لحج رسول الله (ص) . ثم غدا (ص) أي من منى والناس معهُ وكانت قريش تفيض من المزدلفة وهي جمع « أي لا يقفون في عرفة فتكون لهم منها افاضة بل يقفون في المشعر وتكون منهُ افاضتهم » ويمنعون الناس من ان يفيضوا منها « أي من المزدلفة يعني انهم لا يدعون الناس بعد افاضتهم من عرفات ان يقفوا في المزدلفة لكي يكون لهم منها افاضة ايضا بل لا يكون لهم

وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * (١٩٨) فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ

إلا الاستطراق» فأقبل رسول الله وقريش ترجو ان تكون افاضتهُ من حيث كانوا يفيضون «اي لا يمضي إلى عرفة بل يمكث في المزدلفة وتكون منها افاضته (ص)» فأنزل الله عليه ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله يعني ابراهيم واسماعيل واسحاق في افاضتهم ومن كان بعدهم الحديث. ولا ينبغي الريب في ان مرجع الضمير في منها هو المزدلفة إذ لم يسبق في الحديث ادنى ذكر او إشارة الى عرفات. وفي تفسير البرهان آخذاً من تفسير العياشي ذكر خمس روايات تذكر ان المراد افيضوا من عرفات. نعم فيها ما يؤيد حديث جابر في ان قريشا منعوا الناس من أن يفيضوا معهم من المزدلفة اي منعوهم من أن يمكثوا فيها عند رجوعهم من عرفة لكي تتحقق لهم الافاضة من المزدلفة. ولكن في تلك الروايات اختلاف فإن بعضها يذكر ان المأمور بالإفاضة من حيث افاض الناس هم قريش وبعضها انه رسول الله (ص) و كذا ما احصاه في الدر المنثور في رواياتهم والكل لا يقوى على المقاومة لحديث جابر المنتصر برواية الصادق (ع) والباقر (ع) له فإن ذلك تصديق منهما (ع) له. وينافيها ويردها أيضا سياق الآية والعطف فيها بثم. ولا يجدي في ذلك ما ذكره في الكشاف وغيره بالقياس الواهي. نعم في مجمع البيان انه قد روى اصحابنا ان هاهنا تقديما وتأخيراً تقديره فليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم ثم أفيضوا من حيث افاض الناس فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله. الآية. ولم أجد الرواية عاجلا لأرى سندها ولو كانت عن إمام لذكره في المجمع على عادته فالحكم لبيان رواية الصادق (ع) والباقر (ع) عن جابر المعتضدة بترتيب القرآن المتسالم عليه. وفي التبيان ذكر القول بأن الآية خطاب لجميع الحاج ان يفيضوا من حيث أفاض ابراهيم (ع) من مزدلفة وقال انه شاذ وعالل شذوذه بكلام مضطرب عهدة اضطرابه على النساخ وحاصله الاعتراض على كون المراد بالناس ابراهيم (ع) وحده وقد عرفت ان رواية جابر ترفع هذا الاعتراض واما دعوى الاجماع على خلاف هذا القول فلعلها ناظرة إلى المروي عن ابن عباس وعائشة وعطا ومجاهد والحسن وقتادة وبعض المفسرين ولا حجة فيه و كيف كان فلا اجماع وبالنظر الى مجمع البيان يظهر ان نساخ التبيان خلطوا بين قولي الضحاك والجبائي. وظني ان في عبارة التبيان سقطا (واستغفروا الله ان الله غفور رحيم ١٩٨ فإذا قضيتم مناسككم) أتيتم بها وفرغتم

فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ * (١٩٩) وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * (٢٠٠) أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ * (٢٠١) وَاذْكُرُوا اللهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ

منها والمناسك هناك أفعال الحج لأنها ينسك بها لله (فاذكروا الله كذكركم آباء كم أو أشد ذكراً) ان من عادة الناس وخصوص العرب ان لا يغيب آباؤهم عن ذكرهم بالافتخار بهم والاطراء بمحاسنهم واحسانهم أو القسم بهم ونحو ذلك . فالمعنى العام في الآية ان لا تغفلوا عن ذكر الله بعد اداء المناسك . واولى ما يحتج عليهم في ذلك هو انهم لا يغفلون عن ذكر آبائهم إذن فكيف يغفلون عن ذكر الله بما هو اهله وهو الإله العظيم وله المجد والجلال وهو خالقهم وكل نعمة عليهم حتى التي من آبائهم هي منه جلت آلاؤه . بل ينبغي ان يكون ذكرهم لله اشد من ذكر الآباء بنحو يناسب جلال الله ونعمائه . وجاء في التفسير في الروايات ببيان بعض المصاديق العادية في ذكرهم لآبائهم . ففي صحيحة الكافي عن منصور بن حازم عن الصادق (ع) كانوا إذا أقاموا بمنى بعد النحر تفاخروا فقال الرجل منهم كان ابي كذا وكذا فقال الله وإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباء كم . ونحوها ما رواه العياشي عن الباقر (ع) والصادق (ع) وجملة مما رواه في الدر المنثور . هذا وان ذكر الله حق الذكر يساوق ملازمة التقوى ولكن احوال الناس مختلفة يكونون فيها على اصناف ذكر في الآيات بعضها (فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا) وقد اعرض عن الآخرة ونسيها (وماله في الآخرة من خلاق) أي من نصيب لأنهُ أعرض عنها ولم يعمل لها ولم يسأل شيئاً من خيرها (١٩٩ ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا) نعمة (حسنة وفي الآخرة) نعمة (حسنة وقنا عذاب النار) وفي الكافي في صحيحة جميل عن الصادق (ع) رضوان الله والجنة في الآخرة والمعاش وحسن الخلق في الدنيا (٢٠٠ أولئك لهم نصيب مما كسبوا) «من» في «مما» بيانية فإن ما سألوه لا ينال بمحض الدعاء (والله سريع الحساب) لعباده من الصنفين المذكورين (٢٠١ واذكروا الله في ايام معدودات) وهي ايام التشريق كما في صحيحتي الكافي عن محمد بن مسلم ومنصور بن حازم وصحيحة التهذيب عن حماد بن عيسى عن الصادق (ع)

فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى

كصحيحتي الوسائل عن قرب الاسناد عن حماد عنه (ع) ونحوهما روايات العياشي ورواية الدر المنثور عن ابن عباس وابن عمر وابن الزبير . وذكر الله هو التكبير كما في صحيحتي محمد ومنصور المشار اليهما . وصورته المتفق عليها بين المسلمين كما ذكره في التبيان . الله اكبر . الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر الله اكبر ولله الحمد . وزاد اصحابنا تبعاً للروايات عن ائمتهم اهل البيت وجمعاً بينها . الله اكبر على ما هدانا والحمد لله على ما اولانا ورزقنا من بهيمة الانعام . وهو مستحب على المشهور لصحيحة علي بن جعفر عن اخيه الكاظم قال سألته عن التكبير في ايام التشريق اواجب اولا قال (ع) مستحب وان نسي فلا شيء عليه فالامر في الآية للاستحباب . ووقته بعد كل فريضة من صلاة الظهر يوم النحر الى صلاة الصبح من اليوم الثالث عشر . فيكون خمسة عشر تكبيراً ولمن ينفر بالنفر الاول بعد الزوال فيكون عشر مرات . واختلف كلام الفقهاء من الجمهور في عدده ولكن مالكاً والشافعي في احد اقواله وافقا اصحابنا (فمن تعجل في) ضمن (يومين) من تعجل الدين اي تعجل مقامه بمنى في ضمن يومين بتعجل غايته فنفر النفر الاول . ولو كان بمعنى استعجل وعجل او للمطاوعة كما في الكشاف لدلت الآية على جواز النفر في اليوم الاول منها ايضا وهو باطل باجماع المسلمين . ولاجل جعل التعجل في ضمن يومين اشترط اصحابنا وفقهاء اهل السنة الا ابا حنيفة واصحابه كونه قبل الغروب من اليوم الثاني فلو امسى حرم عليه النفر الاول (فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه) لهذه الجملة ظاهر لا حاجة الى بيانه لأن في رواية الكافي عن اسماعيل بن نجيح رد عليه ولأن الاحاديث عن الفريقين جاءت على خلافه وهو ان المراد غفرت ذنوبه . منها صحيحة الحلبي في قوله تعالى الحج أشهر معلومات وصحيحة عبد الأعلى ورواية ابن عيينة ورواية ابن نجيح ورواية العياشي عن معاوية ابن عمار وعن ابي بصير عن الصادق (ع) ورواه في الدر المنثور عن علي امير المؤمنين (ع) وابن مسعود وابن عمر وابن عباس في احدى الروايتين فيكون حاصل المراد من الآية الكريمة فمن أتمّ حجه بالتعجل او التأخر غفرت ذنوبه فإنه لا أثر لخصوص عنواني التعجل والتأخر في غفران الذنوب . ومن هذا الوجه وكون التعجل اتماما للحج يعرف جوازه وانه (لمن اتقى) النساء والصيد كما هو المشهور بين الإمامية باعتبار الاختصاص بالأمرين المذكورين والمجمع عليه

وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * (٢٠٢) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ * (٢٠٣) وَإِذَا تَوَلَّى

باعتبار الدخول في كل ما يحرم على المحرم كما عن ابن سعيد او ما يوجب عليه الكفارة كما عن ابن ادريس وابي المجد كما ورد في خصوص النساء والصيد صحيحة حماد بن عثمان وروايته الأخرى كما في التهذيب وصحيحة جميل ومعتبرة ابن المستنير عن الصادق (ع) وبه جاءت احدى روايات الدر المنثور عن ابن عباس والمراد اتقاء المحرم وما يحرم عليه في حجة مما يكون بين النساء والرجال سواء كان رجلا او امرأة . وهناك روايات أخرى من الفريقين لم يأخذ بمضمونها الإمامية وعلى ذلك اجماعهم مضافاً إلى ان قوله تعالى « ذلك لمن اتقى » لا يستقيم تفسيره بالتقوى المطلقة بعمومها لأن حصولها إلى حين النفر لا يتفق إلا للمعصوم فلا يبقى موقعا للامتنان بغفران الذنوب إذا كان ذلك قيداً له و كذا لا يبقى مورد للتخفيف على سائر الناس كما يعرف من روايات الفريقين بأجمعها إذا كان قيداً لجواز النفر كما لا يستقيم تفسيره بمطلق حصول التقوى ومصداقها في الماضي اذ لا فائدة على ذلك في هذا القيد فإن كل من له حج قد حصل منه مصداق للتقوى فلا بد من ان يراد بذلك تقوى خاصة وهو مابينته الروايات المتقدمة وبالنظر إلى هذا الذي ذكرناه يسقط كثير من الاحاديث واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون) مقتضى سوق الآية هو انه لا تتكلوا على غفران ما مضى من ذنوبكم بسبب الحج بل اتقوا الله فيما بقي من اعماركم وتحققوا وليكن على علمكم وذكركم دائماً انكم الى الله لا محالة تحشرون فيحاسبكم على اعمالكم ويجازيكم فاستعدوا لذلك بالتقوى وتزودوا منها فإنها خير الزاد (٢٠٢ ومن الناس من يعجبك قوله) وتستحسنه (في الحياة الدنيا) متعلق بيعجبك أي يظهر الإيمان والصفاء وحسن الصحبة ويقول ان ذلك في قلبي (ويشهد الله على مافي قلبه) بضم الياء من اشهد أي يقول اشهد الله على ذلك ولازمه دعوى ان الله عالم بذلك (و) الحال (هو) خصيم لك وللايمان و (الد الخصام) في ذلك . واللدد هو الشدة في الخصومة والألد صفة مشبهة نحو أعمى العين واعورها أي شديد الخصومة . يقال خصم الد وخصوم لدّ كقوله تعالى في سورة مريم ولتنذر قوماً لدا (٢٠٣ وإذا تولى) من الولاية بأن تصير له ولاية

سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لا يُحِبُّ الفَسَادَ * (٢٠٤) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ العِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ المِهَادُ * (٢٠٥) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ

وتسلط (سعى في الأرض) السعي الاسراع في المشي قيل والعمل ومنه قولهُ تعالى في سورة النجم ان ليس للانسان إلا ما سعى . وفي سورة الدهر وكان سعيكم مشكوراً . وظني ان ذلك من المعنى الأول وكني به عن العمل (ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل)المراد بالحرث هنا الزرع لأنه تحرث له الأرض . والنسل ما يتولد بالتناسل . والناس نسل آدم وعن تفسير العياشي عن الحسين بن بشار عن الرضا (ع) قوله النسل هم الذرية والحرث الزرع وعن زرارة عن الصادق والباقر النسل الولد والحرث الارض وهذا يرجع إلى تفسيره بالزرع وفي مجمع البيان وروي عن الصادق ان الحرث في هذا الموضع الدين والنسل الناس . واظن انه اخذه من تفسير القمي ففيه قال الحرث في هذا الموضع الدين . وهذا الكلام لا دلالة فيه على انه رواية عن الصادق (ع) (والله لا يحب الفساد) ولا يعين عليه ولكن يمهل ذلك الساعي ويملي له (٢٠٤ وإذا قيل له) اي لذلك المفسد (اتق الله) ولا تفسد (أخذته العزة) التي يراها لنفسه (بالإثم) واجتماع اتباعه معه على الضلال اي استولى عليه اعتزازه بالإثم اي بالتعاضد الباطل على الباطل والآثام فيأنف من قول القائل له اتق الله وفي التبيان أخذتهُ العزة من اجل الاثم الذي في قلبهِ من الكفر . وقيل أخذتهُ العزة أي دعته العزة إلى الإثم كما تقول أخذت فلانا بأن يفعل أي دعوته إلى ان يفعل ونحوه قال في الكشاف (فحسبه جهنم) اي فليكن محسوبه في عاقبة جهنم (ولبئس المهاد) الذي مهده لنفسهِ بسوء اعماله هي (٢٠٥ ومن الناس من يشري نفسهُ ابتغاء مرضات الله) في التبيان شرى باع . وفي الكشاف يبيعها أي يبذلها في الجهاد أقول ويمكن ان يراد به معنى الاشتراء المتعارف على نحو ما ذكرناه في الآية الرابعة والثمانين أى يشتري نفسهُ بالأعمال الصالحة ابتغاء لمرضات الله عليها وهي سعادتها التي تشترى لها . وفي التبيان وروي عن ابي جعفر يعني الباقر (ع) انهُ قال نزلت في علي (ع) حين بات على فراش رسول الله (ص) لما ارادت قريش قتله (ص) . ورواه في البرهان وغاية المرام في تفسير العياشي باسناده عن ابن عباس وعن جابر عن الباقر (ع) ورواه الشيخ الطوسي

في اماليه بأسانيده من رجال اهل السنة وغيرهم عن زين العابدين وابن عباس وانس وابي عمرو بن العلا وعن ابي اليقظان عمار عن رسول الله (ص) وفي مجالسه عن ابي ذر ان امير المؤمنين احتج في الشورى بأن الاية نزلت في شأنه . وفي غاية المرام رواه ابن بابويه وابن شاذان والكليني والطوسي وابن عقده والبرقي وابن فياض والعبدكي والصفواني والثقفي بأسانيدهم عن ابن عباس وابي رافع وهند بن ابي هاله . ورواه من أهل السنة الحافظ ابو نعيم عن ابن عباس . والثعلبي في الجزء الأول من تفسيره . ورواه ايضاً في تفسيره وابن عقبة في ملحمته وابو السعادات في فضائل العشرة بأسانيدهم عن ابي اليقظان عمار . ورواه الغزالي في باب الإيثار من الاحياء بالنحو المفصل في مباهاة الله لجبرائيل وميكائيل بعلي ونزول الآية في شأنه وكذا اورده الرازي والنيسابوري والشيرازي في تفاسيرهم وعن ابن الأثير في الانصاف في جمعه بين الكاشف والكشاف ورواه في الفصول المهمة عن الاحياء ورواه الثعلبي ايضا باسناده عن السدي . وروى الحاكم في مستدركه والذهبي في تلخيص المستدرك واخطب خوارزم موفق في مناقبه والحمويني في فرائده وفضائل الصحابة بأسانيدهم عن زين العابدين (ع) قال اول من شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله علي بن ابي طالب عند مبيته على فراش رسول الله (ص) وروى احمد في مسنده بطريق صحيح والحاكم في مستدركه وصححه على شرط البخاري ومسلم وذكر روايته عن ابي داود والطيالسي وغيره ورواه النسائي في خصائصه صحيحا واخطب خوارزم في مناقبه والذهبي في تلخيصه وصححه والحمويني في كفاية الطالب والسمط الاول من فرائده عن ابن عباس في حديث وشرى علي نفسه ولبس ثوب النبي (ص) ونام مكانه وقد كان رسول الله (ص) البسه برده وكانت قريش تريد ان تقتل النبي (ص) الحديث . هذا وفي الكشاف لم يذكر هذه الرواية وفسر يشري نفسه بقوله يبيعها ويبذلها في الجهاد ثم ذكر الرواية في صهيب وانه اشترى نفسه وافتداها من مشركي قريش بما له . وهذا لا يناسب تفسيره بيبيعها ويبذلها وإنما يناسب ذلك ما روي في شأن امير المؤمنين (ع) في بذل نفسه ومبيته على فراش الرسول ليفديه بها . والعجب من السيوطي فإنه مع طول باعه في الحديث واستقصائه في الدر المنثور للأحاديث المتعلقة بالتفسير حتى الشواذ والمناكير ومع ذلك لم يذكر ما استفاض من طرقهم في نزول هذه الآية في شأن امير المؤمنين ومبيته على الفراش وروى نزولها في شأن صهيب او مع ابي ذر أو مع غيرهما . وان ما يرويه صهيب من قول النبي (ص) له ربح

وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالعِبَادِ * (٢٠٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً

البيع لا يناسب بذل ماله ولا تناسب الآية افلات ابي ذر من أهله . فإن قيل ان الآية مدنية فكيف يكون نزولها في مبيت علي (ع) على الفراش في مكة قلت ان حادثة المبيت كانت حين خرج رسول الله (ص) من مكة مهاجراً فنزلت الآية بعد ذلك في تمجيد علي (ع) . وايضا لم يكن بين ما يروونه من شأن صهيب مع قريش وبذل ماله وبين مبيت علي (ع) على الفراش إلا يوم ونحوه فكيف ناسبت الآية المدنية شأن صهيب ولم تناسب شأن امير المؤمنين في مبيته على الفراش (والله رؤوف بالعباد) وهذه التتمة وامتنانها انما تناسب شأن امير المؤمنين (ع) ورأفة الله به في حفظه بجبرائيل وميكائيل من قتل قريش كما فيما اشرنا اليه من روايات ابي نعيم والثعلبي وابن عقبة وابي السعادات والغزالي والرازي وغيرهم (٢٠٦ يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) فيما حضرنا من كتب اللغة السلم بكسر السين وسكون اللام الصلح والمراد منه الملائمة وعدم الحرب لا عقد المصالحة الذي يؤثر السلم . وتؤنث حملا على نقيضها الحرب كقوله تعالى في سورة الأنفال وان جنحوا للسلم فاجنح لها . وقال العباس بن مرداس

السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع

ومن الغريب ما رواه في الدر المنثور من ان المراد بالسلم شرائع الإسلام وما ذكره من سبب النزول . وان المخاطبين هم اهل الكتاب . أو ان المراد بالسلم الإسلام . كما اغرب من نقل عنه في الكشاف ان المخاطبين هم المنافقون كما اغربوا بتفسير السلم بالطاعة كيف والآية والتي بعدها يناديان بأنهم نوع المؤمنين بالله ورسوله محمد (ص) وقد كانوا حين الخطاب بالآية ومدة حياة الرسول مستوسقين بأجمعهم للسلم فيما بينهم اذن فماذا الذي أمروا بأن يدخلوا فيه ما هو الا عنوان يضمن لهم دوام السلم بعد الرسول (ص) ويحكم انتظامه ولم نجد لهذا العنوان بيانا وتفسيراً معقولا إلا ما ورد عن اهل البيت (ع) ففي الكافي بسنده عن عبد الله بن عجلان عن الباقر (ع) في تفسير السلم في الآية قال (ع) في ولايتنا . وكذا رواية سعد بن عبد الله القمي بسنده عن الفضيل عنه (ع) ورواية ابن شهراشوب عنه (ع) ورواية العياشي عن الكلبي عن الصادق عنه (ع) . وفي امالي الشيخ بسنده عن محمد بن ابراهيم عن الصادق (ع) قال في ولاية علي بن ابي طالب وكذا رواية ابن شهراشوب عن زين العابدين عليه السلام

وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * (٢٠٧) فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * (٢٠٨) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ

والصادق (ع) ورواية العياشي عن ابي نصير عن الصادق (ع) . وفي معناها روايات أخر عن العياشي عن زرارة وحمران ومحمد بن مسلم عن الباقر (ع) والصادق (ع) . وروايته عن جابر عن الباقر (ع) وروايته عن مسعدة عن الصادق عن ابيه عن جده عليهم السلام . ولعمر الحق ان ولاية علي (ع) والأئمة من آل الرسول لهي اشرف انواع السلم واعظمها بركة. بها يستوسق السلم العام بين المسلمين بعد الرسول (ص) وبها يستحكم نظامه ويقر قراره ولو تمسك كافة المسلمين بها لما حدثت الحروب الطاحنة كحروب البصرة وصفين والنهروان وكربلا والحرة وغيرها . ولما ذهب خيار المسلمين اضاحي لقساوة زياد وابنه والحجاج واشباههم فإنا لله وانا اليه راجعون . و «كافة» بمعنى جميعا حال من ضمير الجماعة في ادخلوا ولا محصل لكونه حالا من السلم خصوصا مع ما ذكرناه من حال المسلمين في عهد رسول الله (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) الخطوات جمع خطوة أي لا تتبعوا اثره وتخطوا على خطاه في الضلال ولا تنقادوا على أثره بغوايته (انه لكم عدو مبين) لعداوته . وهل تخفى عداوته . وهاانتم بأقل التفات تعلمون انه يغريكم بكل قبيح ويوقعكم بغوايته في كل شر ومكروه (٢٠٧ فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات) ومنها قوله تعالى إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً . وتأكد بيانه بتواتر الأحاديث من الفريقين في ان المراد من اهل البيت هم علي والزهراء وذريتهما صلوات الله عليهم . وقوله تعالى قل لا اسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى . وغير ذلك من الآيات المأثورة تفسيرها في فضل علي (ع) وزعامته وولائه كما مضى ويأتي انشاء الله وما تواتر لفظا اومعنى من احاديث الفريقين في فضل علي (ع) وولايته وامرته على المؤمنين . (فاعلموا ان الله عزيز حكيم) في انفاذ امره واظهار الحق بلا الجاء (٢٠٨ هل ينظرون) أي نوع الناس ان كان المقصود من الآية أحوال القيامة وأهوالها . وان كان المقصود أهوال أواخر الزمان فالمراد بعض الناس واهل ذلك الحين (إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) نسبة الاتيان إلى الله مجاز أي يأتيهم آنا وقدرته وعظمته وسلطانه القاهر كما

وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُور * (٢٠٩) سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ *(٢١٠) زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

يقال لمن جاءه جيش الملك بسطوة سلطانه جاءك الملك . وظلل جمع ظلة وهوماأظلك. والغمام معروف .وظلل الغمام يحتمل ان تكون مجازا في الشدائد التي تدهمهم وظلمات الأهوال كما يظلم الجو بالغمام (والملائكة) فاعل بالعطف ليأتي واسناد الآيتين اليهم لا مانع من حقيقته . وفي روايات الدر المنثور في الآية ما يعسر تأويله ويستحيل مؤداه لأنه تجسيم وفيه نسبة التحين في المكان إلى الله جل شأنه (وقضي الأمر) فإنه لا راد لقضاء الله (وإلى الله ترجع الأمور) وهو وليها يرجع اليه سلطان إلهيته القاهر ووجوبه وامكان ما سواه وحاجته في جميع احواله اليه جل سلطانه (٢٠٩ سل) يا رسول (بني اسرائيل) على وجه التقرير والتوبيخ على تمردهم وكفران النعم (كم آتيناهم) أي أظهرنا لهم (من آية بينة) واضحة تهديهم إلى الحق وتوضح لهم سبل الرشاد في التوحيد ووحي التوراة من الله ونبوة رسول الله ووحي قرآنه وحظوا من تلك الآيات وبينات دلائلها وارشادها بالنعمة العظمى ولكن بدلوها وكم قابلوها بالارتداد والجحود والعناد وكفران النعمة (ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته) كمجيء تلك الآيات البينات فبشره بالعقاب الشديد (فإن الله شديد العقاب . ٢١٠ زين للذين كفروا الحياة الدنيا) زينها الشيطان وأهواء النفس الأمارة كما في قوله في سورة الأنفال والنحل والنمل والعنكبوت . وقيل ان الله زينها لهم بأن خلق فيها الأشياء المرغوبة المعجبة . وليس بشيء لأن خلق هذه الأشياء إنما هو للناس عامة لا لخصوص الذين كفروا . وفي الكشاف يجوز ان يكون الله زينها لهم بأن خذلهم حتى استحسنوها أو لأنه أمهلهم قلت وعلى ذلك جاء قوله تعالى في سورة الانعام « وكذلك زينا لكل أمة عملهم » وفي سورة النمل « زينا لهم اعمالهم » ولكن هذا مجاز لا يصار اليه إلا بحسب اقتضاء الدليل (ويسخرون) أي الذين كفروا (بالذين آمنوا) اما لأجل فقرهم او لأجل ايمانهم بالآخرة ورجائها أو لأجل اقدامهم على تحمل الشدائد بسبب الإيمان (والذين اتقوا فوقهم) فوق الكافرين الساخرين (يوم القيامة) في نعيم الجنان ورفعة

وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ * (٢١١) كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ

الرضوان . وهل المراد بالذين اتقوا هم الذين آمنوا او الاشارة إلى أن ما كل الذين آمنوا ينالون الدرجات الرفيعة يوم القيامة كما ورد في الحديث المستفيض المروي في صحاح اهل السنة وغيرها عن رسول الله (ص) انه يؤخذ ببعض أصحابه يوم القيامة ذات اليمين وذات الشمال فيقول أصحابي أصحابي فيقال له إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك . الله هو العالم بالمراد (والله يرزق) بالكرامة ورفعة الدرجات (من يشاء) من عباده بحسب الأهلية واستحقاق الكرامة (بغير حساب) ولا حد محدود والله ذو الفضل العظيم (٢١١ كان الناس أمة واحدة) لا تفرق بينهم فيما يرجع إلى نحلة او شريعة . وفي التبيان روي عن ابي جعفر « الباقر (ع) » انه قال كانوا قبل نوح امة واحدة على فطرة الله لا مهتدين ولا ضلال فبعث الله النبيين انتهى والمراد لا مهتدين كل الاهتداء في المعارف لأن الفطرة إنما تهدي إلى أصل الإلهية والتوحيد وشيء من صفاته جل شأنه . ولا توصل إلى المعاد الجسماني بالخصوصيات التي جاء بها القرآن الكريم ولا إلى الشريعة . ولا ضلالا بكل الضلال . إذن فهم ضلال في مطلق القول لضلالهم عن كثير مما تراد منهم معرفته والاهتداء اليه . وفي رواية العياشي عن مسعدة عن الصادق (ع) قلت افضلا لا كانوا قبل النبيين أم على هدى قال (ع) لم يكونوا على هدى بل على فطرة الله التي فطرهم عليها . وهذا كله ينطبق على ما اسنده الكافي عن يعقوب بن شعيب عن الصادق (ع) في الآية قال كان قبل نوح أمة ضلال فبعث الله النبيين . وكذا في رواية العياشي عن يعقوب عنه (ع) وفي روايته عن محمد بن مسلم عن الباقر (ع) كان هذا قبل نوح كانوا ضلالا . وروايته عن زرارة وحمران ومحمد بن مسلم عن الباقر (ع) والصادق (ع) كانوا ضلالا . ولم يرو عن أهل البيت انهم كانوا كفاراً . نعم اضطربت الروايات كما في الدر المنثور عن ابن عباس ففي بعضها قوله على الإسلام كلهم وقريب منه ما رواه عن ابي بن كعب وفي بعضها من طريق العوفي قال كانوا كفاراً (فبعث الله النبيين مبشرين) برضوان الله وجزائه ونعيم الآخرة لمن آمن بالله واتقاه وعمل صالحا (ومنذرين) لمن خالف كل ذلك او بعضه بغضب الله ونكاله ويوم القيامة وعذابه الأليم المهين (وانزل معهم الكتاب) أي نوع الكتاب الإلهي الذي

بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * (٢١٢) أَمْ

يجيء به الرسل من الأنبياء من عند الله فيحتمل ان يراد بالنبيين خصوص الرسل الذين ينزل عليهم كتاب ويحتمل ان يراد بهم مطلق الأنبياء وعبر بانزال الكتاب معهم باعتبار انزاله على الرسل منهم فكان منزلا مع نوبة بعثتهم عليهم السلام انزله الله (بالحق) أي ليبين الحق ويوضح للناس نهج الهدى في دينهم وشرائعهم . ومن غايات ذلك وفوائده ان يكون مرجعا وحكما فاصلا في الاختلاف وباعتبار هذه الغاية الشريفة قال جات الاوه (ليحكم) ببيانه (بين الناس) أي مطاق الناس لا خصوص أولئك المذكورون ولو كانوا هم المراد لقيل ليحكم بينهم (فيما اختلفوا فيه) ودعاهم إلى الاختلاف فيه جهلهم واهواؤهم (وما اختلف فيه) أي في الكتاب (الا الذين اوتوه) واختلفوا فيه (من بعد ما جاءتهم البينات) من محكماته المتعضدة بدلالة العقل وفي هذه الجملة دفع لما يتوهم من ان الكتاب كيف يحكم بين الناس مع ان كل فرقة من الأمة الواحدة في خصامها الديني والمذهبي مع الفرقة الأخرى تحتج بالكتاب الجامع بين الأمة وتدعي دلالته على ما تقول به فقال الله تعالى ما معناه ان الكتاب المنزل للأمة بحسب الحكمة بلسان البشر ولسان تلك الأمة ومحاورتها وان كان فيه صريح محكم وظاهر بالوضع ومجاز ظاهر المعنى بالقرائن اللفظية او العقلية البديهية لكن صريحه ومحكمه وبيناته لا تبقي مجالا للتوهم . بل هي واقفة بالمرصاد لتلاعب الأهواء بظاهره ومجازاته فلم يختلفوا لخفاء دلالته واشكالها بل وقع الاختلاف (بغيا) حاصلا (بينهم) وانحرافا من بعضهم عن الحق وزيغا إلى البغي ليموه الباغون أمرهم بالتشبث بالمتشابهات (فهدى الله الذين آمنوا) بحقيقة الإيمان وأوصلهم بتوفيقه (لما اختلفوا فيه من الحق باذنه) وتأييده باللطف لأنهم اهل لذلك بإيمانهم وتدبرهم في الكتاب (والله يهدي) ويوصل إلى الحق (من يشاء) ممن هو اهل للطفه وتوفيقه جلت نعماؤه (إلى صراط مستقيم) ويجوز ان تحمل الآية على الاختلاف في نفس الكتاب وكونه منزلا من الله ويكون المراد من البينات هي المعجزات والدلائل على صدق الرسول ونزول الكتاب من الله (٢١٢ أم حسبتم) أيها المسلمون (أن تدخلوا الجنة) وتنالوا درجاتها الرفيعة جزاء ومكافاة

حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ * (٢١٣) يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا

للأعمال الصالحة بدون اخلاص ثابت وصبر وثبات على نصر الدين وشدائده وبدون تمحيص للصادق من الكاذب « يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم بلطفه للإيمان ان كنتم صادقين » الحجرات ١٧ « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله المجاهدين منكم ويعلم الصابرين » ١٣٦ أي ولما يجاهد المجاهدون منكم ويصبر الصابرون فيكون الله قد علم بعلمه التابع في الأزل انهم سيجاهدون ويصبرون باختيارهم رغبة فيما عند الله ونصراً لدين الحق (ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم) من انصار الحق من الأمم والمثل بمعنى مثل بكسر الميم اي تمتحنون وتبتلون وتصبرون كما امتحنوا وصبروا . والذي أتاهم وصبروا عليه هو ان (مستهم البأساء) من البؤس ضد النعماء (والضراء) من الضر ضد السراء اصابهم ذلك ومسهم بألمه لا مجرد عروض ذلك (وزلزلوا) بهيجان الابتلاء والمحن واضطراب الاحوال ولكن الصابرين منهم ثبتوا على شدتهم في أمر الدين ولم يهنوا بل دام بهم ذلك الحال وهم على صبرهم وثباتهم (حتى) يفزع الرسول والمؤمنون إلى نصر الله ويستنزلون نصره ورحمته و (يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) دعاءً واستنصارا لرغبتهم في ظهور دين الحق . فكونوا مثلهم واصبروا واثبتوا أيها المسلمون ولكم البشرى بالنصر (الا ان نصر الله قريب ٢١٣ يسألونك ما ذا ينفقون قل) في جوابهم ما يعرفهم ما ينفقونه وهو ما كان خيراً نافعاً يراد به الاحسان ووجه الله . وما يبين مواضعه لئلا يكون انفاقهم تضييعاً للأموال ومستلزماً للمفاسد (ما انفقتم من خير فللوالدين) الناحيتين من الوالدين الأب والجد والأم والجدة (والاقربين) للمنفق وقدموا على مطلق الأقارب ممن في اعطائهم صلة الرحم بياناً لأهميتهم وتقديمهم عند مساواتهم للغير في سائر المزيات ودوران الأمر (واليتامى) اليتيم هو الصغير الذي لا أب له (والمساكين) الفقراء (وابن السبيل) وهو المحتاج في سفره وان كان له مال لا يصل اليه (وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم) وان اسررتم به فإنه لا تخفى عليه خافية ولا يضيع

مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ * (٢١٤) كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ * (٢١٥) يَسأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ

أجر المحسنين (٢١٤ كتب) وفرض (عليكم القتال) فرض كفاية لتنالوا فضيلةالجهادونصر الدين ويحظى بعضكم بكرامة الشهادة وحياتها الحسنى (و) الحال (هو كره لكم) الكره بالضم مصدر بمنى المكروه كراهـة طباع وإن رغب فيه المخلصون في نصر الإسلام (وعسىان تكرهوا شيئا وهو خير لكم) وأحسن اثرا وعاقبة في الدنيا أو في الآخرة أو في كليهما (وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم) ما هو خير لكم وما هو شر (وأنتم لا تعلمون) بـذلك فيختار لكم بلطفه وتوفيقه ما هو خير (٢١٥ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه) ذكر القمي في تفسيره في سبب نزولها ما حاصله ان سرية لرسول الله يرأسها عبـد الله بن جحش وافوا ببطن نخلة عيراً لقريش فقتلوا عبد الله بن الحضرمي وغنموها واسروا أسيرين وكان ذلك في اول يوم من رجب من الأشهر الحرم . وذكر في الدر المنثور رواية عن جندب بن عبد الله وفيها ان اصحاب رسول الله (ص) شكوا أن ذلك اليوم من رجب او من جمادى . وفيما ذكره عن ابن عباس انهم كانوا يظنون ان تلك الليلة من جمادى وكانت أول رجب ولم يشعروا . ونحوه ما رواه عن ابي مالك الغفاري . وعن الزهري وابي مقسم . واضطرب ما ذكر روايته عن عروة في ذلك وتدافع . وفي الكافي في الصحيح عن عمر بن يزيد عن الصادق (ع) في ان اليوم يتبع الليلة الماضية لا الآتية قال (ع) لأن اهل بطن نخلة حيث رأوا الهلال قالوا قد دخل الشهر الحرام انتهى والرواية تشير إلى القصة . والمعنى يسألك المشركون عـلى سبيل الانكار او المسلمون على سبيل الاستفهام عن الشهر الحرام قتال فيه . قتال بدل اشتمال من الشهر الحرام (قل) ما معناه ان ترك القتال في الشهر الحرام إنما هو وسيلة لنوع من احترام الناس وتسكين للشر واما إذا كان الناس هم الهاتكون للحرمات فأولئك لا حرمةلهم ولا كرامة فكيف يستنكر قتال المشركين في الشهر الحرام وهم الطواغيت المحادون لله ورسوله والمؤمنين دائما وفي الشهر الحرام ولهم (قتال فيه كبير وصد) للناس (عن سبيل الله) ولا يزالون على هذا

وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ *

الصد منذ ظهرت دعوة الإسلام والتوحيد محادة لله (وكفر به و) صد عن (المسجدالحرام) فلا يخلون سبيل المسلمين اليه (واخراج اهله منه) وهم رسول الله ومن آمن به من اهل مكة بذلك الاخراج المزعج عداوة لله وتوحيده ورسوله ودعوته إلى الصلاح (اكبرعندالله) مما تحسبونه كبيراً من قتال المشركين في الشهر الحرام . بل انهم لا يزالون يريدون أن يفتنوا المؤمنين عن التوحيد ودين الحق بالمخادعة أو ما تيسر لهم من انواع الايذاء (والفتنة) عن الدين (اكبر من القتل) مع ان غزوهم وقتالهم إنما كانا لأجل تهديدهم وإرهابهم وردعهم عن اذى المؤمنين فإنهم لا يزالون مصرين على عداوة دين الحق (ولا يزالون) في ضلالهم وغيهم (يقاتلونكم) هذا التفات إلى خطاب المسلمين وفيه مناسبة لأن يكونوا هم السائلين عن قتال المشركين في الشهر الحرام (حتى يردوكم عن دينكم) وهذا غرضهم من قتالهم لكم (ان استطاعوا) ان يدوموا على قتالكم وفيه بشرى بانهم لا يستطيعون ولا يدومون (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك) جمع باعتبار معنى« من» (حبطت اعمالهم) وسقطت كأنها لم تكن فلا اثرلها ولا كرامة ولا استحقاق مع الكفر والارتداد (في الدنيا) باعتبار افتخارهم باعمالهم في الإسلام او ترتيب آثارها (والآخرة) فإن المرتد الذي يموت على الكفر قد اسقط نفسه بكفره عن اهليته للجزاء وان عمل العمل في حينه على وجهه (واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) في التبيان والمبسوط روى اصحابنا انه «اي قتال المشركين في الاشهر الحرم »باق على التحريم فيمن يرى لهذه الاشهر حرمة وافتى بذلك في النهاية ولم يحضرني كتاب الجهاد من خلافه والرواية هي مضمرة تهذيبه وتفسير العياشي عن العلاء بن فضيل وفي طريقها محمد بن سنان . وفي المنتهى انه قول اصحابنا وفي الجواهر لاخلاف فيه عندنا وجعل المضمرة مجبورة بذلك . ولا يعارضه قتال الرسول (ع) عام الفتح لهوازن في شوال والطائف في ذي القعدة لأن الذين قاتلهم ممن هتكوا حرمة الشهر وبدأوا بالقتال بل يدل عليه قوله تعالى في سورة براءة فإذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا

(٢١٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ *(٢١٧) يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ

المشركين والتعليق على ذلك ليس من حيث مهلة العهد فانها خاصة وهذه الآية عامةوتلك اربعة اشهر وهذه نحو خمسين يوما (٢١٦ ان الذين آمنو) حق الايمان ويحتمل ان يراد بهم المؤمنون الذين لم يستطيعوا الهجرة حينئذ وبالمعطوف المهاجرون المجاهدون ويحتمل ان يراد المهاجرون وكرر لفظ الذين للعناية بهجرتهم وجهادهم (والذين هاجروا) من بلادهم لأجل الإسلام ونصرته . والهجرة مأخوذ من الهجر واختصت شرعا بمن هجر بلاد الشرك في سبيل الإسلام واتباع الرسول (ص) قبل الفتح (وجاهدوا) بذلك جهدهم وطاقتهم واختص ذلك بالحرب الشرعية (في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله) جملة أولئك خبر للذين وكفى برجائهم لرحمة الله معرفة بالله وازدياداً للخير من فضله ورحمته (والله غفور رحيم) فكأنه قيل ان الله يرحمهم لأنه رحيم فكيف بمن يرجو رحمته بنيته وعمله بل ويغفر لهم ما سلف ويقبل توبتهم (٢١٧ يسألونك عن الخمر) في التبيان قال جمهور أهل المدينة كل ما اسكر كثيره فهو خمر انتهى واشتقاقها اما من الاختمار وهو لازم لنوع المسكرات المائعة واما من مخامرتها للعقل . واستفاض من رواياتنا عن رسول الله (ص) والأئمة من اهل البيت انها اسم لكل مسكر كما في صحيح ابن الحجاج عن الصادق (ع) ورواية القمي في تفسيره عن الباقر (ع) والمرسل من طريق والمسند المعتبر عن عامر بن السمط عن زين العابدين (ع) ورواية الهاشمي عن الصادق (ع) عن رسول الله (ص) ورواية الامالي للطوسي بسنده عن النعمان بن بشير عن رسول الله (ص) كما احصاه في الوسائل في الباب الأول من الأشربة وفي الباب الخامس عشر ايضا عن الباقر (ع) قال قال رسول الله كل مسكر حرام وكل مسكر خمر واستفاضت الرواية عن الصادق والكاظم والرضا عليهم السلام في ان الفقاع خمر (والميسر) هو القمار واخطأ في المصباح في قوله الميسر قمار العرب بالأزلام ولم يلتفت إلى قوله تعالى في سورة المائدة ٩٢٥ إنما الخمر والميسر والانصاب والأزلام . ولو كانت الأزلام والمقامرة بها عين الميسر لما صح عطفها على الميسر مع الفاصل لكنها عطفت عليه من باب عطف الخاص على العام لما فيه من الأهمية . وفي الكافي مسندا عن الكاظم الميسر هو القمار . وبإسناده عن الباقر عن رسول الله (ص) قيل يا رسول الله ما الميسر

قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ *

قال كل ما تقامر به حتى الكعاب والجوز قيل فما الازلام قال (ص) قداحهم التي يستقسمون بها وفي رواية العياشي عن الكاظم (ع) عن الصادق (ع) النرد والشطرنج من الميسر وفي الكشاف عن النبي (ص) اياكم وهاتين اللعبتين المشومتين فإنهما من ميسر العجم وعن علي (ع) ان النرد والشطرنج من الميسر وفي الدر المنثور بسنديه عن ابن عباس وابن عمر الميسر القمار وقد خبط الكشاف هاهنا بقوله اولا الميسر القمار وقوله بعد هذا فإن قلت ما صفة الميسر قلت كانت لهم عشرة اقداح وهى الازلام إلى آخره وقوله بعد هذا وفي حكم الميسر انواع القمار من النرد والشطرنج انتهى هذا وان اسلوب الجواب في هذه الآية والنظر إلى قوله تعالى في سورة المائدة إنما الخمر والميسر والأنصاب والازلام رجس من عمل الشيطان والآية التي بعدها يشعر بأنهم سألوه (ص) وهم يذكرون منافعهما للناس في شرب الخمر وربح القمار ونحو ذلك مما يسوله الهوى فجاء الجواب على سبيل التساهل والتأكيد في الحجة على تحريمها (قل) يا رسول الله (فيهما اثم كبير ومنافع) بالتنكير اشارة إلى مجهوليتها وهوانها (للناس واثمهما) في الدنيا في الصحة والشرف والمعيشة والسلام مع الناس وفي الآخرة (اكبر من نفعهما)وحقيق في لطف الله ورحمته ونظره إلى مصالح عباده وتكميلهم وتهذيبهم في شريعة ان يحرمهما لأجل اثمهما الكبير (ويسألونك ماذا ينفقون) عند فقرهم وغناهم (قل العفو) كل بحسب حاله ففي الكافي مسندا عن الصادق (ع) العفو الوسط اي المقدار المتوسط بين ما يكون اسرافاً وما يكون من البخل بحسب حال الشخص . ونحوه رواية العياشي عن جميل عنه (ع) وفي روايته عن عبد الرحمن عنه (ع) قال الذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما . وعن يوسف عن الصادق والباقر عليهما السلام قال الكفاف وفي رواية ابي بصير القصد ولا يخفى انه لم يقيد الانفاق بكونه في سبيل الله بل هو مطلق الانفاق وقال اسماء بن خارجة الفزاري لزوجته

خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين اغضب

(كذلك) خطاب لرسول الله (يبين الله لكم) جمع الضمير باعتبار ان البيان يشمل الامة (الآيات) في امر الخمر والميسر والنفقة وغيرها (لعلكم تتفكرون) لغاية أن تتفكروا باختيار كم فتأخذوا

(٢١٨) فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * (٢١٩) وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ

بحظكم من الرشد (٢١٨ في) امور (الدنيا والآخرة) لتتبعوا رشدكم وتعملوا بما فيه صلاح الدارين (ويسألونك عن) امر (اليتامى) في مخالطتهم في أموالهم ففي تفسير القمي في الصحيح عن الصادق (ع) انه لما نزل قوله تعالى في سورة النساء « ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً) اخرج كل من كان عنده يتيم وسألوا رسول الله عن اخراجهم فأنزل الله ويسألونك عن اليتامى . وفي معناها رواية الدر المنثور المصححة عن ابن عباس (قل اصلاح لهم) بتولي أمرهم وحفظ اموالهم والانفاق عليهم منها وحسن تربيتهم وتأديبهم وتعليمهم (خير) من اخراجهم وضياع أموالهم وادبهم (وان تخالطوهم) في المأكل والمال (فاخوانكم) في الدين أو في القبيلة او في النسب القريب ولا بأس بمخالطتهم إذا صافيتموهم مصافاة الاخوان واصلحتم (والله يعلم المفسد) الذي يأكل اموال اليتامى ظلما ويضيعها (من المصلح) الذي يخالطهم بالاحسان والاصلاح فاطلبوا الجزاء واحذروا العقاب ممن لا تخفى عليه خافية . وقد روي في الكافي والتهذيب وغيرهما شيء من وجوه مخالطتهم فليراجع (ولو شاء الله لأعنتكم) أي حملكم على ما فيه مشقة عليكم وكلفكم به من اصلاح امر اليتامى وعدم مخالطتهم (ان الله عزيز) في ارادته (حكيم) في شريعته يجريها على حكمة العدل والتيسير (٢١٩ ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) في الدر المنثور مما أخرجه البخاري وغيره عن ابن عمر انه كان إذا سئل عن نكاح النصرانية واليهودية استشهد لتحريمه بهذه الآية . وفي التبيان وهذه الآية على عمومها في تحريم مناكحة جميع الكفار وليست منسوخة ولا مخصوصة. وتبعه في مجمع البيان على هذه العبارة إلى آخرها وزاد بقوله وهي عامة عندنا وأكد ذلك في آخر كلامه بقوله وهو مذهبنا . وفي هذا شك فإن الإجماع الذي ادعاه في الانتصار على حظر نكاح الكتابيات يمكن تأويله ككثير من اجماعاته لأن القمي قال في تفسيره إن الآية منسوخة بقوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب . ونص على الحل والنسخ في تفسير هذه الآية وهي السابعة من سورة المائدة وفي المبسوط نسب التحريم إلى المحصلين من اصحابنا

وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ *

او إلى بعضهم وقال وقد اجاز اصحابنا كلهم التمتع بالكتابيات ووطأهن بملك اليمين · وتبعه على ذلك في المجمع في تفسير قوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب · وقد حكى جواز الدوام ايضا عن الحسن والصدوقين من القدماء · ووجه الكلام هنا ان هذه الآية وكذا قوله تعالى في سورة الممتحنة ١٠ ولا تمسكوا بعصم الكوافر · هل هما منسوختان بقوله تعالى في سورة المائدة « ٧ اليوم احل لكم الطيبات — والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن اجورهن » · أم هذه هي المنسوخة · وقد اختلفت الروايات في هذا الشأن وتحرير الكلام في ذلك موكول إلى مباحث الفقه · ويمكن أن يقال ان آية المائدة مختصة بتحليل الكتابيات بنكاح المتعة وذلك لاشتراطه بقوله تعالى إذا اتيتموهن اجورهن فإن هذا الشرط مختص بنكاح المتعة · لا يقال ان هذا منقوض بورود هذا الشرط في الآية العاشرة من سورة الممتحنة في نكاح المؤمنات المهاجرات · لأنا نقول ان ذلك في آية الممتحنة يمكن كما هو الراجح ان يكون بيانا لأن لا يسقط المسلمون مهورهن بالمرة اكتفاء بما أمروا به من اعطاء ازواجهن الأول من المشركين ما انفقوا عليهن من المهر وحاصل ذلك ان تزوجهم للمهاجرات يكون على عادة الزواج النوعية بدون مقاصة لهن بما اعطي لأزواجهن الأول من اجلهن ولا اسقاط لمهورهن (ولأمة مؤمنة خير) لكم في الزواج (من) حرة (مشركة) مهما كانت (ولو اعجبتكم) ورغبتم فيها (ولا تنكحوا) نساءكم (المشركين) قيل ذلك نظراً إلى العادة من ان المرأة يزوجها الولي فيحرم ايضا على المؤمنة ان تزوج نفسها من المشركين (حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من) حر (مشرك ولو اعجبكم اولئك) يعني المشركين نساء ورجالا (يدعون إلى النار) وان وسوسة الخليط من نحو الزوج او الزوجة من المشركين لها أثر سيء مخوف يجب التحذر منه (والله يدعو إلى الجنة) ومن ذلك ان يأمركم بأن تتباعدوا عن وسوسة الخليط المشرك (و) يدعوكم إلى نيل (المغفرة باذنه) في ذلك بسبب هدايته وارشاده لكم وتوفيقكم للأعمال الصالحة (ويبين آياته للناس) بما فيه هداهم والإشارة إلى الحكمة (لعلهم يتذكرون) اي لغاية أن يتذكروا

(٢٢٠) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ

باختيارهم فتنفعهم الذكرى (٢٢٠ ويسألونك عن المحيض) المحيض مصدر لحاضت المرأة إذا أخذها الدم المعروف المعتاد للنساء ويجيء المحيض اسماً لزمان الحيض ومكانه (قل هو أذى) اي قذر كما تقدم في قوله تعالى أوبه أذى من رأسه ان الأذى القمل . ولا بد في قوله قل هو اذى من نحو من الاستخدام فإن الحيض بمعناه المصدري ليس قذرا يجتنبه الرجال وإنما القذر والأذى هو الدم . ويحسن هذا الاستخدام بشدة الملابسة والاستغناء به عن التصريح باسم دم الحيض المستقذر (فاعتزلوا النساء في المحيض) اي لا تأتوهن في محل الحيض والقذارة وهو الفرج ويمكن حمل المحيض على اسم الزمان فيجب حمل الاعتزال على اعتزال مخصوص يسبق اليه الذهن من المقام وهو الجماع في الفرج ويوضحه التنفير بكون دم الحيض اذى وقذارة . فرع عليه الأمر بالاعتزال . واما مطلق اعتزال النساء في زمان الحيض فهو مخالف لإجماع المسلمين ودعوى الأخذ بالاطلاق بعد التخصيص بما دل عليه الاجماع يلزمها تخصيص الأكثر وهو مستهجن . واما اعتزال ما تحت المئزر كما يقول ابو حنيفة وابو يوسف فلا يساعده وجه من وجوه الآية الكريمة وحديثهم عن عائشة متعارض (ولا تقربوهن) بالجماع وهو تأكيد للأمر بالاعتزال (حتى يطهرن) بتخفيف الطاء كما هو المرسوم في المصاحف المتداولة بين المسلمين يداً عن يد وعليه قراءتهم ولا عبرة بما خرج عن ذلك من بعض القراءات كما ذكرنا في الفصل الثاني من المقدمة . والمعنى حتى ينظفن من ذلك الأذى والقذارة بانقطاع الحيض ونقاء المحل الذي هو الغاية لوجوب الاعتزال وعدم القرب . وهذا هو المناسب لتفريع الامر بالاعتزال على كون دم الحيض اذى وقذارة وتعليله به وعلى ذلك اجماع الإمامية واحاديثهم . ووافقهم ابو حنيفة واصحابه إذا انقطع الدم على العشرة دون ما قبلها وفي هذا التفصيل اضطراب ظاهر (فإذا تطهرن فأتوهن) لا يلزم أن يكون هذا التفريع تكراراً في بيان الغاية المذكورة في حتى يطهرن بل اللازم في قانون المحاورة بحسب النظر إلى يطهرن بالتخفيف وتطهرن بالتشديد ان يكون تفريعاً لأمر آخر وراء تلك الغاية وهو ان الإباحة بالمعنى الأعم المضاد للحرمة تحصل عند غاية التحريم ووجوب الاعتزال وهو النقاء من الحيض . وان الوطء الذي يؤمر به ويطلب

مِن حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ * (٢٢١) نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا

لبقاء النوع وحسن الإلفة بين الزوجين أو يكون مباحاً بالمعنى الأخص فهو اذا تطهرن من الأقذار بأن غسلن فروجهن من آثار الدم ولو بغسل الحيض وعلق هذا على تطهرهن جرياً على الغالب والا فالغرض يحصل وان سقطن في الماء مثلا بدون اختيارهن (من حيث أمركم الله) في الآية بالاعتزال عنهُ وعليهِ رواية الدر المنثور عن ابن عباس وهو المناسب لتعريف ما يؤتى منهُ. ولا يضر في ذلك التعبير بلفظ من كما حكاه في التبيان عن الفراء. وحكى في التبيان التفسير بقولهم من حيث ما أمرالله به من النكاح دون الفجور كما عن ابي حنيفة. او من حيث اباحه الله دون اتيان الزوجة الصائمة او المحرمة مثلا كما عن الزجاج. والقولان بعيدان من وجوه. ولقد اغرب من قال ان الأمر في امركم الله هو الامر التكويني. هذا وان اباحة الإتيان من الفرج بعد الامر باعتزاله لا تدل على انحصار الإباحة بالوطء فيه بوجه من الوجوه (ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) في الفقيه والعلل والخصال والكافي وتفسير العياشي في رواياتهم ذكر المتطهرين من الغائط بالماء وان الآية نزلت في ذلك ولعله باعتبار بعض المصاديق (٢٢١ نساؤكم حرث لكم) الحرث في الاصل الكراب مصدر حرث الأرض اي كربها ثم استعمل في الارض التي تحرث كما في هذه الآية ثم استعمل في نبات الارض المسبب عن الحرث كما في قوله تعالى ليهلك الحرث والنسل. وفي الآية شبه تمتع الرجل بزوجته بحرث الارض والزوجة بالارض التي تحرث فسميت حرثاً اي محل تمتع لكم كما ان الارض محل حفر وحرث وليس المراد ان اتيان المرأة لا يحل الا حيث يكون اتيانها زرعا للنسل حتى لو قلنا ان معنى انى شئتم هو اي وقت شئتم. او في القبل سوآء كان من أمام او من خلف فان الآية على هذين التقديرين ساكتة عن تحريم ما عداها حتى او قلنا ان الامر في قوله تعالى فأتوا حرثكم للوجوب (١) كيف ولا خلاف بين المسلمين في جواز اتيان اليائسة ومعلومة العقم واتيان المرأة مطلقا في اعكانها

(١) في الدر المنثور اخرج الحاكم عن ابن عبد الحكم ان الشافعي ناظر محمد بن الحسن في ذلك اي في حرمة اتيان الزوجة في دبرها فاحتج عليه ابن الحسن بان الحرث إنما يكون في الفرج فقال له فيكون ما سوى الفرج محرما فالتزمه فقال أرأيت لو وطأها بين ساقيها او في اعكانها افي ذلك حرث قال لا قال افيحرم قال لا قال فكيف تحتج بما لا تقول به

حرثكم أنى شئتم

بين فخذيها وساقيها حتي مابين اليتيها مثلا فأتوا الامر للاباحة (حرثكم انى شئتم) اين شئتم وقد انكر بعضهم مجيء انى في اللغة بمعنى كيف او بمعنى اي وقت والأول متيقن في اللغة والاخيران شكك فيهما. والظاهر ان انى الاستفهامية مساوية في المعنى للشرطية وكلما جاء في القرآن من الاستفهامية صالح لأن يراد منه المكان والجهة مع ان منها ما لا يصلح ان يكون بمعنى كيف كما في قوله تعالى في سورة آل عمران ١٥٩ «قلتم أنى هذا قل هو من عند انفسكم» و ٣٢ «يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله» وأما بمعنى أي وقت فليس في القرآن ما يصلح له . وفي الدر المنثور في ذكر القول الثاني من المسألة ذكر من اخرج عن ابي سعيد الخدري ان رجلا اصاب امرأة في دبرها فأنكر الناس عليه ذلك فأنزلت «نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم اني شئتم» وذكر من اخرج اثنتي عشرة رواية عن عبد الله بن عمر ان الآية نزلت رخصة في وطء النساء في ادبارهن . وروي عن ابن عبد البر ان الرواية عن ابن عمر بهذا المعنى صحيحة معروفة مشهورة . واورد عن مالك ما يكذب رواية الخلاف عن ابن عمر وصححه الدارقطني عن مالك . وفي تهذيب الشيخ في الصحيح عن الصادق (ع) انه استشهد للحل بهذه الآية ولم يذكر انها نزلت في ذلك . وكذا رواية العياشي عن زرارة عن الباقر (ع) والظاهر ان استشهادهما عليهما السلام انما هو بعمومها لا بنزولها في هذا الشأن . وملخص الكلام في المسألة ان قول نافع بالجواز معروف وحكاه الطحاوي وحجاج بن ارطاة وعن مالك روايتان . وفي الخلاف عن المزني قال بعض اصحابنا حرام وقال بعضهم حلال ثم قال وآخر ما قال الشافعي لا ارخص فيه . وذكرت في الدر المنثور وغيره رواية الجواز عن ابي مليكة . وعن عبد الله بن القاسم قال ما ادركت احداً اقتدي به في ديني يشك انه حلال يعني وطء المرأة من دبرها ثم قرأ نساؤكم حرث لكم ثم قال وأي شيء أبين من هذا . وفيه اخرج الطحاوي والحاكم في مناقب الشافعي والخطيب عن محمد بن عبد الله بن الحكم ان الشافعي سئل عنه فقال ما صح عن النبي (ص) في تحليله ولا تحريمه شيء والقياس انه حلال . وفيه أيضا بعد ان ذكر روايات القول في التحريم قال الحفاظ في جميع الأحاديث المرفوعة «يعني المسندة عن النبي (ص)» وعدتها نحو عشرين حديثا كلها ضعيفة لا يصح منها شيء والموقوفة يعني ما وقف سنده

وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ *(٢٢٢) وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

على الصحابي او التابعي هو الصحيح وقال الحافظ بن حجر في المرفوع منكر لا يصح من وجه كما صرح بذلك البخاري والبزار والنسائي انتهى . اقول وذهب اصحابنا الى جوازه على كراهية شديدة وهي المحصل من احاديثنا ووجه الجمع بينها وبذلك يستنكر ان يكون نزول الآية في اباحته نعم لا بأس في نزولها للعموم (وقدموا لانفسكم) اى هذه احكام ما يعود الى دنياكم وقدموا لآخرتكم من الخيرات والأعمال الصالحة ما ينفعكم فيها (واتقوا الله) فان خير الزاد التقوى (واعلموا انكم ملاقوه) اي وليكن عملكم عمل العالم المتيقن بأنه يموت ويحشر ويلاقي ربه يوم الحساب والجزاء لا عمل الغافل مع اقراره بالمعاد في اسلامه (وبشر) يا رسول الله (المؤمنين) حق الايمان والثابتين عليه بحيث استحقوا الوصف بذلك (٢٢٢ ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم) العرضة ما تكثر ملاقاته ومصادفته كما يقال الانسان عرضة للبلاء فلا تكثروا أيمانكم بالله بحسب كل ما يسنح لكم وتميلون له في الرضا والغضب فتقولون في ذلك والله لا اعطي فلانا . والله لا انفق على الفقراء والله لا اكلم اخي . والله لا ازور امي والله لا اصلح بين الناس . وفي رواية العياشي عن منصور بن حازم عن الصادق (ع) وعن محمد بن مسلم عن الباقر (ع) في الآية يعني الرجل يحلف ان لا يكلم اخاه وما اشبه ذلك او لا يكلم امه (ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس) اي لأن تبروا وتتقوا وتصلحوا تعليلا وبيانا لبعض ما يكون وجها وغاية للنهي في لا تجعلوا وان كان هناك وجه آخر لتعظيم الله واجلاله ففي الكافي في صحيح الخزاز عن الصادق (ع) لا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين فان الله عز وجل يقول ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم . وربما كان هذا الوجه يدخل في البر والتقوى . فيكون النهي عن الحلف المعارض للبر والتقوى والاصلاح كناية عن عدم انعقاده في هذه الموارد ففي الكافي عن اسحق بن عمار عن الصادق (ع) في الآية قال اذا دعيت لتصلح بين اثنين فلا تقل علي يمين ان لا افعل . ويشبه ذلك ما اورد روايته في الدر المنثور عن ابن عباس . وقيل المعنى لا تجعلوا الله بواسطة الحلف به مانعا وحاجزا عما حلفتم على تركه بتسمية المحلوف على تركه يمينا . وهذا مرجع ماذكره في التبيان اولا وصريح ما اقتصر عليه في الكشاف والأول أظهر وانسب بالمروي واجمع (والله سميع) لأيمانكم (عليم)

(٢٢٣) لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ * (٢٢٤) لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢٥) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

بأحوالكم وما يصلحكم (٢٢٣ لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم) اي بسبب اللغو في ايمانكم اذا خالفتم اليمين اولم يطابق الواقع . واللغو مالم يقصد به عقد اليمين بل يجري على اللسان توكوءاً في الكلام كما ترى الرجل تقول له ما ذا فعلت اليوم فيقول والله جلست من النوم والله خرجت الى المحل الفلاني بلا قصد لليمين وفي مجمع البيان وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وابي عبدالله . وقد تنجرّ العادة في الكلام الى لا والله بلى والله . ففي الكافي عن مسعدة عن الصادق (ع) في الآية اللغو قول الرجل لاوالله بلى والله ولا يعقد على شيء (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) من الآثام فيما عقدتم عليه الايمان وكذبتم او حنثتم فيه (والله غفور) ان تبتم (حليم) لا يعاجلكم بالعقوبة لعلكم تتوبون (٢٢٤ للذين يؤلون) الإيلاء الحلف من الالية اي الحلفة ويعرف من تتمة الآية وباقي القرائن انه الحلف على ترك وطء الزوجة مطلقا او مدة معينة والموضوع لاحكام الآية هو ما يزيد على اربعة اشهر . والجار والمجرور خبر مقدم متعلق في التقدير بحاصل وكائن ونحو ذلك (من نسائهم) اي من جانب نسائهم وحقوقهن في المعاشرة بالمعروف . والجار والمجرور متعلقان بحاصل ونحوه (تربص اربعة اشهر) تربص مبتدأ مؤخر فلا حق للزوجات فيها في المطالبة بالجماع ولهن المطالبة بعدها فإن سكتن او رضين فلاحرج على الزوج لأن الأمر في جماعهن من الحقوق لا التكاليف فإن انقضت الأربعة اشهر وطالبن او طالبن بعد ذلك (فإن فاءوا) اي رجعوا عن يمينهم الى جماعهن (فإن الله) يغفر لهم الحنث ومخالفة اليمين رحمة بالزوجين في حسن اجتماعهم ونظام امر الأولاد فإنه (غفور رحيم ٢٢٥ وإن عزموا الطلاق) او أوقعوه (فإن الله سميع) لما يقولون (عليم) بنياتهم . والآيتان تدلان على ان المؤلي إذا طالبته المرأة بحقها بعد الأربعة اشهر ينحصر امره ويدور بين ان يفيء او يطلق فإن فاء ووطأ لزمته كفارة حنث اليمين المذكورة في سورة المائدة في الآية الحادية والتسعين . وليست اليمين بالنسبة الى مابعد الاربعة اشهر يمينا على ظلم لكي تنحل حينئذ وتسقط كفارتها وذلك لأنه يمكن للمؤلي أن يخرجها عن الظلم بأن يطلق . وعلى هذا كله جاءت

(٢٢٦) وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ

احاديث الفريقين (٢٢٦ والمطلقات) بالطلاق المشروع (يتربصن) جملة خبرية يراد بها الأمر وذلك ابلغ من الانشاء في الطلب والايجاب لصوغه بقالب ان المطلوب منه يقع منه ذلك ولا يكذبك (بأنفسهن) ويمسكنها عما يقتضيه الحال وطبايعهن من الطموح الى الزواج ومقدماته ولا يخرجن من رعاية الزوج وحيطته (ثلاثة قروء) القرء يأتي للطهر والحيض وهو هنا الطهر وعليه اجماع الإمامية وحديثهم وقول المالكية والشافعية والمروي عن عائشة وزيد بن ثابت وابن عمر كما في الدر المنثور · وفيه قال ابن شهاب سمعت ابا بكر بن عبد الرحمن يقول ما ادركت احدا من فقهائنا الا وهو يقول هذا انتهى (١) ولقوله تعالى في اول سورة الطلاق الموسومة بأنها مكية « يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن» اي في عدتهن التي تراد لاستبراء الرحم وعندها كما يقال ولدلست خلون من الشهر او لسبع بقين منه وقد انعقد الإجماع من المسلمين على ان طلاق السنة هو ما كان في الطهر وبه جاء قول الرسول الاكرم (ص) لابن عمر حين طلق امرأته وهي حائض ما هكذا امرك الله انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا وقوله (ص) فإن بدا له ان يطلقها طاهرا قبل ان يمسها فذاك الطلاق للعدة كما انزل الله عزوجل· او فتلك العدة التي امر الله ان تطلق لها النساء كما في جوامع الجمهور وجوامعنا في الحديث واطلاق حكم المطلقات هنا مقيد بحكم الآية الثامنة والاربعين من سورة الأحزاب والرابعة من سورة الطلاق مع تأكيدها برواياتنا في اليائس بغير ريبة (ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر) يعني ان من كانت تؤمن بالله واليوم الآخر

(١) قال الاعشى في خطابه لكثير الغزو «لما ضاع فيها من قروء نسائكا» يريد ان اطهار نسائه ضاعت لما فات فيها من الجماع والحبل . ومن الغريب تأويل الكشاف للقروء في شعر الاعشى بالعدة : وفي المصباح عن ابن فارس ويقال انه اي «القرء» للطهر «اي بحسب الوضع» وذلك ان المرأة الطاهر كان الدم اجتمع في بدنها وامتسك: وفي لسان العرب قال ابو اسحق ان الذي عندي في حقيقة هذا ان القرء في اللغة الجمع —فإن القرء اجتماع الدم في الرحم وذلك انما يكون الطهر . واقول ان المحصل من معناه بحسب موارد الاستعمال هو ما يناسب الجمع و الاحتواء والضم · ففي معلقة عمر بن كلثوم «ذراعي عيطل ادماء بكر هجان اللون لم تقرء جنينا» اي لم تضم جنينا ولم تحتو عليه . وفي لسان العرب «ولم تقرء جنينا ولا دما» ومنه قولهم اقرئت النجوم إذا غابت اي دخلت فيما يضمها عن الظهور . ويكون استعمال القرء بالحيض مجازا بعلاقة ان الدم الخارج فيه كان مقروءا في الجسم او الرحم . واما ان معنى القرء الوقت فلم يعرف له شاهد . وحمل الآية عليه تعسف وشذوذ

وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحاً

لا تجترئ على كتمان ما خلق الله في رحمها · وهذا الزجر الشديد يناسب ان يكون على كتمان الحمل اما لأن تخرج من العدة في ظاهر الحال عاجلا او لأن تكتمه لكراهية انتسابه لأبيه او لغير ذلك من اسباب الكتمان واما كتمان الحيض في ايام العدة وبعد آخرها لاجل الازدياد من مدة العدة لتأكل النفقة وتأمل الرجعة بعد انقضاء العدة الواقعية فهو بعيد لاستلزامه ان تكون صلة الموصول وهي «خلق الله في ارحامهن» واردة باعتبار ما مضى عن زمان الكتمان كما سيأتي في الجمع بين المعنيين · اذاً فالمناسب لأسلوب اللفظ وظاهره وذلك الزجر الشديد هو كتمان الحمل · ويؤيده رواية البرهان والوسائل عن العياشي عن ابي بصير عن الصادق (ع) في الآية لا يحل لها ان تكتم الحمل إذا طلقت وهي حبلى والزوج لا يعلم: ولا يمكن الجمع بين المعنيين من هذا اللفظ كما ذكر في الدر المنثور روايته عن ابن عمر ومجاهد وذلك لأن كتمان ما خلق الله في ارحامهن من الحيض إنما هو باعتبار خروجه من الرحم ويكون المراد من خلقه في ارحامهن إنما هو باعتبار ما مضى فالكلام على هذا بمنى ان يقال ولا يكتمن ما خرج من ارحامهن مما خلق فيها قبل ذلك · وكتمان الحمل إنما هو باعتبار استقراره في الرحم · واللفظ الواحد لا يصلح للجمع بين هذين اللحاظين والاعتبارين · وفي تفسير القمي في الآية قال لا يحل للمرأة ان تكتم حملها أو حيضها او طهرها وقد فوض الله تعالى إلى النساء ثلاثة أشياء الطهر والحيض والحمل انتهى ولا يظهر من المقام كونها رواية واردة عن امام في بيان المراد بما خلق الله في ارحامهن ان لم يظهر خلاف ذلك فضلا عما بيناه من انه لا يمكن الجمع بين الأمرين في اللفظ الواحد · وفي مجمع البيان نسب ما ذكرناه من تفسير القمي إلى الرواية عن الصادق (ع) ولم نجد لها أثراً ولعله اعتمد على تفسير القمي (وبعولتهن) جمع بعل والتاء لتأنيث الجمع ومعنى البعل الزوج مع معنى التمتع بزوجته وملاعبتها ومباشرتها والبعال والمباعلة مباشرة النساء وملاعبتهن ولعل العدول عن التعبير بالزوج إلى التعبير بالبعولة لاخراج غير المدخول بها والايماء إلى الوجه في انهم (احق بردهن) نظراً إلى الحالة التي قبل الطلاق من الزوجية ولا حق للمرأة في معارضة البعل في ردها (في ذلك) التربص (ان ارادوا اصلاحا) لا مضارة · او جيء بلفظ «ان» لذكر الحالة التي يتحقق بها الرد وارادته كما في قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن

وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * (٢٢٧) الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ

تحصنا . وهذا الحكم في الرد مقيد بحكم المختلعة كما في الآية الآتية وحكم المطلقة ثلاثا كما في التي بعدها (ولهن مثل الذي عليهن) من حسن المعاشرة (بالمعروف والرجال عليهن درجة) في الفضل والتفوق . وجيء بلفظ الرجال دون الازواج اشارة إلى وجه التفوق وكمال الرجولية وفضل قيام الرجل بأمورها . وانفاقه عليها (والله عزيز) في حكمه (حكيم) في احكامه (٢٢٧ الطلاق) للزوجة الواحدة الذي شرع فيه الرد المذكور ولم يجعل الله زاجرا عنه بتعليق المراجعة بعده على نكاح المرأة زوجا غيره (مرتان) ولأن الطلاق هو ان يقطع الزوج علقة الزوجية بينه وبين امرأته ويطلق سراحها من قيد زوجيته يكون من البديهي انه لا يتحقق بدون الزوجية وعلقتها العادية التي يتوقف عليها تحقق موضوعه كما روى هذا المعنى في الكافي وغيره عن الباقر والصادق عليهما السلام وعليه مذهب اهل البيت واجماع الإمامية ومذهب ابن عباس . وفي الدر المنثور أخرج البيهقي عن ابن عباس ان ركانة قال لرسول الله (ص) طلقتها ثلاثا في مجلس واحد قال (ص) نعم انما تلك واحدة . واخرج عبد الرزاق ومسلم وابو داود والنسائي والشافعي والحاكم والبيهقي عن ابن عباس كان على عهد رسول الله (ص) وابي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاثة واحدة « أي الثلاثة في مجلس واحد ونحوه» فقال عمر ان الناس قد استعجلوا في امر لهم فيه اناة فلو امضيناه عليهم فأمضاه عليهم . ونحوه من طريق طاوس . فإذا طلق الرجل طلاقا صحيحا فقد انقطعت من زوجيتها تلك العلقة التي يقطعها الطلاق فلا يقع منه طلاق لتلك المطلقة الا بأن تكون تلك العلقة قد رجعت اما برجعة واما بتزويج بعقد جديد . وان كان ما وقع لفظه اولا ليس صحيحا ولا طلاقا لم يكن ما يقع بعده طلاقا ثانيا بل هو اول وكذا الكلام في الثالث فاذا وقع الطلاق المذكور (فإمساك) اي فحكم الله في ذلك اما ان تردوهن بالرجعة إلى الزوجية وتمسكوهن على ذلك (بمعروف) في المعاشرة (او تسريح) بأن تتركوا الطلاق على رسله إلى ان تنقضي العدة (باحسان) في اداء النفقة والاسكان والمعاملة . قال في التبيان وهو المروي عن أئمتنا وقال في مجمع البيان وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وابي عبد الله (ع) اقول ولم اجد ذلك مرويا بعنوان التفسير للتسريح

وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلاَّ أَنْ يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ

بالإحسان ولعلها اخذاه مما روي في شرح طلاق السنة او يكون المراد بالتسريح بالاحسان هي التطليقة الثالثة كما رواه في الكافي والتهذيب عن ابي عبد الله (ع) وفي الفقيه عن الرضا (ع) وعن تفسير العياشي عن الباقر (ع) والصادق (ع) وفي الدر المنثور عن النبي (ص) (ولا يحل لكم) في مطلق الطلاق (ان تأخذوا مما اتيتموهن) ولا من غيره (شيئا) وخص الأخذ مما اوتين نظراً إلى الغالب من أن الزوج عند تفرقه من زوجته او نفرة الزوجة منه ينظر في امر طلاقها إلى استرداد ما أتاها من المهر (الا ان يخافا) أي الزوجان بسبب كراهية الزوجة له وتهديدها له بالاثم ان لم يطلقها فيكون كل من الزوجين معرضا لمخالفة الله في أوامره ونواهيه ومحرماته فيخافا (ان لا يقيما حدود الله) فيما بين الزواج لدواع خصوصية . وعدل من الخطاب إلى الغيبة تكريما وتبعيدا من الخطاب بما يراد هنا من عدم الاقامة لحدود الله (فإن خفتم) بحسب ما عرفتم من حالها ومقالها (ان لا يقيما حدود الله فلا جناح) ولا اثم (عليها) بحسب البذل والاخذ (فيما افتدت به) نفسها من زوجها . ويفهم من الآية أمور « الاول » يجوز ان تكون الفدية في مورد الآية تمام ما آتاها أو اكثر منه . كما لا خلاف فيه عندنا نصا وفتوى لأن عدم الجناح انيط بما افتدت به مطلقا ولو اريد البعض مما اوتيت او الكل لا غير لقيل فلا جناح عليهما في أخذه « الثاني » ان تكون من الزوجة نفرة بحيث يخاف لأجل نفرتها ان لا تقيم حدود الله كما يدل ايضا قوله تعالى افتدت به « الثالث » يعرف من لفظ الافتداء انه لا رجعة للزوج في العدة وإلا لم يتحقق الافتداء « الرابع » ان مورد هذه يغاير مورد الثالثة والعشرين من سورة النساء لأن تلك اقتصرت على استثناء موردها من الذهاب ببعض ما اوتين حينما تأتي بالفاحشة البينة بل يجوز للزوج عندنا ان يعضلها حينئذ « الخامس » ان صورة ما ذكر من الفراق بافتداء الزوجة هو بحكم سياق الآية من الطلاق الذي جرى البيان في احكامه فلا يفترق عنه من حيث وقوع الثلاث كما عليه نصوص أحاديثنا وهو المشهور بل عليه الاجماع وكذا وقوع التحليل به وان وقع بلفظ خلعتك بدون لفظ الطلاق كما هو المنصوص عليه في احاديثنا (تلك) اشارة إلى ما ذكر من الأحكام . للطلاق والأخذ

حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * (٢٢٨) فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * (٢٢٩) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ

(حدود الله فلا تعتدوها) اعتدى الحد وتعداه بمعنى واحد (ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) لغيرهم . بل ولأنفسهم بايقاعها في وبال المعصية (٢٢٨ فإن طلقها) ثالثة ولا تنس ان الطلاق لا يتحقق إلا إذا ورد على زوجية (فلا تحل له) لا بالرجوع ولا بالنكاح (من بعد) أي بعد الطلاق الثالث مهما طال الأمد (حتى تنكح زوجا غيره) وتكون له زوجة شرعية بخصوص العقد الدائم (فإن طلقها) ذلك الغير طلاقا صحيحاً . والمراد من ذلك المثال لانقطاع علقة النكاح الدائم فإن الموت مثل الطلاق في التحليل باجماع الأمة (فلاجناح عليهما) في (ان يتراجعا) بأن يستأنفا عقدة النكاح برغبة منهما وثبات على حسن العشرة وتأدب بما تخلل من نكاح الثاني عن المسارعة إلى الشغب وحزازة الطلاق (ان ظنا ان يقيما حدودالله) وقد ثبت في السنة من طريق الفريقين ان اطلاق الآية في نكاح الثاني مقيد بوطئه لها وعليه اجماع الأمة ولا يعتبر في الوطئ الانزال لاطلاق السنة واما ذوق عسيلته في احاديث الفريقين فالمراد منه لذة الجماع لا التذاذها بماء الرجل ويوضح ذلك ان فيها ذوق عسيلتها ومن المعلوم انه لا معتبر لنزول ماء المرأة كما انه لا لذة للرجل بماء المرأة ليكون له كذوق العسيلة بل المراد حتى تذوق لذة جماعه ويذوق لذة جماعها في القبل لأنه مجمع العسيلتين غالبا دون غيره . نعم يقتضي ذلك عدم الاكتفاء بمقدار الحشفة فما دون ولا بأس بالأخذ بما هو احوط (وتلك) عطف على قوله تعالى في الآية السابقة « تلك » (حدود الله يبينها لقوم يعلمون) فيعرفوا وجوهها على حقيقتها ويعلموها على التفصيل للجاهلين بها (٢٢٩ فإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) اي أشرفن على الوصول إلى آخر عدتهن كما يقال بلغت البلد أي أشرفت على الوصول اليه (فامسكوهن) بسبب الرجعة (بمعروف) في معاملتها كقوله تعالى في سورة النساء ٢٣ وعاشروهن بالمعروف او المعني فراجعوهن بمعروف (او سرحوهن) واتركوهن على حالهن إلى أن تنقضي عدتهن

بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * (٢٣٠) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ

(بمعروف) في المعاملة والنفقة والاسكان بدون اضرار في شيء من ذلك (ولا تمسكوهن) بالرجعة أو ولا ترجعوهن (ضرارا) هو مصدر ضره يضره نائب عن المفعول المطلق اي امساكا ضرارة (لتعتدوا) عليهن (ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه) بظلمه للمرأة الضعيفة واوقع نفسه في وبال معصية الله وغضبه ومخاصمة الضعيف الذي ضره واعتدى عليه (ولا تتخذوا آيات الله) بما بين فيها من احكامكم في صلاحكم ونظام اجتماعكم (هزوا) بل خذوا حظكم ورشدكم من العمل بها فإن من لم يسعد بالعمل بها كان كالمستهزء او مستهزءا بها (واذكروا نعمة الله عليكم) بعظائم النعم في الحياة والمعيشة والإسلام (وما انزل عليكم) باعتبار النزول على رسول الله لتبليغكم (من الكتاب) وهو القرآن الكريم لهداكم في الدين والشريعة والدعوة إلى الله (والحكمة) التي اشتمل عليها حال كون الكتاب (يعظكم) الله (به واتقوا الله) فيما شرعه مما أمركم به أو نهاكم عنه فانه المطلع عليكم (واعلموا) اي واعملوا عملكم حال كونكم تعلمون (ان الله بكل شيء عليم ٢٣٠ وإذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن) وأشرفن على انقضاء الأجل (فلا تعضلوهن) أيها المطلقون . والعضل المنع أو الحبس من (ان ينكحن) من يكونون في المستقبل (ازواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف) وذلك بأن يراجعها المطلق قريب انقضاء العدة لا لرغبة فيها بل لأجل ان يمنعها عن الازواج وقيل ان المراد ان لا يمنعها الولي العرفي من ان تنكح من كان زوجها بعد انقضاء عدته كما روي في الدر المنثور نزولها في شأن معقل واخته او جابر وابنة عمه ويلزمه التجوز في طلقتم النساء بحمله على تطليق نوع الإنسان فان الولي غير مطلق وفي هذا المجاز بعد وإذا صرنا اليه فالأولى حمل الخطاب لمطلق العاضل وإن كان المطلق . اوان المطلق يعضل زوجته ويمنعها بعد العدة من ان تتزوج وهو فرض نادر إذ قل من يكون من المطلقين من له هذه السلطة والأقرب الأول ولفظ ازواجهن مجاز اما من حيث كون الزوجية

ذٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذٰلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ * (٢٣١) وَالْوالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ لِمَنْ أَرادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَها لا تُضارَّ والِدَةٌ بِوَلَدِها وَلا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ

في الماضي كما في الثاني او من حيث كونها في المستقبل كما في الأول والثالث (ذالك) خطاب للنبي (ص) (يوعظ به من كان منكم) أي من المسلمين (يؤمن بالله واليوم الآخر) فإنه هو الأهل لأن يوعظ فتنفعه الموعظة ويقف عند نواهي الشريعة (ذلكم) خطاب للمسلمين والمشار اليه ترك العضل المذكور (ازكى لكم وأطهر والله يعلم) ما فيه صلاحكم (وانتم لا تعلمون ٢٣١ والوالدات) مطلقا مطلقات وغير مطلقات (يرضعن اولادهن) اخبار عن الوظيفة المقررة لهن في الشريعة جمعا لانحاء المصلحة على ما يأتي (حولين كاملين) لا تنقص عن اربعة وعشرين شهراً (لمن اراد ان يتم الرضاعة) ويعطي ما بازائها من اجرة وهو الأب ومن بيده أمر الطفل بعده ومن اراد ارضاعه دون الحولين فله ذلك وحده احد وعشرون شهراً كما نقل عليه اتفاقنا وعليه روايتا سماعة وعبد الوهاب عن الصادق (ع) (وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن) الظاهر عدم الخلاف في ان الرزق والكسوة كناية عن الأجرة المذكورة في الآية السادسة من سورة الطلاق . والملحوظ في تقريرها حالتا السعة والضيق كما في السابعة منها ايضا . ولعل اجرة المثل تقارب مالية الرزق والكسوة ولكن عنوانها أقرب إلى الحشمة من عنوان الأجرة والتماكس فيها . وجرى التعبير هنا عن الأب بالمولود له بيانا لوجه الحكمة في كون الأجرة للرضاع عليه لأن الولد بعضه وغناء مائه وان الأم تربي برضاعها من ولد له (بالمعروف) ومن دون اجحاف بأحد الأبوين ولا يضيق بذلك على الأب فوق وسعه بحسب حاله وما يرادمنه في أمر معيشته ومن تجب نفقته عليه (لا تكلف نفس) في جهة (إلا وسعها) في تلك الجهة (لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده) القراءة المعمول عليها بين الناس وعليها رسم المصاحف هي فتح الراء من «تضار» على انه مجزوم بلا الناهية وحركت لالتقاء الساكنين بالفتحة لمشاكلتها للألف التي قبلها . والكلمة صالحة لأن تكون مبنية للفاعل ومبنية للمفعول باعتباران

وَعَلَى الوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ

الراء المدغمة مكسورة في التقدير او مفتوحة . ولكن الظاهر من الصحيح المروي في الكافي عن الصادق (ع) انها مبنية للفاعل لقوله (ع) نهى الله ان تضار المرأة الرجل وان يضار الرجل المرأة وان الوارث نهى ان يضارّ الصبي أو يضارّ امه بالرضاعة . هذا والنهي عن المضارة بسبب الولد مطلق سواء كانت المضارة من جهة الأجرة وما اشبه ذلك في امر الرضاع ام من جهة منع الوالدة لزوجها الوالد عن جماعها لخوفها من الحبل وضرره للرضيع او من حيث امتناع الوالد عما يجب للوالدة من الجماع لخوفه من حبلها وضرره للرضيع كما استشهد عليه السلام بالآية للأمرين وجاء بكل من المعنيين روايات اخر . وفي التبيان ذكر رواية الجهة الثانية عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وكذا في مجمع البيان . وكان عليهما ان يذكرا رواية الجهة الأولى كالصحيح . ولم اجد ما اشار اليه من الرواية عن ابي جعفر (ع) (وعلى الوارث مثل ذلك) في صحيحة الحلبي وروايتي الكناني وابي بصير عن الصادق (ع) انه نهى ان يضارّ بالصبي او يضار امه في رضاعها . وفي الدر المنثور عن ابن عباس ان لا يضار فمن الغريب مع ذلك ما في كنز العرفان في تفسير الوارث بالصبي . وفي التبيان وقد روي في اخبارنا ان على الوارث كائنا ما كان النفقة . واشار في الخلاف والمبسوط ايضا إلى الرواية. والظاهر كونها رواية غياث عن الصادق (ع) اتي امير المؤمنين (ع) بيتيم فقال خذوا بنفقته اقرب الناس منه من العشيرة كما يأكل ميراثه . والرواية ان لم يكن الوارث في واقعتها الخاصه هو الجد امكن تنزيلها في واقعتها على الالزام لشيوع الفتوى بذلك حينئذ فإن مذهب الإمامية حتى الشيخ في كتبه ان النفقة انما تجب على العمودين فهو اجماع منا فالوارث في الآية اما وارث الطفل بمعنى كون الطفل ارثاً اي بقية له في القيام بأمره فهو وارثه بهذا المعنى كالجد والوصي والحاكم وليس في ذلك مجاز بحسب اللغة وان كان الدائر في المحاورات هو وارث المال . واما انه جار مجرى الغالب في كون من له الولاية بنفسه اوبالوصاية وارثاً كالجد والأخ والوصي مثلا او المولى من قبل الحاكم ولا دلالة من القرآن الكريم على اكثر مما في الروايات المتقدمة من ان الذي على الوارث هو ان لا يضار (فإن ارادا) المرضعة والوالد وان كان جدا (فصالا) للطفل عن الرضاع قبل الحولين (عن تراض) منهما (وتشاور) بالنظر إلى صلاح الطفل

فَلا جُناحَ عَلَيْهِما وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ إِذا سَلَّمْتُمْ ما آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * (٢٣٢) وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْواجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً فَإِذا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِيما فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ *

لا مجرد تراضيهما مراعاة لأهوائهما (فلا جناح عليهما) ويحتمل ان يشمل ذلك مابعدالحولين حينما يكون تعجيل الفطام مضرا بالطفل كما إذا كان مريضاً مثلا في المدة التي يجوز التأخير فيها (وان اردتم) عند عدم الاضرار (ان تسترضعوا) المراضع (اولادكم) مفعول ثان لتسترضعوا (فلا جناح عليكم إذا) راعيتم مصلحة الطفل بعدم مماطلة المرضعة باجرتها و (سلمتم ما آتيتم) وقررتموه في الاسترضاع (بالمعروف) بلامدافعة ولا معاسرة (واتقوا الله) فيما أمركم به ونهاكم عنه (واعلموا) أي واعملوا على مقتضى علمكم (ان الله بما تعملون بصير) فخافوه (٢٣٢ والذين يتوفون منكم) أي يؤخذون وافين ويراد بذلك الأخذ بالموت كما مر مشروحا في المقام الاول من الفصل الرابع من المقدمة (ويذرون) يتركون (ازواجا) الذين مبتدأ وجملة (يتوفون) صلته وجملة « يذرون » معطوفة عليها وجملة (يتربصن) وهي خبر يراد بـه الأمر المؤكد تكون خبرا للمبتدأ والرابط بينهما هو الضمير الذي يجلوه المقام والسياق بمثل جلوة المذكور لوضوح ان فاعل التربص تلك الازواج اللائي يتركها المتوفون . فقدر لذلك ما يناسب تقديره (بأنفسهن) ويمسكنها عن الزواج والزينة ونحوها (اربعة أشهر وعشرا (أي وعشر ليال(فإذا بلغن اجلهن) باتمام ذلك (فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن) من الخروج من البيوت وطلب الأزواج وترك الحداد مما يكون (بالمعروف) المشروع الموافق للاستقامة والعفة وفي تفسير القمي والتبيان ومجمع البيان وغيرها ان هذه الآية ناسخة لحكم الآية السابعة بعدها وعلى ذلك روايات الدر المنثور في هذه الآية عن ابن عباس وابن عمر أقول وربما كان تقديمها في ترتيب القراءة على تلك لكي تنتظم في نسق واحد مع الآيات المحكمة في الطلاق والعدد وربما يشير إلى النسخ في قوله تعالى فلا جناح عليكم بأن يكون المراد لا جناح عليكم من خروجهن وتعرضهن للأزواج قبل الحول مما كان يجب عليكم النهي عنه (والله بما تعملون

(٢٣٣) وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا *

خبير) فلا تخالفوه (٢٣٣ ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء) نظم الآيات وسياق الآية وقوله تعالى فيها حتى يبلغ الكتاب اجله تدل على ان المراد من النساء المعتدات للوفاة وعليه الاتفاق والآية صالحة للعموم لبعض المعتدات ايضا وتفصيل ذلك موكول إلى كتب الفقه . والتعريض هو خلاف التصريحات بما يسعه مجال الخطبة من وجوه الكلام وهو تضمين الكلام دلالة على شيء ليس فيه ذكر له والخطبة هو الكلام الدال على طلب المرأة للتزويج ولعل الاصل فيه ان الطلب كان يصاغ كثيراً بكلام ينشئه خطيب القوم ثم استعمل في مطلق الطلب فتعدى ويقال خطبها وهو خاطب (او اكننتم في انفسكم) بأن خطر في انفسكم الرغبة في نكاحها والعزم عليه واسررتموه (علم الله انكم ستذكرونهن) لسانا بابداء الرغبة في نكاحهن ولا يدل ذلك على التوبيخ لجواز ان يقصدوا في ذكرها وجها راجحاً خصوصا في عصر الرسول (ص) كتطييب قلوب المؤمنات المهاجرات المنقطعات ذوات الأيتام لكي تطمئن قلوبهن بوجود الكافل (ولكن لا تواعدوهن سرا) في صحيحة الحلبي عن الصادق (ع) ان يقول لها اواعدك بيت آل فلان ونحوها رواية عبد الله بن سنان عنه (ع) وفي رواية علي بن حمزة عنه (ع) اواعدك بيت آل فلان يعرض لها بالرفث ويرفث الرواية اي يرفث قولا بأن يذكر لها الجماع وما يرجع اليه صريحا على خلاف الكناية والاحتشام . فإن الجماع يعبر عنه بالسر كقول امرء القيس

الا زعمت بسباسة اليوم انني كبرت وان لا يشهد السر امثالي

وقول الاعشى ولا تقربن جارة إن سرها عليك حرام فانكحن او تأبدا

وقول الفرزدق موانع للاسرار الا من اهلها ويخلف ما ظن الغيور النعفف

(إلا ان تقولوا قولا معروفا) الاستثناء منقطع لرفع ما يتوهم من المنع عن كل ما يدل على التزويج لأن التزويج يؤل إلى الجماع . بل يجوز القول بالمعروف الموافق للحياء والحشمة وكريم الخطاب كقوله لا تسبقيني بنفسك إذا انقضت العدة او اني مكرم للنساء . اولو انقضت عدتك لا تفوتيني ونحو هذا من معاريض الكلام وبه جاءت روايات الدر المنثور عن ابن عباس (٢٣٤ ولا تعزموا عقدة النكاح) ولا توقعوها وتوجبوها وبذلك جاءت رواية الدر المنثور

(٢٣٤) وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ * (٢٣٥) لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ

عن ابن عباس واما العزم على العقد بعد العدة فهو مرخص فيه في الآية خصوصا في قوله او اكننتم في انفسكم (حتى يبلغ الكتاب اجله) في التبيان معناه انقضاء العدة بلا خلاف . ومقتضى اللفظ حتى يبلغ القرآن باعتبار فرض العدة اجله في انقضائها او حتى يبلغ الفرض من كتب بمعنى فرض وكلاهما في وجه التجوز ببلوغها الأجل سواء (واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم) مما يبعث على الأعمال الخارجية ومنها ما هو محرم عليكم والمقصود تنبيههم على ما يعرفونه من علم الله زيادة في التحذير (فاحذروه) من ان تخالفوه وتعملوا بالمعاصي (واعلموا) مع ذلك (ان الله غفور) ان تبتم فبادروا إلى التوبة ولا تقنطوا من رحمة الله واحذروه من ترك التوبة كما تحذرونه من المعصية (حليم) لا يعاجلكم بالعقوبة بل يمهلكم لأن تتوبوا اليه فيقبل عليكم بحلمه كأن لم تذنبوا (٢٣٥ لا جناح عليكم) اي لا اثم وهذا دفع لما يتوهم من الاثم في الصورتين المذكورتين لأنها فراق قبل النتيجة المحبوبة المطلوبة شرعا من النكاح وقطع لما كان يؤمل من الفة الزواج وافراحه دون ان يصدر سوء صحبة خصوصا مع مجاملة المرأة واهلها بعدم المعاسرة في تقديم الصداق وفرضه في العقد . وفي الكشاف فسر لا جناح بقوله لا تبعة عليكم من ايجاب مهر ويدفعه انه لم يعرف من اللغة والقرآن مجيء الجناح بغير معنى الاثم فلماذا يفسره هنا بتبعة المال (ان طلقتم النساء ما) اي في مدة وحال انكم (لم تمسوهن) بالوطء وكان ذلك على جاري العادة في فرض الصداق لهن في العقد (أو تفرضوا) توجبوا وهو مجزوم بالعطف على تمسوهن (لهن فريضة) وهو الصداق والمراد رفع الجناح في كل من الحالين حال عدم الوطء مع فرض الصداق وحال عدمه مع عدم الفرض وعطف بكلمة « أو » كما في قوله تعالى في سورة الدهر ولا تطع منهم آثما أو كفوراً لئلا يتوهم اشتراط اجتماعها . ولعله إلى هذا ينظر ما في التبيان ومجمع البيان ان التقدير ممن فرضتم لهن او لم تفرضوا . وان النظر إلى نظم هذه الآية مع التي بعدها لزعيم بما ذكرناه (ومتعوهن) وجوبا لظاهر الأمر . وان الآية الاخرى بحسب سوقها ونظمها مع هذه كالصريحة في ان نصف المهر هو تمام ما تستحقه التي فرض

عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ * (٢٣٦) وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ

لها الصداق فتختص المتعة الواجبة بمن لم تمس بالوطء ولم يفرض لها مهر وعلى ذلك اجماعنا وصحيحة الكافي عن الحلبي وصحيحته عن ابي بصير وروايته عنه ايضا ورواية الفقيه عن الكناني عن الصادق (ع) ورواية الدر المنثور عن ابن عباس وفي الخلاف عليه اجماع الصحابة . ويكون مفاد الآيتين في نظمهما تشريك القسمين من غير المدخول بهن في عدم الجناح بطلاقهن ثم التقسيم باختصاص نصف المهر بمن فرض لها واختصاص المتعة بمن لم تفرض لها فريضة . وعلى هذا التقسيم والتقييد يحمل اطلاق الآية الثانية والاربعين بعد المائتين من السورة والثانية والأربعين من سورة الاحزاب وليس المقام من النسخ لكي يتوقف على معرفة المتقدم والمتأخر بل هو من حمل المطلق على المقيد سواء كان الكلام تفصيلا بعد اجمال أو اجمالا مبنيا على التفصيل . والمتعة (على الموسع) اي ذي السعة في المال مثل المثري (قدره) أي المقدار الذي يليق بسعته من المال (وعلى المقتر) أي المقل من المال (قدره) وما يناسب اقلاله وكأنه بذكر الأمرين قيل على كل ما يناسب حاله . وفي الفقيه روى ان الغني يمتع بدار او خادم والوسط بثوب والفقير بدرهم أو خاتم وفي رواية ابي بصير عن الباقر (ع) ان ادنى المتعة على المعسر خمار وشبهه وفي رواية الحلبي وعبد الله بن سنان وسماعة عن الصادق (ع) ان الموسع يمتع بالعبد والامة ويمتع الفقير بالحنطة والزبيب والثوب والدراهم ولعل الكل على سبيل المثال ومناسبة الحال (متاعا) المتاع ما يتمتع به فيكون مفعولا لمتعوهن وقد يجيء بمعنى التمتيع . وفي التبيان انه حال من «قدره» والعامل فيه الظرف وكأنه لما في كلمة «على» من معنى الايجاب . وفي الكشاف انه تأكيد لمتعوهن والمآل واحد (بالمعروف) صفة للمتاع على الاولى ومتعلق به على الأخيرين والمآل في الكل واحد (حقا) صفة للمتاع (على المحسنين) بيان لكون المتعة بالمعروف احسان يرغب فيه المحسنون ويرونها حقا عليهم في شريعة الإحسان (٢٣٦ وإن طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة) بيان لحكم القسم الأول في الآية السابقة وحقه فيعرف منه اختصاص القسم الثاني بالمتعة (فنصف ما فرضتم) وهو حق لهن يجب اعطاؤه (الا ان يعفون) عنه كلا او بعضا إذا كن بالغات جائزات التصرف في اموالهن سواء كان العفو منهن مباشرة ام من

أو يعفوا الذي بيده عقدة النكاح وإن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير * (٢٣٧) حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى

وكيلهن على العفو ام الوكيل المأذون له في كل تصرف في اموالهن أم في خصوص هذا الطلاق مثلا (او يعفو الذي بيدة عقدة النكاح) وهو ولي الصغيرة الذي جعل الله بيده ان يعقد عقدة نكاحها وليس ذلك عندنا إلا الأب والجد اعني أبا الأب او اباه ففي صحيحة التهذيب عن عبد الله بن سنان عن الصادق (ع) هو ولي امرها وعن رفاعة عنه (ع)الولي الذي يأخذ بعضا ويترك بعضاً وفي بعض احاديثنا ما جمع فيه من يعفو بحسب الولاية اوبحسب الوكالة العامة ففي معتبرة التهذيب بارسال ابن ابي عمير عن الصادق (ع) الا ب والذي توكله المرأة وتوليه امرها من اخ أو قرابة او غيرهما وفي الصحيحة المروية في الكافي والفقيه والتهذيب عن الحلبي وابي بصير وسماعه عنه (ع) هو الأب والأخ والرجل يوصى اليه والذي يجوز امره في مال المرأة فيبتاع لها ويتجر ونحوها صحيحة التهذيب عن ابي بصير ومحمد بن مسلم عن الباقر (ع) فأما الموصى اليه في الصحيحتين فهو من اوصى اليه الأب والجد بالقيام بأمر الصغيرة إذا رأى المصلحة في العفو كما في عفو الأب والجد واما الأخ فيعرف امره من مرسلة ابن ابي عمير والظاهر ان عدم ذكر الجد هنا لدخوله في عنوان الأب (وإن تعفوا) وعفوكم ايها الناس (اقرب للتقوى) ربما تجد المرأة الضعيفة النفس في نفسها شيئا إذا رجح الله لها العفو بخطاب خاص فلطف الله بها بما معناه انه لا يرجح العفو لها من حيث انها امرأة ولا من حيث انه مهر بل ان كل عفو هو حسن راجح من جميع الناس وهذا المقام منه وان الزوج لم ينتفع بلذة او خدمة بازاء ما له فيكون طلب العفو بهذا النحو أطيب لقلب المرأة المطلقة وادعى لها لأن تعفو فإن لمطلق عفو الإنسان عن حقه فضلا وفضيلة وهو بفضيلته اقرب الى فضيلة التقوى (ولا تنسوا الفضل بينكم) ايها الناس واسمعي ايتها المطلقة ولا تحملكم حزازات النفوس على ترك ما فيه الفضل (ان الله بما تعملون بصير) فيجازيكم على احسانكم(٢٣٧حافظوا) ايها الناس (على الصلوات) في اقامتها في اوقاتها بحدودها وشرائطها واخلاصها واقبالها عموما (والصلاة الوسطى) وهي صلاة الظهر وعن الخلاف ان عليه اجماع الفرقة والمروي في احاديثنا انها صلاة الظهر كصحيحة معاني الأخبار عن ابي بصير وروايتي العياشي عن عبد الله بن سنان

وَقُومُوا لِلّٰهِ قَانِتِينَ * (٢٣٨) فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا

ومحمد بن مسلم عن الصادق (ع) وصحيحة زرارة عن الباقر (ع) وان ورد فيها بعد ذلك كما في الكافي والفقيه ما صورته وقال في بعض القراءات حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر . وبناء على هذه الرواية فلا يخفى ان الإمام لا يتعلل ببعض القراءات إلا لمحاذرة من الوقت واهله فذكر الرواية الرائجة عن مصحف عائشة وروايتها واحدى الروايات عن مصحف حفصة وروايتها عن قراءة ابن عباس وابي بن كعب والسائب بن يزيد اسكاتا عن بيانه الأول للحكم الواقعي . وإذا نظرت إلى ما احصاه الدر المنثور من روايات المقام ترى فيها من الاضطراب والتعارض شيئا مهولا ففي بعضها الفجر وفي بعضها الظهر وفي بعضها العصر وفي بعضها المغرب وكثيرا ما تتعارض الرواية عن الشخص الواحد «وما آفة الأخبار إلا رواتها» (وقوموا) في الصلاة (لله قانتين) عن العياشي عن الصادق (ع) طائعين وفي رواية سماعة هو الدعاء ومنه قوله تعالى في سورة الزمر « ام من هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما» وفي التبيان قيل اصله الدعاء في حال القيام أي في الصلاة وفي مجمع البيان وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله أقول ولم اجده عنهما (ع) في تفسير الآية نعم في صحيحة زرارة عن الباقر (ع) ونزلت هذه الآية في يوم الجمعة ورسول الله في سفره فقنت فيها . نعم كثر استعمالهم عليهم السلام للفظ القنوت بالدعاء في الصلاة في حال القيام وهو القنوت المعروف كما في رواياتنا وهو معروف في لسان الصحابة وغيرهم كما في روايات الدر المنثور وغيره في الآية (٢٣٨ فإن خفتم فرجالا) جمع راجل وهو الماشي على رجله مثل قيام جمع قائم كما في سورتي الفرقان ٦٥ والزمر ٦٨ اي فإذا خفتم فحكمكم في صلاتكم ان تتركوا ما ينافي التحذر من الوقوف والركوع والسجود بحسب ما يقتضيه الخوف والحذر وعلى رسلكم حال كونكم رجالا (أو ركبانا) جمع راكب ويبقى ما لا ينافي الحذر على حاله كالقراءة والتسبيح والتشهد والتسليم نعم قد تخفى دلالة الآية على الإيماء للركوع والسجود إلا بالنظر إلى انه ميسور من خضوعها واتضاح قاعدة الميسور في هذا المورد للعقل والعقلاء كغيره من الموارد . وفي الكافي في صحيح عبد الرحمن قال سألت أبا عبد الله في الآية ما تقول إذا خاف من سبع أو لص كيف يصلي قال يكبر ويومي إيماء برأسه اي للركوع والسجود (فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم)

اللهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ *(٢٣٩)وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ *(٢٤٠)وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ * (٢٤١) كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ *

بلطفه في الصلاة وغيرها (ما لم تكونوا تعلمون) من اذكار الصلاة واحكامها وغير ذلك (٢٣٩ والذين يتوفون منكم) أي يشرفون على الوفاة (ويذرون) بعدهم ازواجا كتب الله عليهم (وصية) تأتي الوصية بمعنى الموصى به (لأزواجهم متاعا) بدل من « وصية » بمعنى الموصى به وإذا جعلنا الوصية هنا بمعنى الايصاء كان التقدير جعل الله لهن ما يوصى به في الايصاء متاعا ونحو ذلك والأول أظهر (إلى الحول) من حين وفاته في مؤنتها (غيراخراج) صفة المتاع ليعم السكنى · وربما لم يكن هذا أجلا لعدة الوفاة على كل حال بل ان شاءت ان تبقى في بيت زوجها فلها الانفاق والاسكان بحسب الوصية حولا (فإن خرجن) من قبل انفسهن مطلقا أو من بعد أن تقضي اربعة أشهر وعشرا او ابعد الأجلين إذا كانت حاملا فقد أسقطت حقها · وقيل ان الحول كان عدتها فنسخ والمراد من الآية خرجن بعد الحول (فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف) من حيث الزواج الشرعي أواختيار ما يوافق حالها وصلاحها في الخروج · اما وجوب الوصية ان كان فهو منسوخ بالاتفاق وأما جوازها فعن مجمع البيان انه باق عندنا لم ينسخ (والله عزيز) في احكامه (حكيم) في شريعته (٢٤٠ وللمطلقات متاع بالمعروف) بحق (حقا على المتقين) ان كان المراد من الآية تأكيد ما تقدم من متعة من لم تمس ولم يفرض لها فريضة كان اطلاقها جاريا على ذلك التقييد وهذا هو المناسب لقربها من تينك الآيتين ولظاهر قوله تعالى « حقا على المتقين »ولما أشرنا اليه آنفا من الاجماع والروايات · ويمكن ان تحمل هذه الآية على الاستحباب في مطلق المطلقات بالنظر إلى صحيحة الحلبي وروايته وصحيحة عبد الله بن سنان وسماعة كما في الكافي ورواية ابي بصير كما عن العياشي وفيه شك (٢٤١ كذلك) خطاب لرسول الله (يبين الله) بلطفه (لكم آياته) خطاب للناس لاحتياجهم في نظام امرهم إلى بيان هذه الأحكام (لعلكم تعقلون) لغاية

(٢٤٢) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ * (٢٤٣) وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ *

ان تعقلوا إذا أقبلتم باختياركم على التدبر لهذه الآيات والعمل بها (ألم تر إلى الذين) أي ألم تعلم بأمرهم ونزّل علمه (ص) بما فيه من الإيمان واليقين بمنزلة الرؤية بالبصر (خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت) أي خرجوا حذرا من الموت وفراراً (فقال لهم الله موتوا) وإنما أمره إذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فعبر عن ارادته التكوينية بالأمر بالموت وبالكون اشارة إلى ان قدرته لا تحتاج إلى عمل وممارسة مقدمات (ثم أحياهم) بعد موتهم . روى في روضة الكافي عن الباقر والصادق عليهما السلام قصة هؤلاء وهربهم من الطاعون وموتهم وبقاءهم بلا دفن حتى صاروا عظاما فجمعها المارة ونحوها عن الطريق فمر عليها حزقيل النبي من بني اسرائيل فدعا الله في احيائهم فأحياهم . وعن العياشي وسعد بن عبد الله عن حمران عن الباقر عليه السلام مختصر في هذه القصة . وروى في ذلك في الدر المنثور عدة روايات عن ابن عباس وبعض التابعين (١) (وإن الله لذو فضل على الناس) يعرفهم قدرته ويبصرهم بمواعظه ويحوطهم بألطافه ويجللهم برحمته (ولكن اكثر الناس لا يشكرون ٢٤٣ وقاتلوا) ايها الناس (في سبيل الله) ولا تخافوا من الموت فإن الأمور بيد الله ولكم الموعظة بفرار هؤلاء من الموت وموتهم واحيائهم (واعلموا ان الله سميع) لدعائكم واستنصاركم وما تقولونه في امر الجهاد والدعوة إلى الله ودين الحق (عليم) بنياتكم في جهادكم (٢٤٤ من ذا الذي يقرض الله قرضاً

(١) ولهذه القصة شؤون . فقد ذكر نظيرها في العهد القديم في كتاب حزقيال من العدد الاول إلى الحادي عشر من الفصل السابع والثلاثين . فجاءت جمعية المرسلين الامريكان في الجزء الثاني من كتابهم الذي سموه « الهداية » واعترضوا على القرآن المجيد وانكروا مضمونها والاحياء وجعلوا ما ذكر في كتاب حزقيال رؤيا منامية غايتها البشرى بانتعاش بني اسرائيل بعد السبي ورجوعهم إلى قوميتهم وحالتهم السياسية

دع جمعية الاميركان وهلم الخطب في بعض مفسري المسلمين المعاصرين من المصريين إذ كتبوا وطبعوا انكار الأمر الذي ذكره القرآن الكريم بالمحاورة الصريحة الدائرة بين العقلاء في بيان الحقائق وفسروا الآية بأن موت أولئك القوم هو ان العدو نكل بهم فافنى قوتهم وازال استقلال أمتهم حتى صارت لا تعد أمة . ومعنى حياتهم هو عود الاستقلال اليهم . إلى آخره . ويا ليت النزعة العصرية واللهجة السياسية لم يمدا ايديهما إلى القرآن الكريم .

(٢٤٤) مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * (٢٤٥) أَلَمْ

حسنا) قد اقتضت حكمة الله ورحمته في شأن الإنسان ونظام مدنيته وتشابكه في الاجتماع ان يجعل بعضهم محتاجا إلى بعض في شؤون التعيش والاموال . كما اقتضت حكمته ورحمته في كمال الانسان ونيله كرامة الفضيلة وحسن الجزاء بأن يجعله مختاراً في افعاله واحواله في الإيمان والكفر والطاعة والمعصية . واقتضت حكمته ورحمته ولطفه أن يأمر بالتعاون على البر والإحسان وان يعود الغني على الفقير بشيء مما هو من رزق الله وخلقه وينفق شيئا من مال الله في نصر الحق واهله ودفاع الباطل واهله . واقتضت رحمته ولطفه ان يرغّب الإنسان في الانفاق في سبيل الله والخير في الفقراء والجهاد وينصره بهذا الترغيب على شح نفسه ونزعات حرصه وما يسوله له فقر إمكانه . فجاء القرآن الكريم على أحسن وجه في الترغيب وحاصل ما يشير اليه وينوه به هو انكم ايها الناس لا بد لكم من انكم تعرفون أن كل نعمة عندكم إنما هي من الله وخلقه للعالم وما فيه . ومع ذلك فإن الله بحسب حكمته ولطفه يندبكم إلى أن تنفقوا شيئا مما أنعم به عليكم في طريق صلاحكم وسعادتكم وان الذي ينفق في ذلك شيئا من ماله وهو يريد به وجه الله يجعله الله قرضا عليه إذا كان قرضا وانفاقاً حسنا من المال الحلال فاقدا لما يشينه من الرياء والمن ونحو ذلك (فيضاعفه له) بنصب « يضاعفه » جوابا للاستفهام بعد الفاء وفي الحقيقة هو جواب لطلب القرض المؤكد باسلوب قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له (اضعافا كثيرة) . روى الصدوق في معاني الاخبار في الصحيح عن الخزاز والعياشي عن علي بن عمار عن الصادق (ع) لما نزل من جاء بالحسنة فله خير منها قال رسول الله اللهم زدني فأنزل الله من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها فقال رب زدني فأنزل الله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة فعلم رسول الله (ص) ان الكثير منه لا يحصى وليس له منتهى (والله يقبض ويبسط) في تفسير البرهان عن الصدوق مسندا عن الصادق يمنع ويعطي والمراد استلفاتهم إلى ان امر الرزق بيد الله جل شأنه فليغتنم ذو السعة فرصة الانفاق وقرض الله قبل ان يضيق عليه رزقه وتبقى له الحسرة . ولا يخف في انفاقه فقرا فإن بيده بسط الرزق (واليه ترجعون) فيوفيكم جزاء ما انفقتم وتشتد حسرات الحريص الشحيح على ما فرط (٢٤٥) ألم

تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * (٢٤٦) وَقَالَ لَهُمْ

تر) الرؤية كما تقدم قريبا كناية عن العلم (إلى الملأ) أي الأشراف والأعيان (من بني اسرائيل من بعد) موت (موسى إذ قالوا لنبي لهم) في تفسير القمي في الصحيح عن الباقر (ع) ان بني اسرائيل عملوا المعاصي وغيروا دين الله وعتوا عن أمر ربهم وكان فيهم نبي يأمرهم وينهاهم فلم يطيعوه وروى ان اسمه ارميا النبي أقول هذا وما بعده ليس من الصحيح بل هو ارسال من القمي وفيه ما هو خلاف الصحيح فإن نفس القمي سيروي في تفسير الآية الحادية والستين بعد المائتين في الصحيح عن الصادق ان ارميا النبي معاصر لبخت نصر وسبي بابل كما هو مقتضى التاريخ وبين ذلك العصر وعصر طالوت نحو اربعمائة سنة وتسعة اجيال . وفي التبيان ومجمع البيان وقيل هو اشموئيل وهو المروي عن ابي جعفر يعني الباقر (ع) وفي مجمع البيان وهو بالعربية اسماعيل وفيه منع فإن اسماعيل في العبرانية « يشمع ايل » (ابعث لنا ملكا نقاتل) معه (في سبيل الله قال) لهم نبيهم (هل عسيتم) عسى معناها الترجي في المحبوب والاشفاق في المكروه (ان كتب عليكم القتال ان لا تقاتلوا) المطرد فيما بعد عسى ان يأتي مقرونا بكلمة « ان » الناصبة ولكن لأجل ان المؤكدين بعد اختلاط اللسان ضاعت عليهم مزايا اللغة العربية بعد ان كانت معروفة لأهلها فقال بعض النحويين او جمهورهم ان عسى من الأفعال الناقصة والمنصوب بأن خبرها على حذف المضاف منه او من اسمها (قالوا) ما مؤداه ما ذا يمنعنا من القتال (وما لنا) من الفائدة في (ألا) الا هي ان المصدرية ولا النافية (نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا) بالحرب والطرد عن الأوطان وهل بعد هذا مانع نفساني عن القتال أو فائدة تدعو إلى تركه . مضافا إلى انه قتال في سبيل الله ودفاع عن الدين والتوحيد . ومع هذا البيان منهم (فلما) بعث لهم طالوت ملكا و (كتب) وفرض (عليهم القتال) معه (تولوا) وتخاذلوا (إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين) يعلم حالهم من قبل ذلك (٢٤٦ وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا) قيل سمي طالوت لطوله وفي

نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * (٢٤٧) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ

كتب اليهود انه كان اطول من كل بني اسرائيل من كتفه فما فوق (قالوا أنى) من أين (يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه) وفي تفسير القمي أو روايته أنه كان من سبط بنيامين (١) قلت وتاريخ اليهود يذكر في اواخر سفر القضاة ان سبط بنيامين قد صدرت من بعضهم بادرة قبيحة فأراد بنو اسرائيل ان يؤدبوا هؤلاء فحماهم سبطهم فحاربهم باقي الاسباط حتى نكلوا بهم فصار سبط بنيامين بعد ذلك سبطا قليلا مستحقراً فيما بين بني اسرائيل (ولم يؤت سعة من المال) ليؤسس به ملوكيته وادارتها (قال) لهم نبيهم (ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة) أي سعة (في العلم والجسم) يدبر بعلمه المملكة وشؤون القتال ويملأ ببسطة جسمه الأبصار هيبة تناسب الملوك ومخائل القوة والشجاعة (والله يؤتي ملكه من يشاء) فلا اعتراض لكم في ذلك (والله واسع) في فضله ورحمته أي واسع الفضل والرحمة (عليم) بما تقتضيه الحكمة في كل مقام (٢٤٧ وقال لهم نبيهم) في مقام الاحتجاج والدلالة على ان طالوت يكون ملكا عليهم وذلك باصطفاء الله له (إن آية ملكه) والحجة التي تعرفون بها ذلك (ان يأتيكم التابوت) الصندوق في مجمع البيان انه كان في ايدي اعداء بني اسرائيل غلبوهم عليه لما مرج امر بني اسرائيل وحدث فيهم الأحداث ثم انتزعه الله من ايديهم ورده على بني اسرائيل تحمله الملائكة وروى ذلك عن ابي عبد الله (فيه سكينة من ربكم) في تفسير القمي عن الرضا (ع) انها ريح

(١) قال الطنطاوي في الجزء الأول من تفسيره صفحة ١٩٠ في كلام بني اسرائيل مع نبيهم في هذا المقام « قالوا ان طالوت ليس من بيت النبوة ومن بيت لاوي بيت النبوة ومنه موسى وهارون ولا من بيت يهوذا بيت الملك ومنه داود وسليمان » – إلى ان قال فأجابهم واقول يا للعجب متى كان من قبل ان يملك طالوت لبيت يهودا ملك ومملكة ومتى كان قبل طالوت داود وسليمان ملكين لكي يذكر بنو اسرائيل ملوكيتهما لنبيهم وكيف والذي يعرف من القرآن هو ان داود لما قتل جالوت كان رعية في جند طالوت وانظر إلى كلام المفسر في صفحة ١٩١ ويقول الله في سورة النمل وورث سليمان داود ولم يذكر ان الاشراف من بني اسرائيل احتجوا بسبطين من اسباطهم بل قالوا نحن أحق بالملك منه . وهل كان ذكرهم للملك يهوذا وداود وسليمان تنبأ عن المستقبل؟! إذن اي مؤرخ ذكر هذا التنبؤ منهم وما هي قيمته التاريخية ؟ !

وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ

من الجنة لها وجه كوجه الإنسان ونحوه في مجمع البيان والدر المنثور عن امير المؤمنين وفي رواية معاني الأخبار عن يونس عن الرضا (ع) روح الله لكن في اصول الكافي في صحيح محمد ابن مسلم عن الباقر (ع) السكينة الإيمان · ونحوه في صحيح حفص وهشام عن الصادق ونحوه في صحيح ابي حمزة عن الباقر وزاد في قوله تعالى وايدهم بروح منه قال هو الإيمان ونحوه في صحيح جميل عن الصادق (ع) والظاهر ان هذه التعبيرات تشبيهات واشارات بحسب حال المورد والخطاب والمخاطب فلعل السكينة أمراً يوجب الامنة والطمأنينة جعله الله في التابوت ليسكن اليه بنو اسرائيل فقد كان لهم بمنزلة اللواء الأعظم في الحروب وفي التبيان انه الأولى واستظهر نحو ذلك في مجمع البيان وهو احدى روايات الدر المنثور عن ابن عباس (وبقية مما ترك آل موسى وهارون) من آثار النبوة (تحمله الملائكة) الجملة حال من يأتيكم وفي روضة الكافي في معتبرة عبد الله بن سليمان (١) عن الباقر (ع) في التابوت ما لفظه «والملائكة كانت تحمله على صورة البقرة» أقول وعلى تقدير صدور هذا المروي عن الإمام (ع) يكون ما في كتب اليهود صورة لما ذكره (ع) من الحقيقة · ففي الفصل السادس من كتاب صموئيل الاول في الآية وخرق العادة في رجوع التابوت وهو ان المشركين لما انتهبوا التابوت من بني اسرائيل أصابهم بلاء من الموت والأمراض فأرادوا أن يردوا التابوت ويستعلموا من حاله و كرامته انه هل هو الذي سبب عليهم ذلك البلاء من الله فتبانوا على ان يجعلوه في عجلة ويربطونها ببقرتين مرضعتين صعبتين لم يعلها نير وبعد ذلك يرجعون عنهما ولديهما إلى البيت فإن سارت البقرتان بالعجلة على الهدو والاستقامة عرفوا ان هذا الأمر الخارق للعادة من حال البقرتين إنما هو من آيات الله لبيان كرامة التابوت فسارت البقرتان بالتابوت والعجلة على أحسن استقامة ومعرفة للطريق إلى أن اوصلتا التابوت إلى بلاد بني اسرائيل وبمقتضى الآية الكريمة والرواية الشريفة ان الملائكة كانت تتولى حمل التابوت بهذا الحمل الخارق للعادة في تلك الصورة الظاهرية من تسخير البقرتين وفي مجمع البيان ذكر شيئاً فيه شبه هذا ولم ينسبه إلى

(١) فإن الكافي يرويها بالسند الصحيح عن يحيى الحلبي عن عبد الله بن سليمان وقد شهد النجاشي وابن ابي داود والعلامة بأن يحيى ثقة صحيح الحديث وقد ذكره عبد الله من اصحاب الباقر ولم يخدش فيه بشيء

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * (٢٤٨) فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي

إمام ٠ وذكر في شرح روضة الكافي شيئا من تاريخ ابن الأثير وغيره من المفسرين واقول ان تفاسير هذه الأمور اما ان تؤخذ عن النبي (ص) او الامام وإلا فلا لأن المؤرخين بل والمفسرين كما ذكرناه في المقام الثالث من الفصل الرابع من المقدمة ان منهم من يأخذ من النقل الافواهي المتقلب بالتحريف من اهل الكتاب الراجع إلى كتبهم من العهد القديم وهي التي كانت في ازمنة المفسرين والمؤرخين باللسان العبراني والبابلي واليوناني وهي ممنوعة عن غير اليهود والنصارى ويحرم في مذهب الفريقين ان يمكنوا منها حتى العوام منهم لكن بعد ان ظهرت في النصارى فرقة الانجيليين ترجموها بكل لسان ونشروها في البلاد فهذه الكتب على ما فيها من التحريف أقل تحريفا من الانقال المأخوذة عنها بالنقل الافواهي الذي لم يبن على الحفظ والأمانة (ان في ذلك) أي في اخباري باتيان التابوت حال كونه تحمله الملائكة (لآية لكم) تعرفكم نعمة الله وقدرته لتطيعوه وتعرفكم صدقي وإن طالوت جعله الله ملكا عليكم كل ذلك (ان كنتم مؤمنين) بالله وآياته ودلالتها حق الإيمان في تفسير القمي بسند صحيح عن الرضا (ع) كان اذا وضع التابوت بين المسلمين والكافرين فإن تقدم التابوت رجل لا يرجع حتى يقتل أو يغلب فأوحى الله إلى نبيهم ان جالوت « وهو رئيس المشركين وشجاعهم » يقتله من يستوي عليه درع موسى اسمه داود بن اسي « وفي كتب اليهود في العبرانية «يسّي» وكان اسي راعيا وكان له عشر بنين اصغرهم داود فلما جمع طالوت بني اسرائيل للحرب بعث إلى اسي ان احضر ولدك فلما حضروا دعا واحداً واحداً منهم فألبسه درع موسى فمنهم من طالت عليه ومنهم من قصرت عنه فقال لأسي هل خلفت من ولدك احدا قال نعم اصغرهم تركته في الغنم فبعث اليه فلما دعي أقبل ومعه مقلاع فناداه ثلاث صخرات في طريقه يا داود خذنا فأخذها في مخلاته فلما جاء إلى طالوت ألبسه درع موسى فاستوت عليه ففصل طالوت بالجنود (٢٤٨ فلما فصل طالوت بالجنود) اي فلما ملك وجند جنوده في معسكره وفصل بمعنى انفصل بجنوده عن المعسكر ومحل التجمع وسار إلى محل الحرب (قال) لجنوده (ان الله مبتليكم بنهر) في طريقكم ليتبين مطيعكم من عاصيكم (فمن شرب منه فليس مني) اي من اصحابي

وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ * (٢٤٩) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ *(٢٥٠) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ

المطيعين ولا من حزب الله (ومن لم يطعمه) أي يذوقه) فإنه مني) اي من اصحابي ومن حزب الله (إلا من اغترف غرفة) واحدة (بيده) فإنه مسامح في ذلك (فشربوا منه) وعصوا (إلا قليلا منهم) وفي تفسير القمي عن الصادق (ع) ان الذين لم يشربوا ولم يغترفوا كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ونحوه عن تفسير العياشي عنه (ع) وذكر في الدر المنثور رواية ذلك عن البراء وابن عباس (فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه) وهم جنده الذين شربوا والذين لم يشربوا لأنهم كلهم كانوا مؤمنين غير مشركين وان عصى بعضهم (قالوا) أي قال نوعهم لا كلهم (لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) وفي روضة الكافي في الصحيح عن الباقر (ع) كما روى في تفسير القمي عن الصادق (ع) ان الذين اغترفوا قالوا هذا القول والذين لم يغترفوا هم الذين قال الله فيهم (قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله) اي الذين لم يلههم الأمل بل قربوا الموت في كل حين إلى ظنهم شوقا إلى لقاء الله برفع الحجاب الشهواني كما قدمناه في الآية الثالثة والأربعين قالوا من قوة إيمانهم وثبات عزمهم وحسن ظنهم بالله . والمؤمن ينظر بعين الله (كم من فئة) أي جماعة وفرقة (قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله) ونصره (والله مع الصابرين ٢٤٩ ولما) تهيأوا للقتال و (برزوا) في موقف الحرب (لجالوت وجنوده) لم يعتمدوا على انفسهم مهما بلغوا من الطاعة والتفاني في سبيل الله بل (قالوا) في التجائهم إلى الله ودعائه بالتوفيق والتسديد والنصر لاظهار دين الحق (ربنا افرغ علينا صبرا) الافراغ الصب شبهوا الصبر بالماء الذي يعمهم بصبه عليهم فطلبوا من الله التوفيق للصبر الكثير المجدي بحيث يكون كما يصب عليهم الصبر صبا (وثبت اقدامنا) على الحق والجهاد في سبيلك (وانصرنا على القوم الكافرين) اعلاء لدين الحق (٢٥٠ فهزموهم باذن الله) المأثور ان هزيمة الكفار كانت بعد ان قتل داود جالوت

وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَيهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ * (٢٥١) تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ *

(الجزء الثالث)

(٢٥٢) تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ

ولكن اخر ذكر القتل ليجري ما ذكر لداود من الفضائل على نسق واحد فإن ذلك ابلغ في تمجيده واظهر بيانا لعظمة النعمة عليه (وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك) المهيب (والحكمة وعلمه مما يشاء) كفصل القضاء والنبوة والزبور وعمل السابغات (ولولا دفع الله الناس) عن الطغيان والإفساد العام (بعضهم) بدل من الناس (ببعض) آخر (لفسدت الارض) فإن الله جلت حكمته خلق الناس مختارين في افعالهم ومن الغايات ان يتمتعوا في الارض ويحصل منهم النسل ويلد الكافر المؤمن والفاجر الصالح وقد علم الله انه يكون في الناس امثال يزيد ومسلم بن عقبة والحجاج واذا خلّى السبيل لامثال هؤلاء ملأوا الارض فساداً وافسدوها وان اهلاك المفسد والانتقام منه في الدنيا لا يرتدع به من يريد الفساد العام بل يعدون كل ذلك من سنن الكون ومقتضيات الاسباب العادية كالموت الذي لم يردع الناس عن غيهم وان قاربوه بالشيخوخة والمرض فكان من الرادع لهم امر الله للمؤمنين بدفاع المفسدين ووجود المنازعين من الناس للمفسدين في اغراضهم فكان ذلك وما وقع من مغلوبية المفسدين ومقهوريتهم عند النزاع دافعا من الله لشمول الفساد وكان حذر المفسدين من صولة القوة وثورة النزاع وفوز الخصوم رادعاً نوعياً في الغالب يوقف الفساد عن طغيانه العام (ولكن الله) تفضل على العالمين بأن منع عموم الفساد في الارض بدفع الناس بعضهم ببعض مع بقاء الحكم على مواقعها فالله جلت آلاؤه (ذو فضل على العالمين ٢٥١ تلك) اي قصص الامور المذكورة (آيات الله نتلوها عليك) يا رسول الله (بالحق) وعلى حقيقتها بالوحي الإلهي (وانك لمن المرسلين) من الله الى الناس لتخرجهم من الظلمات الى النور (٢٥٢ تلك الرسل) انثت الاشارة باعتبار الجماعة (فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله) اياه وفضله بتكليمه له كموسى ورسول الله فقد ورد مستفيضا عن الصادق (ع) ان التغير الذي يعتريه (ص) عند الوحي انما هو عند تكليم الله له بدون توسط جبرائيل كما روى

وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَااقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَااقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ * (٢٥٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ *

مسندا في محاسن البرقي وعلل الشرائع و توحيد الصدوق واكمال الدين وامالي الشيخ بل ان احاديث المعراج عن رسول الله (ص) ناطقة بأن الله كلمه وناجاه وناداه كما في تفسير القمي وبصائر الدرجات وعلل الشرائع وامالي الصدوق وامالي الشيخ باسانيدهم عن الكاظم والصادق والباقر وامير المؤمنين وابن عباس كما روى اهل السنة ذلك في حديث المعراج (ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم) المعجزات البينات (وايدناه بروح القدس)جبرئيل (ولو شاءالله) ان يلجئ عباده على عدم الكفر والعصيان له ووافق ذلك حكمته لفعل فانه هو القادر القاهر و(ما اقتتل الذين من بعدهم) من اممهم (من بعد ما جاءتهم البينات) ولم يكن ذلك لاجل خفاء الحق على احد الفريقين (ولكن اختلفوا) بسبب اتباع الهوى من بعضهم (فمنهم من آمن) بالله وبما جاءه من البينات (ومنهم من كفر) واتبع هواه فاقتتلوا (ولو شآء الله ما اقتتلوا) ولكن ليجزي المؤمنين جزآء المجاهدين في نصر الحق (ولكن الله يفعل ما يريد) مما يقتضيه اللطف والحكمة (٢٥٣ يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم) ان اريد الإنفاق الواجب كما هو ظاهر الطلب فهو الزكاة اذ لا يعهد انفاق عام واجب غيرها ولا تخافوا الفقر في انفاقكم فإن ما عندكم انما هو من رزق الله وهو رازقكم فاغتنموا الفرصة في اموالكم في دار الدنيا (من قبل ان يأتي يوم) وهو يوم القيامة (لا بيع فيه) فتبتاعون ما ينفعكم فيه (ولا خلة) تجديكم فيه ان لم تكونوا من الذين اتقوا الله فيما امرهم به ونهاهم عنه وقدموا لانفسهم « والاخلآء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين » كما في سورة الزخرف (ولا شفاعة)الا لمن اتخذ عند الله عهدا والا باذن الله ولمن ارتضى كما اشرنا اليه في سورة الفاتحة في الشفاعة (والكافرون هم الظالمون) لانفسهم إذ لم يتركوا لأنفسهم لذلك اليوم وسيلة تؤهلهم لرحمة الله لهم ونجاتهم

(٢٥٤) اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ

(٢٥٤ الله) اسم وعلم لواجب الوجود آله العالمين جل وعلا (لا آله الا هو) الإِله هو الذات المقدسة المتصفة بصفات الإِلهية كوجوب الوجود والعلم والقدرة والخالقية وغيرها فلا شيء متصفا بصفات الإِلهية ويستحق ان يسمى إِلها وله تحقق الا الله (الحي) الثابتة له صفة الحياة والدائمة بدوام ذاته ووجوب وجوده لذاته ومعنى الحي واضح ظاهر (القيوم) مبالغة في من قام بالأمر فإِنه جلت آلاؤه هو القائم بايجاد العالم وتدبيره والمبالغة باعتبار العموم والدوام (لا تأخذه) لا تغلبه وتستولي عليه (سنة) بل (ولا نوم) السنة من الوسن وهو النعاس الذي لا يبلغ النوم ولكنه يغلب ويوجب الذهول والغفلة عن القيام بما يقام به من الامور . والنوم معروف ويجوز ان لا تغلب السنة ولا تستولي بل يطرء النوم فيغلب ولكن الله جل شأنه زيادة على انه لا تأخذه ولا تغلبه سنة الا يأخذه ولا يغلبه على قيوميته نوم وان كان اقوى من السنة بكثير (له ما في السموات) من الموجودات (وما في الارض) جميعا حتى السموات والارض كما تقول الملك له وتحت نفوذ ملوكيته ما في العراق اي حتى ارض العراق وحدودها كما اكتفى القرآن في هذا المعنى المتعارف في المحاورة العرفية بقوله له ملك السموات والارض . ولله ملك السموات والارض كما في نحو ثمانية عشر موردا (من ذا الذي يشفع عنده الا بإِذنه) فإِن كل ما في السموات والارض له ومن خلقه فليس هناك من يتوهم كما يقول المشركون ان له استحقاقا طبيعيا الشفاعة والتأثير لتوهم تأليهه مع الله باحد الوجوه التي يتوهمونها ومنها الولادة والمظهرية تعالى الله عما يقولون لا إِله الا هو وانما تكون الشفاعة لعبد مقرب بإِذن الله له بها تشريفا له واعلاء لقدر عباده الصالحين المطيعين له وترغيبا للناس في الطاعة وما لها من علو الدرجات (يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم) اي الملائكة والجن والإِنس من العقلاء الذين يصح نفي الشفاعة عنهم واثباتها لهم بوجه والمراد مما بين ايديهم وما خلفهم ما مضى وما هو آت (ولا يحيطون بشيء من علمه) اي مما يعلمه (الا بما شاء) وعلّمه لعباده وفتح لهم باب ادراكه (وسع

وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ * (٢٥٥) لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ

كرسيه السموات والارض) روى الصدوق في توحيده بسنده عن المفضل عن الصادق (ع) ان العرش هو العلم الذي اطلع الله عليه انبياءه وحججه والكرسي هو العلم الذي لم يطلع عليه احدا وبسنده عن حفص بن غياث عنه (ع) عن الكرسي في الآية قال (ع) علمه وبسنده عن عبد الله بن سنان عنه (ع) في الكرسي او العرش هو العلم الذي لا يقدر احد قدره وفي مجمع البيان ان هذا مروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) وفي التبيان وهو مروي عنهما وفي الدر المنثور ذكر جماعة اخرجوه عن ابن عباس وذكر جماعة اخرجوه عن ابي موسى الاشعري قال الكرسي موضع القدمين وله اطيط كاطيط الرحل . وجماعة اخرجوا عن ابن مسعود عن رسول الله (ص) في المقام المحمود قال ذلك يوم ينزل الله على كرسيه يأط منه كما يأط الرحل الجديد من تضايقه . وجماعة اخرجوا عن عمر عن رسول الله انه قال ان كرسيه وسع السموات والارض وان له اطيطا كاطيط الرحل الجديد اذا ركب من ثقله ما يفضل منه اربع اصابع . هذا ولما بين الله جل شأنه ان له ما في السموات والارض شاء ان يبين احاطة علمه وسلطة تدبيره بجميع ما هو له وملكه فناسب التقريب لادراكنا القاصر بالتمثيل بالجسمانيات المألوفة لنا فشبه الاحاطة والسلطة بالوكانت بحسب التخييل في كرسي الملك . وعلى ذلك جرى تعبير الائمة عليهم السلام في السموات والارض انها في الكرسي (ولا يؤوده) يثقله ويشق عليه (حفظهما) اي النوعين من السموات والارض وكيف (وهو العلي) في شأنه وقدرته وعلمه (العظيم) في سلطانه وجلاله (٢٥٥ لا اكراه في الدين) قد مر تفسير الدين في الآية التاسعة والثمانين بعد المائة وليس الدين بشيء يخفى على الناس مجد حقيقته وكرامة كماله لكي يراد منهم بالاكراه كيف وهو دين الفطرة مستقيم صراطه واضح منهجه مشرقة ارجاؤه منيرة اعلامه بينة آياته هادية دلائله (قد تبين الرشد من الغي) بدلالة العقل والفطرة وتتابع المعجزات وتوارد الحجج وان تعامى عنها المعاند له حتى اعمى عناده قلبه وعين بصيرته (فمن) يخالف هواه ويتبع عقله وبينات فطرته و (يكفر بالطاغوت) الطاغوت مأخوذ من الطغيان . وقد ذكر هذا اللفظ في القرآن الكريم ثمان مرات ففي بعضها مساه خبرا للجمع ويعود عليه ضمير الجمع كما في اولياؤهم الطاغوت

وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ* (٢٥٦) اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا

يخرجونهم في الآية . وفي بعضها الضمير المؤنث الظاهر في الجماعة كما في يعبدوها في التاسعة عشرة من سورة الزمر . وفي بعضها ضمير المفرد كما في الثالثة والستين من سورة النساء . وفي بعضها اشير اليه بهؤلاء كما في الرابعة والخمسين من سورة النساء . وفي النهاية والقاموس تكون للواحد والجمع وذكر اللغويون انه يقال طاغوت للصنم والشيطان ورأس كل ضلال. والطاغوت مأخوذ من الطغيان اما باعتبار كونه سببا كبيرا لطغيان الضلال كالأصنام . وفي النهاية ومنه الحديث هذه طاغية دوس وخثعم اي صنمهم ومعبودهم وأما باعتبار طغيانه في اغوائه وتمرده ودعوته الى الضلال كالشيطان ورؤساء الضلال . ففي كل مقام من القرآن الكريم يراد من الطاغوت ما يناسب سوقه . والمناسب للمقام هو الأصنام او دعاة الشرك اوالشياطين ومعنى يكفر بالنسبة لكل من الأخيرين يخالفه في اغوائه بالشرك ويتبرء منه ومن اتباعه (ويؤمن بالله فقد استمسك) اي احكم تمسكه (بالعروة الوثقى) التي هي اوثق العرى فإنها (لا انفصام لها) ابدا وليس في الإيمان بالله منشأ تردد او ريب او وهن في الحجة (والله سميع) لأقوالكم في الإيمان به (عليم) بنياتكم (٢٥٦ الله ولي الذين آمنوا) اي هو المدبر الأولي والاحق بتدبيرهم فيما هو الأصلح لهم بلطفه وان كان لطفه جلت آلاؤه بالدلالة والإرشاد عام لكل البشر ولكن خص الذين آمنوا بالذكر لأنهم لم يعاندوا الحق ولم يخرجوا انفسهم عن الأهلية لتوفيق الله لهم الى الحق والإيصال الى المقام السامي فهو (يخرجهم) بتوفيقه (من الظلمات) ظلمات الضلال والمعاصي (الى النور) نور الهدى والطاعة (٢٥٧ والذين كفروا) وعاندوا الحق واخرجوا انفسهم عن الأهلية للطف الله وولايته في تدبير شؤنهم بالتوفيق والتسديد وقد تولوا الطاغوت فهم اذن (اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم) الظاهر من الضمير ارادة المغوين على الكفر والمغرين بالضلال كالشياطين ورؤوس الضلال فإنهم يخرجونهم (من النور) نور التوفيق والوصول الى الحق (الى الظلمات) ظلمات الخذلان والكفر والضلال (اولئك) الكافرون (اصحاب النار هم

خَالِدُونَ *(٢٥٧) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ ابرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ أَتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ ابرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ ابرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ *

فيها خالدون ٢٥٨ الم تر) المراد الم تعلم كما ذكرنا قريبا (الى الذي حاجّ ابراهيم في ربه) المحاجة تشمل الجدل وإن كان داحضا · والظاهر ان المحاج هو النمرود الملك · وفي مجمع البيان ان هذه المحاجة كانت قبل القاء ابراهيم في النار عن الصادق قلت ولم اجد روايتها. وفي تفسير القمي لا بعنوان الرواية والدر المنثورعن السدي انها بعدذلك · وقد جرّأه على محاجة ابراهيم بالباطل طغيانه وعتوه وبطره (ان آتاه الله الملك) اي لأن الله آتاه الملك في الدنيا واملى له فحاجّ ابراهيم (اذقال ابراهيم ربي) والهي هو (الذي يحيي ويميت قال) نمرود (انا احيي واميت) قيل انه صرف الكلام عن وجهه حيث قال له ابرهيم كيف تحيي وتميت قال اعمد الى رجلين قدوجب عليهما القتل فأخلي عن واحد واقتل الآخر فأكون قد احييت وأمت قال القمي في تفسيره لا بعنوان الرواية واورد نحوه في الدرالمنثور رواية عن ابن عباس اقول مقتضى الآية ومحاجة نمرود لابراهيم في ربه هو انه لم يدع كونه شريكا لله ليقول انا ايضا احيي واميت مثل الله ويغالط في ذلك بان يقتل احد الشخصين ويستحيي الآخر بل انه ينكر رب ابراهيم ويدعي الإلهية لنفسه فيكون قوله أنا احيي واميت مصادرة جزافية يريد بها الاحياء والموت اللذين قالهما ابراهيم فأراد ابراهيم ان يسد باب المصادرات بالدعاوي السخيفة الباطلة ولذا (قال ابراهيم) ان كنت قادرا على الاحياء والإماتة كما تزعم (فإن الله يأتي بالشمس من المشرق) والقادر على الاحياء والإماتة قادر على التصرف بالشمس (فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر) أي نمرود الكافر بالله أو نوع الذي كفر من الحاضرين نمرود واذنابه وبهت بالبناء للمفعول فهو مبهوت (والله لا يهدي) اي لا يوفق ولا يوصل بلطفه (القوم الظالمين) بل يتركهم واهواءهم · ومن المعلوم ان القرآن الكريم لا تتعلق اغراضه الكريمة في نهجه المجيد بالقصص من حيث تاريخيتها وإنما يذكرها للموعظة وضرب المثل وغير ذلك من الأغراض الحميدة فكأنه قيل ألم تر إلى الذي حاج ابراهيم في ربه إلى آخر الآية فإن من

(٢٥٨) أوكالذي مرّ على قريةٍ وهي خاوية على عروشها قال أنّى يُحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثمّ بعثه قال كم لبثت قال

الناس من يكون في عناده وضلاله ومكابرته للحق الواضح كهذا (٢٥٩ أو) يكون في غفلة عما يعتقده بايمانه (كالذي مر على قرية) روى القمي في تفسيره والطبرسي في احتجاجه عن الصادق (ع) انه ارميا النبي وفي تفسير البرهان عن امير المؤمنين (ع) انه عزير وفي الدر المنثور عن امير المؤمنين وصححه الحاكم وعن ابن عباس بعدة طرق انه عزير فلا مساغ لصاحب الكشاف في اختياره ان صاحب القصة كافر وقد كفانا ابن المنير في حاشيته مؤنة الرد لما استند اليه الكشاف في دعواه (وهي خاوية) أي ساقطة اعاليها كقوله في سورة الحاقة فترى القوم فيها صرعى كأنهم اعجاز نخل خاوية (على عروشها) أي سقوفها ويقال العرش للسرير وارادته هنا ممكنة . وقيل معنى خاوية خالية وفي المصباح والقاموس خوت الدار خلت من اهلها لكن يكون على هذا في اعراب على عروشها تكلف بعيد عن كرامة القرآن (قال أنى) كيف (يحيي هذه الله بعد موتها) في رواية القمي في تفسيره عن الصادق فنظر إلى السباع تأكل الجيف فقال أنى يحيي الله هذه بعد موتها . وفي رواية الدر المنثور عن ابن عباس في ذكر القرية قد باد اهلها ورأى عظاما فقال انى يحيي الله الآية ولا يخفى ان الظاهر من لفظ يحيي وموتها وقصة موت القائل واحيائه والاحتجاج عليه بذلك هذه كلها تشير وتومي إلى المشار اليه بكلمة « هذه » وهي الأجساد او العظام واستغنى عن ذكرها بدلالة المقام واشارات الآية كما في قوله تعالى قبل آيات فقال لهم موتوا ثم احياهم وكثير من نحو ذلك (فأماته الله مائة عام) لا يخفى ان الظاهر من الآية هو المعنى الحقيقي للموت مع ان رواية القمي عن الصادق (ع) ورواية الدر المنثور التي صححها الحاكم عن امير المؤمنين ورواياته الأخر عن ابن عباس والحسن ووهب هذه كلها صريحة في ان هذا الشخص قد مات وتلاشت اجزاؤه وتفرقت فأحياه الله بأن جمعها وكسا عظامه . ولكن المفسر المصري المعاصر قال ما حاصله ان الإماتة والموت هنا عبارة عن فقد الحس والادراك وهوالمسمى بالسبات لا مفارقة الروح للبدن ولم يحضرني الجزء الأول من تفسيره لكي أراه ماذا يقول فيما مر من قوله تعالى « ٥٣ ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون » (ثم بعثه قال كم لبثت) في موتك هذا (قال

لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * (٢٥٩) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ

لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مئة عام) وقد اظهرت المشيئة الإلهية لك شيئا من خارق العادة ودلائل القدرة على احياء الموتى وان تفرقت اوصالهم (فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه) لم يتأثر بالسنين المتطاولة فإن مقتضى العادة ان تتتابع عليه تغييرات السنين الى ان تلاشيه في اثناء المائة عام فبهذه القدرة يحيي الله الموتى (وانظر إلى حمارك) تكرار الأمر بالنظر يشير إلى انتقال الكلام الى وجهة اخرى تدل على طول لبثه في الموت او هي ان حماره قد افنته السنين وبادت اجزاؤه وتفرقت عظامه كما صرحت به الروايات المشار اليها (ولنجعلك آية للناس) اي امتناك وبعثناك بعد البلا لترى بالعيان كيف يحيي الله الموتى ولنجعلنك آية وموعظة للناس في احياء الموتى وقدرة الله ·وهذا ظاهر من وجود واو العطف وسياق الكلام (وانظر الى العظام كيف ننشزها) بالزاي المعجمة وضم النون الاولى اي نجعلها بعد تفرقها بالبلا يرتفع وينشز بعضها الى بعض بالتركيب· وقد نصت الروايتان المشار اليها على عظامه وعظام حماره ·واما عظام اهل القرية فلم يعرف احياؤها (ثم نكسوها لحماً فلما تبين له)ما ذكر (قال اعلم) يعرف من انه لم يقل الآن علمت انه عالم بذلك وانه يعلم بالعلم المستمر وبهذه المشاهدات تاكد علمه (ان الله على كل شيء قدير ٣٦٣ واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى)جرت في ذلك شؤون ويدل على تلك الشؤون ويفسرها ما في الآية وهو (قال) الله له بالاستفهام التقريري (اولم تؤمن) بقدرتي على احياء الموتى واني احييها و(قال) ابراهيم (بلى) اني مؤمن بذلك (ولكن) للعيان اثر كبير في الاطمئنان ورسوخ العلم في القلب فطلبت الرؤية(ليطمئن قلبي)ويزداد يقيني بسبب المشاهده بما آمنت به كما في رواية الكافي في اول باب الشك من اصوله والصحيحة عن المحاسن (قال) الله له واذا كنت تطلب الرؤية (فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك)بضم الصاد وسكون الراء بمعنى املهن واجمعهن اليك ·وقيل معناه فقطعهن ولكن لا معنى لتعليق اليك به واما

ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * (٢٦٠) مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * (٢٦١) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنّاً

تعليقها بقوله تعالى خذ مع وجود الفاصل الكثير والتفريع بالفاء فلا مساغ له في فصيح الكلام . والأخذ ليس مساوقاً للإمالة والضم اليه بل هو اعم (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً) وهذا كاف في الدلالة على سبق الأمر بالتقطيع . وقد تعددت الروايات الصحاح والمعتبرة عن الباقر والصادق والرضا عليهم السلام في ان الجبال كانت عشرة كما احصى غالبها في الوسائل في باب الوصية بالجزء (ثم ادعهن يأتينك سعياً) وقد اكتفى بذكر هذا الوعد عن ذكر الوقوع لما هو معلوم من قدرة الله وانه لا خلف لوعده (واعلم) اي وليتأكد علمك (ان الله عزيز) بقدرته (حكيم) في اعماله (٣٦٠ مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله) اي ان المثل الذي يضرب لهؤلاء في جزائهم المضاعف من الله ونتيجة انفاقهم المباركة هو (كمثل حبة) اي كالمثل الذي اضرب بحبة (انبتت) من أسناد الفعل الى بعض اسبابه (سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة) وليس ذلك فرضا موهوماً كأنياب الأغوال بل هو كثير مشاهد مرئي وإن كان قليلا بالنسبة إلى نوع الزرع الكثير وكثيراً ما يشاهد ان الحبة يخرج منها اكثر من سبع سنابل بل وعشر وعشرين وكثيرا ما شوهد في قطرنا في السنبل القوي الجيد من الحنطة والشعير تبلغ الثمانين حبة (والله يضاعف لمن يشاء) بحسب نيته واخلاصه واقباله على الخير (والله واسع) في رحمته وقدرته وجزائه (عليم) بأعمال عباده ونياتهم فيها ووجوهها ولا يخفى ان سبيل الله غير مختص بالجهاد . وفي مجمع البيان ان الآية عامة في النفقة في ابواب البر وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) قلت وإن قوله تعالى والله واسع مع سوق الآية يعطي ان الجزاء المضاعف غير مختص بالانفاق بل يعم اعمال الخير كلها كما روي في محاسن البرقي في صحيحة عمر بن يزيد وعن امالي الشيخ وتفسير العياشي في معتبرة الوابشي عن ابي عبد الله(ع) (٢٦١ الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا) بعد ايصاله لمن اعطوه اياه (منا) المن معروف

وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * (٢٦٢) قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ * (٢٦٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا

وهو ان يتطاول المعطي على من أعطاه بأنه أعطاه ومنه قوله ألم أعطك ألم أحسن استطالة عليه لا في مقام ما يرجح من التنصل من القطيعة والبخل (ولا أذى) بسبب الاعطاء (لهم اجرهم عند ربهم) بيان لأن الجزاء المضاعف المذكور في الآية السابقة هو اجر للمنفقين على انفاقهم وذلك اهنأ في نفوس العامة وفيه ترغيب لهم وان كان تفضل الله اهنأ عند الخواص وأقرب الى الكرامة (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ٢٦٢ قول معروف) في الاعتذار غير منكر ولا مستوحش كأن يتلطف بالكلام في رد السائل والاعتذار منه والدعاء له (ومغفرة) لما يصدر منه من الحاف أو ازعاج في المسئلة (خير من صدقة يتبعها أذى والله غني) يغني السائل من سعته ولكنه لأجل مصالحكم في الدنيا والآخرة استفرضكم في الصدقة واعطاء السائل (حليم) فعليكم يا عباده بالحلم والغفران لما يبدر من السائل . وقد اكد الله ارشاده في امر الانفاق والصدقة فقال جلت آلاؤه (٢٦٣ يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى) وتكونوا قد انفقتم أموالكم ولم تبقوا لكم عند الله شيئاً من الأجر والثواب فإن مفسدة المن والأذى ورذيلتها تذهب بفضيلة صدقاتكم وإن قصدتم بها القربة في حينها فانتم في ذلك (كالذي ينفق ماله رئاء الناس) الرئاء والرياء والمراءاة مأخوذة من الرؤية وهو ان يعمل الإنسان العمل لا لحسنة ولا لوجه الله بل لأن يراه الناس تباهياً به (ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) لكي يطلب ما عند الله (فمثله) اي مثل المرائي المنافق الدي لا يؤمن بالله في انه لا خير فيه ولا في انفاقه (كمثل صفوان) الصفوان كالصفا هو الصخر الأملس (عليه تراب) يخيل انه ارض نافعة صالحة للنبات (فأصابه وابل اي مطر عظيم القطر شديد الوقع فجرف ذلك التراب عن ذلك الصفوان (فتركه) صفوانا مجرداً (صلداً) أي صلبا أملس لا يصلح لنتيجة (لا يقدرون) أي المراؤون بانفاقهم الذي أشير اليه بالآية (على شيء مما كسبوا) على فائدة

وَاللهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ * (٢٦٤) مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * (٢٦٥) أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَار

مما انفقوه وكان مما كسبوه وتعبوا في كسبه وجمعه فلا يقدرون لا على شيء من عينه ولا من ثوابه فذهب عليهم بريائهم ونفاقهم هدرا وذلك اشد لحسراتهم (والله لا يهدي) ولا يوصل إلى الهدى بتوفيقه (القوم الكافرين) فإنهم أخرجوا أنفسهم بنفاقهم عن اهليتهم للتوفيق (٢٦٤ ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم) أي ولأن يثبتوا انفسهم على طاعة الله وطلب رضاه . فإن بذل المال عند نوع الناس صعب وان سهلت عليهم العبادات البدنية ويقال ان نوع الأعراب كانوا يستصعبون الزكاة ويعدونها كالاتاوة فالذين يسمحون بأموالهم وينفقونها ابتغاء مرضاة الله يكون لهم من الغايات الحميدة تثبيت انفسهم على الطاعة وعمل الخير . ودخول «من» الجارّة على انفسهم من انها مفعول للتثبيت مثله شايع في اللغة كقولهم روض من عريكته وهز من عطفه ولعل السر في ذلك ان هذا المنفق ينفق من نفس قد روضها وثبتها في الجملة على الطاعة حتى سمحت لله بالمال العزيز عندها فهو يجعل من مقاصده في الانفاق تثبيتها على طاعة الله وابتغاء مرضاته بالنسبة للمستقبل من الازمان والحالات وبهذا الاعتبار يكون هؤلاء المنفقون الكرام كأنهم يثبتون من انفسهم بعضها فمثلهم (كمثل جنة) بستان (بربوة) ارض مرتفعة لانها تكون ازكى شجرا واحسن ثمرا واتقى هواء لسلامتها من وخامة المستنقعات ونز الارض واضرار ذلك بالشجر والثمر (اصابها وابل)تقدم تفسيره ومن المعلوم ان سقي المطر للبستان بل كل زرع احسن لتنميتها وجودة تربتها من كل سقي (فآتت اكلها) اي ثمرها المأكول (ضعفين) لما تؤتيه اذا سقيت بغير المطر (فإن لم يصبها وابل فطل) يكفيها في ذلك لجودة منبتها وان كان مطرا صغير القطر (والله بما تعملون) ومنه انفاقكم بحسب نياتكم (بصير) ثم كرر المثل في الزجر عن ابطال الصدقة بالمن والاذى بقوله تعالى (٢٦٥ ايود احدكم) وكيف يود ومن ذا الذي يود (ان تكون له جنة من نخيل وأعناب) ومن حيث بهجة منظرها ودوام سقيها (تجري من تحتها الأنهار)

لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ * (٢٦٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا

حال كونه (له فيها) زيادة على النخيل والأعناب الذين تكون ثمراتها فاكهة وغلة وقوتا (من كل الثمرات) التي يستغل ويتفكه بها (و) هو في زمان وحال يكون فيها احرص ما يكون على هذه الجنة حيث انه (اصابه الكبر) والشيخوخة وانقطع عن الكسب وشب فيه الحرص (وله) زيادة على ذلك (ذرية ضعفاء) يحرص على الانفاق عليهم وعلى توريثهم (فأصابها)أي تلك الجنة العزيزة (اعصار فيه نار) الاعصار ريح ترتفع بتراب فتلتف وتستدير وتقلع الشجر والنخل بقوتها (فاحترقت) تلك الجنة العزيزة بالنار وتلاشت بالاعصار . وإذا كان احدكم لا يود ذلك بل هو عليه من اعظم المصائب فلماذا يسلط نار المن والأذى في اعصار جهله ويحرق بها انفاقه ويبطله مع ان الحاجة إلى ثمراته اشد من الحاجة إلى تلك الجنة من ذلك المحتاج (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) أي لغاية أن تتفكروا فتعرفوا رشدكم (٢٦٦ يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم) بالتجارة ونحوها (ومما أخرجنا لكم من الأرض) من المعادن وبالزراعة والظاهر ان المراد مطلق الانفاق في سبيل الله سواء كان في الزكاة أم في غيرها والمراد بالطيب هو غير الردي في ذاته او بحرمته كما فسر بالأمرين المذكورين في روايات الكافي عن ابي بصير عن الصادق (ع) وروايات العياشي عن عبد الله بن سنان وابي بصير ورفاعه عن الصادق (ع) وعن زرارة وابي الصباح عن الباقر (ع) ونحوها روايات الدر المنثور ومن ذلك يتأكد ظهور الآية في المعنى الأعم من الطيب بالحل والجودة او بالجودة المقابل للرداءة والخبث (ولا تيمموا) ولا تقصدوا (الخبيث) وتعدلوا اليه عن الطيب مع خبثه بالرداءة أو بالحرمة بالمعنى المقابل للطيب بالمعنى العام المتقدم (منه تنفقون) وتجعلون انفاقكم منه مع وجود الطيب واما من لم يعدل عن الطيب إلى الخبيث بل كان كل ماله ردياً قبل منه في الزكاة وشكر على الانفاق منه (ولستم بآخذيه) الواو للحال والجملة لرفع المغالطة في مصداق الخبيث أي انكم لا تأخذونه في حقوقكم وهداياكم وصلاتكم (إلا) ان تتنازلوا وتتساهلوا في

أَن تُغمِضُوا فِيهِ وَاعلَمُوا أَنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ * (٢٦٧) الشَّيطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقرَ وَيَأمُرُكُم بِالفَحشَاءِ وَاللهُ يَعِدُكُم مَغفِرَةً مِنهُ وَفَضلاً وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * (٢٦٨) يُؤتِي الحِكمَةَ

رداءته وخبثه و (ان تغمضوا فيه) كناية عن التنازل المذكور كمن يغمض عينيه لئلا يرى خبثه (واعلموا ان الله غني) عن انفاقكم على عباده وهو الذي يرزقكم واياهم وما بكم من نعمة فمن الله (حميد) أي محمود على نعمائه وآلائه العامة ولكنه مشرع لكم الإنفاق وطلبه منكم لأجل مصالحكم في الدنيا والآخرة فلا يحرمنكم الشيطان بإغوائه عظيم فضل الإنفاق (٢٦٧ الشيطان يعدكم الفقر) ويخوفكم به لئلا تنفقوا (ويأمركم بالفحشاء) التي لا يخفى عليكم كونها فحشاء فاعرفوا بهذا عداوته لكم وخبثه وخداعه فيما يعدكم ويخوفكم به (والله يعدكم مغفرة منه) لكم فيما فرطتم به (وفضلا) أي زيادة في نعمته ورحمته (والله واسع) في فضله ورحمته أي واسع الفضل والرحمة (عليم) بانفاقكم ونياتكم فيه (٢٦٨ يؤتي الحكمة) في التبيان ومجمع البيان في معنى الحكمة . وقيل وهي القرآن والفقه وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) انتهى والذي وجدته عن تفسير العياشي عن الصادق (ع) ان الحكمة المعرفة والتفقه في الدين . وفي تفسير البرهان عن الصادق (ع) الحكمة ضياء المعرفة وميزان التقوى وثمرة الصدق . وفي الكافي في باب معرفة الإمام في الصحيح عن الصادق طاعة الله ومعرفة الإمام وعن المحاسن نحوه وعن الكافي ايضا عن الصادق (ع) معرفة الإمام واجتناب الكبائر وفي روايات الدر المنثور عن ابن عباس ان الحكمة النبوة او فقه القرآن أو المعرفة به ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وامثاله . اقول ولعل ذلك باعتبار ما هو اعم نفعا واعظم من مصاديق الحكمة فانها ما ينفع من العلم بالحقائق . ومن المؤلم والمؤسف ان اسم الحكمة شاع استعماله «مثلما سمي اللديغ سليما» بالفلسفة اليونانية ومنها مزاعم العقول العشرة تلك المزاعم التي جحدت مقام الله الجليل في الإلهية بنحو لم تجرأ عليه الوثنية بل هي عبارة مموهة عن الطبيعة إذ لم تسمح لله إلا بأنه علل العقل الأول بالتعليل الطبيعي بلا ارادة منه ولا اختيار فلا ارادة ولا خلق ولا مشيئة له ايضا في غير العقل الأول من الموجودات ولا سنخية ولا ربط خلافا للدلالة العقل والقرآن الكريم على ان الله خالق الخلق بمشيئته وان العالم صادر عن خالق وارادة وان التشبثات

مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ * (٢٦٩) وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ * (٢٧٠) إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ

لهذه المزاعم مردودة بالحل والنقض ولزوم التناقض وسخافة ابتنائهافي عددالعقول على موهومات الهيئة القديمة في الأفلاك وحصر عددها بالتسع وقد أشير إلى شيء من ذلك في فصول العقائد لنصير الدين الطوسي قدس سره وآخر الجزء الثاني من المدرسة السيارة ومع هـذا كله يسمى القائلون بمزاعم العقول بالعرفاء واهل الوصول والمكاشفات « مثلما سمي اللديغ سليما » تعالى الله عما يقولون (من يشاء) من عباده بحسب جده وما حصله باختياره من كونه اهلا لهذه الرحمة والنعمة والتوفيق لها (ومن يؤت) بالبناء للمفعول والجزم باداة الشرط (الحكمة) مفعول ثاني (فقد أوتي خيرا كثيراً وما يذكر) بما ذكر به من آيات القرآن الكريم في الانفاق وغيره من الاخلاق والاحكام ويكون له نصيب من الحكمة (إلا أولو الألباب) الظاهر في اللب القلب والقرآن ينسب التعقل والتفهم إلى القلب والمراد هنا من لم يعمَ قلبه بالتمادي على الضلال وغفلة الجهل البسيط وضلال المركب وهو اقبحه فإنه كأنه لا قلب له ولا لب وربما فسر اللب هنا بالعقل وكأنه تفسير بما يؤل اليه المعنى المكنى عنه (٢٦٩ وما انفقتم من نفقة) « ما » موصولة متضمنة معنى الشرط صلتها انفقتم وعائدها ضمير محذوف يفسره ويبينه « من نفقة » سواء كان الانفاق في الطاعة ام في المعصية مقرونا بالاخلاص ام بالرياء (او نذرتم من نذر) عطف على انفقتم . والنذر المشروع ان يقول لله عليَّ ان افعل أو أترك كذا . أو لله عليَّ ان كان كذا ان افعل أو أترك كذا ويشترط ان يكون المنذور طاعة لله . وقد يكون النذر للطاغوت او في معصية (فإن الله يعلمه) على ما هو عليه ويجازي عليه بجزائه . والجملة خبر للموصول والرابط هو الضمير في « يعلمه » والخبر ساد مسد الجزاء للشرط ولذا دخلت عليه الفاء (وما للظالمين) في انفاقهم او نذرهم للطاغوت أو في المعصية او في مخالفتهم للنذر الصحيح لله (مـن انصار) ينصرونهم على الله ويعارضونه ويمنعونهم بالقوة من عقابه (٢٧٠ ان تبدوا الصدقات)التي يراد بها وجه الله من الواجبة والمندوبة (فنعما هي) اي فإن الصدقة نعم شيئا هي في ذاتها ولايذهب الابداء لها بفضلها إذا لم يعرض عليها بسببه شيء من الرياء أواذلال المتصدق عليه . واما ما ذكره

وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَنُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * (٢٧١) لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ * (٢٧٢) لِلْفُقَرَاءِ

في مجمع البيان والكشاف من ان المعنى فنعم شيئاً ابداءها وحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واعطي اعرابه فهو تكلف لا يناسب جلالة القرآن الكريم (وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء) أي وتمكنتم مع اخفائها من ايصالها إلى مستحقيها من الفقراء بحسب الحاجة والأولوية (فهو) أي الاخفاء (خير لكم لأنه ابعد عن الرياء وأقرب إلى الاخلاص وحفظ عزة الفقير وحرمة المتعفف (ويكفر عنكم من سيئاتكم) اي ويكون الاخفاء سببا لأن يكفر الله عنكم بعض سيئاتكم (والله بما تعملون) مما تبدونه او تخفونه تراؤون فيه او تخلصون به له (خبير) لا يخفى عليه شيء (٢٧١ ليس عليك) يا رسول الله (هداهم) اي ايصالهم إلى الحق ولا انت مسؤول عن ذلك فإنما عليك البلاغ (ولكن الله يهدي) أي يوصل بتوفيقه إلى الحق والعمل الصالح (من يشاء) ممن هو أهل للتوفيق (وما تنفقوا) يا أيها الناس (من خير) من المال او طيبه وخيره أو مسمي خيرا لأنه يقصد به وجه الله وسبيل الخير (فلأنفسكم) يعود النفع من انفاقه (وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله) أي الوجه الذي يتوجه به إلى الله وفي التبيان ابتغاء مرضاة الله وفي الكشاف وطلب ما عنده انتهى وما ذكره إنما هو غاية يقصدها الغالب في عملهم لوجه الله وقد تكون الغاية للأولياء هو ان الله اهل للعبادة كما يروى عن زين العابدين (ع) تصريحه بذلك وإذا لم يثبت ما ذكر في الدر المنثور وغيره من ان السبب في نزول هذه الجملة هو الرخصة لمن امتنع عن الانفاق على ارحامه المشركين فالظاهر انها خبرية يراد بها تأكيد النهي عن ان ينفقوا إلا ابتغاء وجه الله خالصا من الرياء (وما تنفقوا من خير يوف اليكم) أي يوصل اليكم جزاءه تاما وافيا (وانتم لا تظلمون) بنقصه ولا تأخير ايصاله عن محل الحاجة فإنه يصل اليكم في حال انتم فيه في اشد الحاجة إلى ذلك الجزاء (٢٧٢ للفقراء) قال في التبيان ومجمع البيان والكشاف تقديره « النفقة للفقراء » ويدل على ذلك تعدد ذكر الانفاق في الآيات وكونها مسوقة له وأما تعليق الجار والمجرور بكلمة « وما تنفقوا » في أول الآية فلا يصح لأن

الَّذِينَ أُحصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرباً فِي الأَرضِ يَحسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعرِفُهُم بِسِيمَاهُم لاَ يَسأَلُونَ النَّاسَ إِلحَافاً

الانفاق إنما يعدى بعلى لا باللام مضافا إلى ما بعده من حيث الفصل الطويل وعدم الانسجام (الذين احصروا في سبيل الله) في مجمع البيان قال ابو جعفر يعني الباقر (ع)نزلت في اصحاب الصفة ورواه الكلبي عن ابن عباس انتهى وفي الدر المنثور ذكر انه اخرجه ابن المنذر من طريق الكلبي واخرجه ابن سعد عن محمد بن كعب القرضي عن ابن عباس . ولفظ الآية عام وإن كان اصحاب الصفة بمقتضى الرواية مورد النزول . والاحصار هو المنع او الحبس الذي يكون من ناحية المحصر . أي منعوا انفسهم وحبسوها في سبيل الله بسبب معاداتهم للمشركين او لأنهم وقفوا انفسهم على التجند في سرايا رسول الله وحروبه فحبسوا انفسهم على انتظار ذلك او على خدمة الدين او طلب العلوم الدينية فهم من اجل ذلك (لا يستطيعون ضربا في الأرض) للتكسب والاحتراف للرزق بالتجارة ونحوها (يحسبهم الجاهل) بحالهم (اغنياء من التعفف) وترويض انفسهم على العفة مع شدة الحاجة فإن ملكة العفة قد يغلبها الفقر ودوام الحاجة ولكنها إذا كانت لا تزال مؤيدة بالتعفف وترويض النفس كانت هي الغالبة (تعرفهم) بما هم فيه من الفقر والحاجة (بسيماهم) ومخائلهم ودلائل احوالهم على الحاجة اي ان سيماهم كافية في تعريف حالهم لا ان معرفتهم بالفقر منحصرة بدلالة السيماء فإن رسول الله (ص) وكثير من الناس كانوا يعرفون حال الكثير من المذكورين بالخبرة والاطلاع والظاهر ان الخطاب في تعرفهم ليس لحصر المعرفة بالرسول بل المعنى يعرف حالهم بسيماهم فهم وان تمادى بهم الفقر (لا يسألون الناس الحافا) في نهاية ابن الأثير من سأل وله اربعون درهما فقد سأل الناس الحافا وقال الزجاج الحف شمل بالمسألة وهو مستغن عنها . ونحوه في اساس الزمخشري . وفسروا الالحاف ايضا بالالحاح في المسئلة ومعنى الآية لا يسألون نوع الناس مهما احتاجوا ولا يشمل سؤالهم كل من يحتملون اسعافه لهم فيكونوا بذلك ملحفين وملحين بنوع السؤال وإن لم يلحوا في افراده ولا يلزم في فضل المذكورين ان لا يسألوا أحداً أبداً فلا يخدش في تعففهم ان تلجأهم الضرورة إلى ان يذكروا حالهم اتفاقا لمن هو أولى بالمؤمنين من انفسهم أو من ينوب عنه . ولا يبعد انه لا ينفك أحد من ان يسأل حاجة ولو من خواصه بل قد يجب ذلك أو يندب ولكن في

وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ * (٢٧٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ *

مجمع البيان قيل معناه انهم لا يسألون الناس اصلا عن ابن عباس وهو قول الفراء والزجاج واكثر ارباب المعاني واستشهد له بقول الاعشى «لا يغمز الساق من اين ومن وصب» اي ليس بها ابن ولا وصب ليغمز ساقها واستشهد في التبيان لذلك بقولهم ما رأيت مثله يريدون بذلك انه ليس له مثل كما استشهدوا لذلك بقول امرئ القيس «على لا حب لا يهتدى بمناره» اي ليس فيه منار يهتدى به اقول وهذه الشواهد لا تشبه الآية ولو كان المراد انهم لا يسألون اصلاً لما صح من مثل كرامة القرآن ان يبين فضلهم بلفظ يظهر منه خلاف المراد ولا يقارب المراد الا بما ذكروه من التأويل البعيد (وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم) يوفيكم جزاءه (٢٧٥ الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم) وبيده مضاعفته (ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون) فيما رواه الصدوق في العيون مسندا عن الرضا عن آبائه عليهم السلام انها نزلت في علي (ع) وروى المفيد في الاختصاص مسنداً عن رسول الله (ص) انها نزلت في علي وذلك لانه كان عنده اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهاراً وبدرهم سرا وبدرهم علانية. وروي في التبيان مثله عن ابن عباس. وقال وهو المروي عنهما وفي مجمع البيان وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع). ورواه في الكشاف واسنده الواحدي في اسباب النزول عن ابن عباس. وحكى العياشي والواحدي روايته عن الكلبي ونحوه ايضا في مناقب الخوارزمي وعن الحافظ ابي نعيم والثعلبي في تفسيره والحمويني في فرائده وابن المغازلي وذكر ابن ابي الحديد في شرح النهج ان شيخه الاسكافي احتج في رد الجاحظ بنزول الآية في علي (ع). وفي الدر المنثور اخرج عبد الرزاق وعبد ابن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم والطبراني وابن عساكر من طريق عبد الله بن مجاهد عن ابيه عن ابن عباس وذكر نحوه وفي مناقب ابن شهر اشوب روى ذلك عن ابن عباس والسدي ومجاهد والكلبي وابي صالح والثعلبي والطوسي والواحدي والطبرسي والماوردي والقشيري والثمالي والنقاش والفتال وعلي بن حرب الطائي وعبد الله بن الحسين في تفاسيرهم قلت وكذا في تنوير المقياس

(٢٧٤) ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَوا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَانُ مِنَ ٱلْمَسِّ

وهو التفسير المنسوب لابن عباس : وايضا عن الثعلبي روى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس انها نزلت في شأن عبد الرحمن بن عوف وعلي بن ابي طالب (ع) وكانت صدقة علي احب الصدقتين الى الله · وروى الواحدي وصاحب الدر المنثور ان الآية نزلت في اصحاب الخيل الذين يعلفونها في سبيل الله ولكنك لا تكاد تجد بين هذا وبين الآية مناسبة تليق بكرامة القرآن : هذا ولا يخفى ما في الصدقة والانفاق من الفوائد العظيمة في المصالح الدينية والاجتماعية وللمنفق في تهذيب نفسه من رذيلة الشح وفي قربه من الله واستحقاقه الجزاء المضاعف · كما لا يخفى ان الربا في مضاره على عكس ذلك ويقابله بالضدية في كل ما ذكرناه تمام المقابلة وهل يخفى ضرره بايقافه سوق التجارة وتبادل المنافع والمساعدات بالمعروف بين الناس · الا ترى ان الرجل بينما هو مثر اذا به قد استهلك الربا ثروته وتركه يعجز عن موءنة عياله · فناسب ذلك في لطف الله وارشاده لعباده ان يتبع امره وترغيبه في الانفاق والصدقة بزجره وتوبيخه على الربا فقال جلت آلاوءه (٢٧٤ الذين يأكلون الربو) اصل الربا الزيادة واشتهر استعماله في خصوص الزيادة التي توءخذ في معاوضة بعض النوع بمثله من المكيل والموزون سواء كان ذلك في معاملة او قرض · وحرمته في الجملة معلومة من الكتاب والسنة واجماع المسلمين بل لا يبعد كونها من ضروريات الشريعة وان خفي بعض مصاديقه عن بعض الناس كما في بعض المعاملات الربوية · والمراد من الربا اخذه وانتزاعه من مالكه كما في قوله تعالى في السورة «ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقاً من اموال الناس» وفي سورة النساء «لا تأكلوا اموالهم الى اموالكم» «لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض»؛ (لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) الخبط هو الضرب على غير استواء وضرب الشجر ليتناثر منه الورق · وخبطت الشجر اسقطت منه الورق · واسم الورق المتساقط من الشجر خبط بفتح الخاء والباء · والظاهر ان تخبطه مثل تزوجها وتبناه اتخذه خبطا اي جعله كالخبط في تتابع سقوطه بسبب مسه له في مجمع البيان من رواية الجمهور وفي تفسير القمي من رواياتنا ان رسول الله اري حال هوءلاء ليلة اسري به الى السماء وفي روايات

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَوا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَوا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ

الدر المنثور عن رسول الله (ص) وابن عباس وابن مسعود وانس وابن سلام لا يقوم يوم القيامة الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان وبذلك فسره مجمع البيان وهو ظاهر المقام وفي التبيان كأنه نسبه الى القيل (ذلك) اي حالهم في القيام المذكور (بانهم) اي عقوبة بسبب انهم (قالوا) في باطل قياسهم وغلط اعتراضهم على الشريعة وحكمتها (انما البيع مثل الربو) في انه يكون في تعاطيه ربح وتكون المالية في احد العوضين اكثر منها في الآخر مع ان البيع متداول بين الناس وقد غلطوا في قياسهم فإن الله جل شأنه قد اجرى احكام شريعته على الحكم و كثيراً ما يظهر وجهها (واحلّ الله البيع) لقيامه بنظام الاجتماع ومصلحة المدنية في تبادل المنفعة باعيان الاموال ووجوه الحاجة الى خصوصياتها مع ابتنائه على العدل في تساوي العوضين في المالية بحسب الاعتبار عند المبايعة وانما تحصل الزيادة اتفاقاً بحسب اختلاف الرغبة اوالزمان اوالمكان (وحرم الربا) لابتنائه من اول الامر على الزيادة في العين وماليتها وعلى الاجحاف والاخلال بحسن الاجتماع بالمعروف لما اشرنا اليه من المفاسد وسد باب الإحسان والمعاونة (فمن جائه موعظة من ربه) الموعظة التذكير والتخويف من عقاب الله على معصيته ومخالفة نهيه عن الربا سواء كان ذلك بالتخويف الذي ذكره الله وخوفهم به من آي القرآن كما في التبيان او بالتخويف الذي ينتهي الى وحي الله مما يخوف به الرسول (ص) ثم الائمة (ع) ثم الوعاظ نحو ما روي في الكافي والفقيه والتهذيب في الصحيح عن ابي عبد الله الصادق (ع) درهم ربا عند الله يعدل سبعين زنية كلها بذات محرم وفي حديث آخر في بيت الله الحرام وفيه ايضا مثل ان ينكح الرجل امه في بيت الله الحرام ومثل ما ورد من لعن النبي (ص) لآكل الربا وفي روايات الدر المنثور وغيره نحو من ذلك (فانتهى) عن الربا بسبب الموعظة وتاب (فله ما سلف) الظاهر منه الفعل السالف وهو اخذ الربا وتعاطي معاملته اي ان الله يتوب عليه ويغفره له واما ارادة انه يحل له ما اخذه فيما سلف اذا تاب فتحتاج الى تصرف في اللفظ وقرينة دالة على ذلك وفي التبيان قال ابو جعفر «يعني الباقر (ع)» من ادرك الاسلام وتاب مما عمله في الجاهلية وضع الله عنه ما سلف ونحوه في مجمع البيان . والرواية مع ارسالها لا يعلم كونها تفسيراً لهذه الآية ولو كان موردها الربا وعرف

وَأَمرُهُ إِلى اللهِ

منها ان الذي وضعه الله هو المال الذي اخذ ربا فيما سلف لكانت من قبيل ان الاسلام يجبُّ ما قبله (وامره) في توبة الله عليه وتوفيقه للثبات عليها (الى الله) بحسب علمه بصدق توبته واهليته للتوفيق للدوام عليها فان المغفرة ليست بلازم طبيعي لمحض اظهار التوبة . هذا من حيث الإثم واما من حيث المال الزائد الذي هو ربا في الدين اوأحد العوضين في المعاملة الربوية الفاسدة فالامر موكول الى ما تقتضيه الاحكام الشرعية في اموال الناس وان اخذت في حال الجهل بحرمة الربا الا كما يظهر من كلامي الصدوق في الهداية والشيخ في النهاية من ان المأخوذ في حال الجهل بحرمة الربا لا يجب رده هو حلال لآخذه واعتمده في الدروس ومال اليه بعض متأخري المتأخرين استناداً الى روايات لا دلالة فيها على ذلك فإن ماروي في الكافي عن ابي المغرا وفي التهذيب عن الحلبي وفي الفقيه ما عدا صدره مرسلا جميعاً عن الصادق (ع) فانما يدل صدره المروي في الكافي والتهذيب على قبول التوبة من الربا وان كانت حرمته شديدة مغلظة ولفظ الجهالة في الرواية مثل ما في القرآن في الوعد بالتوبة لمن يعمل السوء بجهالة كما في سورة النساء ٢١ والانعام ٥٤ والنحل ١٢٠ لا الجهل بالحرمة ثم على حل المال الموروث المختلط بالربا ويحمل على الذي يطهره الخمس جمعا . واما عجزه الذي انفرد به الكافي والفقيه وعن التهذيب فبالنظر الى قوله (ع) فاراد ان ينزعه وقوله (ع) فما مضى فله ويدعه فيما يستانف لا يدل الا على انه يغفر له ما مضى من عمله بسبب توبته ونزع المال الربوي من ماله . واما ما اسنده الكافي والتهذيب عن الحلبي وارسله الفقيه عن الصادق (ع) فيمن اتى الباقر (ع) فانما يدل صدره على حل المختلط ويحمل على الذي يطهره الخمس جمعا او على ما يحتمل وجود الحرام فيه وذلك لقوله (ع) فإن المال مالك واما عجزه من قوله (ع) فان رسول الله قد وضع الى آخره فلا دلالة فيه على انه تعليل لقوله (ع) فكله هنيئا فإن المال مالك . ولم يجر في السؤآل ان مورثه كان جاهلا حرمة الربا فغاية ما يظهر منه هو ان للجاهل بحرمة الربا اذا عمل به فهو معذور من حيث الإثم . فالظاهر ان المراد منه تطييب قلب السائل بان العامل بالربا معذور اذا كان جاهلا بحرمته فانت اولى بالاطمئنان من الإثم . واما مارواه في التهذيب عن محمد بن مسلم عن الباقر (ع) فيمن عمل الربا حتى كثر ماله فهو شامل لصورة معرفته للربا وعلمه بتحريمه ان لم يكن ظاهر الحال

وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * (٢٧٥) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَوا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ * (٢٧٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * (٢٧٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ

والسؤآل ذلك كما ان الظاهر من قول القائلين له ليس يقبل منك شيء الا ان ترده على اصحابه هو انهم سدوا عليه باب المغفرة وقبول التوبة الا ان يرد الربا على اصحابه وان جهلهم اوتعذر عليه فيكون قول الباقر (ع) مخرجك من كتاب الله فمن جاءه موعظة الآية رداً على تشديد هؤلاء وان التوبة الصادقة والانتهاء مخرج من اثم الربا الى المغفرة واما مال الربا فقد يكفي فيه في بعض الموارد رده الى الإمام اونائبه او الى الفقراء فلا ينحصر قبول التوبة بخصوص رده على اصحابه على كل تقدير وقوله (ع) والموعظة التوبة يريد به ان الذي يتعلق به الغرض في قوله تعالى فمن جاءه موعظة الى قوله فانتهى ويغفر به الذنب انما هو التوبة واما المال فله احكامه (ومن عاد) الى تعاطي الربا مستحلا له بعد ما نزل القرآن بتحريمه وبلغه ذلك او الى الاعتراض على الشريعة بقوله انما البيع مثل الربا اوالى كل من ذينك كفرا وارتدادا واصروا على عودهم هذا حتى ماتوا كما هو ظاهر الآية (فأولئك) اشير بالجمع باعتبار المعنى في الموصول (اصحاب النار هم فيها خالدون ٢٧٥ يمحق الله الربا) المحق الانقاص للشيء حالا بعد حال حتى يتلف فالله يتلف الربا وان املى لآخذه زمانا حتى يذهبه منه او ممن جمعه لاجلهم كوراثه (ويربي الصدقات) اي يزيدها باعتبار الجزاء والثواب المضاعف (والله لا يحب كل كفار) صيغة مبالغة في الكفر والاظهر ان المراد هنا هو كفر النعمة وعدم الاكتفاء بما انعم الله به عليه من الحلال حتى يتقحم ما حرم الله عليه من الربا لا الكفر الشرعي وتحقق المبالغة بتكرار اخذه الربا وكفران النعم وفي التبيان ومجمع البيان حملا الكفر على الشرعي فيمن يستحل اكل الربا والاول اعم في الزجر واظهر في المقام (اثيم) متماد على عمل الاثم (٢٧٦ ان الذين آمنوا) بالله ورسوله وكتابه وشريعته (وعملوا الصالحات) ومنها كف النفس عما حرّم الله (واقاموا الصلاة وآتوا الزكوة) نص عليهما بالذكر تعظيما لشأنهما وان كانا من نوع الاعمال الصالحة (لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ٢٧٧

مِنَ الرِّبوا إن كُنتُم مُؤمِنِينَ * (٢٧٨) فَإن لَم تَفعَلوا فَأذَنوا بِحَربٍ مِنَ اللهِ وَرَسولِهِ وَإن تُبتُم فَلَكُم رُؤوسُ أموالِكُم لا تَظلِمونَ وَلا تُظلَمونَ * (٢٧٩) وَإن كانَ ذو عُسرَةٍ فَنَظِرَةٌ إلى مَيسَرَةٍ وَأن تَصَدَّقوا خَيرٌ لَكُم إن كُنتُم تَعلَمونَ * (٢٨٠) وَاتَّقوا يَوماً تُرجَعونَ فيهِ إلى اللهِ

يا ايها الذين آمنوا) واسلموا (اتقوا الله) وخافوه ولا تخالفوا امره ونهيه (وذروا ما بقي) لكم عند الناس (من الربا ان كنتم مؤمنين) على حقيقة الايمان فذروه (٢٧٨ فإن لم تفعلوا)ولم تذروه بل اصررتم على اخذه (فأذنوا) اي فاعلموا وكأنه مأخوذ من العلم بواسطة السمع بالاذن (بحرب من الله ورسوله وان تبتم) عن الاصرار على اخــذه اواخذتموه وتبتم بعد ذلك (فلكم رؤوس اموالكم) دون الزيادة الربوية (لا تظلمون) باخذ الربا (ولا تظلمون)بالنقص من رؤوس اموالكم (٢٧٩ وان كان) حصل (ذو عسرة) او وان كان ذو عسرة غريما لكم وهو من لا يجد مــا يفي به من غير ما استثني له في الشريعة (فنظرة الى ميسرة) اي فعليكم في امره او فالذي يحكم الله به في امره هو نظرة منكم له الى حصول ميسرة له ومن الميسرة ان يصل خبره الى الإمام فيفي عنه من سهم الغارمين اذا كان انفق الدين بالمعروف كما اسنده في الكافي عن الرضا (ع) وارسله في مجمع البيان عن الباقر (ع) (وان تصدقوا) عليه بالدين كلاً او بعضاً (خير لكم) اي وصدقتكم عليه بذلك خير لما فيها من ثواب الصدقة وتفريج هم المديون وتسكين قلبه في عسرته (ان كنتم تعلمون) ما في هذا التصدق من الفوائد التي لا غنى لكم عنها . وجاءت الجملة شرطية لمزيد الترغيب اي ان كنتم تعلمون ما في التصدق المذكور من الخير فانكم ترغبون فيه بما انكم عقلاء فتصدقوا . وعبر عن المصدر بالفعل ليكون اظهر في اقدامهم على فعل الصدقة واختيارها وفي تعلق التصدق بالدين على المعسر . ولا دلالة في الآية على اختصاص حكمها بمن ذكر في الآية السابقة من المديونين بالمعاملة الربوية فإن لفظها مطلق وحكمتها عامة بل لو كانت مرتبطة لذكرت بالتفريع بالفاء فالظاهر هو عمومها لكل دين وفي التبيان وهو قولهما وفي مجمع البيان وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) . وما روي في الدر المنثور عن ابن عباس ما يوهم اختصاصها بدين الربا لا اعتبار لسنده فضلا عن خلل متنه واضطرابه وجعل المقابل لدين الربا هو الأمانــة (٢٨٠ واتقوا يوما ترجعون فيــه إلى الله) رجوع معاد واستسلام اتقوا ذلك اليوم واهواله

ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ * (٢٨١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللهُ فَلْيَكْتُبْ

المظمى بطاعة الله والانزجار عن معاصيه (ثم توفى كل نفس ما كسبت) من خير وشر وتوفيته باعتبار توفية جزائه من ثواب او عقاب (وهم) اي الناس المدلول عليهم بكل نفس (لا يظلمون) بنقص الثواب عن قياس العمل او عدمه وزيادة العقاب عن قياس الجرم أو ابتدائه بلا جرم (٢٨١ يا ايها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين) اي تعاملتم بمعاملة فيها دين (إلى أجل مسمى) وهذا بيان لأن الأجل لا بدمن ان يكون معينا لاجهالة فيه (فاكتبوه)اي فاجعلوه مكتوباً اعم من مباشرة الكتابة او تسبيبها وهذا الدين غير القرض المحض فإنه لا اجل فيه ولا عبرة بتأجيله . ولعل السر في تخصيص ذي الأجل بالذكر هو كون المؤجل في الغالب معرضاً للوهم والنزاع في الأجل والشروط . وان كانت حكمة عدم الارتياب جارية في القرض ايضا باعتبار نفس المال ومقداره كما يشير الى ذلك قوله تعالى « الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها الخ » كما ان قوله تعالى « ذلك اقسط عند الله واقوم للشهادة وادنى ان لا ترتابوا » يشير إلى ان حكم الكتابة والاشهاد للإرشاد لا للوجوب مضافا إلى المعروف من عمل المتشرعة من عدم الكتابة في موارد الاطمئنان كما في قوله تعالى « فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته » وفي التبيان لإجماع عصرنا على ذلك اي على عدم الوجوب (وليكتب بينكم كاتب بالعدل) أي على حقيقة المعاملة والأجل والشروط . والأمر هنا للمتعاملين كقولك يا صاحب الضيعة ليبت في ضيعتك حارس أي ابت حارسا وقد ذكرنا انه للارشاد . وهذا أعم من ان يكون الكاتب بينهما هو احدهما لحصول الغرض به او هو ناظر إلى الحال في عصر النزول من كون الغالب من العرب لا يكتبون (ولا يأب كاتب) أي من يحسن الكتابة في مثل المقام (ان يكتب) والنهي هنا للكراهة إذ لا يجب تسبيب الكتابة على المتعاملين فكيف تجب على غيرهما . ولئن وجبت صنعة الكتابة كفائيا اداء للوجوب في نظام العالم لم يقتض ذلك ان يجب على كل كاتب ان يكتب في كل مورد (كما علمه الله) وانعم عليه بالكتابة(فليكتب) للناس في محل حاجتهم شكراً لنعمة الله . وهذا هو المعنى التأسيسي والظاهر لهذه الجملة واسلوبه

وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى

ايضا يدل على ان الكتابة مستحبة (وليملل الذي عليه الحق) والدين . يملل ويملي على الكاتب بمعنى واحد اي يذكر له الحال عند الكتابة ليكتب ما يذكره له المديون (وليتق الله ربه) في املائه فإن الله ربه والعليم بالأمور والقادر عليه ومن اليه مرجعه وبيده عقابه (ولا يبخس) في املائه (منه) أي من الحق الذي عليه (شيئا) ولو من شؤونه . وقد طلب الاملاء منه بهذا النحو استحبابا لأنه عارف بالحق ووجوهه فيكون املاؤه على الحقيقة اقرب إلى توطين نفسه على الوفاء وإلى اطمئنان الدائن بذلك وإلى المجاراة بينهما على المعروف، ويجوز بلاخلاف ان يملل غيره او يكتب الكاتب بحسب اطلاعه ثم يعترف المديون به ويشهد على اعترافه (فان كان الذي عليه الحق سفيها) في تصرفاته بماله بحيث الغى الشارع معاملاته واعترافاته فيها وارجع الامر في ذلك الى وليه (او ضعيفا) في عقله كالصغير والمجنون والابله والخرف (او لا يستطيع ان يمل هو) كالأخرس ونحوه او من لا يحسن ان يبين الخصوصيات التي جرت عليها المعاملة (فليملل وليهُ) الذي جعلت ولايته في الشريعة (بالعدل) على حقيقة المعاملة وخصوصياتها المطلوبة . والولي على الصغير ابوه وجده لأبيه وان لم يوجدا فولي سائر المذكورين وهو النبي (ص) اوالإمام او النائب عن احدهما ولو بعموم الجعل كالحاكم الشرعي او نائبه ولو في خصوص تلك المعاملة (واستشهدوا شهيدين من رجالكم) المسلمين (فإن لم يكونا) اي الشهيدان الحاضران اللذان هما من المسلمين (رجلين فرجل وامرأتان) أي كالذي يكتفي بشهادته رجل وامرأتان لكن لا مطلق الشاهد بل (ممن ترضون من الشهداء) أي ممن يرضاهم النوع في الشهادة ويركن إلى شهادتهم لأجل اتصافهم بالصلاح والعدالة الرادعة لهم عن الكذب والتساهل في الشهادة . وجعل بدل الرجل امرأتان حذرا من (ان تضل احداهما) وتتيه في اداء الشهادة لأن نوع النساء ابعد عن ضبط هذه الأمور من نوع الرجال (فتذكر) اي فحين الضلال تذكر (احداهما الأخرى) فيتحاوران في الامر و كل منهما تذكر الأخرى بخصوصية

وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ

أمر فتذكر الضالة حقيقة الأمر بخصوصياته هذا في مقام الاشهاد الكافي في ثبوت الحق به فلا ينافي ما دل على ثبوته بالشاهد واليمين (ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا) لتحمل الشهادة ولا ينبغي ان يأب إذا دعي لذلك كما في صحيحة التهذيب وروايته عن ابي الصباح وسماعة عن الصادق (ع) وروايته ايضا عن الكاظم ورواية الكافي عن ابي الصباح وصحيحته عن الحلبي عن الصادق (ع) ونحوها روايات العياشي والنهي للكراهة ويشهد لذلك سياق الآية في اوامرها ونواهيها وقول الإمامين (ع) لا ينبغي (ولا تسأموا) اي لا تملوا ولا تضجروا من (ان تكتبوه) اي الدين في شؤونه (صغيرا او كبيرا) فإن التساهل في كل من ذلك قد يوجب النزاع وضياع شيء من الحقوق (الى اجله) اي الدين (ذلكم) اي ما تقدم من احكام الكتابة واشهاد المرضيين وعدم السأم من الاستقصاء في الكتابة (اقسط عند الله) اي اعدل واولى بأن تكونوا مقسطين عادلين (واقوم للشهادة وأدنى) واقرب الى (ان لا ترتابوا) بعدذلك في مبلغ الدين وخصوصياته واجله . وهذه الأمور مطلوبة لحصول غاياتها الحميدة التي ربما تحتاجون اليها (الا ان تكون) المعاملة بينكم (تجارة حاضرة) ليس فيها دين بل (تديرونها) اي تتناقلون العوض والمعوض (بينكم) بأن يأخذ كل منكم عوض ما دفعه في التجارة (فليس عليكم جناح) اي ضيق وحزازة مما ارشدتم الى التخلص منه في امر الدين فلاضير في (أن لا تكتبوها) في تلك التجارة (وأشهدوا اذا تبايعتم) وعلى استحباب ذلك اجماعنا في الحاضرة بل الاتفاق مما عدا اهل الظاهر وهو الصحيح في غيرها (ولا يضار كاتب ولا شهيد) الظاهر بسبب رجحان التأسيس وما يناسب المقام من الاستقصاء في الأحكام الاجتماعية العادلة وحكمة النظر من علام الغيوب الى حوادث المستقبل هو أن يكون «يضارّ» مبنيا للمفعول اصله يضارَر بفتح الراء الأولى فسكنت وحركت الثانية بالفتحة حذرا من التقاء الساكنين بسبب الجزم بالنهي اي ولا يدخل على الكاتب بسبب كتابته ولا على الشاهد بسبب شهادته ضررٌ ما في ذات الكتابة

وإن تَفعَلوا فإنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتقُوا اللهَ وَيُعلِّمُكُمُ اللهُ وَاللهُ بِكُلِّ شيءٍ عليم (٢٨٢) وَإن كُنتُمْ على سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كاتِباً فَرِهانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإن أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤتُمِنَ أَمانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ

وعواقبها وفي ذات الشهادة وأدائها وليس عليه الا اداؤها بلا ضرر ٠ وعلى البناء للمفعول تفسير ابن عباس على ما في تنوير المقياس ورواية الدر المنثور وروايته ايضا لقراءة عمر عند فكه لادغام الراءين (وإن تفعلوا) وتضروهم (فإنه فسوق) اي خروج عن الطاعة والاستقامة كائن (بكم) كما يقال به داء كذا ٠ وانه لما به ٠ وبه جنون ٠ وبه جنة كما جاء في سور الاعراف والمؤمنون وسبأ (واتقوا الله ويعلمكم الله) فاشكروا فضله واعلموا بما علمكم مما فيه صلاحكم وطريقكم الى تقوى الله فإنكم جاهلون (والله بكل شيء عليم ٢٨٢ وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا) واردتم الاستيثاق من دينكم (فرهان مقبوضة) اي فوثائقكم رهان مقبوضة ٠ والرهن مصدر رهنت الشيء ارهنه ٠ ويستعمل في المرهون كاستعمال الوقف في الموقوف ٠ وهو في النظم والنثر كثير ومنه

ان يقتلوني فرهن ذمتي لهم بذات ودقين لا يعفو لها اثر

وجمعه رهان كثمر وثمار ٠ وربما يقال ان قيد القبض هنا انما هو لأجل توقف الاستيثاق في السفر الذي ليس فيه كاتب وحصول هذه الفائدة فيه على القبض ٠ واما الرهن في الحضر الذي هو مشروع بالسنة والاجماع فلا يشترط فيه القبض كما هو مذهب مالك من الجمهور بل يكفي في فوائده ان لا يتعلق الحجر لباقي الغرماء بالمرهون لكن في التبيان ومن شروط صحة الرهن ان يكون مقبوضا لقوله تعالى فرهان مقبوضة وعن خلافه خلاف ذلك وفي مجمع البيان فان لم يقبض لم ينعقد الرهن اجماعا وفي رواية التهذيب عن الباقر (ع) لا رهن إلا ما كان مقبوضا ونحوه عن تفسير العياشي لكن يكفي في منع الإجماع مافي السرائر والغنية من نقل عدم الخلاف في صحته اذا استجمع شروطا ذكراها وليس منها القبض وفي كنز العرفان ان المحققين على عدم الاشتراط بل في السرائر ان الاكثر من المحصلين على ان القبض ليس شرطا في اللزوم والرواية ضعفت بالاشتراك وتمام الكلام في الفقه (فإن أمن بعضكم بعضا) ولم يطلب منه وثيقة بل ائتمنه على دينه (فليؤد الذي اؤتمن امانته) وهو الدين ويمكن ان تعم جميع الامانات حتى الوديعة نظرا الى اشعارها بالتعليل وبكون هذا المورد من احد المصاديق للعام (وليتق) بذلك (الله ربه)

وَلا تَكْتُمُوا الشَّهادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْها فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ *(٢٨٣) لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا ما فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * (٢٨٤) آمَنَ الرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِلَيْهِ

ومالك امره في الدنيا والآخرة (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه) آثم خبر إن وقلبه فاعل او خبر مقدم وقلبه مبتدأ والجملة خبر ان ونسب الاثم الى القلب باعتبار انه آلة الكتمان ولتغليظ الاثم ببيان فساد المبدء للاعمال فإن فساد القلب اصل الشر والبعث على الفساد . وقيل آثم ولم يعبر بالفعل ليدل على دوام الاثم بدوام الكتمان (والله بما تعملون عليم ٢٨٣ لله ما في السماوات ومافي الأرض) وهوالخالق للكل والمدبر له وبيده امره وانتم من جملة ذلك فهل يخفى عليه شيء من اموركم (وإن تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله) في التبيان ومجمع البيان ان المراد بالآية ما يتناوله الأمر والنهي من الاعتقادات والارادات ما هو مستور عنا وعلى ذلك رواية العياشي عن رجل وعن ابي عمر الزبيري عن الصادق (ع) . وقد اورد في الدر المنثور في هذه روايات كثيرة مختلفة متعارضة ومضطربة . منها عن ابن عباس انها نزلت في الشهادة واقامتها و كتمانها ويرد على الرواية انه ما معنى الحساب على ابدائها واقامتها . ومنها عن ابن عباس وعائشة انها غير منسوخة وفسر ابن عباس ما يخفونه بالاعمال التي لم يطلع عليها الحفظة . ومنها عن ابي هريرة وابن عباس انها نسخت بقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها . وفي الرواية عن ابن عباس تفسيرها بوسوسة النفس وعنه تفسيرها تارة بحديث النفس وتارة بالتكذيب . ومنها عن ابن مسعود وعائشة ان الناسخ لها هو قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت : ولكن هذا غير مستقيم فإن ما لا يدخل في وسع الإنسان لا يكلف الله به لأن التكليف به قبيح فلا يمكن ان يثبت لكي ينسخ بقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها ولا تكون هذه الآية نسخا لما هو داخل في الوسع واما قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فإنه لو اختص اثباته بالافعال الخارجية لما كان فيه دلالة على النفي عن غيرها ليكون ناسخا (فيغفر لمن يشاء) ممن يستغفر ويتوب ان كان اهلا لأن يتاب عليه(ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير ٢٨٤ آمن الرسول) محمد صلى الله عليه وآله وسلم (بما انزل اليه

مِن رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِن رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * (٢٨٥) لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا

من ربه) في تفسير القمي في الصحيح عن الصادق وفي تفسير البرهان عن علي امير المؤمنين (ع) وعن مقتضب الأثر مسندا عن رسول الله (ص) انه لما اسري به الى السماء ناداه الله عز وجل آمن الرسول بما انزل اليه من ربه فأجاب رسول الله (ص) عنه وعن امته (والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته و كتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله) ولعله اشارة الى من حملته العصبية القومية او الاغراض الفاسدة على جحد الرسول بعد قيام الحجة على رسالته جحده لانه ليس من قومه او لأنه يعارض اغراضه الفاسدة . والى الذين قال لهم آمنوا بما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل الينا ويكفرون بما وراءه الآية كما في الآية الخامسة والثمانين (وقالوا سمعنا واطعنا) اخبار من الله بفضلهم في الطاعة والايمان (غفرانك) منصوب بفعل من لفظه وهو اغفر ومعناه نسألك غفرانك يا (ربنا) وفيه تلطف في المسألة بنحو من الاحتجاج على رحمته ومعنى انت ربنا وولي امرنا والى اين يذهب العبد إلا الى مولاه . ولم يذكر متعلق الغفران لأن طلبه عام لكل من يحتاج الى الغفران ولم يخرج بسوء اختياره عن اهليته له (واليك المصير) اي مصيرنا في امورنا في الدنيا والآخرة (٢٨٥ لا يكلف الله) بأمره اونهيه (نفسا الا وسعها) الوسع ما تسعه قدرة الإنسان ويدخل في وسعها ونسب الوسع الى النفس بهذا الاعتبار والمعنى الا ماتسعه قدرتها . وقد تمجد الله بذلك دلالة على تقدسه في كماله عن العبث والقبيح في التكليف بغير المقدور ويجوز أن يكون من كلام الرسول والمؤمنين تمجيدا لله بعدله (لها) اي للنفس (ما كسبت) من الخير يوفيها الله اياه ولا يفوتها من فضيلته وجزائه شيء (وعليها ما اكتسبت) من الشر اي عليها وزره ونقصه لا على غيرها. وعبر في الشر بالاكتساب لأجل التوبيخ لفاعله والاحتجاج عليه فإن الاكتساب يدل على الاعتمال والمعالجة في طلب الكسب يشير بذلك الى ان عمل الشر كان باختبار ومعالجة من النفس في طلبه مع انه شر قد زجرها العقل والشرع عنه يا (ربنا) ومالك امرنا ومفزعنا في امورنا (لا تؤاخذنا إن نسينا او أخطأنا) من الخطأ ضد العمد وان كثيرا

رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَيْنَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ

﴿ سورة آل عمران * مائتا آية ﴾

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) الٓمٓ اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ

من النسيان والخطأ ما يقع بسبب التساهل والتقصير في التحفظ لتحصيل ما كاف به وهذا مما لا تقبح فيه المؤاخذة على مخالفة الواقع فطلبوا من الله ان لا يؤاخذهم في ذلك (ربنا ولا تحمل علينا اصرا) اي عبئاً ثقيلا من التكاليف الشاقة ولو لحكمة التأديب (كما حملته على الذين من قبلنا) لتمردهم (ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به) من الابتلاء والامتحان او العذاب في دار الدنيا بل والآخرة (واعف عنا) العفو هو اسقاط الحق والمراد اسقاط حق العقوبة (واغفر لنا) الغفران هو الصفح عن الذنب (وارحمنا) وهو دعاء جامع (انت مولينا) وولي امرنا وملجأنا لا غيرك (فانصرنا على القوم الكافرين) لنوفق لاظهار دينك وطاعتك في دين الحق

سورة آل عمران

﴿ مائتا آية وهي مدنية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (١ الٓم) علمها عند الله وأمناء وحيه (الله لا إلٰه إلا هو الحي القيوم) تقدم شيء من تفسيرها في آية الكرسي (٢ نزل عليك الكتاب) وهو القرآن الكريم (بالحق) حال كونه (مصدقاً لما بين يديه) اي ما تقدم عليه من الكتب الإلهية . يشهد بصدق نسبتها الى الوحي الإلهي وصدق ما فيها من الحقائق . او انه بانطباقه في مجده بعينه على اخبار الكتب الإلهية السابقة به ووصفها وتمجيدها له يكون المصداق المصدق لها في ذلك الاخبار والتمجيد (وانزل التوراة) وهي الحقيقة المنزلة على رسوله موسى (والانجيل) وهو الكتاب الواحد الحقيقي المنزل على رسوله عيسى (من قبل) حال كون التوراة والانجيل (هدى للناس وانزل الفرقان) في تفسير القمي في الصحيح عن عبد الله بن سنان عن الصادق (ع) في الآية الفرقان كل امر محكم . والكتاب هو جملة القرآن الذي يصدقه من كان قبله من الانبياء . ونحوه عن تفسير

(٣) إنَّ الذينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللهِ لَهُمْ عَذابٌ شَديدٌ وَاللهُ عَزيزٌ ذُو انتِقامٍ * (٤) إنَّ اللهَ لا يَخفَى عَلَيهِ شَيءٌ فِي الأرْضِ وَلا فِي السَّماءِ هُوَ الَّذي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأرْحامِ كَيفَ يَشاءُ لا إلَهَ إلا هُوَ العَزيزُ الحَكيمُ * (٥) هُوَ الَّذي أنزَلَ عَلَيكَ الكِتابَ

العياشي . وفي الكافي عنه (ع) القرآن جملة الكتاب والفرقان المحكم الواجب العمل به . ونحوه عن تفسير العياشي (٣ ان الذين كفروا بآيات الله) وجحدوا كونها منزلة من الله وماتوا على كفرهم (لهم عذاب شديد) بما كفروا (والله عزيز) في جلال شأنه (ذو انتقام) بعزته وقدرته من الكافرين (٤ ان الله) عليم بكل شيء (لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء هو الذي يصوركم في الارحام) الرحم هو العضو الذي يتكون فيه الجنين من الأم الى حين الولادة (كيف يشاء) بحكمته الباهرة ومن آيات ذلك ان اعضاء الإنسان الظاهرة مع انها معدودة يصورها بقدرته وحكمته بحيث يمتاز كل من البشر عن الآخر . واما حكمة هذا التصوير وما في كل واحد من الأعضاء الظاهرة والباطنة من الحكم الباهرة والفوائد الكبيرة والاسرار العجيبة فهو اعظم من ان يوصف . واما الذي وصلت اليه معرفة البشر فهو مما لا يسع هذا المقام بعضه . وفي التشريح الجديد ما يبهر العقول ببواهر حكمه وعجائبه . وان الذي يظهر من اعضاء الانسان وآلات حسه ليكفي في بيان الحكم العجيبة لكل ذي رشد وادراك . وكل ذلك جار في حكمه وخلقه وتصويره على قوانين منتظمة . وفي هذا كفاية في الحجة على ان ذلك من صنع إله عليم يخلق بارادته وحكمته (لا إله الا هو العزيز) بقدرته وسلطانه (الحكيم) في خلقه واعماله « ولو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » ولذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض » (٥ هو الذي انزل عليك الكتاب) على ما اقتضته الحكمة الإلهية من كونه على احسن نهج في المحاورات . وابرع اسلوب في كلام العرب فيما يتسابقون به فخرا في ميدان البلاغة ويتساجلون به في مقام التفنن بمحاسن الكلام ومزاياه الفائقة . ليكون بإعجازه ذلك حجة بينة عليهم في انهُ تنزيل من رب العالمين . كما اشرنا الى شيء من وجه ذلك الفصل الاول من المقدمة . وعلى ذلك فلا بد من ان يشتمل اسلوبه الكريم على انواع الدلالات . وملح الكنايات ولطائف الاشارات والنكت في انواع المجاز كما هو الشأن في الكلام البليغ . وقد تقتضي الحكمة

مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ

ان تجيئ الآية بلفظ عام او مطلق والمراد منها منحصر في نوع او فرد هو مورد النزول وتدل عليه قرائن الاحوال ودلائلها كقولك هذا وهؤلاء حينما توجه الاشارة بالقرينة الى معين مخصوص . ولا ريب في ان ما ذكرناه مما يقتحم التشابه بادئ بدء في امره وما يؤول اليه تفسيره . وذلك اما من جهة خفاء القرينة ولو بواسطة القصور في بعض الافهام . واما من جهة المكابرة في امرها بحسب الأغراض وإن كانت عقلية بديهية . او يدل عليها نفس القرآن الكريم اوالحديث الصحيح او المستفيض او المتواتر . ولأجل ماذكرناه من الحكمة صار الكتاب المجيد من حيث وجوه الدلالة في الفاظه على المراد (منه آيات محكمات) قد احكمت باقتضاء الحكمة عباراتها في دلالتها على المراد بجريانها على النص والصراحة مع التأييد لذلك بحكم العقل البديهي واقتضاء السياق . فحفظت دلالتها بحسب اللغة والاستعمال من خيال الاحتمال . وخلجان التشابه عند المستقيمين في الشعور والمعرفة لموازين الكلام ، والمبرئين من فلتات الجهل وغواية الأهواء وعبثها بالحقائق . وهذه الآيات المحكمات كل واحدة منهن بالنظر الى ذاتها هي امر واصل ومرجع لما توضحه باحكامها من بيان حقيقة او تأسيس أساس، او تشريع حكم ، او ايضاح لمتشابه وتأييد لدلالته ولكن بالنظر الى مجموعها في القرآن المجيد ، وكونها باعتبار احكامها مرجعا واحدا مبينا للمراد من حقائق الكتاب المجيد (هن) بمجموعهن والنظر اليه (ام الكتاب) ومرجعه الذي يتضح به المقصود من حقائق التنزيل وتتأيد به قرائن المتشابهات ويوضح دلالتها ويزيل عنها غبار الأوهام (و) منه (اخر متشابهات) على ما اشرنا اليه من اساليب الكلام البليغ ووجوه محاسنه في المحاورة وما تقتضيه الحكمة (فأما الذين في قلوبهم زيغ) اي استحبوا العمى على الهدى واختاروا الضلال بأهوائهم وحرفوا قلوبهم وأمالوها عن نهج الحق والاذعان به واشعروها الزيغ والانحراف التعيس (فيتبعون) باهوائهم ونزغات ضلالهم، ونزعات اضلالهم (ما تشابه) بالنحو الذي اشرنا اليه (منه) اي من الكتاب المجيد فيبدلون مراده ويغالطون في دلالة قرائنه ، ويصرفونه عن موارد تنزيله تغاضيا عن واضحات قرائنه وبينات دلائلها ويتشبثون بالمتشابه (ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) اي طلبا لأن يجدوا سبيلا الى التلاعب

وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ

في تأويلهم له بحسب اهوائهم . وصرفه عن مؤدى تنزيله وطلبا لأن يفتنوا الناس بذلك (وما يعلم تأويله) اي تأويل القرآن كله (الا الله والراسخون في العلم) لا هؤلاء الذين لم تثبت لهم في العلم قدم «بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون» فلم يسلكوا إلا دحض الجهل بزيغ الاهواء والناس في هذا المتشابه الذي عنته الآية خلاف كبير وإن خلط بعضهم في محل النزاع فمن الناس من يقف في الآية على لفظ الجلالة ويستأنف قوله تعالى «والراسخون في العلم» بأن يكون الراسخون مبتدأ وخبره «يقولون آمنا» فيخرج الراسخين في العلم عن فضيلة العلم بالتأويل ويحطهم عن رتبة استحقوها ونوه بها القرآن الكريم في هـذا السياق المشرق إذ وصفهم في طرده بالرسوخ في العلم . ومن الناس من قال بعطف «الراسخون» على لفظ الجلالة . وأن الله جلت آلاؤه فتح للراسخين في العلم باب العلم بالتأويل بلطفه، وكرمهم بهذه الرتبة بتعليمه . وهذا الخلاف مما لا يكفي فيه بالمصادرات ، ولا لعل وليت . بل لا بد فيه من ايراد الدلائل الرافعة لتشابه موارد الواو في عطف المفرد اوالجملة او الاستئناف . وغاية مـا يحتج به للقول الأول هو ما جمع رواياته في الدر المنثور . منها عن ابن عباس قال تأويله يوم القيامة لا يعلمه الا الله . وعنه ايضا في بيان وجوه القرآن وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير تعرفه العرب بلغتها ، وتفسير لا يعلم تأويله الا الله ومن ادعى علمه فهو كاذب . وفي رواية اخرى وتفسير تفسره العلماء ومتشابه لا يعلم تأويله الا الله ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب ومن طريق طاوس عن ابن عباس ايضا كان يقرأها وما يعلم تأويله الا الله ويقول الراسخون في العلم آمنا . وعن الأعمش قال في قراءة عبد الله وفي حقيقة تأويله الا عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنا . وذكر في الدر المنثور رواية هذا القول ايضا عن رأي عائشة وابي الشعثاء وعروة وعمرو بن عبدالعزيز ومالك وذكر ايضا احاديث تحذر من المجادلة في كتاب الله واتباع المتشابه منها ما اخرجه عبدالرزاق وسعيد وعبد بن حميد والجوامع الستة وغيرهم عن عائشة عن رسول الله (ص) انه قرأ الآيات وقال : فاذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عناهم الله فاحذروهم . وفي لفظ البخـاري فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فاحذرهم . وجمع ابن جرير بين العبارتين — ويردُّ هذا الاحتجاج بعد غض النظر عن الأسانيد وما فيها هو ان يوم القيامة الذي في حديث ابن عباس

خارج عن محل الخلاف وسوق الآية وموضوعها من التأويل . بل ان محل الخلاف هو ما عناه بقوله وتفسير تعلمه العلماء ، اوتفسره . وقوله في حديث آخر ظهره التلاوة وبطنه التأويل فجالسوا به العلماء وجانبوا به السفهاء . وأما ما روي من القراءة فيرده تواتر غيرها واجماع المسلمين على عدم الاعتناء بها. وأما الآراء التي ذكرنا روايتها فهو اجتهاد في محل النزاع بلادليل واما التحذير ممن يجادل ويتبع المتشابه فإنما هو تحذير من الضالين المضلين الذين وصفتهم الآية الكريمة لا الراسخين في العلم . هذا واما القول الثاني فحجته دلالة العقل والنقل الصحيح من الفريقين وسياق القرآن الكريم ، أما دلالة العقل فإن المتشابه الذي اشرنا اليه والى وجوه تشابهه والذي يتبعه ويطلبه الزائغون عن الحق ابتغاء الفتنة في امر الدين ونظام الملة واحكام الشريعة هو في القرآن كثير جدا . ومما لا يصح في العقل انه مع هذه الكثرة يحرم الله من تأويله والعلم به رسوله الهادي الكريم وامناءه على الوحي ، وعلماء الأمة . فيكون القسم الكبير من القرآن الكريم لا فائدة في تنزيله للبشر مطلقا حتى الرسول الأكرم ولا اثر له إلا صدى الفاظه وسواد حروفه . واما الحديث من طريقنا ففي تفسير القمي في الصحيح عن الباقر (ع) قال : ان رسول الله (ص) افضل الراسخين في العلم قد علم جميع ما انزل في القرآن من التنزيل والتأويل وما كان الله لينزل عليه شيئا لم يعلمه تأويله واوصياءه من بعده يعلمونه كله وعن العياشي مثله . وفي الكافي عن احدهما عليهم السلام مثله . وفي الكافي في الصحيح عن الصادق (ع) نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله . ونحوه عن تفسير العياشي. وفي نهج البلاغة وغيره قول امير المؤمنين علي (ع) ولقد جئتهم بالكتاب مشتملا على التنزيل والتأويل : ومن طرق اهل السنة ما في الدر المنثور اخرج ابن جرير وابن المنذر وابن الانباري من طريق مجاهد عن ابن عباس قوله انا ممن يعرف تأويله . واخرج احمد والطبراني وابو نعيم في الحلية عن ابن عباس ان رسول الله قال : اللهم اعط ابن عباس الحكمة وعلمه التأويل واخرج الحاكم في مستدركه وابن ابي شيبة اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل . واخرج الحاكم ايضا اللهم علمه تأويل القرآن . وأخرج ابن ماجه وابن سعد والطبراني اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب . فانظر اقلا الى كنز العمال ومختصره في كتاب الفضائل . ولو كان علم التأويل منحصرا بالله ولم يعلمه رسوله والراسخين في العلم لما دعا به رسول الله (ص) لابن عباس . وما هو معنى الدعاء بما لا يرجى وقوعه . واخرج الحاكم في الصحيح على شرط البخاري ومسلم كما هي عادته في المستدرك عن معقل بن

يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ * (٦) رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا

يسار عن رسول الله (ص) اعملوا بكتاب الله فما اشتبه عليكم فاسألوا عنه اهل العلم يخبرونكم . الحديث . والذي يشتبه عليهم هو المتشابه . واخرج احمد وابويعلى في مسنديهما والبيهقي في شعبه والحاكم في مستدركه وابو نعيم في الحلية وسعيد بن منصور في سننه وابن السكن عن الأخضر الانصاري . والديلمي عن ابي ذر جميعا عن رسول الله (ص) ان عليا (ع) يقاتل على تأويل القرآن كما قاتل هو (ص) على تنزيله . ومفاد الحديث ان أمير المؤمنين (ع) كان عالما بتأويل القرآن على حقيقته فهو يقاتل دفاعا عنه وتثبيتا لحقائقه في الدين واساسياته كما قاتل رسول الله (ص) دفاعا عن تنزيله : واما دلالة سياق القرآن فإن تمجيد الراسخين في العلم بهذا التمجيد السامي والصفة الفائقة انما يناسب عطفهم في مقام العلم بالتأويل ورسوخهم فيه ومجدهم في الايمان بمؤداه على بصيرة من امرهم واما قولهم آمنا فلو اريد به الإيمان بنزول لفظه من دون علم بمعناه ولا عمل به لكان المناسب له وصفهم بتصلبهم في الايمان والتسليم لرسول الله في التنزيل اذن فقوله تعالى (يقولون آمنا به) حال اي يعلمون تأويله حال كونهم يقولون آمنا اي بما عرفوه من مؤداه فإن الكثير منه هو اساسيات دينية قد اقتضت الحكمة ابهامها حال التنزيل بالاطلاق او العموم او الكناية او غير ذلك مع بيان تأويلها وخصوصية المراد بقرائن الحال او السنة كما وقع مثله في آية الزكاة إذا اهمل مقدارها ووقت اخذها ومورد وجوبها الى سنة ترويضا للناس في امرها وصعوبتها عليهم . وسيمر ان شاء الله لذلك موارد (كل) من المحكم والمتشابه والتنزيل والتأويل (من عند ربنا) وولي امرنا الحكيم في بيانه لنا وهدانا إلى الحق (وما يذّكّرُ) من ارشاد القرآن الكريم وهذه الآية الشريفة إلا اولو الالباب ٦ ربنا) اي يا ربنا ومالك امرنا ومن بيده توفيقنا وخذلاننا . ومناسبةُ السياق تقتضي ان يكون ذلك دعاء من الراسخين في العلم في التوفيق للثبات على الهدى بما علمهم الله من التأويل (لاتزغ قلوبنا) اي لا تخذلنا وتسلب عنا بسوء اعمالنا لطفك وتوفيقك فتزيغ قلوبنا وتنحرف عن الحق والاستقامة فنبتغي الفتنة بالتلاعب بتأويل القرآن (بعد إذ هديتنا) بلطفك الى معرفة الحق ، والنكتة في نسبة الإزاغة إلى الله هي النكتة في نسبة الاضلال اليه جل شأنه . وهي التنويه بما لتوفيقه من الأثر المحيي

وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ * (٧) رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ * (٨) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا

وما لخذلانه من الوبال المهلك كما ذكرنا فيما قبل الأخير من شواهد المقام الثاني من المقدمة في نسبة الإضلال واوضحنا امره تفسير الآية السادسة من سورة البقرة (وهب لنا من لدنك رحمة) باللطف والتوفيق (انك انت الوهاب ٧ ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه) وهو يوم القيامة والحشر من القبور للجزاء . كيف يكون فيه ريب وانت اخبرت به في كتابك الكريم بالصراحة المتكررة المؤكدة والحجة القاطعة (ان الله لا يخلف الميعاد) وعدل من الضمير الى الظاهر لأنّ لفظ الجلالة فيه اشارة الى الإلهية وكمالها وقدسها فكأنه احتجاج على عدم الخلف للميعاد بمعنى أن الإله يجلّ عن ذلك فلنا اليقين والثقة التامة بما وعد من المعاد والجزاء . (٨ إن الذين كفروا) وماتوا على كفرهم (لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من) عذاب (الله) كما في التبيان ، ومجمع البيان في تفسير الآية الثانية عشرة بعد المائة وفي الجلالين في تفسير الآيتين او بلائه او انتقامه او غضبه او مطلق ما يخاف منه فتكون «من» للابتداء كقولك اغنيت عنك في الحرب اهوالها من الميمنة (شيئا) من الغناء فيكون في مقام المفعول المطلق لتغني ويحتمل أن يكون مفعولا به لتغني اي لن تغني شيئا من عذاب الله ولن تجزيه فتكون «من» للتبعيض : ذكرت الأموال والاولاد لأنها من اهم ما يعتمد عليه الإنسان الجاهل لما يخافه من النوائب وهي التي يبيع لها آخرته ودينه . والغنى بالقصر وبالمد ككلام عدم الحاجة واغنى فلان قام بالحاجة وكفى عن غيره واليه يرجع قول التبيان . الاختصاص بما ينفي الحاجة. وكثر استعماله فيما كان الكافي او المكفي مما لا يعقل كاستعماله في دفع ما لا يراد والتخليص منه كقوله :

إذا قال قدني قال بالله حلفةً لتغنيَ عني ذا انائك اجمعا

اي ما في انائك وقول عثمان للرسول بصحيفة امير المؤمنين علي (ع) اغنها عني. ولأجل ما ذكرناه صار اللغويون يجولون حول هذا المعنى ففسروا الاغناء بالنفع او كفاية المؤنة ، او الاجزاء ، او الصرف ، او الكف . وكثيرا ما يترك المفعول للإغناء والمتعلقات به لعدم الحاجة الى ذلك في مهم المقام كقول طرفة في معلقته

وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ * (٩) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ * (١٠) قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ *

ولا تجعليني كامرئ ليس همه كهمي ولا يغني غنائي ومشهدي

وقد يترك المفعول وتذكر المتعلقات المقصودة كما تقول ذبحت بالسكين ودفعت عنك بنفسي واغنيت في الحرب من هجماتها او من أبطالها أو من ميمنتها مثلا فتكون «من» في هذا المثال كالآية للابتداء كما عن المبرّد وبعض. وذلك لتضمن اغناء المحذور معنى التخليص منه . وقال في الكشاف والمغني ان «من» في الآية بمعنى «بدل» اي ان اموالهم واولادهم لا تغني عنهم بدل رحمة الله اقول وهذا التفسير لا يستقيم مع ابقاء الاغناء على معناه وكيف تكون رحمة الله مغنية عن الكافرين بمعنى اغتناء المحاذير واكتفائها واجتزائها بالرحمة بخلاف الأموال والأولاد فإنهم لا يكون كذلك بدل الرحمة . اللهم الا ان يدعى استعمال لفظ الاغناء هنا بمعنى النفع لكنه مجاز او صح لكان محتاجا الى القرينة المفقودة هاهنا فإنّ معنى النفع غير معنى الاغناء . تقول في مثل هذا المقام اغنيت عنه ولا تقول نفعت عنه مضافا الى ان قوله تعالى لا تغني عنهم مانع عن استعمال لفظ الاغناء بمعنى النفع لأن المتعلقات والحروف الجارة انما هي باعتبار المعاني لا باعتبار الألفاظ . اذا عرفت هذا فقل ما شئت في تفسير صاحب المنار حيث قال وانما معنى « من » هنا البدلية اي ان اموالهم واولادهم لن تكون لهم بدلا من الله تغنيهم عنه . واقول لماذا نسي هذا المفسر ان تنزيل الآية الكريمة انما هو لن تغني عنهم لا لن تغنيهم . واين «من» من البدلية ومثل ذلك ما حكي عن ابي عبيدة من انّ معنى « من » في الآية معنى « عند » (واولئك) اي الذين كفروا (هم وقود النار) وسواة لهم وسحقا (٩ كدأب آل فرعون) الدأب مصدر دأبَ يدأبُ اذا اعتاد الشيء وتمادى عليه اي حال هؤلاء المذكورين ودأبهم كدأب آل فرعون اي قومه (والذين من قبلهم) من الأمم (كذّبوا بآياتنا) هذا تفسير لدأبهم اي كدأب المذكورين في التكذيب (فاخذهم الله) استولى عليهم بالعقاب (بذنوبهم) اي بسببها (والله شديد العقاب ١٠ قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد) المهاد ما يمهده الإنسان لاستراحته وعبر عن جهنم بالمهاد تهكما بهم وبسوء اختيارهم وعاقبتهم ، في تفسير

(١١) قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ *

القمي ان هؤلاء بنو القينقاع من اليهود لما نقضوا بعد وقعة بدر عهدهم مع رسول الله (ص) فغزاهم وخوفهم بما فعل الله بالمشركين فافتخروا برجالهم فانزل الله الآية وغلبوا واخرجوا من ديارهم واموالهم الى الجلاء صاغرين خاسئين ، وفي الدر المنثور اخرجه ابن اسحاق وابن جرير والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس . وذكر في التبيان قولا بانه اخبار لليهود بان عبدة الاوثان ومنهم قريش سيغلبون وهو على هذه القراءة وهي خلاف المتواتر المتعارف ونقل في الكشاف غير ذلك والأول اقرب الى الصواب (١١ قد كان لكم) هذه الآية ايضا مما امر الله به رسوله ان يقوله لهم (آية) ودلالة وموعظة (في فئتين) فرقتين من الناس (التقتا) في الحرب (فئة) منهما (تقاتل في سبيل الله و) فئة (اخرى) منهما (كافرة) يظهر من القمي انهما فئتا المسلمين والمشركين في وقعة بدر . وهي رواية الدر المنثور وابن جرير عن ابن عباس وذلك هو المناسب لخطاب بني القينقاع (يرونهم مثليهم رأي العين) المعروف أن المسلمين في بدر كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا . والمشهور في الرواية ان المشركين كانوا نحو التسعمائة وخمسين . فيكون المعنى ان المسلمين كانوا يرون جمع قريش مثليهم بحسب رؤية العين للجمع وصورة التجند لا بحسب الاحراز للعدد ومعرفة الكمية . اراهم الله اياهم مثليهم لئلا يستقلوهم ويتساهلوا في حربهم استقلالا واستضعافا لهم واراهم اياهم بدون عددهم في المقدار لئلا تهولهم كثرتهم فيحجموا عن مناجزتهم ويتخاذلوا في لقائهم كما قال الله تعالى في سورة الانفال «واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم ليقضي الله امرا كان مفعولا» وقيل في معناها ان المشركين بعد أن اشتبكت الحرب خذلهم الله فصاروا يرون المسلمين مثليهم وان كانوا نحو ثلثهم . والأول بلحاظ الآيتين اظهر وأقرب (والله يؤيد بنصره من يشاء) الأيد القوة والتأييد التقوية وقد ايد الله المسلمين بذلك النصر الباهر (إنّ في ذلك لعبرةً) وموعظة (لأولي الأبصار) يجوز أن يكون البصر هنا بمعنى البصيرة كما ذكره اللغويون ، ويجوز أن يراد به حس العين فإن اراءة الشيء بالإرادة الإلهية على غير العادة آية وعبرة لأولي الأبصار العارفين بعادة البصر . أو أن ذلك النصر بما عليه المسلمون

(١٢) زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ

من القلة وضعف العدة وما عليه المشركون من قوة العدة و كثرة العديد عبرة لمن رأى ذلك (١٢ زُين للناس) بحسب النوع بالنسبة لجميع المذكورات (حب الشهوات) اي المشتهيات كما يقال فلان طلبتي وهذا سؤلي وحاجتي و « من » بيانية ولو كان لفظ الشهوات على حقيقته لعدي وربط بما بعده باللام (من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة) في التبيان في القنطار وقيل هو ملء مسك ثورذهبا وهو المروي عن ابي جعفر (ع) يعني الباقر(ع) وفي مجمع البيان وابي عبد الله يعني الصادق (ع) . وفي الدر المنثور اخرجه عبد بن حميد وابن ابي حاتم والبيهقي عن ابي سعيد الخدري . قلت وذلك احد الاحتمالات التي ذكرت في كتب اللغة . واورد في الدر المنثور عن رسول الله روايات متعددة متعارضه انه الف ومائتان اوقية وفي رواية انه الف اوقية . وفي اخرى الف دينار وفي اخرى الف ومائتا دينار ، وينبغي ان تكون الرواية عن الباقر والصادق وابي سعيد في مورد السؤال عن قنطار الذهب اوسقط منها قولهم او فضة . والمقنطرة المجموعة قناطير كقولهم الوف مؤلفة (والخيل المسوّمة) اي المرسلة لأن ترعى سائمة لكثرتها (والانعام) وهي الابل والبقر والغنم باصنافها (والحرث) وهو المغروس والمزروع . ولم يذكر في هذه ما هو محرّم العنوان ليكون تزيين الله له اشد في المنافاة لقدس الله من الأمر بالفحشاء والمنكر الذي تمجد الله وله المجد بتقديس جلاله وتنزهه عنه . فلا مانع من أن يكون الله تبارك اسمه هو المزين لحب المشتهيات المذكورة من طريق حلها كما تكلفت ببيانه الشريعة المقدسة وحددته بحدوده ، زين حبها لنوع البشر تمهيداً لحسن اجتماعهم وبقاء نوعهم وانتظام اقتصادهم ، وتشابكهم في عموم المنافع ، وانتظام التبادل فيها ، زين حب النساء والبنين لكي يسهل على الازواج تحملهم لعشرة النساء ونفقاتهن ونقصهن نوعا في الاخلاق والاستقامة فينتظم بذلك التحمل امر التوالد والتناسل . وزين حب البنين لكي يطلب البشر التناسل ويقوموا بالمشقات المعروفة في نفقتهم وتربيتهم وحسن المداراة لهم في تربيتهم والنظر الى اصلاح امورهم وعواقبهم . وزين حب الاموال المذكورة لينهض الناس الى العمل والعمران فتتوفر نعم الله على عباده وينالوا بها اللذة والتنعم على حسب حبهم لمشتهياتهم ويعرفوا منها انموذجا لنعيم

ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ * (١٣) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ

الآخرة الدائم فيدفعهم الشوق اليه الى الاعمال الصالحة فلا يستولي على الناس او يغالطهم العجز بالتصوف البارد ، وقد تكاثرت الاحاديث في ان الزهد في الدنيا هو الورع عن محارم الله وقد صرح امير المؤمنين علي (ع) بانه يتعاطى التقشف في معيشته لأنه رئيس المسلمين والمنظور اليه في الاقتداء فيتسلى بحاله (ع) من الح الفقر عليه ومسته البأساء . وفي سورة الاعراف « ٢٩ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ان الله لا يحب المسرفين. ٣٠ قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا» يتنعمون بها بحسب ايمانهم الصادق على الحدود المشروعة والجارية على المصالح والصلاح «خالصة» من تبعات العقاب والنكال «يوم القيامة » كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون» وما هذا التزيين الا للحكمة التي خلق الله بها للانسان شهوة وقوى يتنعم بها في الحياة الدنيا بما احله الله وجعل في الحلال كفاية في الحاجة وبلغة في التنعم وحدد حدوده بنهي العقل والشريعة عن الفحشاء والمنكر والبغي وما فيه المفسدة للشخص والنوع ونظامه ووعظ في ذلك وانذر وتوعد وحذر وارسل في ذلك الرسل وانزل الكتب وشرع الشرايع واستحفظ على اقامتها الأئمة، واستخدم لها علماء الأمة ،نعم ان الذي يزينه الشيطان ليس هو القسم الذي يبقى به نوع الانسان ، وشرف العمران ، ويقوم به نظام الاجتماع . بل هو خصوص المحرمات وما فيه فساد النظام (ذلك) اي ما ذكر من المشتهيات (متاع الحياة الدنيا) الفانية (والله عنده حسن المآب) والمرجع وهو المآب الذي لا فناء فيه ولا عناء ولا تكدير في نعيمه فهو الحسن المطلق (١٣ قل) يا رسول الله للناس (أأنبئكم بخير من ذلكم) مما هو (للذين اتقوا) الله ورغبوا في رضاه وطلبوا ما عنده وما اعد لهم (عند ربهم) هي (جنات تجري من تحتها الانهار) اي مساقي اشجارها لا بنحو تكون به كلها من قسم المستنقعات ولا يخفى ما في وصف القرآن من البهجة الفائقة الممتازة (خالدين فيها) اي في الجنات لا فناء لهم ولا لنعيمها كما يفنى متاع الحياة الدنيا واهلها ولا اخراج لهم منها (وازواج مطهرة) بما يرغب العقلاء فيه من طهارة الازواج في الخلق والاخلاق

وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * (١٤) أَلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * (١٥) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ * (١٦) شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ

وفي ذلك النعيم الهنيء (ورضوان من الله) وهو الغاية القصوى لأولي الألباب في النعيم (والله بصير بالعباد) وما يعملون وما يستحقونه من الجزاء (١٤ الذين) في هذا بيان لصفات الذين اتقوا . وما اكرمها واحسنها من صفات (يقولون ربنا اننا آمنا) اي يؤمنون ويعترفون لله بايمانهم ويجعلونه وسيلة الى الله في الدعاء لنجاتهم وغفران ذنوبهم (فاغفرلنا ذنوبنا وقنا عذاب النار ١٥ الصابرين) عن المعاصي وعلى الطاعات وعلى نوائب الدهر تسليما لأمر الله ورضى بقضائه (والصادقين) واكرم بها صفة واحسن (والقانتين) الدائبين في العبادة (والمنفقين) كما امرهم الله وندبهم اليه (والمستغفرين بالاسحار) السحر هو الوقت الذي قبيل طلوع الفجر وهو احسن الاوقات نوعا لحضور القلب في العبادة والاقبال على المناجاة والدعاء ، وابعدها عن مداخلة الرياء (شهد الله) اصل الشهادة من الشهود والحضور والمعاينة ثم شاعت فيما ينشأ عن ذلك ونحوه من الاعلام بالامر والشيء لإثباته ومنه المقام فيقال شهد بكذا (انه) اي بانه (لا إله إلا هو) وشهادة الله اعلامه بإلهيته ووحدانيته بالدلالات الجلية والحجج القاطعة ومن ذلك خلقه للعالم ودلائل الحكمة ، وقوانين النظام الباهر فيه ودوام انتظامه على ذلك (و) شهد بذلك ايضا (الملائكة واولو العلم) وهم الذين لم يعمهم الجهل الى النظر اقلا الى نظام العالم ودوام انتظامه فشهدوا بذلك عن علم وبصيرة وحجة قيمة يرشدون بها الجاهل ويقاومون بها المعاند (قائما بالقسط) في التبيان وروي في تفسيرنا ان في الآية تقديما وتاخيرا تقديره شهد الله انه لا إله الا هو قائما بالقسط والملائكة الآية اي على انه حال من الضمير «هو» انتهى وفيه ان مثل هذا الارسال لا ينهض باثبات شيء فضلا عن مصادمته بالمتواتر من القراءة والمصاحف ، وفي الكشاف جوّز كونه حالا من الضمير ايضا على القراءة المتعارفة ، اقول والانسب بكرامة القرآن الكريم في سياقه واسلوبه المجيد ان يكون حالا من لفظ الجلالة فإنه هو الذي له عنوان الكلام ووجهه الذي يقرب له البعيد من جملته ويوصل به المنفصل دون ضمائره فكل ما صلح ان يرتبط به من حال او غيره جره عنوان

لا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٧) إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

الكلام ووجهه اليه ولا يرتبط بغيره الا بالقرينة كما هو الشأن في كل كلام له حظ من البلاغة والاستقامة . وفسروا القسط بالعدل . والظاهر ارادة التقارب في المعنى لا الترادف والاتحاد في المفهوم . فان الاستعمال وما ورد في القرآن الكريم ينافيان ذلك لانه يقال عادل ولا يقال قاسط الا للجائر ونحوه . بل يقال لما يجعلونه بمعنى العادل مقسط وان اقسط يعدى بإلى كما في قوله تعالى في سورة الممتحنة «٨ الا ان تبروهم وتقسطوا اليهم» والعدل لا يعدى بالى واظن ذلك منهم كتفسير الظلم بالجور مع ان الجور لا يتعدى الا بعلى . والظلم يتعدى بنفسه فانهم يفسرون اللفظ بما يقاربه في المعنى حيث لا يجدون له مرادفاً . ومن الظاهر في التبادر ان الجور ابلغ في العدوان من الظلم . وقد استفاض في حديث الفريقين في المهدي (ع) يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ، وفي سورة الحجرات «٩ فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا» والظاهر من ذلك هو التأسيس لا التأكيد . وقال الله تعالى في سورة المائدة «١١ شهداء بالقسط» فالقسط انسب بالشهادة من العدل والقائم بالشيء هو محققه ومجريه ومديمه اي شهد الله وهو المجري للقسط والحق ومديمه في الشهادة وغيرها . فما اعظمها وما اكبر شانها من شهادة (لا إله الا هو) وهذا تأكيد للمشهود به بعد الاخبار به كما تقول اشهد بكذا وهو كذلك (العزيز) في إلهيته ووحدانيته (الحكيم) في اعماله (١٧ ان الدين عند الله الاسلام) قد مر تفسير الاسلام في الآية الثانية والعشرين بعد المائة ، وتفسير الدين في التاسعة والثمانين بعد المائة من سورة البقرة . وان دين الاسلام هو دين الفطرة الذي تجلت فيه ادلة العقل والنظر في ملكوت العالم ودعوة الانبياء والرسل وصراحة الكتب الإلهية المشهود لها بدلالة المعجزات . وقد بقي ما يكفي في ذلك فيما حرف من التوراة والانجيل (وما اختلف الذين اوتوا الكتاب) في هذا الدين وهم بنو اسرائيل وخصوص اليهود والنصارى فتقلب الغالب من بني اسرائيل في الشرك من يوم مروا على عبدة الاوثان وذلك بعد ما اسلموا لموسى ورأوا الآيات النيرات في مصر وانشقاق البحر لهم وعبورهم فيه على الارض اليابسة فقالوا لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة (١) ويوم عبدوا العجل واستمروا على التقلب في الشرك في اجيالهم كما هو

١ كما في سورة الاعراف ١٣٦ - ١٣٧

إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * (١٨) فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ

معروف في تاريخهم وكتبهم وذهب الكثير من النصارى الى تثليث الآلهة وتأليه المسيح وابطال الشريعة بالرأي حتى استوعبهم ذلك اخيرا«١» (إلا من بعد ما جاءهم العلم) بالتوحيد والدين الصحيح من دلالة العقل والفطرة والمعجزات الباهرات ، والآيات البينات وصراحة كتبهم . كما بقي شيء من ذلك فيما حرفوه . ولكن حدث الاختلاف فيهم (بغيا بينهم) من الكافرين على الموحدين . او بغيا حاصلا بينهم على الحق وتمردا على ما يعلمون ، واستمر ذلك البغي فيهم حتى جحدوا رسالة رسول الله وقرآنه وما فيه من معارف الحق وشريعته بعد ما دل على ذلك المعجز وكتبهم في البشرى برسول الله وقرآنه (ومن يكفر بآيات الله) ويجحد دلالتها البينة (فإن الله) محاسبهم ومعاقبهم ومجازيهم على كفرهم يوم القيامة وهو (سريع الحساب) « انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا«٢» كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحيها«٣» » (١٨ فإن حاجوك) وجادلوك يا رسول الله في التوحيد وما جئت به . (فقل) لهم في الحجة الدامغة لهم انكم قد وافقتمونا في بعض اقوالكم وما عندكم من الكتب في توحيد الله في الإلهية والقدس والكمال . كما هو الحق والحقيقة وهل عن ذلك من محيد « وماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون«٤» » إني (اسلمت) ووكلت وخليت (وجهي لله) لا اصده بضلال الاهواء عن الله وتوحيده ، وطاعته ودين الحق (ومن اتبعني) على الحق الواضح ايضا أسلم وجهه لله . وجاز عطف الموصول على الضمير المرفوع المتصل في «اسلمت» لوجود الفاصل (وقل) يا رسول الله بعد هذا النحو من الاحتجاج (للذين أوتوا الكتاب) من اليهود والنصارى (والأميين) أهل أم القرى وهي مكة . أو العرب لأنهم بحسب النوع والغالب لا يقرأون ولا يكتبون بل هم على ما ولدتهم أمهاتهم من الجهل بذلك . فإن هؤلاء الأميين معترفون ايضا بالله وإلهيته وقدسه وكماله (ءاسلمتم) ودخلتم

«١» وقد أشرنا إلى شيء من ذلك من صراحة كتبهم في المقدمة الخامسة من كتاب الهدى في الجزء الأول صفحة ١٩ — ٣٤ «٢» سورة المعارج ٦ «٣» النازعات ٤٦ «٤» يونس ٣٣

فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * (١٩) إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * (٢٠) أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ * (٢١) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ

في سلم الله فلا تحاربونه ولا تحادونه بالشرك والتمرد على آياته ورسوله وقرآنه (فإن اسلموا فقد اهتدوا) وذلك هو الفوز العظيم (وإن تولوا) عن الإسلام وحادوا الله ورسوله فليس عليك من حسابهم من شيء وليس عليك أن لا يتولوا (فإنما عليك البلاغ) والدعوة الى الله ودين الحق (والله بصير بالعباد) يعلم ما يكون منك ومنهم ويوفق من هو اهل للتوفيق (١٩ ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق) بيان لأن قتل النبيين لا يكون إلا بغير الحق (ويقتلون الذين يأمرون بالقسط) وهو الحق والمعروف وقيل العدل (من الناس) من العباد الصالحين من غير النبيين (فبشرهم) يعني القاتلين الكافرين (بعذاب) في الآخرة (اليم) وعبر بالتبشير للسخرية بهم والتوبيخ لهم . ودخلت الفاء على بشرهم لأن الخبر هنا بمنزلة الجزاء المتفرع على الكفر وقتل النبيين كما في قوله تعالى «السارق والسارقة فاقطعوا ايديهما» (٢٠ أولئك الذين) لأجل ما ذكر من كفرهم وقتلهم للأنبياء والصالحين (حبطت اعمالهم) التي فيها حسن كالإحسان الى الفقير والعاني ونحو ذلك فلا أثر لها في استحقاق الجزاء والتخفيف عنهم بل سقطت (في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين) ينصرونهم على الله وينجونهم من عذابه (٢١ ألم تر) أي ألم يصل علمك (الى) حال (الذين أوتوا نصيبا) أي حظا وبعض الشيء (من الكتاب) لا يبعد أن يكون المراد هنا التوراة والانجيل أي من جنس الكتاب وان روي ان مورد النزول هم بعض اليهود. وعبر بالنصيب من الكتاب باعتبار ان التوراة والانجيل قد حرفا وبدلا في اكثرهما ولم يبق منهما على ما أنزل إلا البعض وهو النصيب الذي بقي من التوراة لليهود والنصارى المعاصرين لرسول الله ومن الانجيل الذي بقي للنصارى منهم. فقد بقي من التوراة إيمان ابراهيم وتوحيده وتاريخه المبين انه كان قبل اليهودية والنصرانية واقاويلها في الدين والتوحيد. وبقي فيها البشرى لبني اسرائيل

يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ *

بأن الله يرسل نبيا من اخوتهم أي من ولد اسماعيل لا منهم ويجعل كلامه في فمه كما في الفقرة الخامسة عشرة الى العشرين من الفصل الثامن عشر من سفر التثنية . وبقي فيها حكم القصاص في النفس والعين والسن والجروح كما في العدد الحادي والعشرين من الفصل التاسع عشر منه . وبقي في الانجيل شيء من الدعوة الى الاعتراف بأن الله هو الإله الحقيقي وحده وان عيسى رسوله كما في العدد الثالث من الفصل السابع عشر من انجيل يوحنا . وبقيت البشرى برسول الله احمد «بيركاوطوس» وان حرّفوه الى «بيراكايطوس» وعبروا عنه «فارقليط» و«المغري» كما في الفصل السادس عشر والسابع عشر من انجيل يوحنا . وحال هؤلاء انهم (يدعون الى كتاب الله) وهو القرآن الذي قامت عليهم الحجة بأنه كتاب الله بدلائل اعجازه وبشرى كتبهم (ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم) وهم الأكثر (وهم معرضون) عن القرآن ودلائل حجته . ومنهم من وفق للإسلام والخضوع لأحكام الله في قرآنه المجيد . ومقتضى روايتي الدر المنثور ومجمع البيان عن ابن عباس هو ان المراد من كتاب الله الذي يدعون اليه هو التوراة . وكفى بذلك موهنا للروايتين فإن التوراة كانت حينئذ محرفة بأشد التحريف كما تراها الآن فكيف يسميها القرآن «كتاب الله» روي في الدر المنثور عن ابن عباس ان رسول الله «ص» دعا اليهود الى حكم التوراة بأن ابراهيم لم يكن يهوديا ، ويوهن هذه الرواية بعد غض النظر عن سندها ان التوراة ليس فيها ان ابراهيم لم يكن يهوديا وغاية ما فيها ذكر التاريخ المضطرب ومنه ان الله أوحى اليه أن نسله أي بني اسرائيل يستعبدون ويذلون في ارض غريبة أي ارض مصر اربعمائة سنة«١» وقالت التوراة ايضا في الفصل الثاني عشر من سفر الخروج ان المدة كانت اربعمائة وثلاثين سنة هذا مع ان النسخة السامرية والنسخة السبعينية قد زادتا في الاضطراب وجعلتا المدة المذكورة مدة لإقامة بني اسرائيل وآبائهم في ارض مصر وكنعان وقد تكلمنا على هذا الاضطراب في الجزء الثاني من كتاب الهدى«٢» فهل يدعوهم رسول الله الى لا شيء في مثل هذا الكتاب المضطرب . وفي مجمع البيان عن ابن عباس دعاهم رسول الله

«١» كما في الفصل الخامس عشر من سفر التكوين عدد ١٣ — ١٥

«٢» صفحة ٣٤ — ٣٩

(٢٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ * (٢٣) فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * (٢٤) قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ

الى حكم التوراة برجم الزاني . وهذه الرواية موهونة ايضا بمضمونها فضلا عن وهنها بارسالها وبما ذكرناه في موهن الروايتين . فإن الموجود في توراتهم ان الرجم على الفتاة التي لم يجد لها زوجها بكارة وعلى العذراء المخطوبة إذا زنت وعلى الزاني بها كما في الفصل الثاني والعشرين من سفر التثنية . واما من يكون عليه الرجم في شريعة رسول الله فلم تذكر فيه التوراة الموجودة الا القتل كما في الفصل المذكور والفصل العشرين من سفر اللاويين . إذن فلا يحكم رسول الله «ص» بالرجم على خلاف شريعته ويحتج بالتوراة المحرفة ويسميها كتاب الله (٢٢ ذالك) أي توليهم وعنادهم لما يعرفونه من الحق اغترارا منهم (بأنهم قالوا) أي بسبب انهم زعموا في اعتقادهم الفاسد بأن عذابهم على مخالفة الحق هين قصيرة مدته لا ينبغي أن يصدهم عن المحافظة على جامعة اهوائهم وعصبيتهم القومية (لن تمسنا النار) ولا نعذب بها (إلا اياما معدودات) قليلة (وغرهم في دينهم) الذي يجب أن يدينوا به فخالفوه الى اهواء العصبية وضلالها (ما كانوا يفترون) بقولهم لن تمسنا النار إلا اياما معدودات فكفروا بدين الحق ورسول الله وكتابه وضلوا وأضلوا (٢٣ فكيف) حالهم (إذا جمعناهم) في الحشر بعد موتهم (ليوم لا ريب فيه) وهو يوم القيامة (ووفيت كل نفس ما كسبت) أي جوزيت بجزائه وافيا أي تاما (وهم) أي اهل المحشر (لا يظلمون) بنقص الثواب او بالعقاب . يا رسول الله لا تأس من تمرد اهل الكتاب على دين الحق ومظاهرتهم للمشركين على الكفر فإن الله يظهرك عليهم ويعزك ويذلهم ويجعل لك السلطة على اظهار دينه (٢٤ قل اللهم) معناه يا الله وكأن الميم المشددة المفتوحة في آخر الكلمة عوض عن حرف النداء فإنهما لا يجتمعان . وشذ قول الراجز « اقول يا اللهم يا اللهما » (مالك الملك) الملك بضم الميم وسكون اللام هو التسلط والسلطنة . والله مالكه وبيده أمره وهو الخالق لما تكون عليه السلطنة ولمن يكون سلطانا . له ملك السموات والأرض (تؤتي الملك) والسلطنة الموقتة (من تشاء) من الناس أن تؤتيه . وإيتاء الله للملك يكون على

وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ

وجهين «باولها» هو الإيتاء الخاص للممتاز من عباده بالصلاح والأهلية لتكميل البشر واصلاحهم في المعارف الدينية ، والأخلاق الفاضلة ، وحسن الاجتماع ، والحصول على المستقبل الصالح السعيد . وهذا هو ملك الرسل والأنبياء وأئمة الحق « وثانيها » إيتائه لا بهذا النحو بل بحسب سير التقدير في العالم واقتضاء الأسباب التي قدرها الله في هذا الكون نعمة في الحياة الدنيا محدودا لذلك بحدود الأخلاق الكريمة والواجبات العقلية والشرعية والنهي عن محرماتها كما أنعم على الانسان بالقوى ليتمتع بها في الواجب والندب والمباح . فيستقيم على الجادة من يستقيم ويحظى من ذلك بالكمال ، وحسن الجزاء . ويضل بسوء اختياره من يضل فيخسر حظه ويستوجب ما يستوجب . ولكل من إيتاء الملك والقدرة والقوى اثر وغاية تحصل عن حسن اختيار الإنسان او سوئه . ففي سورة النمل في شأن سليمان النبي في تواضعه لله الناشئ من عصمته الاختيارية قوله في مسألة عرش بلقيس « ٤٠ فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر ام اكفر فمن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم» وفي سورة يونس «٨٨ وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة واموالا في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك» الآية اي وكانت عاقبتهم ان يضلوا عن سبيلك بسوء اختيارهم . وفصل الكلام بقوله «ربنا» لايضاح ان المراد من اللام هي العاقبة لا التعليل وفي سورة البقرة «٢٦٠ الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه ان اتاه الله الملك» ومما ينبغي التنبيه عليه ان الشيخ في التبيان قال ان الهاء في آتاه الله الملك كناية عن المحاج لا براهيم ونسب عودها الى ابراهيم الى القيل . ثم قال في تؤتي الملك من تشاء ما ملخصه لا يجوز ان يعطي الله الملك الفاسق لقوله تعالى لا ينال عهدي الظالمين فكأنه نظر في هذه الآية الى الوجه الاول من وجهي ايتاء الملك وفي آية البقرة الى الوجه الثاني ولعل صورة هذا التدافع نشأت من اختصار التبيان ولذا لم يقع مثله في مجمع البيان وفي تفسير البرهان عن الكافي باسناده عن عبد الاعلى وعن تفسير العياشي عن داود بن فرقد جميعا عن الصادق (ع) . رواية تنزل على نظر السائل الى الوجه الاول من ايتاء الملك الذي ينبغي ان يسير من رسول الله الى الائمة من اهل بيته وعترته احد الثقلين (وتنزع الملك ممن تشاء) ان تنزعه منه بموته

وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * (٢٥) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ

او بتحويله الى آخر (وتعز من تشاء) ان تجعله عزيزاً (وتذل من تشاء) ان تجعله ذليلا بأن تجعل كلا من الفريقين بحسب سير التقدير الجاري بحكمتك في نظام العالم بتسبيبك للاسباب وتصيره في حالة تعد عزا او اخرى تعد ذلا وقد تجعل كلا منهما كذلك بارادة خاصة من النصر والمعونة او الخذلان والاهانة (بيدك الخير) اقتصر على ذكر الخير لان المقام مقام تعليم بالدعاء بالخير والنصر وتعريض بالبشرى بها (انك على كل شيء قدير) ولك من مظاهر القدرة وعجائب التصرف بالكون ما يبهر العقول . فإنك (٢٥ تولج الليل في النهار) الايلاج ادخال شيء في شيء يحتوي عليه ويستره ومعنى ايلاج الليل في النهار هو ان ما يكون في الدورة اليومية ليلا او جزء من الليل في بعض الفصول من السنة والامكنة التي تبعد عن خط الاستواء يجعله نهارا في فصل آخر او مكان آخر . وقد قدر الله نظام العالم بحكمته الباهرة في سير الارض او الشمس على منطقة البروج وفي هذا النظام العجيب من الحكم العظيمة وآثار القدرة وعموم الرحمة والعمران ما يبهر العقول وان الليل والنهار على مدار خط الاستواء (١) متساويان ويتساويان ايضا تقريبا في جميع الارض ويوم دخولها او دخول الشمس في برج الحمل او الميزان ويتفاوتان بالزيادة والنقصان بحسب الازمان والمواقع من الارض في المدارات الشمالية والجنوبية بتفاوت منظم موزون لا محل لذكره ههنا ففي المدارات الشمالية يأخذ الليل بعدا كما لطوله في النقيصة المتفاوتة على الانتظام من دخول الارض او الشمس في برج الجدي ويولج في النهار . فيأخذ النهار بالطول بعد كمال نقصه او بوجوده متزايدا بعد عدمه ويستمر على ذلك الى الدخول في برج السرطان فيشرع حينئذ بالزيادة . وفي المدارات الجنوبية يأخذ الليل بعد نهاية طوله في النقيصة ويستمر عليها ويولج ما ينقص منه في النهار على ما اشرنا اليه من الميزان والانتظام وذلك من حين الدخول في برج السرطان الى الدخول في برج الجدي فيشرع حينئذ بالزيادة (وتولج النهار في الليل) أي تدخل النهار في الليل فيأخذ النهار بالنقص في المدارات الشمالية على نهج ما ذكرناه من حين الدخول في برج السرطان الى الدخول في برج الجدي . وفي المدارات

(١) وهو الدائرة المنصفة للكرة الارضية على السواء فيما بين قطبي الجنوب والشمال

وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ * (٢٦) لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ

الجنوبية من حين الدخول في برج الجدي الى الدخول في برج السرطان حتى يبلغ كل من الليل والنهار تحت القطبين في وقت واحد تقريبا على التبادل نحو ستة اشهر . فسبحان الحكيم القدير (وتخرج الحيّ من الميت وتخرج الميت من الحيّ) قيل مثل اخراج البيضة من الطير واخراج الفرخ من البيضة . او اخراج الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان . وقيل يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن وفي مجمع البيان روى ذلك عن الباقر والصادق عليهما السلام . وفي تفسير البرهان قال ابن بابويه في حديث عن الإمام العسكري قال حدثني أبي عن أبيه عن جده الصادق «ع» وذكر ذلك . وفي الدر المنثور اخرج سعيد بن منصور وابن جرير «١» وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات وابو الشيخ في العظمة عن سلمان في حديث نحو ذلك . واخرج ابن مردويه عن سلمان ايضا نحو ذلك . واخرج ابن مردويه ايضا عن ابن مسعود او عن سلمان عن النبي «ص» نحو ذلك . واخرج عبد الرزاق وابن سعد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق الزهري عن عبدالله ان رسول الله «ص» في شأن خالدة المؤمنة بنت الاسود ابن عبد يغوث المشرك قال سبحان الذي يخرج الحيّ من الميت . واخرج ابن مسعود من طريق أبي سلمة عن عائشة عن رسول الله «ص» نحوه (وترزق من تشاء) أن ترزقه (بغير حساب) ومراعاة لمقدار الرزق ومدآقة في العطاء كما يفعله من يخاف النقص في ملكه (٢٦ لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء) في النصرة والمودة لقرابة او محبة او صداقة او ولاء قبل الإسلام والآية نهي للمؤمنين عن أن يتخذوا الكافرين اولياء (من دون المؤمنين) و«من» لابتداء الغاية و«دون» للمكان الذي هو قبل المكان الذي تضاف اليه ثم شاع استعمالها في الكناية عن عدم الوصول بالشيء الى ما تضاف اليه وجعله في غيره . فالمراد لا يعدل المؤمن بولايته عن المؤمنين الى الكافرين (ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء) من رضى من الله اولطف او توفيق او ولاية او جزاء او فضيلة إيمان وغير ذلك مما يحظى به العبد الضعيف المحتاج

(١) عن عثمان النهدي عن سلمان او عن ابن مسعود واكبر ظني انه عن سلمان

إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقْيَةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ * (٢٧ قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ

من الله ربه ومالك أموره . يقال هو مـن فلان في مقام ومكانة وحظوة او ليس منه في شيء من ذلك . ويفهم من مناسبات المقام ان هـذا النهي وهذا التهديد جاريان في الموالاة الصورية ويتوهم جريان النهي والتهديد فيها حتى لو كانت للدفاع عن النفس واتقاء الشر في بعض الأحيان ، فاستدرك ذلك بقوله تعالى (إلا ان تتقوا) ايهـا المؤمنون (منهم) أي مـن الكافرين (تقاة) مصدر مفعول مطلق لتتقوا كالاتقاء والتقوى والتقية والتاء فيها للوحـدة ومأخذها الوقاية بأن تقي نفسك من محذور شيء بشيء آخر . كما يقال ضربه بسيفه فاتقاه بالدرقة ووقى نفسه بها من محذوره . وتاء الوحدة تفيد تحديد الاتقاء أي إلا ان تدفعوا شرهم عنكم وعن دينكم عند انتظار الفرصة في نصره واظهاره وتتقوا منهم تقاة موقتة محدودة بأن تظهروا لهم ما يدفع شرهم من صورة الموالاة الموقتة حيث لا مندوحة لكم إلى غير ذلك ولا فائدة في نصر الدين بقتل الرجل بل ينقص بقتله رجل من رجال الإسلام وانصاره . ولا تسترسلوا في ذلك وتجاوزوا به مقدار الضرورة بحيث يرجع إلى الضعف في الدين والتساهل في امره واستظهار الكافرين فإن أمر الدين عظيم فاحذروا إذن من غضب الله وعقابه (ويحذركم الله نفسه) ليس المراد بالنفس ما يرادف الروح المرتبطة بالبدن . بل ذاته العظيمة فإنه العزيز الجبار الذي لا نصير عليه وهو استعمال شائع في اللغة والقرآن الكريم ومنه قوله تعالى « قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة » ومنه ما جاء من تعليق الظلم بالنفس كقوله « كانوا انفسهم يظلمون » ونحوه في اكثر من عشرين موردا ومنه ذكر الجهاد بالأموال والانفس نحو عشر مرات . فاحذروا الله فإنه شديد النكال اليم العذاب ولا تتساهلوا في أمر دينكم فإن الدنيا فانية وظل زائل (وإلى الله المصير) فيوفي كل نفس ما عملت (٢٧ قل) يا رسول الله محذرا (ان تخفوا ما في صدوركم) من نياتكم ووجوه اعمالكم (او تبدوه يعلمه الله) فاحذروا نبات النفاق وموادة من حاد الله ورسوله وكيف يخفى على الله شيء من ذلك وهو خالق نفوسكم واجسادكم والقائم عليها بالتدبير والابقاء والشهيد عليها يعلم ذلك منكم (ويعلم ما في السماوات وما في الأرض)

وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * (٢٨) يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالعِبَادِ *

اي جميع العالم لأنه خالقه ومدبره (والله على كل شيء قدير) من العقاب والجزاء والأخذ للمصير اليه (٢٨ يوم تجد كل نفس) قيل « يوم » معمول لقوله تعالى : « يحذركم » واقول لا يكون « يوم » مفعولا ليحذركم لأن يحذر لا تتعدى إلا إلى مفعولين وقد استوفاهما ولا بدلاً من أحدهما كما لا يخفى ولا ظرفاً للتحذير لأن التحذير وفائدته إنما هما في الدنيا. ولا ظرفا للحذر لو صح في نظائره اعراباً لأن الحذر في ذلك اليوم لا فائدة فيه ولا غاية وقيل ان « يوم » معمول لاذكر مقدرة . ويرد عليه انه ليس من شيء يدل على ذلك . ولا يقاس على تقدير ذلك عند قوله تعالى « وإذ » أي واذكر إذ . لأن السياق هناك يشير إلى ذلك . وتكرر في القرآن الكريم ذكره صريحاً في السور المكية سور مريم « ١٦ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت » وص « ٤٠ واذكر عبدنا أيوب إذ نادى » والاحقاف « ٣٠ واذكر أخا عاد اذ انذر » هذا مع ان المقام في اكمل الصلاحية والمناسبة لكون « يوم » ظرفاً للمصير . والفاصل ليس باجنبي (ما عملت) أي جزاء ما عملت و « ما » موصولة والعائد مقدر (من خير) « من » بيانية ولو كانت « ما » مصدرية لقيل من الخير (محضراً) بلاتسويف ولا بعد منال بل هو حاضر اعده الله تكريما وتبجيلا للمحسنين (وما عملت من سوء) أي وتجد جزاء ما عملته من سوء محضرا اهانة لها وانتقاما حال كون ذلك الجزاء من شدة هوله وآلامه وخزيه (تود لو ان بينها وبينه أمداً بعيدا) والأمد بمعنى الغاية والمراد هنا البعد المكاني لئلا تروعها اهواله وتقاسي آلامه ومكارهه . فإن البعد الزماني لا يجدي مع اليقين فإن كل آت قريب . وقيل ان الموصول في « ما عملت » مبتدأ وجملة تود خبره وجملة المبتدأ معطوفة على جملة تجد . والأول اظهر في افادة المعنى المذكور الذي لا معدل عنه . واقل حاجة إلى التقدير والتأويل . واما ما في الكشاف ، وجمع الجوامع من ان « يوم » في اول الآية معمول لتود والضمير في « بينه » يعود إلى ذلك اليوم يوم القيامة . ففيه ان الآية اخبار عن حال كل نفس وهل يخفى ان كثيرا من النفوس الزكية إذا وجدت ما عملت من خير محضراً تود لوان

(٢٩) قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * (٣٠) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ *

يوم القيامة عجل لها من حين موتها لكي تفوز بسعادتها (ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد) ومن رأفته تكراره للتحذير والانذار والارشاد إلى سبيل النجاة والسعادة وهداه إلى الصراط المستقيم (٢٩ قل) للناس يا رسول الله (ان كنتم تحبون الله) كما تزعمون فأول المصادق لهذا الحب ان تسارعوا إلى طلب رضاه ، والاهتداء بهداه ، وامتثال امره ونهيه. وقد اوضحت لك الدلائل البينة والحجج القاطعة على اني رسول الله ، وباب رضاه ونور هداه ، وترجمان امره ونهيه ، ومدرس تعاليمه ، ووسيلة تكميلكم وتطهيركم للقرب منه . إذن (فاتبعوني) في ارشادي لكم ، ووجود تقريبكم من الله ونيل السعادة الأبدية. فإني الكتاب الناطق «وماينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى» صلى الله عليه وآله وسلم وقد أمر الله بطاعته ونوه بفضلها في القرآن الكريم في اكثر من عشرين موردا . واخرج ابو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم في مستدركه وعلى شرط البخاري ومسلم وعن ابن حبان في ابواب السنة والعلم ونحو ذلك بأسانيدهم عن ابي رافع عن رسول الله (ص) قال لا الفين احدكم متكئاً على اريكته يأتيه الأمر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ندري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه . وفي رواية الحاكم من طريق الليث والا فلا . واخرجه أحمد في مسنده بعبارة أخرى. واخرج احمد في مسنده وابو داود والترمذي في الأبواب المذكورة بأسانيدهم عن ابي المقدام عن النبي (ص) نحو هذا المضمون . كما اخرج احمد وابن ماجه والحاكم عن ابي المقدام ايضا عنه (ص) نحوه . وكذا ابو داود في تعشير اهل الذمة عن العرباض عنه (ص) . وكذا ابن ماجه عن ابي هريرة عنه (ص) . وهذه الأحاديث الموصوفة بالصحة والمستفيضة عن اربعة من الصحابة متفقة المضمون في اتباع رسول الله (ص) في امره ونهيه . وانه ليس لأحد ان يرد ذلك ويقول في ذلك حسبنا كتاب الله (يحببكم الله) أي ان اتبعتموني يحببكم الله . وكفى بذلك فضلا وفوزا وسعادة (ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ٣٠ قل اطيعوا الله والرسول) وهذا تأكيد لما سبق (فإن تولوا) عن ذلك (فإن الله لا يحب الكافرين) وذلك هو الخسران المبين

(٣١) إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ *

(٣١ ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين) الطاء في اصطفى بدل من تاء الافتعال في مثل اختار اي اختاره صافيا من الخليط والاختلاط . فقديكون الصفاء من حيث الاندماج والاختلاط بالغير والمساواة له فيصطفي بالرسالة كقوله تعالى في شأن موسى في سورة الاعراف « ١٤١ اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وكلامي » او للملك ونصرة الدين كما في سورة البقرة في شأن طالوت « ٢٤٨ ان الله اصطفاه عليكم » او على سائر الأمم الوثنية باعتبار الانتساب إلى التوحيد ونبذ الاوثان كما في سورة فاطر « ٢٩ ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه » او من الاختلاط بصنف آخر كما في سورة الصافات « ١٥٣ اصطفى البنات على البنين » او من حيث التخليص عن الشركاء وتمييزه عن المشترك من جنسه كاصطفاء الرسول من الغنائم ما يختار أو من حيث التخليص من الشرك وسفاهة الاهواء كما في سورة البقرة « ١٢٦ إن الله اصطفى لكم الدين» او باعتبار التقدم في اختيار الإيمان والدعوة اليه كما في سورة البقرة في شأن ابراهيم « ١٢٤ ولقد اصطفيناه في الدنيا » وكما في سورة صٓ في شأنه وشأن اسحق ويعقوب « ٤٧ وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار » فجهة الاصطفاء والصفاء تعرف من مقام الكلام وقرائنه ولأن الله لم يذكر بين آدم ونوح في هذه الآية « شيئا » هبة الله و« ادريس » الصديق النبي عرف ان هذا الاصطفاء فوق مقام الصلاح والنبوة بل هو في أمر الدعوة العامة ، والإمامة للناس وزعامتها الكبرى . ولم يذكر ابراهيم في هذه الآية لأنه ذكر جعله الناس إماما وأن الله اصطفاه في الدنيا أي لذلك كما في سورة البقرة ١١٨ و١٢٤ وفي مجمع البيان في قوله تعالى وآل ابراهيم وآل عمران قيل اراد نفس ابراهيم ونفس عمران انتهى وفيه مع غرابته في اللفظ ومخالفته للمأثور ان عمران سواء كان أبا موسى او ابا مريم ام المسيح ليس ممن له هذا المقام الخاص من الاصطفاء على العالمين . وفي الدر المنثور اخرج ابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم عن ابن عباس قال هم المؤمنون من آل ابراهيم وآل عمران وآل يس وآل محمد (ص) وأخرج ابن سعد وابن أبي حاتم عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عليهم السلام ان امير المؤمنين علياً (ع) أمر الحسن (ع) ان يخطب فخطب ونزل فقال (ع) ذرية بعضها من

بعض والله سميع عليم . وعن تفسير الثعلبي مسنداً عن الأعمش عن أبي وائل قال قرأت في مصحف ابن مسعود ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل محمد على العالمين . وفي التبيان وفي قراءة اهل البيت وآل محمد على العالمين . وقالوا ايضا ان آل ابراهيم هم آل محمد الذين هم اهله وكذا في مجمع البيان . وتفصيل الكلام ان الشيخ الطوسي روى في اماليه عن محمد بن ابراهيم قال سمعت جعفر بن محمد(ع) يقرأ وآل ابراهيم وآل عمران وآل محمد على العالمين . وفي تفسير القمي قال العالم نزل آل ابراهيم وآل عمران وآل محمد على العالمين . ونحوه عن تفسير العياشي عن ايوب عن الصادق (ع) . وعن أبي عمر الزبيري عنه(ع) نحوه وايضا عن هشام بن سالم سألت ابا عبد الله عليه السلام عن قوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا فقال هو آل ابراهيم وآل محمد على العالمين فوضعوا اسما مكان اسم . اقول وهذه الرواية معارضة بما يرجع عليها مما دل على ثبوت آل عمران في القرآن فلا بد من صرفها عن ظاهرها ويعارض ما تقدم رواية العياشي عن سدير عن الباقر (ع) قال ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض قال نحن منهم ونحن بقية تلك العترة . وعن ابي حمزة عن الباقر(ع) انه استشهد بالآية وقرأها على ما هو المرسوم في المصاحف وفي العيون بسنده عن الريان بن الصلت ان الرضا(ع) قرأها كذلك محتجا . وفي غيبة النعماني بسنده عن جابر الجعفي عن الباقر(ع) ان صاحب الأمر عجل الله فرجه يحتج عند ظهوره بالآية على ما هو مرسوم على انه أولى الناس بنوح وابراهيم . وعن الشيخ الطوسي بسنده عن يونس ابن حباب عن الباقر(ع) عن آبائه(ع) ان رسول الله في خطابه لأمير المؤمنين تلا الآية على النحو المذكور . وهذه الروايات اوضح سنداً من الأولى واسلم من التعارض والتدافع فيما بينها وأولى بالترجيح . ويمكن الجمع بأن آل محمد(ص) كانوا مقصودين في التنزيل من آل ابراهيم بنص الوحي على الرسول في ذلك . وربما أثبت في مصحف علي امير المؤمنين(ع) ومصحف ابن مسعود بعنوان التأويل المقصود عند التنزيل كما ذكرناه في المقدمة في اواخر الكلام على روايات فصل الخطاب . والظاهر ان موسى(ع) ورسول الله(ص) والأئمة الذين لهم الإمامة والزعامة العامة الكبرى هم القدر المتيقن في المراد من آل ابراهيم . واما اسماعيل واسحاق ويعقوب فلم يعلم ان مقامهم في النبوة والزعامة فوق مقام شيث(ع) وادريس اللذين أهملا من اصطفاء هذه الآية كما ان الظاهر من عمران انه عمران ابو مريم أم المسيح وانه ذكر

(٣٢) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * (٣٣) إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ

لخفاء الاشارة الى المسيح بعموم آل ابراهيم مع اقتضاء المقام للاشارة اليه بنحو جلي ويشهد له ايضا قوله تعالى بعد هـذه الآية «إِذ قالت امرأة عمران» إلى آخر قصة المسيح (٣٢ ذرية بعضها من بعض والله سميع) لدعاء الداعين ورجاء الراجين مستجيب لهم كدعاء ابراهيم بقوله « ومن ذريتي » (عليم) بما تقتضيه المصلحة ومواقع اللطف (٣٣ إِذ قالت امرأة عمران) جد المسيح . ودعوى زيادة « إِذ » هنـا من الغلط . وجعلها ظرفا لسميع عليم لا يناسب مجيئها بعنوان الصفة الدالة عـلى الثبوت الدائم المطلق . وجعلها مفعولا لأذكر مقدرة بعيدة في السوق والسياق كما ذكرت هذه الأقوال في التبيان ومجمع البيان وذكر الأخير في الكشاف وجعلها ظرفا لاصطفى المذكورة لايصح إِذ لا تكون ظرفا لاصطفاء آدم ونوح . فالوجه جعلها ظرفا لفعل مقدر يدل عليه الكلام . وهو سميع الدعاء أي استجابه إِذ قالت . او اصطفى آل عمران إِذ قالت بمعنى انـه لاحت مظاهر الاصطفاء إِذ قالت . والأول اقرب . وفي تفسير القمي في الحسن كالصحيح عن الصادق (ع) ان امرأة عمران اسمها حنـه . وكذا في الدر المنثور مما أخرجه اسحاق بن بشير وابن عساكر عن ابن عباس . واخرجه الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة . وفي تفسير القمي في سورة مريم وطرد الرواية عن أبي الجارود عن الباقر (ع) ان زكريا كان رئيس الأحبار وامرأته اخت مريم بنت عمران بن ماثان وبنو ماثان مـن ولد سليمان بن داود . وفي الدر المنثور مما اخرجه البيهقي في سننه عن ابن مسعود وابن عباس وناس من الصحابة ان زكريا كان افضل الذين يكتبون التوراة وكانت اخت مريم تحته . وفي ضمن ما أخرجه ابن بشير وابن عساكر عن ابن عباس ان مريم كانت بنت امام القراء وكان إِمام القراء من ولد هارون وكان زكريا رأس الأحبار وكانت خالة مريم عنده انتهى والله العالم . وابو الجارود ضعيف، وفي الفصل الأول من انجيل لوقا ان زكريا من الكهنة أي من ولد هارون سدنة بيت المقدس وان زوجته أم يحيى هي نسيبة مريم أي قرابتها ومشاركتها في النسب وان حملها بيحيى قبل حمل مريم بالمسيح بستة اشهر . والأناجيل الرائجة لم تذكر نسب مريم ولا نسب عيسى من جهتها . بـل ذكرت نسب يوسف النجار الذي يزعمون ان مريم كانت مخطوبة له . فانجيل مـتى قال ويعقوب ولد يوسف . وانجيل لوقا قال ان يوسف بن هـالي .

رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * (٣٣) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * (٣٥) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً

والنصارى من أجل هذا الاختلاف في كتبهم التي ينسبونها الى الوحي تكلفوا وتعسفوا بدعواهم ان «هالي» هو ابو مريم. وقد تعرضنا لهذا المقام في الجزء الأول من كتاب الهدى(١) (رب إني نذرت لك مــا في بطني محرراً) أي للمسجد بيت المقدس . وفي تفسير القمي في الحسن كالصحيح عن الصادق(ع) ان الله أوحى الى عمران اني واهب لك ذكرا مباركاً يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذني وجاعله رسولا الى بني اسرائيل فحدث بذلك امرأته حنه فلما حملت كان حملها عند نفسها غلاما ، الرواية ونحوه عن العياشي عن جابر عن الباقر(ع) فحسبت ان المبشر به ولدها الأدنى.(فتقبل مني) نذري أي اجعله واتخذه مقبولا عندك (إنك انت السميع) للدعاء أي نذري وما يؤل اليه من الدعاء بسلامة الحمل وجعله ذكراً يقوم بما نذر له (العليم) بنيتي (٣٤ فلما وضعتها) انث الضمير باعتبار كون المولود أنثى (قالت رب اني وضعتها أنثى والله اعلم بما وضعت) فإنه هو الذي خلقها وصورها. وفي رواية القمي المتقدم ذكرها يقول الله والله اعلم بمــا وضعت (وليس الذكر) الذي كان في نيتي وبشرى عمران ومقصد نذري (كالأنثى) فإنها لا تكون رسولا ولا تقوم بمــا يراد من المنذور المحرر (وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) المرجوم بالشهب او باللعن . وكأنها تشير بذلك الى مامعناه انك رب تدفع بلطفك شر الشيطان وغوايته كما جعلته رجيما فأعذها وذريتها بلطفك من شره (٣٥ فتقبلها ربها) ومولاها وجعلها واتخذها مقبولة عنده (بقبول حسن) كما سألته أمها وفوقه (وأنبتها نباتا حسنا) النبات يكون اسم مصدر لنبت ويكون مفعولا مطلقا لأنبتهــا بدلا عن مصدره ويستعمل ايضا فيما ينبت كقوله تعالى في سورة الاعراف . وطه . وعمّ « يخرج نباته بإذن ربه » « ازواجا من نبات شتى » « لنخرج به حبا ونباتا » فيكون المعنى أنبتها حال كونها

(١) صفحة ٢٠٥ — ٢١٠

وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ * (٣٦) هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٧) فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي بِالْمِحْرَابِ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ

نباتا حسنا ٠ والمراد من كلا الوجهين حسن نشأتها وتربيتها في صلاحها وكمالها (وكفلها زكريا) أي جعل زكريا كفيلها والقائم بأمرها بحسب التقدير او بجعل القرعة ، بالاقلام له واكرم به من كفيل صالح امين رؤف (كلما دخل عليها زكريا المحراب) المسجد (وجد عندها رزقا) في رواية القمي المتقدمة يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء ، وفاكهة الشتاء في الصيف. ونحوه ما اخرجه ابن جرير عن ابن عباس ٠ وفي الدر المنثور أخرج ابو يعلى عن جابر حديث الزهراء (ع) والجفنة التي ملئت خبزا ولحما ببركة الله وعطائه ان رسول الله (ص) سألها عن ذلك فقالت هو من عند الله فقال (ص) الحمد لله الذي جعلك شبيهة بسيدة نساء بني اسرائل. وروى الشيخ في أماليه عن حذيفة بن اليمان ما يشبه ذلك (قال يا مريم أنى لك هذا) ومن أين جاءك (قالت هو من عند الله يرزق من يشاء بغير حساب) لا في الجريان على العادة ولا على مقدار الضرورة (٣٦ هنالك) أي حين ما رأى زكريا المعجز بوجود فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء رجا ان يرزقه الله ولدا وإن صار شيخا كبيرا وكانت امرأته عاقرا ٠ و (دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة) الذرية النسل والولد ٠ والطيبة الصالحة ٠ وهذا اجمال لما سبق نزوله في سورة مريم المكية من قوله « فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا » (إنك سميع الدعاء) القادر على اجابته (فنادته الملائكة) أي نوعهم تمييزا عن نداء نوع البشر وإن كان المنادي واحدا كما يقال قتله الجن (وهو قائم يصلي في المحراب ٣٧ ان الله يبشرك بيحيى) فكان ذلك بشرى بالولد الذكر (مصدقا بكلمة من الله) وهو المسيح رسول الله كما سيأتي إن شاء الله في الآية الثالثة والاربعين وقوله تعالى في سورة النساء « ١٦٩ وكلمته القاها الى مريم » باعتبار أنه مخلوق بكلمة « كن » لا بالتناسل العادي. وان التصديق برسالة المسيح من الكهنة الذين بيدهم الرئاسة الشرعية على بني اسرائيل

وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ * (٣٨) قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ * (٣٩) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ

قد كان من اصعب الأمور على النفوس الأمارة بالسوء. فالإخبار بتصديق يحيى لرسالة المسيح مدح كبير له، وتمجيد له بطيبه وصلاحه وانه لا تأخذه في الحق لومة لائم، ولا نزعة نفس أمارة (وسيداً) السيادة الزعامة وولاية الأمر والسيد من يسود غيره (وحصورا) في رواية القمي المتقدمة الحَصُورُ الذي لا يأتي النساء. ونحوه ما في الدر المنثور مما اخرجه عبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عساكر عن ابن عباس. وابن جرير والبيهقي في سننه عن ابن مسعود. وشرعيته ورجحانه ومدحه مختص به إذ لم تعهد شرعيته ورجحانه بنحو نوعي في شريعة إلهية، واما في شريعة الإسلام فقد تحقق عن الرسول الأكرم (ص) قوله النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني (ونبيا من الصالحين) ذكر ذلك تنويها بفضل النبوة فإن كل الأنبياء من الصالحين (٣٨ قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر) في السن. يقال بلغه الكبر والهرم وادركه الموت تنزيلا لهما منزلة الطالب الذي لا مفرّ منه (وامرأتي عاقر) لأنها لم تلد مدة عمرها. وقال زكريا ذلك مع انه دعا الله أن يرزقه الذرية والولي الوارث إما طلبا للاطمئنان بالبشرى لأن ذلك على خلاف العادة في التناسل من مثلهما. وإما شكرا واعترافا بنعمته في اجابة دعائه على خلاف العادة الجارية في التناسل بمثلي اني وامرأتي في مثل هذا الحال فمن اين يكون لي غلام لولا قدرتك ورحمتك وعنايتك الخاصة الخارقة للعادة في إجابة دعائي. ذكر ذلك السيد الرضي «رضي الله عنه» في حقائق التأويل (قال كذلك الله يفعل مايشاء ٣٩ قال) زكريا طلبا لزيادة الاطمئنان بحصول ذلك في العاجل ومعرفة وقت الحمل وإن كان مؤمنا بصدق البشرى وقدرة الله (رب اجعل لي) في الدلالة على حصول الحمل واجابة دعائي علامة و (آية) من آياتك الخارقة للعادة (قال) الله له (آيتك) التي تطلبها هي (ان لا تكلم الناس) ولا تقدر على تكليمهم وإن كان لسانك مطلقا في ذكر الله وتسبيحه والصلاة له (ثلاثة ايام) بلياليها. ولذا جاء في سورة مريم ثلاث ليال سويا. ومن الشائع في العربية وغيرها في امثال هذا المقام دخول الليل في الأيام والنهار في الليالي يقال أقمت في البلد ثلاثة ايام كما يقال أقمت

إِلَّا رَمْزاً وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ * (٤٠) وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ * (٤١) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ *

فيه ثلاث ليال . وشواهد ذلك حتى في اللغة العبرانية وكتب العهدين كثيرة لا يسعها المقام (إلا رمزا) الرمز هو افهام المعنى بنحو من الإشارة . والاستثناء هنا منقطع (واذكر ربك كثيرا وسبح) تسبيح الله تنزيهه وتقديسه . أو وصلِّ له النوافل فقد ورد في الحديث كثيرا من طرق الفريقين عن الرسول (ص) والصحابة والأئمة (ع) تسمية صلاة النوافل بالسبحة (بالعشي) وهو من زوال الشمس الى الغروب أواخر النهار (والإبكار) بكسر الهمزة من حين طلوع الفجر الى وقت الضحى كما في التبيان والكشاف وغيرهما (٤٠ و) اذكر (إذ قالت الملائكة) أي هذا النوع وان كان القائل واحد (يا مريم إن الله اصطفاك) قد ذكرنا معنى الاصطفاء وان جهة الاصطفاء تعرف وتؤخذ من قرائن المقام . فالمعنى إذن اصطفاك بأن تقبلك وقبلك من نذر أمك في تحريرك لله (وطهرك) زيادة على ذلك من الأدناس التي تلحق النساء (واصطفاك على نساء العالمين) وقدمك عليهن بالولادة من غير فحل . هذا غاية ما يدل عليه المقام والقرائن من وجهتي الاصطفاءين وقد كرر ذكر الاصطفاء لأجل اختلاف الوجهة فيه . وليس في اللفظ وقرائن المقام دلالة على سيادتها على نساء العالمين . نعم ثبتت لها السيادة على نساء عالمها من السنة . واستفاض بل تواتر من حديث الفريقين عن الرسول الأكرم (ص) ان فاطمة بنته (ع) سيدة نساء العالمين ، وسيدة نساء أهل الجنة . ومن ذلك ما رواه احمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه وابن أبي شيبة والحاكم وابو يعلى والروياني والعقيلي والطبراني وابن عساكر وصاحب الاستيعاب وغيرهم عن حذيفة ، وابي سعيد الخدري ، وابن عباس ، وعائشة ، وفاطمة (ع) عن رسول الله (ص) والأحاديث بذلك من طريق الشيعة كثيرة جدا (٤١ يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين) قد ذكر معنى القنوت في الآية العاشرة بعد المائة والتاسعة والثلاثين بعد المائتين من سورة البقرة . والسجود معروف والركوع يطلق على الانحناء المعروف . وقد يستعمل ركع واركع واركعي في الاتيان بركعات الصلاة فيقال لمن صلى ركع ركعات خفيفة او ركع ركعات مطوّلة أي وكوني في زمرة المصلين الكثيري الصلاة ولا

(٤٢) ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ * (٤٣) إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ

ينحصر المعنى بصلاة الجماعة (٤٢ ذلك) أي قصة امرأة عمران ومريم وزكريا وبشرى الملائكة لها (من أنباء الغيب نوحيه اليك) ومن ذلك اختصامهم في كفالة مريم والقاء اقلامهم للقرعة على كفالتها (وما كنت لديهم إذ يلقون اقلامهم للقرعة لأخذ النتيجة منها وهي انه (أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون) في ذلك حتى تراضوا على القرعة بالأقلام فلست تذكر للناس ما حضرته ورأيته. ولا هو مدوّن في الكتب المتداولة عند اهل الكتاب فضلا عن انك لا تقرأ كتابا ولم تمارس درسا ولا تعلما ولم يكن في قومك وبلادك شيء من العلم وفي هذا حجة على انهُ وحي من أنباء الغيب من الله. وقد روى في الدر المنثور وغيره في القاء الاقلام وكيفية روايات لا تنهض حجة (٤٣ إذ قالت الملائكة) الظاهر ان «إذ» هنا بدل او عطف بيان لإذ المتقدمة في الآية الاربعين. فإن الظاهر هو ان قولي الملائكة في الآيتين كانا عند كبر مريم في زمان واحد او زمانين متقاربين يليق اعتبارهما حينا واحدا كالسنة ونحوها. واما ابدالها من إذ يختصمون فبعيد جداً لأن الاختصام كان بحسب الظاهر في صغر مريم والبشرى في كبرها عند حملها بالمسيح. واعتبار الزمانين في مثل ذلك حينا واحدا بعيد (يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم) سمي عيسى بالكلمة لأنه تكون في رحم أمه من غير فحل بل بكلمة الله وهو قوله «كن» وذلك كناية عن إرادته التكوينية بدون اسباب ومعدات فالمسيح بنشأه كلمة من عند الله. ولأن المراد بالكلمة هو الذكر جيء بالضمير في «اسمه» مذكرا باعتبار المعنى. والمسيح لقب لعيسى وابن مريم نسبة له ولكن يصح في التوسع أن يقال اسمه المسيح عيسى بن مريم. ولعل تسميته بالمسيح مأخوذة من العادة الاسرائيلية في الزعيم الروحاني يمسحه للزعامة الروحانية من هو قبله من الزعماء فصار ذلك لقباً للزعيم الروحاني فكان المسح وسام الروحانية كالتتويج للملك. ونص على نسبته لأمه لبيان ان نسبته في الولادة منحصرة بأمه رداً على من يسميه ابن الله. ولعل من ذلك ما اتفقت عليه الأناجيل في حكايتها عن كلام المسيح انه يعبر عن نفسه بابن الانسان ليكون

وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * (٤٤) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٥) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ *(٤٦) وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ

ذلك رداً على من يزعم انه ابن الله بحسب الولادة (وجيهاً) أي ذا جاهٍ (في الدنيا) مستجاب الدعوة مختاراً للرسالة قدوة للمؤمنين متبوعا للصالحين مظهرا للمعجزات والكرامات (والآخرة ومن المقربين ٤٤ ويكلم الناس) بالأمور الإلهية وما ينفعهم حال كونه (في المهد) وجملة يكلم حالية معطوفة على « وجيها » كجملة ومن المقربين ، ومن كلامه في المهد ما ذكر من أول الآية الحادية والثلاثين الى آخر الرابعة والثلاثين من سورة مريم المكية (و) يكلم الناس بالامور الإلهية وتبليغ الرسالة حال كونه (كهلا) وفي ذلك بشرى لمريم بأنه(ع) يبلغ زمان الكهولة واشارة الى انه لا يبقى بين الناس الى زمان الشيخوخة . والمعروف انه(ع) ارسل الى الناس وهو ابن ثلاثين ورفع الى السماء بعد ثلاث سنين (ومن الصالحين ٤٥ قالت رب أنى) ومن أين (يكون لي ولد و) الحال اني (لم يمسسني بشر) لعلّ مرجع سؤالها الى ان ولادتها هل تكون على جاري العادة بالتزويج . ومن هو زوجها الذي تلد منه لأن الولادة على غير العادة أمر غريب عجيب (قال كذلك الله) أي الله كذلك يرزقك على خلاف العادة المقدرة وإن لم يمسسك بشر فإنه (يخلق ما يشاء) كيف شاء انه (إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون) قد مضى الكلام في هذا في الآية الحادية عشرة بعد المائة من سورة البقرة (٤٦ ويعلمه الكتاب) الواو عاطفة وجملة يعلمه للحال معطوفة في نسق الأحوال على وجيها . والمراد بالكتاب اما مصدر كتب أي الكتابة بيده واما كتاب غير التوراة والانجيل او نوع الكتب وذكرت التوراة والانجيل لأهميتها من باب عطف الخاص على العام (والحكمة والتوراة) وهي في الأصل اسم للكتاب الذي أنزل على موسى(ع) وهو في العبرانية اسم للشريعة . نعم جرى الاصطلاح اخيرا على ان كتب اليهود التي تسمى بالعهد القديم تسمى بالتوراة . والظاهر انه اصطلاح لا اعتداد به في هذا المقام (والانجيل) وهو الكتاب الواحد الذي أنزل عليه(ع) . ويقال ان معناه في اليونانية القديمة «التعليم» (و) حال كونه (رسولا) من الله (الى بني اسرائيل) باعتبار ابتدائه بهم في

أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِن رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ *

الدعوة (اني قد جئتكم) لما كانت دعوى الرسالة تؤيد بالحجة عليها كان ذكر المعجز يجعل الكلام كالصريح بما معناه حال كونه يقول لهم حجتي اني جئتكم . وقد ذكرنا(١) ان الحذف لما يدل عليه الكلام بسياقه باب من ابواب البلاغة عند العرب (بآية من ربكم) المراد نوع الآية وما يكون حجة على الرسالة وإن كان ماجاء به آيات متعددة (اني) المصدر المنسبك من«ان» وجملتها بدل من آية او خبر لضمير محذوف يعود على آية والتقدير هي اني (اخلق) وأصور (لكم من الطين كهيئة الطير) وليس في ذلك آية فإن تصوير الطين مقدور للبشر (فأنفخ فيه فيكون طيرا) حقيقيا (بإذن الله) وخلقه له طيراً والحجة باظهار الله لهذا المعجز على يد المسيح وفي التبيان ومجمع البيان في التفسير انه صنع من الطين كهيئة الخفاش ونفخ فيه فصار طائرا . ورواه في الدر المنثور مما أخرجه ابن‌جرير عن ابن جريج وابو الشيخ عن ابن عباس ولا ينهض شيء مـن ذلك حجة (وأبرئ الأكمه) وهو الذي يولد أعمى او مطلق الأعمى (والأبرص) وهو معروف (وأحيي الموتى بإذن الله) وفعله وإنما نسب الابراء والاحياء اليه لأنـه السبب ببركته ودعائه في ظهور هذا المعجز من الله على يده . وفي جمع الموتى دلالة عـلى تعدد صدور الاحياء مـن الله بسببه . وفي الصافي في الكافي والعياشي عن ابي عبد الله (ع) وذكر احياء عيسى لصديقه . ورواه ايضا في الدر المنثور والقصة تشبه أن تكون قصة « اليعازر » المذكورة في انجيل يوحنا (وأنبئكم) من الغيب (بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم) مما لا يدري به غيركم (إن في ذلك لآية لكم) كافية في ارشادكم بدلالتها القاطعة الى الإيمان بأني رسول الله (إن كنتم مؤمنين) بالله وانه بلطفه يرسل رسله لهداية عباده الى الصلاح ودعوتهم الى السعادة . وانه جل شأنه يمتنع على قدسه اظهار المعجز على يد الكاذب . او ان كانت لكم ملكة الإيمان بما تقوم به الحجة وتشهد له الآيات . لا ممـن استحوذ عليهم الشيطان وأضلهم

(١) في تفسير سورة البقرة قبل الآية الثامنة والعشرين

(٤٧) وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ * إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * (٤٨) فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * (٤٩) رَبَّنَا آمَنَّا

الهوى كما قال الله في سورة الأنعام « ١١١ ولو اننا نزّلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيءٍ قبلا ما كانوا ليؤمنوا — ١٢٤ وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسول الله (٤٧ ومصدقا) أي وجئتكم حال كوني مصدقا (لما بين يديَّ) أي لما تقدمني (من التوراة) « من » بيانية (ولأحل) عطف على مصدقا (لكم بعض الذي حرم عليكم) في التوراة مما زال عنه مقتضى التحريم . ولعل منه ما في قوله تعالى في سورة النساء « ١٥٨ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم » (وجئتكم بآية من ربكم) كرر ذكر الآية تأكيدا في الحجة وتمهيداً لقوله (فاتقوا الله) وتحذروا من غضبه وعقابه بما يقيكم من ذلك كطاعته والإيمان بآياته وشهادتها لرسله (وأطيعون) فإني ادعوكم الى الله والى سبيل سعادتكم في الدنيا والآخرة (إن الله ربي وربكم) وإلهنا جميعا وخالقنا ومدبر أمورنا واليه مرجعنا وإني وإياكم عباده لا إله إلا هو (فاعبدوه) واخضعوا له خضوع العبد لإلهه . ومن عبادته أن لا تشركوا به شيئا (هذا) أي تقوى الله وعبادته وطاعة الرسول في دعوته الى الله وتوحيده ودين الحق (صراط مستقيم) لا يهتدي من ضل عنه (٤٨ فلما أحس عيسى منهم الكفر) بآيات الله ورسالته (قال من أنصاري الى الله) أي في الدعوة اليه بالإيمان به وبآياته وما ارسل به رسوله (قال الحواريون) في العيون مسندا عن الرضا (ع) انهم سموا حواريين لأنهم كانوا مخلصين في أنفسهم ومخلصين لغيرهم من اوساخ الذنوب بالوعظ والتذكير (نحن انصار الله) في الدعوة الى دينه والجهاد في سبيل الحق (آمنا بالله) ولا نكفر ككفرهم (واشهد بأنا مسلمون) داخلون في سلم الله لا نحاده ولا نخالف أوامره ونواهيه ولا نعانده فيما أمر به من الدعوة الى سبيله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ثم التفتوا الى التشرف بخطاب الله والاعتراف له بنعمة الإيمان والدعاء بدوام توفيقهم لذلك فقالوا (٤٩ ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول) عيسى فيما جاء به من عندك (فاكتبنا) بتوفيقك وتثبيتك (مع الشاهدين)

بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * (٥٠) وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ *

بالحق الدائبين على ذلك. ثم التفت القرآن الى حال الذين أحس عيسى منهم الكفر بقوله تعالى (٥٠ ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) بعض اللغويين فسر المكر بالخديعة . وفي التبيان « والمكر وان كان قبيحا فإنما اضافه الله الى نفسه لمزاوجة الكلام كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه. والثاني ليس باعتداء وإنما هو جزاء » ونحوه في مجمع البيان. وكأنهم نظروا في ذلك الى ان الكثير من استعمال الناس للفظ المكر هو فيما يساوق استعمالهم للفظ الخديعة من الانسان لإيصال الضرر المحرم الى غيره وبذلك يكون قبيحا. ولكن استعمال القرآن الكريم وبعض الموارد يرشد الى ان المكر هو اعمال خفية على الغير في معاملته على غفلة منه عنها. وقد جاء في القرآن الكريم منسوبا الى الله بدون مزاوجة كقوله تعالى في سورة الاعراف «٩٧ أفأمنوا مكر الله ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون» وقال الله هذا وفي سورة الأنفال « ٣٠ والله خير الماكرين » فأطلق لفظ الماكر عليه جل شأنه وعلى غيره يعني الظالمين بلفظ واحد ولا يجوز استعمال اللفظ الواحد في المعنى الحقيقي والمعنى المجازي معا. وعموم المجاز يأباه المقام. وقد ورد في الدعاء في خطاب الله « ولا تمكر بي في حيلتك » بدون مزاوجة. وفي نهاية اللغة «وفي حديث الدعاء اللهم امكر لي ولا تمكر بي». واما ما أسنده ابن بابويه عن الرضا (ع) من قوله ان الله لا يمكر ولكنه يجازي على المكر فإن في سنده جهالة واهمال ويمكن أن يريد نفي المكر بالمعنى الذي يساوق الخديعة لإيصال الضرر القبيح كما ذكرناه. والا فإن عرض الرواية على ما ذكرناه من القرآن كما أمرنا بهِ اهل البيت يوجب الوثوق بعدم صدورها عنهم عليهم السلام. هذا ولعل المراد من مكرهم ما يذكر من انهم قالوا لملكهم ان عيسى يطلب الملك لنفسه فوافقهم على صلبه وقتله. والمراد من مكر الله هو القاء شبه المسيح على غيره ورفعه الى السماء. وفي تفسير القمي مسندا عن الباقر (ع) ان المسيح قال لأصحابه أيكم يلقى عليهِ شبهي فيقتل ويصلب ويكون معي في درجتي فقال شاب أنا يا روح الله فقال فأنت هوذا. ونحوه في رواية الدر المنثور مما اخرجهُ عبد بن حميد والنسائي وابن ابي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس. وروى عن وهب بن منبه مما أخرجه عنهُ عبد بن حميد وابن جرير ان الذي القى عليهِ شبه المسيح

(٥١) إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * (٥٢) فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ *

وصلب هو الذي كان من اصحابهِ واخذ من اليهود ثلاثين درهما فدلهم على المسيح ليقتلوه . ونحوه في التفسير الذي أبطلنا نسبته للإمام العسكري(ع) . كما حكى نحو ذاك في انجيل برناباوانه يهوذا الاسخريوطي . والله العالم . ولعل السر في هـذا التشبيه هو انهُ لو غيب عنهم المسيح ورفع إلى السماء في الخفاء لا تهموا اهله والمؤمنون به بإخفائه فعمهم البلاء وكثر فيهم القتل والتنكيل وفضيحة النساء طلبا لإظهاره . ولو رفع الى السماء ظاهرا بمرأىً من الناس لاستحكمت شبهة ألوهيته وسرت حتى إلى بعض المؤمنين والله خير الماكرين فإن مكره وتـدبيره الخفي لا يكون إلا جاريا على الحكمة لا يفوته اللطف بالعباد (٥١ إذ) ظرف لمكر الله (قال الله يا عيسى إني متوفيك) أي آخذك من بين الناس ومن عالم الأرض وقد مضى الكلام على ذلك في الفصل الرابع من المقدّمة (ورافعك إليّ) قال جـل شأنه اليّ وهو لا يحويه مكان ولا يخلو منه مكان تكريما للمسيح وتفخيما لغاية الرفع من الأرض التي فيها الكافرون والفساق الى السماء الممحضة لتسبيح الله وتقديسه فكنى عن ذلك برفعه إلى الله (ومطهرك مـن الذين كفروا) اي من رجس قربهم والابتلاء بمجاورتهم (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا) اما النصارى فليسوا ممن اتبع المسيح كيف وقد أشركوا بالله وألهوا المسيح ، وثلثوا الآلهة ولم يبقوا لهم شريعةً وأن اناجيلهم وكتبهم لتقول ان المسيح لم يبطل شريعة التوراة بل هم من بعده ابطلوها . وأن الذين اتبعوه على دين الحق ملة ابراهيم انما هم المؤمنون الموحدون حق التوحيد من قومه ومن بعدهم المسلمون بدعوة رسول الله . وعبر بالماضي باعتبار المؤمنين مـن قومه فإن جنس الذين اتبعوه قد مضى له التحقق باعتبار بعضه فهم فوق الذين كفروا مستمرين على ذلك (الى يوم القيامة ثم إلي مرجعكم) بالحشر جميعاً (فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) من التوحيد والإيمان وشريعة الحق (٥٢ فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديداً في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين) كما ابتلوا بذلك البلاء العظيم من القتل العام والذلة الشاملة في

(٥٣) وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * (٥٤) ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ * (٥٥) إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * (٥٦) الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُنْ مِنَ المُمْتَرِينَ * (٥٧) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ

حادثة طيطوس وبقوا بعد ذلك القتل والجزية وذلة المحكومية . (٥٣ وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم) الله وفيه التفات من التكلم في مقام الارهاب بسطوته الى الغيبة في مقام ثقة المؤمنين بالجزاء (أجورهم) وذلك اشرف الغايات (والله لا يحب الظالمين ٥٤ ذلك نتلوه عليك) بالوحي يا رسول الله (من الآيات والذكر) أي القرآن (الحكيم) . ولما ذكر الله ولادة المسيح من مريم من غير فحل على خلاف العادة . وقد أثار الضلال من ذلك شبهتين بين الناس احداهما تهمة اليهود لمريم والثانية زعم النصارى انه ابن الله . فلذلك احتج على الفريقين بما يعرفونه ويعترفون به من خلقة آدم فماذا يقول اليهود في آدم . وماذا يقول النصارى فيه فقال جل وعلا (٥٥ إن مثل عيسى) في تصرف القدرة الإلهية بولادته بما هو بشر على خلاف العادة (عند الله كمثل آدم خلقه) وصوره (من تراب ثم قال له كن) بشرا حيا (فيكون) لم يقل جل شأنه « فكان » لأن الماضي لا يدل على لزوم ترتب الكون على ان يقال « كن » بل هو يعم الترتب اتفاقا بل هذا هو الظاهر والقدر المتيقن منهُ فجيء بالمضارع ليدل على الملازمة وانه جلت قدرتهُ إذا قال لشيء كن فإنهُ يكون لا محالة (٥٦ الحق من ربك) أي الاخبار بأحوال المسيح هو الحق من ربك (فلا تكن) ايها السامع (من الممترين) الشاكين . او يكون الخطاب لرسول الله (ص) على النحو الذي ذكرناه في الآية الثانية والاربعين بعد المائة من سورة البقرة (٥٧ فمن حاجك فيه) أي في عيسى زاعما انهُ إله وابن الله متشبثا بولادته من غير فحل . والمحاجة تبادل الاحتجاج . والحجة أعم من البرهان الصحيح والجدل الفاسد كما اشرنا اليه في سورة البقرة ١٤٤ (من بعد ما جاءك من العلم) المعقول والمحسوس والموحى به من ان الله جل شأنهُ واحد لا يكون ثلاثة ولا شريك له في الإلهية ولا بلد . وان البشر الجسماني المتحيز المتغير الذي يجوع ويتألم ويبكي ويحزن ويحتاج لا يعقل ان يكون إلها . وان خلق الله للحيوان

فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُم وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الكَاذِبِينَ

والانسان لا يتوقف على التولد من ذكر وأنثى كما هو المعروف في الفار والدجاج وتتم العبرة بخلق آدم (فقل) لهم قطعاً للمعاذير وحسما لإصرارهم على الغي والضلال بعد ماجئت به من الحق والحجة القاطعة مما جاءك من العلم هلم الى المباهلة والدعاء بأن يلعن الله الكاذبين في دعاويهم ويبطش بهم ويهلكهم ويخزيهم (تعالوا ندع) أنا وأنتم لهـذه المباهلة وعاقبتها المخوفة أهم من يحافظ الانسان على سلامتهِ وحفظ شرفه وصونه ومقامـه في الحياة (ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم) والمقصود اهم من ينسب الى الشخص من النساء في مقام الاهلية والرابطة العرضية اللازمة كالأم والأخت والبنت دون الزوجـة التي تدنو بكلمة التزويج وتبعد بكلمة الطلاق (وأنفسنا) أي وندع أنفسنا ولا بد من أن يكون الداعي غير المدعو والمراد هو الشخص الذي يرى داعيه ان وجوده في الأثر والمزايا والفضيلة والغاية بمنزلة وجوده في ذلك أو اقرب الناس إلى مقام وجوده وما يطلبه من غايـة وجوده وبذلك يقول هذا نفسي بتنزيل صحيح ومجاز مقبول (وأنفسكم ثم نبتهل) نحن أو نحن وهم أي ندعو باللعن (فنجعل لعنة الله) والمراد نكاله ونقابه الدنيوي (على الكاذبين) وقد اتفقت الرواية في شأن النزول ان نصارى نجران(١) وفد بعض من زعمائهم الروحانيين على رسول الله(ص) في المدينة فاحتج(ص) عليهم في أمر عيسى وانه بشر رسول من الله وليس بإله كما يزعمون فلم ينيبوا الى الحق بدلالة الحجة النيرة فأمر الله رسوله أن يدعوهم الى المباهلة فدعاهم بمقتضى الآية الكريمة فقال بعضهم لبعض ان جاءنا بأهله وخاصته فهو على يقين من أمره فلا تباهلوه . فغدا (ص) عليهم للميعاد ومعهُ عليٌّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله وسلامهُ عليهم . وفي حديث مسلم والترمذي والحاكم وابن المنذر

(١) نجران من مخاليف اليمن من ناحية مكة . والمخلاف في لغة اليمن كالكورة والصقع في غيرها وكالرستاق في العراق . وذكرت لتنصر اهلها اسباب لا يعول على نقلها ولاتلائم الحقيقة بصحتها . وفد اساقفتهم على رسول الله (ص) فدعاهم الى المباهلة فلما صار الغد ابوا وصالحوه سنة عشرة من الهجرة وكتب لهم بذلك كتابا ويروى انه لما ولي ابوبكر امضاه ولما ولي عمر اجلاهم واشترى منهم اموالهم

والبيهقي عن سعد ان رسول الله (ص) قال اللهم ان هؤلاء أهل بيتي فأبى أولئك أن يباهلوه وعاهدوه على الجزية . وفي روايـة ابن اسحق والثعلبي والكشاف والرازي وابي السعود وغيرهم في تفاسيرهم والمالكي في الفصول المهمة ان اسقف نجران قال اني لأرى وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لأزاله فلا تبتهلوا . وفي حديث جابر كما في مستدرك الحاكم واسباب النزول للواحدي وغيرهما « ابنائنا الحسن والحسين . ونسائنا فاطمة . وانفسنا علي بن ابي طالب » وفي صواعق ابن حجر اخرج الدارقطني ان عليا (ع) يوم الشورى احتج على اهلها فقال انشدكم بالله هل فيكم أحد اقرب إلى رسول الله (ص) في الرحم مني ومن جعله نفسه وابناءه ابناءه ونساءه نساءه غيري قالوا اللهم لا . الحديث اقول والقدر المشترك في الاحاديث هو ان رسول الله (ص) دعا عليا وفاطمة والحسن والحسين (ع) ليباهل بهم نصارى نجران رواه الفريقان بأسانيدهم عن جماعة من الصحابة والتابعين وأئمة أهل البيت . ففي كتب اهل السنة اخرجه مسلم والترمذي في جامعيهما وابو نعيم في الدلائل والبيهقي في سننه وابن ابي شيبة وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم في مستدركه وابن مردويه والثعلبي في تفسيره والواحدي في اسباب النزول وابن اسحق في المغازي وموفق بن احمد وابن المغازلي والحمويني والمالكي في فصوله والسيوطي في الدر المنثور وغيرهم بأسانيدهم عن سعد بن ابي وقاص وجابر وابن عباس وعليا اليشكري وجد سلمة . وعن الشعبي والحسن والسدي ومقاتل والكلبي . بل ذكره جل المفسرين وقل ما يخلو من روايته كتاب تفسير . وفي كتب الشيعة اخرجه القمي في تفسيره والمفيد في اختصاصه والصدوق في العيون والشيخ في اماليه عن علي امير المؤمنين (ع) وعن ابي ذر (رض) ان عليا (ع) احتج بذلك يوم الشورى . وسعد بن ابي وقاص والحسن السبط (ع) وجد محمد بن المنكدر والصادق والكاظم والرضا والهادي عليهم السلام . فهذا الحديث مروي بالأسانيد المتعددة عن تسعة من الصحابة وخمسة من التابعين وستة من أئمة اهل البيت (ع) : ونتيجة الآية الكريمة والحديث القطعي هي ان الله عز وجل امر رسوله بأن يسمي علي نفسه ليبين للناس انه ثانيه من امته في الفضيلة والغاية الكريمة والولاية العامة والزعامة الكبرى والقيام بأمر الأمة والدين وسياسته والإمامة التي هي دعوة ابراهيم في قوله « ومن ذريتي » . وهل ترى غير الواجد لهذه المزايا يأمر الله رسوله بأن يسميه نفسه . ألا ترى انه لا يصح لأحد يعرف كيف يتكلم ان يقول

عن شخص آخر انه نفسي إلا إذا كان ذلك الشخص في نظر القائل ثانيه في مزاياه والوجه المطلوب منه وثقته في ذلك . ولعمر الحق ان هذا أمر جلي . ولقد تكرر ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله بيان هذا المعنى المنجلي من قوله « وانفسنا » كما امره الله وشرحه بعبارات متناسبة في الايضاح واقامة الحجة فهي « نور على نور » كقوله (ص) لعلي(ع) انت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي وقوله (ص) في ذلك المشهد العظيم في غدير خم مخاطبا للمسلمين « ايها الناس ألست أولى بالمؤمنين من انفسهم » فلما قالوا اللهم بلى قال على النسق آخذا بضبع علي (ع) « من كنت مولاه فهذا علي مولاه » وغير ذلك مما يضيق عنه هذا المقام . وهو مدون في كتب الفريقين كالشمس رأد الضحى . هذا وان ابن تيمية في كتاب منهاج السنة قد اعترف بصحة الحديث الدال على ان نفس رسول الله (ص) في الآية هو علي (ع) ولكن حاول ان يمنع ما اشرنا الى وجهه الوضاح من الدلالة على امتياز امير المؤمنين بالفضيلة ومقام الإمامة في الأمة والزعامة الكبرى فقال ما ملخصه ان المراد بالأنفس في الآية هو من يتصل بالقرابة والقومية واستشهد لذلك بقوله تعالى واقتلوا انفسكم . لا تخرجون انفسكم من دياركم . تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم . فقل له ان اضافة النفس قد تقع باعتبار نوع من الرابطة كالقرابة والجامعة القومية . فيقال أنفسكم وانفسهم كما يقال رجالكم ورجالهم وانفس البلدة والمملكة . ولكن هل يخفى ان النفس إذا جعلت مقابلة للاقرباء بل اقرب الأقرباء كما في الآية وفي قوله تعالى في سورة التحريم « ٦ قوا أنفسكم وأهليكم ناراً » وفي سورتي الزمر ١٧ والشورى ٤٣ «الذين خسروا أنفسهم واهليهم» فلا تكون النفس مستعملة إلا على وجه الحقيقة في نفس الإنسان الذي اضيفت اليه كما في آيات التحريم والزمر والشورى . او على وجه المجاز والاستعارة لمن ينزل بما اشرنا اليه من وجوه الشبه بحسب كل انسان بمنزلة نفس الإنسان الخاصة به كما في هذه الآية لما ذكرناه من الدعوة والرواية الصحيحة المستفيضة المتفق عليها . ومن الظرائف ان ابن تيمية فطن إلى انه لو كان التعبير بالنفس ناظرا إلى القرابة لدعي العباس عم الرسول واولاده وامثالهم من بني هاشم فإنهم كانوا مسلمين مهاجرين في المدينة لأن وفد نجران جاء في السنة العاشرة أو التاسعة من الهجرة ولأجل ما فطن له قال في التخلص منه لأن العباس لم يكن من السابقين ولا كان له اختصاص بالرسول كعلي واما بنو عمه فلم يكن فيهم مثل علي انتهى فانظر إلى اضطراب هذا الرجل فإنه

بعـد الاطناب في المغالطة والغفلة عن مقابلة النفس باقرب الأقرباء رجع إلى الاعتراف بأن المقام مقام امتياز في الفضل الديني و كرامة المقام الأرفع بحيث يناسب ان يأمر الله رسوله بأن يعبر عن علي لأجل ذلك بأنه نفسه . ولا يخفى ان هذا ليدل على اقصى ما تسمه الاستعارة ووجه المجاز في التفوق بالكمال والولاية العامة بعدما يختص بالرسالة تفوقا تلزمه الإمامة بعد رسول الله (ص)

وما عشت أراك الدهر عجبا فإن الشيخ محمد عبده مع تظاهره ورغبته بأن يعرف بحرية الضمير والنزعة . ونزاهة البحث كأنه التفت الى حقيقة النتيجة من الآية الكريمة والحديث وفطن الى ما يرد على شيخه ابن تيمية فيما قاله فأراد ان يسد باباً فتحه الله ورسوله على مصراعيه فقال في درسه على ما ذكره صاحب المنار في تفسيره . ان الروايات متفقة على ان النبي (ص) اختار للمباهلة عليا وفاطمة وولديها ويحملون كلمة نسائنا على فاطمة وكلمة انفسنا على علي فقط ومصادر هذه الروايات الشيعة ومقصدهم منها معروف وقد اجتهدوا في ترويجها ما استطاعوا حتى راجت على كثير من اهل السنة ولكن واضعيها لم يحسنوا تطبيقها على الآية فإن كلمة «نسائنا» لا يقولها العربي ويريد بها بنته لا سيما إذا كان له ازواج وابعد مـن ذلك ان يراد بكلمة « وانفسنا » علي (ع) اقول لماذا لا يقول العربي نساءنا نظراً إلى الجنس ومجانسة الجمع بالجمع في اللفظ وهو يريد بها بنته لأن ذلك أقرب إلى الحشمة من التصريح بابنته أو لغير ذلك من وجوه الكلام وهل يقول ان النساء لا تطلق إلا على الأزواج . إذن فماذا يقول بقول القرآن الكريم فإن كن نساء فوق اثنتين . وللنساء نصيب . ويستحيون نسائكم . او اخواتهن او نسائهن . ولا نسائهن . وكثير من مثل ذلك ولا حاجة إلى الاستشهاد بشعر العرب . ومما اشرنا اليـه من وجوه الكلام هو بيان ان فاطمة (ع) هي الممتازة الوحيدة من ناحية الرسول مـن عنوان نساء الاهلين في فضيلتها واهميتها ولياقتها لهذا المقام وقد صح واستفاض عن رسول الله (ص) ان فاطمة سيدة نساء العالمين كما اشرنا اليه في تفسير الآية الأربعين . وكذا الكلام في التعبير بانفسنا وارادة علي (ع) وحده وقد صح واستفاض عن رسول الله (ص) قوله لعلي (ع) انت مني وانا منك كما رواه البخاري ومسلم عن البراء والحاكم عن علي (ع) والترمذي والحاكم عن عمران بن حصين . واحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه عـن حبشي بن جنادة . واحمد والحاكم عن بريده وابي رافع وابن ابي شيبة وابن جرير عن بريدة . وانه (ص) جعل

(٥٨) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

عليا كنفسه كما رواه احمد عن عبد الله بن حنطب من قوله (ص) لوفد ثقيف . وماخرجه ابن النجار من ان ابن العاص سأل النبي (ص) عن حبه لعلي (ع) فقال ان هذا يسألني عن النفس . وفي اللئالئ المصنوعة عن ابن النجار ايضا عنه بسند آخر قال (ص) علي نفسي فمن رأيته يقول في نفسه شيئا . وعن ابي عمر الزاهد في كتاب اليواقيت عنه ايضا لسند آخر فقال (ص) ما ظننت احدا يسأل عن نفسه . لكن اذا ذكرنا هذه الروايات وامثالها قيل ان مصادرها الشيعة ومقصدهم منها معروف إلى آخر الكلام المتقدم ويحكم الله وهو خير الحاكمين . . وقد جاء الجمع وارادة الواحد منه في القرآن الكريم . افلا يكفي من ذلك قوله تعالى في سورة الشعراء « كذبت قوم نوح المرسلين إذ قال لهم اخوهم نوح ألا تتقون اني لكم رسول أمين» ونحوه « كذبت عاد المرسلين إذ قال لهم اخوهم هود . الى آخره . كذبت ثمود المرسلين إذ قال لهم أخوهم صالح . إلى آخره . كذبت قوم لوط المرسلين إذ قال لهم أخوهم لوط . إلى آخره . كذبت اصحاب الايكة المرسلين إذ قال لهم شعيب . إلى آخره . والمراد من المرسلين في كل من الآيات هو واحد

ومن أين لنا أن يروى أحاديث المباهلة وامثالها في فضل علي وأهل البيت مسندة الى عصرنا عن امثال عمران بن حطان ، ولمازة بن زياد ، وعبد الله بن شقيق ، ونعيم بن هند وجرير بن عثمان ، وازهر بن عبد الله ، وابراهيم السعدي ، وامثالهم ممن شهد علماء رجالهم بنصبهم العداوة لأهل البيت (ع) وإن تساهل في امر احدهم بعض كابن حجر في التقريب قال فيه « يرمى بالنصب » — وليت شعري ماذا أبقى هذا الشيخ من الشأن لحديثهم وجوامعهم ومحدثيهم وتفاسيرهم ومفسريهم إذا كان يروج على عامتهم مثل ما زعمه من الوضع (٥٧ إن هذا) وهو ما ذكر من ولادة عيسى وخلق الله له واعترافه بأن معجزاته إنما هي بإذن الله وان الله ربه ورب الناس . وأمره بعبادة الله . وغير ذلك مما يدل على ان عيسى بشر مخلوق لله وأمره بيده وطوع قدرته (لهو القصص الحق) والذي يعترف النصارى به وتذكره كتبهم التي ينسبونها الى الوحي (وما من إله إلا الله) واين المسيح عيسى من الالهية وقد جرى عليه من الاضطهاد ما جرى . ولم يزل يفزع بالدعاء والخضوع والتضرع الى الله (وان الله لهو

(٥٩) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ (٦٠) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ

العزيز الحكيم) في إلهيته وتقديره وتدبيره . وكل من عداه ذليل في مخلوقيته وحاجته فكيف يكون غير الله إلها معه (٥٨ فإن تولوا)عن تصديقك واتباع الحق (فإن الله عليم بالمفسدين) أي فإنهم مفسدون يريدون اغواء الناس واضلالهم افسادا في الأرض والله عليم بهم يجزيهم جزاءهم (٥٩ قل) يا رسول الله (يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم)أي مستوية بيننا وبينكم في تلاوتنا جميعا لها فيما هو من كتب الوحي او ينسب الى الوحي كما يوجد في توراتكم وأناجيلكم وسائر كتبكم التي تنسبونها الى الوحي من توحيد الله وانه هو الإله والرب المدبر لخلقه وحده لا شريك له . ومن جملة ذلك في توراتكم عن قول الله « لتعلم ان يهوه (١) هو الإله ليس آخر سواه — ان يهوه هو الإله في السماء من فوق وعلى الارض من اسفل ليس سواه(٢) » « انا أنا هو وليس إله معي(٣) » ونحوه في التوحيد ونفي الشريك في المزمور الثامن عشر ٣١ وفي كتاب اشعيا ٤٤ : ٦ و ٨ . وفي سفر التثنية من التوراة ٦ : ٤ وفي انجيل مرقس ١٢ : ٢٩ يهوه إلهنا يهوه واحد . وفي انجيل يوحنا ١٧ : ٣ وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك انك انت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي ارسلته — وهذه الكلمة هي (أن) لا نخضع خضوع العبد لإلهه من حيث انه إله كما هو معنى العبادة و(لا نعبد إلا الله) وحده (ولا نشرك به) في العبادة ونسبة الإلهية (شيئا) ولا نقول لشيء غير الله انه إله (ولا يتخذ بعضنا) معاشر البشر (بعضا اربابا من دون الله) فان الله اذا قال أنا هو الرب والرب واحد . فإن قولكم ان البشر رب كما قلتم في عيسى يرجع الى جحد ربوبية الله ويكون جعلا للبشر الحادث والخاضع للآلام وحاجة البشرية وكوارثها ربا من دون الله . او يكون المعنى اربابا في المرتبة النازلة عن مرتبة الله كما هو رأي الوثنيين في شركائهم بأي عنوان كان من التنزلات الموهومة . ولا مانع من ان يخاطب اليهود ، والنصارى بأمر مشترك بينهم وفي

(١) يهوه في العبرانية اسم علم لله جل اسمه كما تصرح به التوراة في سفر الخروج ٣ : ١٥ و ٦ : ٣ (٢) سفر التثنية ٤ : ٣٥ و ٣٩ (٣) التثنية ٣٢ : ٣٩

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * (٦٢) يَا أَهْلَ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ

الاثناء يذكر ما يخص النصارى . أو ان ذلك شامل لليهود باعتبار قولهم عزير ابن الله تعالى الله عما يشركون يضاهئون قول الذين كفروا من قبل . كما في سورة التوبة . والظاهر ان المراد يضاهؤن قول البراهمة والبوذيين وغيرهم في نسبة الابن الى الله باعتبار التنزل في الإلهية . وربما يكون اتخاذ الأرباب هنا على حد قوله تعالى في سورة التوبة « ٣١ اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله » ففي الكافي والمحاسن عن أبي بصير عن ابي عبد الله الصادق (ع) انهم أحلوا لهم حراما وحرموا عليهم حلالا فعبدوهم من حيث لا يشعرون . وعن المحاسن ايضا عن الصادق (ع) نحوه . ونحوه ما أخرجه الترمذي وجماعة ذكرهم في الدر المنثور في سورة التوبة عن عدي بن حاتم عن رسول الله (ص) وعن جماعة ايضا عن حذيفة وعن المحاسن وايضا بسند فيه ارسال عن الباقر (ع) ما صلوا لهم ولا صاموا ولكن أطاعوهم في معصية الله . وفي الدر المنثور ايضا اخرج ابو الشيخ والبيهقي عن حذيفة وذكر نحوه . وعن العياشي برواياته عن الصادق والباقر (ع) نحو ما ذكرناه عنهما (ع) . وفي مجمع البيان عن تفسير الثعلبي باسناده عن عدي بن حاتم في آية التوبة قلت أي لرسول الله انا لسنا نعبدهم فقال (ص) أليس يحرمون ما أحله الله فتحرمونه ويحلون ما حرمه الله فتستحلونه قلتُ بَلى قال (ص) فتلك عبادتهم . وقيل « كلمة سواء » أي عادلة وما ذكرناه ابلغ في الدعوة واظهر في الحجة . لاستظهارها بالالزام بما في كتبهم واشارتها الى ان الاستواء في هذه الكلمة يشير الى انها من أساسيات كتبهم وأوليات العقل ولباب المعقول ، وبينات البداهة (فإن تولوا) بسوء اختيارهم وغيهم ولم يقبلوا على هذه الدعوة الوحيدة في الكرامة (فقولوا) لهم انت يا رسول الله والمسلمون (اشهدوا) واعلموا مما تشاهدونه من حالنا في التوحيد واشهدوا علينا تثبيتا لاعترافنا بالحق وانا على بصيرة من أمرنا (بأنا مسلمون) لله لا نحاده بالشرك ولا نتخذ غيره ربا (٦٠ يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم) ويزعم اليهود انهُ يهودي ويزعم النصارى انهُ نصراني ، وتتشبثون في حجتكم الداحضة بمجرد الدعاوي المستحيلة . والحال ان غاية التشبثات لليهودية ترجعونها الى رسالة موسى ونزول التوراة عليه . وغاية التشبثات للنصرانية ترجعونها الى رسالة المسيح ونزول الانجيل فضلا عن ان الرائج من اليهودية والنصرانية إنما هو من البدع التي حدثت بعد موسى

وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٦٣) هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٦٤) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٥) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (٦٦) وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ

والتوراة والمسيح والإنجيل . وأين ذلك من ابراهيم (وما أنزلت التوراة والانجيل إلا من بعده) بقرون عديدة (أفلا تعقلون) كيف تتكلمون وكيف تدعون (٦١ ها أنتم هؤلاء) بعينكم أي لا أوجه الخطاب والتوبيخ اليكم باعتبار ما فعله اسلافكم بل أنتم بأنفسكم (حاججتم فيما لكم به علم) أي أخذتم في محاجتكم أمورا معلومة فصرتم تغالطون فيها وتتشبثون بها وذلك كرسالة موسى والتوراة فصرتم تلصقون بها مزاعمكم الفاسدة . وكولادة عيسى من غير فحل وبعض معجزاته فصارت النصارى تزعم من ذلك ان عيسى المولود من مريم إله مع الله (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) بل هو من المستحيلات بالمغالطة فيه بالتشبث الواهي بأمر معلوم (والله يعلم) حالكم والحقيقة واضحة (وأنتم لا تعلمون ٦٢ ما كان ابراهيم يهوديا) يقول في الإله (الوهيم) بصيغة الجمع كما ملأوا منهُ توراتهم الرائجة . وكما كتبوا في كتاب ارميا ٢٣: ٣٦ الوهيم حييتم يهوه صيباوث الوهينو » أي الآلهة الاحياء رب الجنود آلهتنا . ولا يقول بفلتات توراتهم في الجرأة على جلال الله . كما في نهي آدم عن الشجرة وحكاية برج بابل ومصارعة يعقوب وغير ذلك مما ذكر بعضه في الجزء الأول من « المدرسة السيارة » (ولا نصرانيا) يثلث الآلهة ويؤله البشر وينسخ الشريعة بالكلية بمجرد الاستحسان (ولكن كان حنيفا) موحدا بحقيقة التوحيد (مسلما) أي داخلا في سلم الله في توحيده وحقيقة عرفانه وطاعته (وما كان من المشركين ٦٣ إن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه) على حنيفيته وإسلامه وملته في الدين من الأنبياء والموحدين الصالحين من الناس (و) على الخصوص (هذا النبي والذين آمنوا) معه فإن هذا النبي من اكبر الداعين الى الإسلام ملة ابراهيم على حقيقتها (والله ولي المؤمنين ٦٤ ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم) ودت بمعنى تمنت . ولو يضلونكم تفسير لها . والاستقبال

وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * (٦٧) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ * (٦٨) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ * (٦٩) وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * (٧٠) وَلاَ تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللهِ

إنما هو بالنسبة للتمني لا للخطاب (وما يضلون إلا أنفسهم) إذ يزيد على ضلالها بضلالها في محاولة اضلال المؤمن الموحد على بصيرة من أمره (وما يشعرون ٦٧ يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون) بأنها من الله بحسب ما تتلونه من كتب وحيكم من التوراة والانجيل وغيرهما في البشرى بها وبالرسول الذي يأتي بها بحيث يتعين مما تتلوه ارادة هذه الآيات بخصوصها أو المراد وأنتم تشهدون وتعاينون ما يدل على انها من الله (٦٨ يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل) أي تجعلون الباطل لباسا على الحق تغطونه به محاولة لحجبه ومخادعة في أمره لتموهوا أمركم (وتكتمون الحق وأنتم تعلمون) به (٦٩ وقالت طائفة من أهل الكتاب) الظاهر انهم من اليهود قالوا لبعض قومهم تعليما لهم بمخادعة المؤمنين في محاولة اضلالهم عن الحق (آمنوا) أي تظاهروا بالإيمان الصوري (بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار) أي في أوائله (واكفروا) أي وصارحوهم بالكفر والارتداد (آخره) فلعل المسلمين من هذه المخادعة يحسبون ان كفركم به وارتدادكم في يومكم كان عن بصيرة وعلم منكم بانكشاف خطأكم في ايمانكم به وجه النهار و (لعلهم يرجعون) بهذه الخديعة عن إيمانهم ويرتدون عن دينهم ، روى القمي في تفسيره عن أبي الجارود عن الباقر(ع) في هذا المقام رواية ضعيفة بأبي الجارود بعيدة الانطباق على الآية . وقالت تلك الطائفة ايضا لقومهم في اغوائهم واغوائهم بالدوام على الضلال وكتمان الحق (٧٠ ولا تؤمنوا) أي ولا تبدوا إيمانكم بما في كتب وحيكم من ان الله يؤتي النبوة والوحي نبيا مثل موسى بنحو يتعين منهُ نبي المسلمين ولا تعترفوا بذلك (إلا لمن تبع دينكم) وكان منكم فإنه يخفيه كما نخفيه (قل) لهم يارسول الله اتحسبون ان الهدى الى الحق منوط في حصوله وعدمه باعترافكم بما في توراتكم وكتبكم واظهاركم الايمان كلا بل (ان الهدى هدى الله) يهدي من يشآء بلطفه ممن لم يتعصب على الحق الى سواء السبيل

أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * (٧١) يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ * (٧٢) وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ

وجملة «قل ان الهدى» ، معترضة في اثناء كلامهم في الاغواء جيئ بها للتعجيل في تقريعهم وتسفيه رأيهم في غوايتهم (ان يؤتى) اي ولا تؤمنوا لغير من اتبع دينكم بان يؤتي (احد) من غيركم (مثل ما اوتيتم) باعتبار انبيائكم وكتبكم من النبوة والرسالة والكتاب والشريعة ويكون على وفق ما طلبتموه من موسى فاخبركم بان يقيم نبيا من اخوتكم بني اسماعيل كموسى ويجعل كلامه في فيه (او) تؤمنوا لهم بانهم (يحاجوكم عند ربكم) بما اخبركم به في شأن رسول الله وقرآنه كلام الله وان لهم عليكم الحجة عند الله بما تعرفونه من الحق(١) او ان المعنى قل ان الهدى هدى الله بان يؤتي احد الى آخره فتكون جملة ان يؤتى متعلقة بما امر الله رسوله ان يقوله لهم وعلى هذا يكون قوله تعالى قل ان الفضل تكرر اللامر بالقول بدون توسط كلام اجنبي يقتضيه والاظهر هو الوجه الأول . وقد نقل في التبيان ومجمع البيان وجهان آخران لا اعتداد بهما (قل) يارسول الله في تسفيه رأيهم فيما قالوه وتواصوا (ان الفضل) ومنه الرسالة والشريعة والتوفيق لاجابة الدعوة اليها ونصرة الدعوة واعلاء كلمتها وظهور الهدى وفلج الحجة وشوكة دين الحق وانتظام جامعته (بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع) في فضله ولطفه ورحمته وقدرته (عليم) بمن هو اهل للرسالة وايتاء الفضل (٧١ يختص برحمته) بالفضل والهدى (من يشاء) اختصاصه بذلك من عباده لاهليته لذلك (والله ذو الفضل العظيم ٧٠ ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار) مر تفسير القنطار في الآية الثانية عشرة (يؤده اليك) تمسكا بحكم العقل والفطرة بقبح الخيانة في الأمانة فإن قبولها عهد بحفظها وردها وقد نهت شريعة الحق عن الخيانة فيها (ومنهم من ان تأمنه بدينار) وهو مثقال شرعي من الذهب يساوي نحو نصف ليرة عثمانية (لا يؤده اليك الا مادمت عليه قائما) في المطالبة والحجة والقوة (ذلك) اي خيانتهم للأمانة (بانهم) في مزاعم ضلالهم (قالوا ليس علينا في الاميين سبيل) في الإثم وحرمة اموالهم

(١) وقد مضى مثل شأنهم مثل هذا المعنى في سورة البقرة ٧١

بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٢) بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ * (٧٣) إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ

قيل ان المراد من الاميين نوع العرب باعتبار ان الغالب منهم لا يقرأون ولا يكتبون . ويحتمل ان يراد منهم من عدى بني اسرائيل فإنهم ينسبونهم الى الأمة والأمم . ويحتمل ان يريدوا اتباع رسول الله الامي . ولعلهم يغالطون لنفي السبيل بما في توراتهم من انها نهتهم عن الانتقام والحقد على ابناء شعبهم . وعن السعي والوشاية بين ابناء شعبهم . وعن شهادة الزور على قريبهم . فيزعمون من ذلك ان غير الاسرائيلي مهدور الحرمة في الأحكام الاجتماعية العقلية ومن ذلك اداء الأمانة (ويقولون) في نفي السبيل وخيانة الأمانة (على الله الكذب وهم يعلمون (انه كذب منهم . فإنهم مع حكم العقل يقرأون مما بقي في شريعة الحق في توراتهم ان الأمانة يجب ردها مطلقا . وان جحد الأمانة والوديعة خطيئة وذنب . وانهم منهيون عن السرقة والكذب والغدر من دون حصر لهذه الأحكام بالإسرائيلي . كما في الفصل السادس والتاسع عشر من سفر اللاويين (٧٢ بلى) عليهم في الأميين سبيل وهم مسؤلون عن الأمانة والوفاء بعهدها . وما أحسن الوفاء بالعهد (من أوفى بعهده) في كتب اللغة أوفى بمعنى وفى . أقول والمستعمل في القرآن الكريم هو أوفى . وأوفى . وأوف . وأوفوا والموفون ، وكلها من أوفى والظاهر ان الضمير في عهده يعود الى الموصول « من » وقيل يرجع الى لفظ الجلالة من قوله تعالى ويقولون على الله الكذب . وهو بعيد مع ان قبول الأمانة لا يتضمن عهدا مع الله وإنما يتضمن عهدا مع صاحبها . وان نفس الوفاء بالعهد محبوب لله ولكن ما كل من أوفى بعهده محبوب لله ، بل من أوفى (واتقى) الله أي اتقى غضبه وعقابه بالأعمال الصالحة وطاعته في أوامره ونواهيه وكانت له التقوى ملكة ومذهبا (فإن الله يحب المتقين) الذين ديدنهم المحاذرة من ان يعرض الله بوجهه الكريم عنهم والعياذ بالله (٧٣ ان الذين يشترون بعهد الله) أي بعهدهم مع الله (وأيمانهم ثمنا) يتعلق الاشتراء بالثمن كما يتعلق بالمبيع . والثمن في الحقيقة احد المبيعين والعوضين (قليلا) مهما كان مما تحملهم اهواؤهم لأجله على الحنث ونقض العهد (أولئك لا خلاق) أي لا نصيب ولا حظ (لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله) لعله كناية عن مقته لهم

وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٤) وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * (٧٥) مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي

وسخطه عليهم (ولا ينظر اليهم يوم القيامة) أي لا يعطف عليهم برحمته (ولا يزكيهم) بالعفو والمغفرة (ولهم عذاب اليم ٧٤ وان منهم) أي من اهل الكتاب (لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب) زيادة على ما نابه من التحريف أي يفتلون السنتهم ويحرفونها في قراءتهم الى ما ليس فيه (لتحسبوه من الكتاب وما هو من) نوع (الكتاب) مطلقا بل هو زيادة وتحريف جديد منهم (ويقولون) في غلوائهم في الضلال والكذب على الله فيما لووا اليه السنتهم بالكذب منهم (هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) انه كذب منهم وافتراء على الله (٧٥ ما كان لبشر ان) يرسله الله هاديا لعباده الى الحق و (يؤتيه الله الكتاب والحكم) في مجمع البيان أي العلم وفي الكشاف الحكمة. ولكن كل منهما بعيد عن اللفظ. فالظاهر انه سيطرة الرسالة والدعوة والارشاد (والنبوة) في بيان الحقائق (ثم) بعد هذا كله (يقول) ذلك المبشر الرسول (للناس كونوا عباداً لي) ومما يدل عليه هذه الآية أمور ثلاثة — الأول — ان البشر المتكون في الرحم تدريجا جمادا بلا روح. ثم تتعلق به الروح. ثم يولد ضعيفا فقيرا في جميع احواله لا علم له. ثم يتدرج في المعرفة والخروج من الجهل ومشابهة البهائم شيئا فشيئا. ويعيش على فقره وضعفه في جميع أموره يتألم ويجوع، ويعطش ويحزن ويخاف ويضطهد. هذا كيف يعقل وكيف يتوهم المتوهم أن يكون إلٰها واجب الوجود خالقا — الثاني — انه وإن اتفق لبعض البشر الناقصين أن يطغى بفساده ونقصه ويدعي الإلٰهية ويدعو الناس الى عبادته. ولكن ليس من السائغ والممكن في المعقول أن يكون البشر الموصوف في الآية يدعو الناس الى عبادته ويدعي الربوبية والإلٰهية. فإن الله هو الحكيم العليم بما يكون من عباده. فكيف وهو القدوس يخالف حكمته وعلمه ويؤتي الكتاب والحكم والنبوة لمن يعلم انه يدعو الى الشرك تعالى عن ذلك — الثالث — الإخبار بأن ذلك لم يقع ولا يقع لأنه من المستحيل على جلال الله. فتكون الآية

مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ

الكريمة دالة ببرهانها الواضح على بطلان دعوى من ادعى الإلهية والربوبية للبشر . وبطلان الدعوة إلى عبادة البشر ورداً وتوبيخا على ذلك . وهذا كله بعمومه شامل للنصارى ويكون ردا وتكذيبا لهم فيما ينسبونه إلى المسيح في انجيل يوحنا ١٠:٣٣—٣٦ من انه ادعى الإلهية واستشهد بالعدد السادس من المزمور الثاني والثمانين . وما ينسبونه أيضا في اناجيل متى ٢٢ : ٤١—٤٦ ومرقس ١٣(٣٥—٣٨ ولوقا ٢٠ :٤١—٤٥ من انه ادعى الربوبية محتجا بقول داود في اول المزمور العاشر بعد المائه « قال الرب لربي » مع ان في الاستشهاد تحريفا معنويا ظاهرا وفي الاحتجاج الثاني تحريف لفظي لما في المزامير العبرانية فإن ترجمته الصحيحة «قال الله لسيدي» وماذا تنفع المزامير إذا ذكرت مستحيلا في المعقول لا ينطلي على العارف بالله وقد ذكرنا من ذلك شيئا في الجزء الأول من كتاب « الهدى » صفحة ١١٥ و١١٦ و١٩٨ والجزء الأول من « المدرسة السيارة » صفحة ٧٣ من الطبعة الثانية . وتكون الآية ايضا توبيخا لهم على تناقضهم في قولهم ان المسيح بشر آتاه الله الكتاب والحكمة والنبوة وتعمد أي اغتسل على يد يحيى بن زكريا غسل التوبة ونزل عليه الروح بشكل حمامة كما تصرح بهذا كله اناجيلهم . وقولهم انه « وحاشاه » ادعى الإلهية والربوبية . ومعنى ذلك دعوة الناس لأن يكونوا عبادا له (من دون الله) فإن دعوة البشر إلى عبادته جحد في الحقيقة لمقام الإلهية وتحويل لواجب الله من العبادة له إلى غيره من البشر (ولكن) البشر المنوه بفضيلته في الآية يقول للناس (كونوا ربانيين) في النهاية الرباني منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون للمبالغة . وفي التبيان والقاموس والنهاية كما يقال دم بحراني منسوب إلى البحر وهو قعر الرحم أو البحر المعروف لسعته . وكما يقال رقباني لعظيم الرقبة كما في التبيان والقاموس ولحياني لعظيم اللحية ولعله إلى هذا يرجع تفسير الربانيين بالعلماء الفقهاء او الحكماء الاتقياء او الحكماء العلماء . وفسرت هذه الكلمة ايضا بمدبري امر الناس في الولاية بالاصلاح كربان السفينة أخذاً من الربان الذي يرب امر الناس بتدبيره له واصلاحه اياه . ويدفع هذا الأخير اولا ان مقتضاه ان يقال ربانيين بلا نسبة « وثانيا » ان الرسول لا يقول لكل الناس كونوا مدبرين لأمر الناس في الولاية بالاصلاح بل ان مقام الولاية بالاصلاح والتدبير انما يكون لآحاد مخصوصين من الناس وسوق الآية

بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ * (٧٦) وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * (٧٧) وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ

لا يناسب التخصيص . والتفاسير المتقدمة لم ينظر فيها الى اللفظ وانما اخذت من مخايل معناه فالرباني هو المتعلق في احواله ومعارفه واعماله بالانتساب الى الله مولاه رب العالمين فيما يحبه ويرضاه وهذا هو الجامع لدعوة الرسول للناس واصلاحها (بما كنتم) اي بمقتضى ما كنتم (تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) في الدين وتعاليم الوحي (٧٦ ولا يأمركم) عطف على يقول للناس المنفي بمفاد « ما كان » (ان تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا من دون الله) فإنه كفر بالله (أيأمركم) وكيف يأمركم (بالكفر) ويدعوكم اليه (بعد اذ أنتم مسلمون) داخلون في سلم الله بالإيمان به وتوحيده . وهو رسول الله العليم الحكيم والداعي إلى الله فكيف يصدر منه ما يحيله العقل على رسل الله وانبيائه (٧٧ وإذ) واذكر في الكتاب . او تكون «إذ» ظرفا لقوله تعالى فيما بعد « قال أأقررتم » (اخذ الله ميثاق النبيين) في الآية وجهان وروايتان — احدها — ان يكون الميثاق للنبيين على قومهم كما تقول إذا عاهدت الله اني قدجعلت علي عهدا لله وميثاقه . ويكون الميثاق للنبيين باعتبار تبليغه لأممهم وتوثيقه عليهم وان كان الله آخذه بوحيه وامره للنبيين بأخذه على قومهم . ففي التبيان روي عن ابي عبد الله يعني الصادق (ع) انه قال (ع) تقديره وإذا أخذ الله ميثاق امم النبيين بتصديق نبيها والعمل بما جاء به وانهم خالفوهم فيما بعد وما وفوا به وتركوا كثيرا من شريعته وحرفوا كثيراً منها وكذا في مجمع البيان . وفي تفسير صاحب المنار عن الصادق (ع) هو على حد قوله تعالى يا ايها النبي إذا طلقتم النساء فالخطاب للنبي والمراد امته عامة . ثم ذكر عن شيخه محمد عبده نسبة ذلك إلى الصادق . اقول ولم أجد الرواية في العاجل مسندة . نعم في تفسير البرهان عن العياشي عن حبيب السجستاني عن الباقر (ع) ما يرجع إلى نحو ما ذكر في التبيان روايته . وفي الدر المنثور اخرج ابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ان اصحاب عبد الله (يعني ابن مسعود) يقرأون وإذ أخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونحن نقرأ ميثاق النبيين فقال ابن عباس انما اخذ الله ميثاق النبيين على قومهم . واخرج ابن

لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ

جرير عن علي امير المؤمنين (ع) في قوله تعالى قال فاشهدوا يقول فاشهدوا علي اممكم بذلك وأنا معكم من الشاهدين . وعلى هذا يكون الخطاب فيما بعد للأمم « وثانيها » اخذ الميثاق من النبيين ويكون الخطاب فيما بعد لهم كما هو مؤدى تفسير القمي وروايته عن الصادق (ع) . ونحوها رواية البرهان عن سعد بن عبد الله عن الصادق «ع» وعن صاحب كتاب الواحده عن الباقر «ع» . ورواية ابن جرير عن علي «ع» ايضا . ورواية ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس ايضا . وعليه يكون الخطاب فيما بعد للنبيين والترجيح بعد تدافع الروايات والنظر الى سوق الآية الكريمة انما هو للوجه الأول . والميثاق هو العهد الموثق . وهو كالنذر والقسم في دخول اللام على جوابه تقول عاهدت الله لئن كان كذا لأفعلن كذا . ونذرت أو لله علي اوحلفت أو أقسمت أو والله لئن كان كذا لأفعلن كذا . واللام للأولى كالثانية في كونها لتلقي القسم ونحوه بالجواب يؤتى بها مع الشرط تثبيتا لدخول الشرط في حيز القسم والعهد وتقوية لتلقيها بالجواب لأن الشرط قيد الجواب ومن متعلقاته كقوله تعالى في سورة التوبة « ٧٦ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا الله من فضله لنصدقن » . كما جرى ذلك في القرآن الكريم في العهد والقسم الظاهرين والمقدرين ومن ذلك أقسموا بالله في نحو خمسين موردا . ويشبه دخول هذه الأولى على الشرط لتقوية الربط دخول همزة الاستفهام الاذكاري على الشرط مع ان المستنكر عند الكفار بالبعث إنما هو جواب الشرط كما في سورة الاسراء « ٥٢ أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديداً » ونحوه الآية المائة وغير ذلك. وقد يكتفى باللام الأولى عن الثانية كقوله تعالى في سورة الحشر « ١٢ لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم » فإنها لام القسم ومما يدل على ذلك قوله تعالى « ولئن نصروهم ليولن الأدبار » كما يكتفى بدخول همزة الاستفهام على الشرط مع ان المستنكر هو جوابه كقوله تعالى في سورة مريم « ٦٧ ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حياً » . وقد يكتفى باللام الثانية كقوله تعالى في سورة المائدة « ٧٧ وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا» هذا وان الذي اخذ به الميثاق هو قوله تعالى (لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) والصحيح ان اللام الأولى هي التي تدخل على اداة

وَلَتَنصُرُنَّهُ

الشرط لتلقي الميثاق و « ما » شرطية نحو قوله تعالى في سورة الاعراف « ١٧ لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم اجمعين » أي كلما اتيتكم يا امم النبيين من كتاب يبشر بالنبوة اللاحقة وحكمة تعرفون بها حكمة ارسال الرسول ودلائل صدقه وصرتم بذلك على بصيرة من الرسالة اللاحقة ثم جاءكم بعد هذا رسول دلت الدلائل على صدقه في دعواه الرسالة من الله وهو مصدق لما معكم من البشرى اي يكون مصداقها الذي تصدق به باعتبار انطباقها التام عليه ووضوح الدلالة على رسالته . او مصدقا لما معكم من معارف الإلهية والتوحيد ونبوة الأنبياء الكرام . فلا تمتنع رسالته كما هو الغالب في دعاة الضلال إذ يخالفون دين الحق فيما يرجع إلى الإلهية والتوحيد والمعاد . والميثاق في الآية هو قوله تعالى « لتؤمنن به ولتنصرنه » أي ذلك الرسول . هذا :
وقيل ان اللام في « لما » للابتداء و « ما » موصولة لا اداة شرط وهو مبتدأ وخبره لتؤمنن به ويدفعه — اولاً — ان الميثاق كالقسم مما يعتنى بربطه بالجواب وتلقيه بروابط القسم فلا ينقض هذا الغرض بلام الابتداء التي لها الصدر في الكلام ولا يجمع بين المتنافرين وهما ربط العهد وتلقيه مع قطعه بلام الابتداء — وثانيا — ان الإيمان بما اوتوه من كتاب وحكمة يجب من اول ما يجيئهم به نبيهم إذن فلا معنى لترتبه بثم على مجيء رسول آخر . وكذا الكلام في « لتنصرنه » ان اعيد ضميره على ما اوتوا من كتاب وحكمة — وثالثاً — لا يصح افراد الضمير في الخبر إلا إذا كان المراد بالكتاب والحكمة شيء واحد وهو بعيد وإلا فاللازم تثنية الضمير — ورابعا — إذا جعلنا « لتؤمنن » خبراً لقوله تعالى «ماآتيتكم» وكذا «لتنصرنه» فما هي اللام فيهما فإنها حينئذ لا تصلح ان تكون رابطة لجواب العهد والميثاق ولا مزحلقة لأن المزحلقة مختصة بخبر « ان » و — خامسا — لو قيل ان مساق الآية هو للذي آتيتكم من كتاب وحكمة لتؤمنن به ثم ان جاءكم رسول لتنصرنه فتكون جملة جاءكم وما بعدها فرد آخر من جنس الميثاق المأخوذ لقلنا — اولا — من أين لنا بالشرط في « ثم ان جاءكم » وليس هناك على قولكم شرطا معطوفا عليه — وثانيا — ان القرآن الكريم يجل عن مثل ماتفرضون من الكلام المعقد والمتداخل الأجزاء تداخلا يهون دونه قول الشاعر :

وما مثله في الناس إلا مملكا ابو امهِ حي ابوه يقاربه

قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * (٧٨) فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * (٧٩) أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً

فلا مناص عما ذكرناه من التفسير ويكون عموم الخطاب باعتبار من يدرك دعوة الرسول الثاني من الأمم وهكذا . وان رسول الله محمد خاتم النبيين (ص) هو اظهر افراد الرسل في هذا الميثاق لتكرر البشرى به في كتبهم بشرى تشرف على الصراحة في تعيينه بأقرب مايفهمه البشر الجاهل بالغيب في تعيين من يأتي في المستقبل . ولظهور الدليل على رسالته وكتابه وبقائه في جميع الأزمان وهو القرآن الكريم ودلائل الرسالة فيه كما اشرنا اليه في الفصل الأول من المقدمة . ومن نصره (ص) نصر من هو نفسه ووصيه في امته ومن هو منه بمنزلة هارون من موسى وصاحب عهد الغدير ووصية الثقلين وغير ذاك عليٌ عليه السلام ، وعلى هذا الوجه ينزل بعض ما جاء في ذلك من الروايات (قال) أي الله جل اسمه للنبيين (أأقررتم) بذلك بين الأمم في تبليغكم اياه لهم (واخذتم) على أممكم (على ذلكم اصري) اي عهدي وميثاقي (قالوا) أي النبيون (أقررنا) بذلك بين اممنا وباعتبار ان قولهم هذا جواب الاستفهام التقريري ينحل إلى قولهم أيضا وأخذنا عليهم على ذلك عهدك واصرك (قال) الله للنبيين (فاشهدوا) على امكم بهذا الميثاق (وانا معكم من الشاهدين ٧٨ فمن تولى بعد ذلك) من الأمم عن هذا الميثاق واعرض عنه وكفر بمن يأتي من الرسل وخصوص خاتمهم البينة حججه والساطع برهانه والعام الباقي معجزه (فأولئك) المتولون (هم الفاسقون) الخارجون عن حجاب الايمان والطاعة (٧٩ أفغير دين الله يبغون) بتوليهم عن عهد الله ودين الحق الإيمان بالله ورسوله وكتابه وبمحادتهم لله بهذا التولي وخروجهم عن طاعته وهذا الاستفهام انكار عليهم وتسفيه لهم والحجة قوله تعالى (وله اسلم) اي والحال انه جل شأنه دخل في سلمه وانقاد اليه (من في السماوات والأرض) من الملائكة والانس والجن (طوعاً وكرها) بفتح الكاف قيل انه من الكراهية أي طائعين وكارهين . وقيل من الاكراه اي طائعين ومكرهين . كظاهر قوله تعالى في سورة النساء « ٢٣ لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها » أي اكراها . والثاني هو المناسب في الآية للمقابلة بالطوع وهو مقتضى الروايات المذكورة في تفسيري البرهان والدر المنثور عن

وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * (٨٠) قُلْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ

الصادق (ع) والكاظم وابن عباس وما ذكر في مجمع البيان انه المروي عن ابي عبد الله (ع) والمراد من الكره ما كان في الابتداء فإن غالب الذين اسلموا كرها داموا على الإسلام على طوع ورغبة . وعطف الكره بالواو التي هي للجمع إنما هو باعتبار المجموع وإن اختص قسم بالطوع وقسم بالكره والأمر فيه ظاهر . لكن مع تفسير الإسلام بالاعتراف بالالهية والتوحيد والتدين بدين الحق يكون ذكر من في الأرض انما هو باعتبار البعض وهو من دان بالإسلام فإن الكثير ممن في الأرض في كل زمان لم يسلم . وحينئذ قد يخفى وجه الحجة على الانكار بقوله تعالى « وله اسلم » فالظاهر ان الإسلام في الآية بمعنى يعم الانقياد لله في معرفته ودينه وتكوينه وقضائه . وحينئذ لا ينفك عن مصداق ذلك من في السماوات والأرض بل جميع المخلوقات من وجه او وجوه . والمراد من الإسلام كرها هو ما لا تكون ارادة المسلم ورغبته علة كالانقياد للتكوين والقضاء والمعرفة التي تبعث اليها الفطرة على حين غفلة من ضلال الهوى فإنك ترى الإنسان حتى المادي المعطل إذا اصابته نائبة تنقطع فيها وسائله ان نفسه تفزع في الخلاص من تلك النائبة إلى من يراه قادرا على دفعها عنه بقدرته القاهرة رغما على الأسباب العادية . وهذا هو الإله القادر، وهو الله جل شأنه . وكالدخول في دين الإسلام بالاكراه في اول الأمر . ويكون الحاصل ان الله الإله الذي انقاد له كل شيء ومن ذلك الملائكة والانس والجن (واليه يرجعون) في يوم القيامة بعد ان لا يبقى إلا هو . هذا الإله هل يصح لهم ان يبتغوا غير دينه . وعلى هذا يكون ما أشرنا اليه من الروايات الواردة في تفسير الآية واردة باعتبار بعض المصاديق من الإسلام (٨٠ قل) يا رسول الله انت ومن يجب عليه اتباعك لا نبغي غير دين الله بل (آمنا بالله) الذي لا إله الا هو وبدينه دين الحق كما انزل في كتبه المقدسة على رسله (وما انزل علينا) ببركة الوحي اليك وبركة رسالتك (وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط) وهم قبائل بني اسرائيل المتنسبين الى اولاد يعقوب فيمكن ان يكون المراد بالانزال عليهم باعتبار الانزال على انبيائهم ونحو قوله تعالى في الآية « انزل علينا » و٦٥ « بالذي انزل على الذين آمنوا » وفي سورة البقرة «٨٥ بما

وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * (٨١) وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ * (٨٢) كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * (٨٣) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * (٨٤) خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنْظَرُونَ *(٨٥) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ *

انزل علينا » ومعنى « على » في على ابراهيم وعلى الأسباط واحد وانما الاختلاف بالاعتبار . ويمكن ان يراد بالأسباط أنبيائهم كموسى ومن بعده (وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم) من كتاب وحكمة وكرامة ومعجزة (لانفرق بين احد منهم) في الايمان ولا تصرفنا الاهواء والعصبية القومية عن الإيمان ببعضهم (ونحن له) أي لله (مسلمون) في جميع ذلك (٨١ ومن يبتغ غير الإسلام) لله (دينا) ومن اظهر مصاديقه الانقياد لما جاء به رسول الله خاتم النبيين (فلن يقبل منه) غير الإسلام و كيف يقبل منه الضلال (وهو في الآخرة من الخاسرين ٨٢ كيف يهدي الله) ويوصل الى الحق بلطفه وتوفيقه (قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا) معطوف على معنى الفعل في « إيمانهم) أي بعد أن آمنوا وشهدوا (ان الرسول حق وجاءتهم البينات) الواضحات الدلالة على رسالته وحقيقة الإيمان فإن هؤلاء قد أخرجوا أنفسهم بتمردهم على الله عن أهليتهم للطفه وإيصالهم الى الهدى بتوفيقه (والله) جلت حكمته (لا يهدي) ولا يوصل بتوفيقة (القوم الظالمين) المتمردين بظلمهم بل (٨٣ أولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله) أي طردهم عن رحمته (والملائكة) بالدعاء عليهم باللعنة (و) كذا لعنة (الناس أجمعين) وفي هذا إذن للناس بلعنهم وطلب لذلك (٨٤ خالدين فيها) أي في اللعنة وطرد الله لهم عن رحمته (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) كناية عن انهم لا تنالهم الرحمة أو لا يمهلون يوم القيامة عن العذاب (٨٥ إلا الذين تابوا) في الدنيا (من بعد ذلك واصلحوا) اعمالهم أي عملوا الصالحات (فإن الله غفور رحيم) أي فإن الله يغفر لهم ذنوبهم ويرحمهم بالرضا والثواب لأنه غفور رحيم وأقيمت العلة في التفريع مقام المعلول للتأكيد ولبيان ان هذه المغفرة ليست مما يرجى اتفاقه بل

(٨٦) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ *(٨٧) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ

هي لازمة في رحمة الله ولطفه لأنه غفور رحيم لكل من هو أهل للمغفرة والرحمة. قيل ان الآيات نزلت في الحارث بن سويد رجل من الأنصار ارتد وتاب وتاب الله عليه. وفي مجمع البيان وهو المروي عن ابي عبد الله(ع). اقول ولم أجد الرواية مسندة. والروايات في الدر المنثور في هذا المقام متدافعة (٨٦ ان الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا ان تقبل توبتهم) وقال جل شأنه في سورة النساء « ٢١ إنما التوبة على الله » أي بمقتضى حكمته ولطفه في الدعوة الى الصلاح وقطع مادة الفساد ورحمته بعباده « للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب » من عمرهم لا في آخره عند الموت الذي يرونه بعيداً « فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما » بأن توبتهم عن اهتداء وندم حقيقي. لا لانقطاع آمالهم من الحياة وشهواتها واهوائها عند معاينة الموت وانكشاف الحقائق « حكيما » في قبول التوبة « ٢٢ وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر احدهم الموت » وعاين ما عاين فانقطعت عنه لذلك دواعي الهوى ونزعات النفس الأمارة الى الضلال « قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار » وقال جل اسمه في سورة يونس في شأن فرعون « ٩٠ حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت انه لا إله إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين ٩١ «الآن» يا فرعون حينما انقطعت عنك آمال الطغيان التي سولت لك ادعاءك للربوبية فعصيت وأفسدت و كفرت بآيات الله « وقد عصيت من قبل » : والظاهر اجماع المسلمين على قبول التوبة الصادقة قبل حضور الموت وحينما تكون دواعي الهوى ونزعات النفس الأمارة تبعثه على القبيح و يصدها عقله وتوبته وخوفه من الله وتقواه. فتكون واردة في توبة الذين كفروا بعد إيمانهم عند معاينة الموت أو ماتوا وهم كفار، وفي يوم القيامة يحاولون التوبة. وربما يرشد الى ذلك العدول عن قوله تعالى لا تقبل توبتهم الى قوله « لن تقبل توبتهم » الذي هو نص على النفي في المستقبل مع ان قبول التوبة مقارن لها. فيكون في ذلك اشارة الى ان توبتهم المستقبلة المتأخرة عن حياتهم العادية وآمالهم فيها لن تقبل منهم (وأولئك هم الضالون) مدة حياتهم قبل معاينة الموت بل وعندها (٨٧ ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الأرض ذهباً)

مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَباً وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٨٨) لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ (٨٩) كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ

(الجزء الرابع)

دخلت الفاء في الخبر لخروج المبتدا باعتبار صلته مخرج الشرط. وذكر ملأ الارض ذهبا لانه غاية ما يعظم في عين الإنسان نوعا من المال والبدل والوسيلة للخلاص فلا ينفعه ذلك لو تصدق به ونحو ذلك لأن اعمال الكافر حابطة لا يستحق بها الجزاء ممن كفر به (ولو افتدى به) وقدمه بعنوان الفداء وهذا غاية ما يدخل في تصور نوع الإنسان من التهويل والتخويف « ولعذاب الآخرة أشد » (أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين) على الله. يا ايها المؤمنون (٨٨ لن تنالوا البر) ويكون انفاقكم براً برضاه الله بأن تنفقوا الشيء الزهيد الذي لا ترضونه بل (حتى تنفقوا مما تحبون) وترغبون بماليته فإن قصدكم التقرب الى الله إنما يظهر ببذلكم لوجهه الكريم ما لا تستحقرونه (وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم) لا يخفى عليه شيء منه ولا من نياتكم في انفاقه وهو مجازيكم عليه ويضاعف لكم الجزاء كما وعدكم بذلك في القرآن الكريم فلا تخشوا أن يفوتكم من انفاقكم واخلاصكم في النية شيء (٨٩ كل الطعام) أي أصول المطعومات (كان حلا لبني اسرائيل إلا ما حرم اسرائيل) أي يعقوب (على نفسه من قبل) متعلق بحرّم وقيل بتعلقه بقوله تعالى « حلا » ويدفعه لزوم الفصل باجنبي وهو جملة « إلا ما حرّم » المشعرة بتمام ما قبلها فيلزم التعقيد والإيهام . نعم يفهم من قوله تعالى « كان حلا » انه من قبل أن تحرمه التوراة بتنزيلها (أن تنزل التوراة) على موسى . وللتنبيه على تفسير الآية ثلاث مقدمات — الأولى — قال علي بن ابراهيم القمي في تفسيره هذا الكلام حكاية عن اليهود ولفظه لفظ الخبر. أي انه كلام اليهود ومن دعاويهم الكاذبة . وهو في الآية في مقام الاستفهام الانكاري وحذفت منهُ اداة الانكار لدلالة قوله تعالى فأتوا بالتوراة. فمن افترى على الله الكذب. كما حذفت اداة الاستفهام لدلالة المقام عليها في قوله تعالى في سورة البقرة ٧٤ «قل اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده » وقوله تعالى في سورة الشعراء ٢١ « وتلك نعمة تمنها عليّ ان عبّدت بني اسرائيل » على الصحيح من تفسير ذلك بإنكار موسى على فرعون ولو كان هذا

قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ *

الكلام اخبارا مـن الله لما ناسبه تكذيب الله لهم — الثانية — قيل في تفسير ذلك ان يعقوب حرم على نفسه العروق ولحم الجمل فقالت اليهود ان لحم الجمل محرم في التوراة أي انها تذكر ان اسرائيل حرمه على نفسه — الثالثة — ان تحريف التوراة الحقيقية كان قبل رسول الله بقرون متطاولة منذ انقطع أثرها بارتدادات بني اسرائيل وتتابع البلايا عليهم فادعى وجودها « حلقيا » الكاهن في زمان « يوشيا » الملك وذكروا تجديد كتابتها من عزرا بعد سبي بابل . كما اشرنا الى ذلك في المقدمة الخامسة من كتاب الهدى(١) فراجعه . كما ذكرنا بعض الشهادات بتحريفها من كتابي « اشعيا » و « ارميا » وهما من كتب وحيهم(٢) فالتوراة في عهد رسول الله(ص) هي نفس التوراة الموجودة في عصورنا فإنها كانت إذ ذاك منتشرة بين الاسرائيليين والسامريين والنصارى في الشرق والغرب والحبشة وغيرهم بلغات متعددة ومنها اليونانية السبعينية والحبشية ولا يوجد بينها إلا اختلاف طفيف فالتوراة الرائجة في عصورنا هي المحرفة التي جادلهم القرآن بها وقال « فأتوا بالتوراة فاتلوها » إذن فمعنى الآية ان بعض اهل الكتاب قالوا كل أصول المطعومات كانت حلا لبني اسرائيل قبل أن تحرم التوراة ما حرمته منها ثم استثنوا من ذلك ما زعموا ان اسرائيل حرَّمه على نفسه من قبل أن تنزل التوراة فنزلت التوراة بتحريمه . وهذا كله كذب وافتراء حتى ان توراتهم تكذبهم فيه وتذكر ان المحرمات من الحيوانات البرية والمائية والطيور إنما هي رجس فانها نهتهم عن أن يأكلوا كل رجس كما في العدد الثالث من الفصل الرابع عشر من سفر التثنية ثم نصَّت في الفصل المذكور على المحرمات كما نصت عليها في الفصل الحادي عشر من سفر اللاويين . إذن فكيف يكون الرجس حلالا شرعيا قبل التوراة وايضا لم تذكر التوراة ان اسرائيل حرم على نفسه شيئا . بل إنما تذكر ان اسرائيل ضُرب على حق فخذه على عرق النساء لذلك لا يأكل بنو اسرائيل عرق النساء الى هذا اليوم . فتوراتهم تقول ان ذلك تشريع منهم لا من اسرائيل كما في الفصل الثاني والثلاثين من سفر التكوين . يا رسول الله ان هؤلاء لا ينتهون عن الكذب إذن فجادلهم بتوراتهم و(قل) لهم في اظهار كذبهم (فاتوا بالتوراة فاتلوها) في هذه الموارد (إن كنتم صادقين) فإن

(١) في الجزء الأول من صفحة ١٩ إلى ٣٠ (٢) في الجزء الأول من الهدى صفحة ٣٥ و ٣٦ وغير ذلك من الشواهد الكثيرة

قيل ان اليهود يقولون بامتناع النسخ فكيف يدّعون الحل الشرعي قبل التوراة « قلنا » المعروف ان اليهود يزعمون ان الشرع في التوراة منع من نسخ احكامها لأنها أبدية وهذا لا ينافي ادعاءهم هذا فيما قبل. وقد ذكرنا زعمهم وبطلانه في الجزء الأول من كتاب الهدى صفحة ٢٨٨—٢٩١ ولو كان اليهود كبعض النصارى يزعمون امتناع النسخ عقلا وانه لا شريعة قبل التوراة لكانت دعواهم هذه باعتبار الحل العادي وعدم الحرمة الشرعية. وقد ذكرنا هذا الزعم وبطلانه في الجزء الأول من كتاب الهدى صفحة ٢٣٥—٢٣٩ و٢٤١—٢٤٣ وقيل في تفسير هذه الآية وجوها أخر مرجعها الى أن الآية اخبار من الله بأن المطعومات كانت حلاً لبني اسرائيل وذكروا لذلك وجوها « منها » ما في الكشاف من ان الآية رد عليهم في دعواهم ان كل الذي حرم عليهم قد كان محرما على نوح وابراهيم ليتخلصوا بهذه الدعوة الكاذبة مما ذكره القرآن انه بظلم من الذين هادوا حرمت عليهم طيبات احلت لهم. كما في سورة النساء ١٥٨ وببغيهم كما في سورة الأنعام ١٤٧ : ويرد على هذا الوجه انه ليس في الآية ما يشير اليه. وليس في التوراة ما يدل على ان الذي حرم عليهم كان حلالاً قبل ذلك ومن الطيبات بل العدد الثالث من الفصل الرابع عشر من سفر التثنية يبين ان المحرمات عليهم رجس ففيه لا تأكلوا كل رجس ثم شرع ذكر المحرمات التي ذكرت في الفصل الحادي عشر من سفر اللاويين. واما الالية والشحم وزيادة الكبد والكليتين فقد ذكرت التوراة انها توقد على المذبح طعام وقود للرب وان كل الشحم للرب. وفي كل مساكنهم لا يأكلون شيئا من الشحم والدم كما في الثالث من سفر اللاويين فليس في توراتهم ما يكذبهم فيما ذكر لهم من الدعوى ولا ما يدل على انهم حرمت عليهم بظلمهم طيبات احلت لهم « ومنها » ما في تفسير الرازي وغيره ان اليهود ينكرون وقوع النسخ في الشريعة ويزعمون ان الذي هو الآن حرام كان حراما ابدا وان الذي حرمه اسرائيل كان حراما من لدن زمان آدم (ع) فطلب رسول الله (ص) ان يحضروا التوراة لأنها ناطقة بأن بعض انواع الطعام انما حرم بسبب ان اسرائيل حرمه على نفسه انتهى ملخصا: ويرد على هذا الوجه أيضا انه ليس في الآية ما يشير إلى ورودها في مسألة النسخ ولا يلتفت من مخائلها إلى النسخ اصلاً فتنزيلها على ذلك يلحق بالمعميات مع انه ليس في التوراة ان الذي حرم عليهم كان حلالاً أو ان ما حرمه اسرائيل على نفسه هو محرم عليهم كما ذكرنا فلا يظهر كذبهم في زعمهم من التوراة. فالوجهان مشتركان في انه ليس لما ذكر فيهما عن

(٩٠) فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩١) قُلْ صَدَقَ اللهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * (٩٢) إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً

بني اسرائيل قول او كلام صريح او مدلول عليه باحدى الدلالات لكي يمتحنوا فيه بالاتيان بالتوراة وتلاوتها ليظهر كذبهم فيه اوصدقهم (٩٠ فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون ٩١ قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ٩٢ ان اول بيت وضع للناس) شعاراً لدين الحق ومشعرا لعبادة الله وتوحيده هو الكعبة. كما يحتج لذلك من بعد الطوفان بالتاريخ المتسلسل بين الأجيال وان بيت المقدس مما هو معروف التأخر. وفي الدر المنثور اخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق الشعبي عن علي(ع) قال كانت البيوت قبله ولكنه اول بيت وضع لعبادة الله. وفي المستدرك للحاكم بسنده عن خالد بن عرعرة عن علي(ع) نحو هذا المضمون. وروى ابن شهراشوب ايضا نحوه. واخرج ابن أبي شيبة واحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم وابن جرير والبيهقي عن ابي ذرّ قلت يا رسول الله أي مسجد وضع اول قال المسجد الحرام قلت ثم أي قال(ص) المسجد الأقصى . وروى في الكافي مسنداً عن الباقر وعن الصادق عليهما السلام ان الارض دحيت من تحت موضع البيت ونحوه عن العياشي عن محمد بن مسلم عن الباقر(ع). وفي الدر المنثور اخرج البيهقي في الشعب عن ابن عباس قال قال رسول الله(ص) اول بقعة وضعت في الارض موضع البيت. واخرج ابن جرير وابن المنذر والبيهقي في الشعب واخرج ابن المنذر عن ابي هريرة وذكر نحوه (للذي ببكة) في البرهان عن ابن بابويه في العلل في الصحيح عن الصادق(ع) قال موضع البيت «بكة» والقرية مكة . ونحوه عن العياشي عن الصادق(ع) ولعل موضع البيت يشمل المسجد. وعن العياشي عن الباقر(ع) بكة موضع البيت ومكة الحرم. وفي الدر المنثور ذكر جماعة أخرجوا عن ابي مالك الغفاري بكة موضع البيت ومكة ما سوى ذلك. وعن ابن عباس مكة من الفج الى التنعيم وبكة من البيت الى البطحاء. و«بكة» مأخوذة من البك وهو الزحم والمدافعة. وروى انهذا وجه تسميتها كما في الكافي عن الصادق(ع) وعن علل الصدوق بأسانيد صحيحة عن الباقر(ع) والصادق(ع) نحوه (مباركا) حال. ومظاهر البركة في البيت من الوجهة

وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ * (٩٣) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا

الدنيوية والوجهة الدينية اظهر من أن تخفى او تجحد. فإنه في ارض ليس فيها مادة ثروة ولا تجارة ولا زراعة ولا صناعة وترى مجاوريه فيها يبلغون عشرات الألوف وهم منذ القرون المتطاولة في الجاهلية والإسلام في سعة من العيش وتمتع في النعم والعز والأمن فيما بين العرب الوحشيين الأشداء العتاة ويفد اليها الألوف العديدة من الحجيج فلا يضيق عليهم العيش. ويذبح في الموسم من كل سنة من اغنام ضواحيها ما يزيد على مائة الف فلا يظهر فيها النقص. واما من الوجهة الدينية فإنه المبارك (وهدى للعالمين) هدًى حال بمعنى هادٍ ولمزيد هداه قيل هدًى كما يقال زيد عدل. ومن بركة هداه ان العرب التفت باسماعيل وتلقت منه دين ابراهيم وشريعة الختان وعبادة الله بالحج والطواف وان مازج ذلك فيما بعد شيء من ضلال الوثنية بل بقي في حرمه شيء من الحقوق الاجتماعية والمدنية مدة الجاهلية على رغم ما في محيطه من وحشية الاعراب وضلالهم. وكفى ببركة هداه ان صارت مكة مولدا ومظهرا لخاتم الأنبياء وصفوة الرسل ومهبطا للوحي ومبدأً للدعوة الصالحة الى دين الحق دين الفطرة والشريعة المقدسة ونظام الاجتماع والصلاح ومشرقا لأنوار القرآن الكريم (فيه آيات بينات) بدلالتها الجلية على منزلته السامية في الشرف وكرامته عند الله (مقام ابراهيم) وهو وما يذكر بعده بدل تفصيلي من الآيات المذكورة. فإن مقام ابراهيم من آيات البيت الباهرة الخالدة وهو الصخرة التي قام عليها ابراهيم الخليل فأثرت فيها قدماه الشريفتان تأثيراً بيناً كما تؤثر في الطين الرطب وهذه الصخرة وذلك الأثر محفوظا الى الآن على رغم القرون المتطاولة وتتابع الحوادث وتقلب الأحوال وفي ذلك ايضا آية كبيرة. وقد تقدم شيء من الكلام على المقام في الآية التاسعة عشر بعد المائة من سورة البقرة(١) (ومن دخله كان آمنا) أي من دخل بلده

---

(١) هذا ولصاحب المنار في الجزء الرابع من تفسيره صفحة ١٣ كلام لم يسمح فيه بأن يكون الأثر في الصخرة أثر لقدمي ابراهيم في الصخر على خلاف العادة بل نسب ذلك الى اعتقاد العرب وشعر أبي طالب في لاميته المعروفة

وموطأ ابراهيم في الصخر وطئةً ... على قدميه حافياً غير ناعل

والمعروف سماعا ووجادة هو « وطيئة » بالواو كما في النسخ المعتمدة ومنها المكتوبة على نسخة كتبها عفيف بن أسعد في المحرم سنة ثمانين وثلاثمائة من نسخة كتبها الشيخ ابو الفتح عثمان بن جني—

وحرمه المعروف. والجملة من اقسام البدل التفصيلي من الآيات معطوفة على مقام ابراهيم أي وأمنَ من دخل فيه. ولعل «من» جيئ بها لتغليب من يعقل على ما لا يعقل. وفي الأمن آيات ظاهرة. فإن العرب على فوضويتهم ووحشيتهم وتهوّرهم في العدوان والنخوة الجاهلية وغلظتهم في ذلك بحيث لا يمنعهم من ذلك ولا يردعهم شريعة ولا وازع روحي ولا سيطرة ولا استقامة اخلاق قد كانوا خاضعين لاحترام من دخل الحرم منقادة نفوسهم لذلك في القرون العديدة في تلاطم امواج الجاهلية. فضلا عن الإسلام. وليس ذلك من طبع التربة والهواء ولا بنحو الجبر السالب للاختيار. بل لأن العناية الإلهية الهمت الناس اكراما للبيت الحرام أن يحترموا الحرم ومن فيه. نعم وقع التمرد من جيش يزيد والحجاج ولعل الحكمة في ذلك ان يعرف الناس ان هذا الاحترام ليس من قسر الطبيعة والإلجاء وإنما هو توفيق من الله شمل المشركين ولم يشمل من تمرد على الله وحاده وعاداه. وفي الصحيح او الحسن كالصحيح عن الحلبي عن الصادق(ع) قال سألته عن قول الله ومن دخله كان آمناً قال(ع) إذا احدث العبد جناية في غير الحرم ثم فر الى الحرم لم ينبغِ لأحد أن يأخذه من الحرم ولكن يمنع من السوق ولا يبايع ولا يطعم ولا يسقى ولا يكلم فإذا فُعِل ذلك يوشك أن يخرج فيُأخذ وإذا جنى في الحرم جناية أقيم

— وعارضه بها وقرأها عليه كما هو مكتوب فيها برواية أبي هفان المهزمي للقصيدة عن عمه خالد بن حرب عن عبد الله بن العباس بن الحسين بن عبيد الله بن العباس بن امير المؤمنين عليه السلام وبدّل « وطئة » بقوله « رطبة » ليستنتج من ذلك ان الصخرة كانت عندما وطأ عليها طينة رطبة لم تتحجر ثم تحجرت . مع ان الشعر المذكور او كان على ما ذكره لما دلّ على انها كانت رطبة لم تتحجر بل الظاهر منه انه وطأ الصخرة حال كونها رطبة عند الوطء وهي صخرة إذ صارت كذلك كرامة لابراهيم وتخليداً لذكره بالمعجز كما ينحوه ابو طالب في شعره . فإن « رطبة » بمقتضى تبديله لو صحت وصح التأنيث فيها إنما هي حال من الصخر ووصف له لا حال من طين قبل استحجاره المحتاج إلى ألوف من السنين. ويا للعجب كيف لم يلتفت إلى ان الحال من « الصخر » لا يصح تأنيثه

والطنطاوي مع وضعه المشاهد في تفسيره لم يزد ههنا على قوله « أي الحجر الذي كان يقوم عليه عند بناء البيت » فلماذا لم يبين محل « مقام ابراهيم » في الآية من الاعراب وبأي وجه صار بدلا مبينا لقوله تعالى ((فيه آيات بينات)) أفلم يسمع من التاريخ والحديث وشعر أبي طالب المشهور بآية الأثر لقدمي ابراهيم في الصخرة التي هي مقام ابراهيم . أم صرنا

كتاركة بيضها بالعراء وملحفة بيض أخرى جناحا

وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً

عليه الحد لأنه لم يرع للحرم حرمةً : ونحوها معتبرة حفص. ورواية علي بن ابي حمزة عنه (ع) في السارق والجاني ونحوها صحيحة معاوية بن عمار عنه(ع) في القاتل. وفيها ولا يأوي: وفي الدر المنثور ان جماعة اخرجوا من طرق سعيد وطاوس ومجاهد وعكرمة وعطا عن ابن عباس في الآية مثل ذلك · ولا ينافي ذلك ما روي من طرق الفريقين من انه أمن من سخط الله · أو في الآخرة · أو من النار. فإن ذلك يكون بيانا لبعض المصاديق المندرجة في عموم الأمن · وبمقتضى الروايات المتقدمة قال علماء الإمامية من دون خلاف يعرف. وابو حنيفة وصاحباه وزفر واللؤلئي وافقوا الإمامية في قصاص النفس واحتجوا بالآية ويرد عليهم ان الأمن فيها مطلق فإذا قدم على دليل القصاص قدم على سائر أدلة القصاص والحدود لذلك الوجه حتى لو حملنا الخبر في الآية على الأمر مع ان الآية لا تحمل على ذلك ولا يتوقف عليه. بل الآية تدل على جعل الأمن بنحو وضعي عام · وجعله من الله من حيث الشريعة هو اظهر الافراد وأولاها فإن الذهن لا يذعن بأن الله تبارك اسمه يمجد البيت بأن من آياته ان الناس يحترمونه بإلهام وتوفيق منه وهو جل شأنه لا يشرع احترامه في حقوقهم وحقوقه نعم ان الجاني في الحرم قد هتك حرمته فيؤخذ بجنايته في ذلك لقوله تعالى في سورة البقرة ١٨٧ ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ١٩٠ والحرمات قصاص · · وايضا ان طعام العرب نوعاً مما يصطادونه من احناش الأرض وحيواناتها ولهم في الصيد ولع وعادة ومع ذلك يحترمون صيد الحرم ومكة. ومن المستفيض نقله ان الحيوانات لا يقتل بعضها بعضا فيه. ولا تصطاد الكلاب والسباع فيه : ومن آيات البيت ما استفاض نقله من ان الطير لا يعلو عليه في طيرانه بل يحيد عنه يمينا او شمالا (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) قوله تعالى «ولله على الناس» الآية جملة مستأنفة فلا يندرج في جملة الآيات البينات للبيت. والحج بالكسر وعن سيبويه انه مصدر وقيل اسم مصدر ومعناه في اللغة القصد بالسفر وغلب على القصد بالسفر الى مكة لنسك الحج المعروف او نقل الى نفس المناسك المخصوصة. ومن استطاع بدل من الناس. والتقييد هنا بالاستطاعة يعرف منه انها غير الاستطاعة العقلية التي هي شرط في كل تكليف. إذن فهي الاستطاعة العرفية. وذكر في الدر المنثور عن جماعة كثيرين منهم الشافعي والترمذي

وَمَنْ كَفَرَ

وابن ماجة والحاكم قد اخرجوا بأسانيد متعددة عن علي(ع) وابن مسعود وجابر وعائشة وأنس وابن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي(ص) سئل عن السبيل في الآية فقال الزاد والراحلة. ومثله عن عمر وابن عباس. وفي رواية عن ابن عباس ان يصح بدن العبد ويكون له ثمن زاد وراحلة من غير ان يجحف به. وقد خالف في ذلك مالك فيمن يقدر على المشي ويمكنه الاكتساب في مسيره ولو بالسؤال. والمروي من طرق الإمامية عن الباقر والصادق والرضا عليهم السلام كما أحصاه في الوسائل في تفسير الاستطاعة في الآية بحسب السؤال وما يقتضيه المقام من البيان. بأن يكون له ما يحج به ومن عرض عليه فاستحيى فهو ممن يستطيع. وبأن من كان صحيحا في بدنه مخلى في سربه له زاد وراحلة فهو ممن يستطيع. وبالزاد والراحلة مع الصحة وبالصحة في بدنه والقدرة في ماله. وبالقوة في البدن واليسار في المال. هذا والظاهر عدم الخلاف عندنا في ان من الاستطاعة أن يكون له ما يمون به عياله في طعامهم وكسوتهم واسكانهم وما يحتاجون اليه في معيشتهم الى رجوعه. وفي التبيان وهو «أي السبيل» عندنا وجود الزاد والراحلة ونفقة من تلزمه نفقته والرجوع الى كفاية عند العود اما من مال او ضياع او عقار أو حرفة مع الصحة والسلامة انتهى والظاهر دخول ذلك في الاستطاعة العرفية. وروى المفيد في المقنعة عن ابي الربيع الشامي عن الصادق(ع) في الآية فقال ما يقول الناس فقيل الزاد والراحلة فقال سئل ابو جعفر(ع) عن هذا فقال هلك الناس إذن لئن كان من له زاد وراحلة لا يملك غيرهما او مقدار ذلك مما يقوت به عياله ويستغني به عن الناس فقد وجب عليه أن يحج بذلك ثم يرجع فيسأل الناس بكفه لقد هلك إذن فقيل له فما السبيل عندك قال (ع) السعة في المال وهو ان يكون معه ما يحج ببعضه ويبقى بعض يقوت به نفسه وعياله. ورواه في الكافي والتهذيب والفقيه والعلل بنحو من ذلك والرواية معتبرة في نفسها خصوصا إذا كان ابن محبوب من اصحاب الاجماع ومعتضدة بعمل الشيخين وجماعة من القدماء بها. وروى الصدوق في الخصال باسناد عن الأعمش عن الصادق (ع) قال : وحج البيت واجب على من استطاع اليه سبيلا وهو الزاد والراحلة مع صحة البدن وان يكون للانسان ما يخلفه على عياله وما يرجع اليه بعد حجه : فما ذكر في التبيان هو الأقوى والظاهر من الاستطاعة. وتمام الكلام في الحج موكول الى كتب الفقه كما أوكل القرآن امره الى السنة (ومن كفر) لا يخفى ان مفاد الآية هو

فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ * (٩٤) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ * (٩٥) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ

التوبيخ لمن يترك الحج مع استطاعته والمسلمون من الموبخين بل هم اظهر الافراد في هذا التوبيخ فيكون الكفر كناية عن شدة العصيان بترك الحج وتغليظا على تاركيه في تضييعهم لهذه الفريضة العظيمة الأثر في الدين والإسلام وان المسلم المضيع للحج ليس بكافر حقيقة ولا تجري عليه احكام الكافر حتى بعد موته بل تجري عليه احكام المسلم باجماع المسلمين. وفي التهذيب في الصحيح عن معاوية بن عمار عن الصادق (ع) في حديث ومن كفر يعني من ترك. وفي الفقيه عن الصادق عن آبائه عليهم السلام في وصية النبي (ص) لعلي (ع) كفر بالله العظيم من هذه الأمة عشرة وعدَّ تسعة من اصحاب الكبائر كالنمام والزاني والعاشر من وجد سعة فمات ولم يحج. وروى ذريح المحاربي في الصحيح كما في الكافي والمقنعة والتهذيب والمحاسن والفقيه وعقاب الأعمال والمعتبر عن الصادق (ع) ان من استطاع ولم يحج حتى مات فليمت يهوديا او نصرانيا. وفي رواية الشيخ إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا. ومثلها رواية الدر المنثور مما أخرجه سعيد بن منصور واحمد في كتاب الإيمان وابو يعلى والبيهقي عن ابي امامة عن رسول الله (ص)، ومما اخرجه الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب وابن مردويه عن علي امير المؤمنين (ع) عن رسول الله (ص) . ومما اخرجه سعيد بن منصور وابن أبي شيبة من قول عمر بن الخطاب . وان عبارة الرواية « فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا » لتدل بسوقها على انها للتغليظ في سوء العاقبة وخسران التارك إذ فاته ما للحج من الفضل واللطف على العباد بتعريضهم لثواب هذه الطاعة واقامة هذه الشعائر الدينية التي يعود نفعها الى الناس لفقرهم وحاجتهم الى ذلك ومن عصى وترك عاد الضرر والخسران عليه (فإن الله غني عن العالمين) بأجمعهم لا تزيد في ملكه طاعة المطيعين ولا تنقص منه معصية العاصين (٩٤ قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) ومن جملتها ماجاء به رسول الله وقرآنه المجيد وما في البيت الحرام من الآيات البينات (والله شهيد على ما تعملون) لا يغيب عنه شيء ولا تخفى عليه خافية (٩٥ قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن) روى الواحدي في اسباب النزول

تبغونها عوجاً

والسيوطي في الدر المنثور عن زيد بن اسلم ان الآية نزلت في شاس بن قيس اليهودي لما أمر يهوديا أن يجلس مع الأوس والخزرج ويهيج الأضغان فيما بينهم ويذكرهم الحروب التي دارت فيما بينهم من يوم بغاث وما قبله: ويدفع ذلك مع وهن السند ان ذلك ليس صداً عن سبيل الله وإنما يناسبه التوبيخ على القاح الفتنة وتهييج الشر بين الناس. فالآية الكريمة على رسلها في توبيخ اهل الكتاب على دأبهم في التصدي لإضلال الناس وصدهم عن الإسلام بأنواع الوسائل.
والسبيل كالطريق يذكر ويؤنث والأكثر في القرآن تذكيره. وجاء مؤنثا في سورة يوسف «١٠٨ قل هذي سبيلي» وفي هذه الآية (تبغونها) أي السبيل قال في التبيان ومعناه تطلبون لها عوجا. ونحوه في الكشاف. وحكاه الرازي في تفسيره عن ابن الأنباري وانه مثل وهبتك درهما أي وهبت لك. وصدتك ظبيا أي صدت لك وأنشد:

فتولى غلامهم ثم نادى أظليما اصيدكم أم حمارا

وفي النهاية في الحديث ابغني احجارا استطيب بها يقال ابغني كذا بهمزة الوصل أي اطلب لي وابغوني حديدة استطيب بها. وفي لسان العرب قال واقد بن الغطريف كما في ديوان الحماسة وغيره:

لئن لبن المعزى بماء مويسل بغانيَ داءً إنني لسقيم

وقال الأعشى:

حتى إذا ذرّ قرن الشمس صبّحها ذؤال نبغان يبغي قومه المتعا

أي يبغي لصحبه الزاد. وفي الصحاح «ليبغيه خيرا وليس بفاعل» أي ليبغي له (عوجاً) مفعول لتبغونها ومثله في سور الاعراف ٤٣و٨٤ وهود ٢٢ وابراهيم ٣ وفي مجمع البيان في سورة الأعراف ويجوز ان يكون منصوبا على المصدر نحو رجع القهقرى واشتمل الصمّاء ويدفعه ان العوج ليس من معنى يبغون ولا يدانيه فلا يكون مثل هذين المثالين. والمصدر لا ينصب على المصدرية إلا بعامل من لفظه او معناه. وذكر الرازي وجهاً آخر وهو ان يكون عوجا في موضع الحال والمعنى تبغونها ضالين يعني حال كونكم معوجين. ويدفعه ان لا قرينة ولا حاجة الى تأويل عوجا بمعوجين مضافا الى ان الآية معناها الانكار على اضلالهم لا ضلالهم وقد

وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * (٩٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ * (٩٧) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ

فسرها بأنهم كانوا يحتالون لإلقاء الشبه بأنواع الحيل فلا موقع للتفسير بكونهم يطلبون سبيل الله حال كونهم ضالين والآية تقول يصدّون عن سبيل الله فانظر فيها الى آخرها وتدبرها: وفي النهاية العوج بالكسر فيما ليس بمرئي كالرأي والقول. وفي المصباح العوج بالكسر في المعاني واستشهد بكلام أبي زيد. وفي مجمع البيان في سورة الأعراف ٨٤ العوج بالكسر في الدين وكل ما لا يرى. أقول وكأن القائل بذلك لم يقرء قوله تعالى في سورة طه «١٠٥ ويسألونك عن الجبال قل ينسفها ربي نسفا ١٠٦ فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا» والمعنى تطلبون يا أهل الكتاب بصدكم عن سبيل الله بتزويركم ومخادعتكم وتحريفكم وكتمانكم لما في كتبكم أن تجعلوا سبيل الله عوجاء تطلبون لها العوج وهي الصراط المستقيم بينة الحجج نيرة الأعلام واضحة الدلالة ساطعة البرهان (وأنتم شهداء) على بشرى كتبكم برسول الله وقرآنه ودينه . أو أنتم شاهدون لدلالة المعجز والآيات البينات على رسول الله ووحي قرآنه وحقيقة دينه القيم (وما الله بغافل عما تعملون) من الصد عن سبيل الله ومحاولة الاضلال والله لا يفوته شيء وهو شديد الانتقام (٩٦ يا ايها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقامن الذين أوتوا الكتاب) باعتبار إيتاء الكتاب الحقيقي لأسلافهم قبل تحريفه . والفريق هم المتصدون للاضلال والاغواء والصد عن سبيل الله وتنقادوا لضلالهم بالاتباع الأعمى (يردّوكم) باغوائهم واضلالهم (بعد إيمانكم كافرين ٩٧ وكيف تكفرون) وقد غمرتكم الألطاف ووضحت لكم الحجج (وأنتم تتلى عليكم آيات الله) وفيها الهدى والرشاد (وفيكم رسوله) وهو نور الهدى والصلاح ومنار الحجة وإمام الاصلاح. وباب الله ووسيلته لخلقه (ومن يعتصم بالله) العصمة هو المنع والحفظ مما يحذر. والعاصم هو الحافظ المانع بتسبيبه أو فعله. والمعتصم هو الملتجي الى العاصم واللائذ به ليمنعه ويحفظه مما لاذ والتجأ حذراً منه. وتختلف وجوه الحذر ومحققاته باعتبار شأن المعتصم به ووجهة الحذر. فالاعتصام بالله في هذا المقام هو التجاء العبد

فَقَدْ هُدِيَ إِلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * (٩٨) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ

وانقطاعه اليه ليمنعه ويحفظه بهداه وتوفيقه من محاذير الضلال واتباع الهوى والنفس الأمارة وموبقات المعاصي والأخلاق الذميمة ، ومهالك غضب الله ، وحرمان لطفه وتوفيقه ورضاه والمحقق لهذا الاعتصام بعد مخالفة الهوى والنفس الأمارة هو اتباع دلالة العقل والفطرة وما جاءت به رسل الله في معرفته مع النظر في آياته واتباع مدلولها والإيمان برسله وكتبه . وفي حال الخطاب هو الإيمان بخاتم النبيين وقرآنه واتباعهما فيما جاءا به وبلغه رسول الله حق الاتباع ومن جرى على هذا الاعتصام (فقد هُدي الى صراط مستقيم) وان هذا الاعتصام لصراط مستقيم يؤهل العبد الى توفيق الله له لسلوك الصراط المستقيم (٩٨ يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله) أي اتقوا غضبه ومايخاف منه بطاعتكم له (حق تقاته) جاء في سورة البقرة ١١٥ يتلونه حق تلاوته . والأنعام ٩١ والحج ٧٣ والزمر ٦٧ ما قدروا الله حق قدره . والحج ٧٧ جاهدوا في الله حق جهاده . والحديد ٢٧ فما رعوها حق رعايتها . فالمعنى ما يحق ويليق بجلاله من تقاته ويكون نصب « حق » على النيابة عن المفعول المطلق المضاف اليه لأنه من صفاته . وفي تفسير البرهان عن معاني الاخبار ومحاسن البرقي في الصحيح عن الصادق (ع) يطاع فلا يعصى ، ويذكر فلا ينسى ، ويشكر فلا يكفر ، ونحوه عن ابن شهراشوب عن تفسير وكيع عن علي (ع وفي الدر المنثور ذكر جماعة اخرجوه منهم الحاكم وصححه عن ابن مسعود . واخرجه الحاكم ايضا وصححه عن ابن مسعود قال قال رسول الله (ص) ان يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ، ومن المعلوم ان الله لا يكلف العبد في مفردات التكاليف بما لا يقدر عليه ولا يجمع عليه منها ما هو فوق ما يقدر عليه ولا يستطيع الاتيان بجميعه . إذن فحق تقاة العبد لله أن يتقيه في جميع ما الزمه به أو كما ذكرت الروايات المتقدمة . وان التكليف الذي هو لطف بالعباد لتكميلهم لا يتنازل عن هذا المقدار والالزام لا يتساهل فيه . نعم قد يقتضي اللطف والتيسير أو عدم القدرة والاستطاعة من اول الأمر أن لا يكلف ببعض الأفعال او التروك وإن كانت من سنخ الواجبات . وعليه لا يكون الارتكاب لها مما ينبغي أن يتقى الله ويخاف من أجله . وعن قتادة والسدي والربيع ان قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته منسوخ بقوله تعالى في سورة التغابن ١٦ « فاتقوا الله ما استطعتم » كما ذكر روايته في الدر المنثور عن قتادة والربيع . وذكر

وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ * (٩٩) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً

ايضا من اخرج رواية ذلك عن ابن عباس وابن مسعود . كما ذكر من اخرج عن ابن عباس انها لم تنسخ . وفي التبيان في النسخ قوله وهو المروي عنهما . وفي مجمع البيان وهو المروي عن أبي جعفر(ع) وعن أبي عبد الله(ع) . أقول ولم أجد الرواية عن الباقر(ع) نعم عن العياشي عن أبي بصير عن ابي عبد الله(ع) انها منسوخة بقوله تعالى واتقوا الله ما استطعتم . والعياشي لم يذكر الواسطة بينه وبين أبي بصير . والمعروف عن العياشي انه يعتمد على الضعفاء وعلى كل حال لابد من طرح الرواية او تأويل النسخ فيها بنزول المفسر الذي يرفع ما يتوهمه البعض بالنظر السطحي من ان حق التقاة المكلف به ما فوق الاستطاعة . والعجب من الشيخ حيث أشار في تبيانه الى الرواية في مقام النسخ وهو العارف بحقيقة النسخ واشتراط القدرة والاستطاعة في التكليف وتنزيل الاستطاعة في آية التغابن على الاستطاعة العرفية مع انه مخالف لسوق الآية يوجب التهاون بأمر التقوى (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) يمكن أن يراد بالإسلام هنا حق التقاة وهو الدخول في سلم الله بالطاعة وعدم المحادة له بالمعصية دائما . وهو أمر يمكن أن لا يتصف به المؤمن بالله والرسول ويوم القيامة فالمراد من الآية دوام الاتصاف بهذه الصفة الكريمة حتى الموت وان لا يموتوا إلا وهذه صفتهم الدائمة وسجيتهم المستمرة ومن ذلك طاعة الرسول ومن أمر الرسول بطاعته وموالاته والتمسك به كما اشارت اليه رواية البرهان عن العياشي عن الحسين ابن خالد عن الكاظم(ع) . ويمكن أن يكون المراد من الإسلام ما يخالف الكفر ويساوق الإيمان في المعنى فيكون المراد هو الاتصاف بهذه الصفة حتى الموت . والأول اظهر بحسب السوق والأمر بالتقوى حق التقاة . والثاني أنسب بالمعنى المتداول للإسلام ويمكن توجيه التناسب فيه بكون المعنى لازموا التقوى حق التقاة لينذحر عنكم الشيطان ولا تعصوا الله فيطمع فيكم الشيطان ويصرفكم عن الإيمان ولو عند الموت . وفي هذا التخريج نوع تكلف (٩٩ واعتصموا) من السقوط (بحبل الله جميعا) أي حال كونكم مجتمعين على الاعتصام بحبل الله وما جعله الله سببا عاصما من سقوط الضلال ووباله . وقد دلنا رسول الله(ص) على ما هو من مصاديق هذا السبب والحبل الذي لا يضل من تمسك به بقوله(ص) في حديث الثقلين «ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا — كتاب الله وعترتي اهل بيتي» واستعير لفظ الحبل في

وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * (١٠٠) وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

الآية للإشارة الى ان عدم الاعتصام به يوجب السقوط في مهواة الضلال والهلكة (ولا تفرقوا) عن حبل الله والاعتصام به (واذكروا نعمة الله عليكم) أي ولتكن نعمة الله المذكورة على ذكركم دائما فإن لكم فيها موعظة وعبرة تدعوكم الى الاجتماع على الاعتصام بحبل الله وتزجركم عن التفرق عنه . وذلكم (إذ كنتم) في جاهليتكم (اعداء) بحسب قبائلكم بل والكثير من آحادكم (فألف) الله ببركة الإسلام والرسول (بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته) عليكم بهذا التأليف (اخوانا) كعادة الاخوان الاشقاء في كونكم يدا واحدة بقلوب مؤتلفة (وكنتم) في شركم وعدوانكم واعمالكم الجاهلية (على شفا حفرة من النار) أي طرف الحفرة وحافتها مشرفين على السقوط فيها ما بينكم وبينه إلا الموت وهو قريب منكم (فأنقذكم) وانجاكم (منها) في الكافي عن الصادق(ع) فأنقذكم منها بمحمد(ص) ونحوه عن العياشي عن الصادق(ع) ايضا ونحوه ما في الدر المنثور عن الطستي عن ابن عباس وهو تفسير جلي (كذلك يبين الله لكم آياته) ومنها التأليف بين قلوبكم بعد تلك العداوات الشديدة والأحقاد المتوغلة في قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ومنها انقاذكم من تلك الضلالات المشرفة بكم على الخلود في درك الجحيم يبينها لكم (لعلكم) تنتبهون و(تهتدون ١٠٠ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) اللام للأمر و« منكم » للتبعيض فالوجوب كفائي منوط بحصول الغرض كما في التبيان . والحكم في الآية كسائر التكاليف لطف عام لجميع الناس وإن كان الخطاب متوجها الى المسلمين لأنهم حينئذٍ هم المصغون الى خطاب الوحي والمتلقون لشرائعه بترحيب الايمان . وفي التبيان وقيل « من » لتخصيص المخاطبين من بين سائر الأجناس مثلها في قوله تعالى واجتنبوا الرجس من الأوثان . اقول يعني ان « من » تفيد هنا ما يسمى في الاصطلاح بالتجريد نحو رأيت منك أسداً وليكن لي منك صديق ، و كقول الزعيم لأصحابه لينهض منكم جيش ولينتظم منكم صفوف إذا أراد نهوضهم وانتظامهم بأجمعهم أي كونوا جميعا

أمة يدعون الآية « ويدفعه اولا » ان هذا خلاف الظاهر والمتداول من لفظ « من » وليس في المقام قرينة تصرفها من التبعيض اليه ومما يشهد للتبعيض او يدل عليه معتبرة مسعدة بن صدقة المروية في الكافي والخصال والتهذيب وفيها ان الصادق (ع) استشهد للتبعيض بالآية — وثانيا — ان هذا المعنى يصرف وجه الكلام عن الأمر لبعض المسلمين بالمعروف ونهيهم عن المنكر مع حاجتهم الى اللاطف بهذا الإصلاح . بل يكون وجهه هو أمرهم ونهيهم لغيرهم . وهذا مما يأباه عموم لطف الآية ومجد اصلاحها و كرامة شريعتها . فالظاهر إذن من لفظ «من» وسوق الآية هو التبعيض . ولذكر الأمة جهتان — الأولى — بيان ان هذا المقام توصلي يراد منه حصول الغرض بمن يحصله وليس بتعبدي واجب على كل احد على كل حال بل قد يسقط الوجوب عن كثير من الناس لعدم تأثيرهم او غير ذلك مما ذكر في شروطه — الثانية — الاشارة الى ان هذا المقام يحتاج غالبا في تأثيره الى التعاضد والتعاون وإذا تُرك المتصدي وحده اوشك أن تحول وحدته دون نهوضه ودون التأثير فيجب تحصيل الأثر بالمعاونة والاجتماع « والخير » معروف وهو ما هدى اليه العقل السليم أو دلّ على فضيلته الشرع . وقد تكفل الدين الحنيف والشرع الشريف ، والقرآن الكريم بالدلالة على كل خير كالإسلام والإيمان والمعارف الدينية . و كرامة الطاعة واتباع الحق والعدل والتزين بالأخلاق الفاضلة ، واسباب التكميل والتهذيب وترويض النفس والسعادة ، وفضيلة العلم ، ونظام الاجتماع ، والمدنية ، والصلاح والإصلاح ، وانك إذا تتبعت القرآن الكريم والسنة الشريفة تجد الدعوة الى ذلك والأمر بها جارية على أحسن نهج وأعمه وأنفعه ، واوضحه واوفقه بالحكمة . و«المعروف» هو ما يعرف العقلاء والمتشرعة برجحانه في حسنه من دلالة العقل او الشرع ، و«المنكر» ما أنكره واستبشعه العقلاء والمتشرعة لدلالة العقل أو الشرع على رداءته . وفي الكافي والتهذيب مسنداً عن الباقر (ع) في حديث ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج الصلحاء فريضته عظيمة بها تقام الفرائض وتؤمن المذاهب وتحل المكاسب وترد المظالم وتعمر الأرض وينتصف من الاعداء ويستقيم الأمر الحديث . وقد شدد الإنذار في السنة والنكير على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وهدد بعقاب الدنيا ووباله قبل الآخرة . فمن ذلك ما روي في الكافي وعقاب الأعمال والتهذيب مسنداً عن الرضا (ع) كان رسول الله (ص) يقول إذا أمتي تواكلت الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر فليأذنوا بوقاع من الله (١) وذكر في كنز العمال من اخرج نحو معناه عن حذيفة وابي بكره وجرير عن رسول الله(ص) وعن الرضا(ع) ايضا لتأمرنّ بالمعروف ولتنهن عن المنكر او ليستعملن الله عليكم شراركم(٢) فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم(٣) وذكر في كنز العمال من اخرج هذا المعنى ونحوه عن ابن مسعود وحذيفة وابي هريرة وعائشة عن رسول الله(ص). وقد جمع في الوسائل وكنز العمال في باب الأمر بالمعروف جملة من الأحاديث فلتراجع . وفي المقام مسائل — الأولى — انه وان كان الظاهر بحسب اللغة كون الدعوة والأمر والنهي ما كان باللسان. ولكن المعلوم من مغزى الآية وفحواها ووجهة اصلاحها وقرائنها من الشريعة هو ان المراد ما يكون باعثا على الانقياد لفعل المعروف ورادعا عن المنكر من القول والفعل والوسائل المحصلة لذلك حتى الالجاء لكن بعض الوسائل الفعلية تحتاج إلى الاذن من ولي الأمر سلطان الوقت او من ينوب منابه — الثانية — ذهب الشيخ في التبيان والحلي في السرائر وحكي عن المرتضى والحلبي والقاضي والطوسي في التجريد والعلامة وكثير من غيرهم ونقلت حكاية الشيخ له عن جماعة انهما يجبان على الكفاية بمعنى انهما يجبان على كل مكلف لم يفقد شرط الوجوب لكنهما يسقطان بقيام من به الكفاية او نهوضه لها مع المراعاة بحصول الغرض. وهذا هو المفهوم من المقام وامثاله مما يكون التكليف فيه لغرض يتعلق بغير المكلف .وهو الظاهر من الآية ورواية مسعدة المشار اليها. وفي نهاية الشيخ والوسيلة وحكي عن بعض المتأخرين انهما من فروض الأعيان وذكر في المختلف احتجاج الشيخ له بالآية وبعض الروايات الواردة في الباب «ويدفعه» ان الآية ظاهرة في فرض الكفاية والروايات لا تنافي ذلك. هذا وإذا احتاج الواجب الى تعاون جماعة وجب على كل مكلف به أن يهيأ نفسه للانضمام الى من يعاونه بل ويدعو الى ذلك — الثالث — يشترط في وجوبهما جواز التأثير .

---

(١) وقاع كوقائع جمع واقعة وهي النازلة الشديدة. ويحتمل أن تكون مصدر واقع بمعنى حارب كحراب بمعنى المحاربة

(٢) أي لا يحول بلطفه دون استيلائه عليكم بل يخذلكم ويترك أمرهم لمجرى الاسباب العادية والمقادير فكنى عن ذلك بالاستعمال لما للطفه جلت آلاؤه من الأثر في صد الأسباب عن مجاريها

(٣) سموا خيارا بظاهر الحال فإنهم عصاة بتضييعهم لفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولذا لا يستجاب دعاؤهم

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * (١٠١) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٢) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ

وحكي على ذلك الاجماع بل يدل عليه العلم بأن وجوبها إنما هو لتحصيل الائتمار والانتهاء. وعلى ذلك لا يجبان إلا أن يحرز اصرار المأمور على ترك المعروف والمنهي على فعل المنكر . بل ربما يصادف ذلك اهانة التائب وهي مفسدة . ومع الشك فالأصل عدم الوجوب خصوصا مع احتمال المفسدة المذكورة ولزوم الاحتراز عن الإهانة للغير إلا بحق ومن أجل ذلك يتوقف الأمر والنهي على معرفة المعروف او المنكر فإن كان الجهل من حيث الشرع وجب التعلم بوجوب تعلم الأحكام الشرعية وإن كان من حيث الاشتباه الخارجي فالأصل البراءة مع لزوم الاحتراز عن اهانة الغير إلا بحق — الرابعة — أن لا تكون فيهما مفسدة من نحو ما تقدم أو ضرر يرجح الحذر منه على مصلحتها بحسب المورد الخاص. والتفصيل موكول الى كتب الفقه (وأولئك) الواو للاستئناف والمشار اليهم هم الذين يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على النحو المطلوب (هم المفلحون ١٠١ ولا تكونوا كالذين تفرقوا) عما يجب فيه الاجتماع مما فيه الصلاح والفلاح (واختلفوا) بحسب اهوائهم (من بعد ماجاءتهم البينات) الواضحات من أدلة الحق فتولوا عنها بضلال اهوائهم (وأولئك لهم عذاب عظيم) والواو يحتمل أن تكون للاستئناف ويحتمل أن تكون عاطفة على أولئك هم المفلحون. وفي العطف مناسبة المقابلة والتقسيم في النظم (١٠٢ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) في التبيان ما ملخصه ان العامل في«يوم» عظيم — ويجوز أن تعمل فيه الجملة في معنى يعذبون يوم. وتبعه على كلامه بحروفه في مجمع البيان . وفي الكشاف نصب « أي يوم على الظرفية » بالظرف وهو « لهم » او باضمار « اذكر » أي على انه مفعول لا ظرف وتبعه على ذلك الرازي في تفسيره . ولكن ارتباط الآيات في النظم وذكر ابيضاض الوجوه واسودادها على ترتيب الفلاح والعذاب في الآيتين المتقدمتين يناسبها ان يكون « يوم » ظرفا لفلاح المفلحين وعاقبة المتفرقين . وقيل ان ابيضاض الوجوه كناية عن رونق بشرها واسودادها كناية عن حالة خزيها نحو قوله تعالى في سورة النحل « ٦٠ وإذا بُشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم » وهذا

فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٣) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٤) تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ (١٠٥) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ (١٠٦) كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ

القول كما في مجمع البيان عدول عن حقيقة اللفظ بلا ضرورة . بل يكون البياض بحقيقته وسنا نوره سيماء تكريم وبشرى للصالحين المقربين ويكون السواد باظلامه وتشويهه وسم خزي ونكال لأولئك البعداء (فأما الذين اسودّت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) في التبيان ومجمع البيان والكشاف وتفسير الرازي ان جواب «اما» محذوف تقديره فيقال لهم اكفرتم . اقول ويقرب عندي أن يكون الجواب من نحو فهم في عذاب أليم ونقمة من غضب الله كما يدل عليه قوله تعالى فذوقوا العذاب ويناسبه قوله تعالى في الآية الاخرى « ففي رحمة الله هم فيها خالدون » ومن نحو هذا الحذف في القرآن الكريم كثير وفائدته التهويل بالجواب ليقدره السامع بكل نحو يشعر به المقام من الهول . وهو باب واسع في البلاغة قد ذكرنا شيئا من شواهده في الآية الثامنة والعشرين من سورة البقرة . ثم خوطبوا بنحو الالتفات في التوبيخ والتقريع بقوله تعالى « أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بسبب ما كنتم تكفرون (١٠٣ واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون) وكنى بذلك في رفعة النعيم وسعادته (١٠٤ تلك) أي ماقدمناه من آيات المواعظ والحجج والارشاد والنعيم والعقاب (آيات الله نتلوها عليك بالحق) الثابت من مضامينها ومنه الوعيد والعقاب فإنه على الحق والعدل واستحقاق المجرم لارتكابه ما ارشده الله الى تركه أو تركه لما ارشده الله الى فعله بأنواع الارشاد والترغيب والتنفير . فإن الله يريد للإنسان صلاحه وسعادته بالاستقامة والطهارة الاختيارية (وما الله يريد ظلماً للعالمين ١٠٥ ولله ما في السماوات وما في الارض والى الله ترجع الأمور) لأنه إله العالم ومدبره وخالقه وكل ما عداه محتاج اليه في ذاته وأموره فكل أمر من شؤون العالم يرجع اليه . وكرر اسم الجلالة للإيماء الى وجه رجوع الأمور اليه لما في اسمه المقدس من معنى الإلهية والسلطان العام (١٠٦ كنتم خير أمة) الأمة الجماعة ويقال

أُخرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ

للمسلمين أمة محمد (ص) باعتبار انهم جماعته الذين آمنوا به (أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) وللكلام في الآية مقامان — الأول — ان المترائي من الآية ان « كان » ناقصة تدل على ان مضمون خبرها قد كان في الزمان الماضي وانقضى وانقطع . ومن أجل ذلك ذكر في الدر المنثور عشرة اكثرهم من اهل الصحة عندهم منهم الحاكم في مستدركه اخرجوا عن ابن عباس في ذلك انه قال : هم الذين هاجروا مع رسول الله الى المدينة . واخرج بعضهم عن عمر قال تكون لأولنا ولا تكون لآخرنا . وعن عمر ايضا لو شاء الله لقال أنتم فكنا كلنا ولكن قال كنتم في خاصة اصحاب محمد (ص) ومن صنع مثل صنيعهم كانوا خير أمة اخرجت للناس . وفي حقائق التنزيل وروي عن الحسن « أي البصري » ان ذلك اشارة الى الصحابة دون من بعدهم ممن تغيرت حاله ، واختلفت اوصافه . وفيه ايضاروي عن الحسن انه كان يقول هكذا والله كانوا مرة وبعض المسلمين كان يقول أعوذ بالله ان أكون كنتيا(١) اقول وهذا كله ينظر الى مفاد كان الناقصة ولكن لم يعط معناها حقه فإنها لو كانت في الآية ناقصة لكانت دالة على انقطاع الصفة التي في خبرها وتبدلها وباعتبار كون الخطاب فيها للمسلمين تكون من أشد التوبيخ والتقريع بسوء العاقبة لمن كان موجوداً من المسلمين حين نزول الآية وخطابها وقد كان البارز منهم حينئذ جل الكبار من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار . فكيف يخاطب القرآن هؤلاء الأكابر وغيرهم من الأمة في وقت النزول بما يؤدي الى انهم منسلخون حينئذ من صفات الآية قد انقطعت عنهم بعد ما كانوا حائزين لكرامتها . ولا

(١) يضرب المثل لمن تبدلت حاله وصار يفتخر بما مضى وفقده من صفاته ويسمونه كنتيا كذا من أعجزه الهرم فصار يفتخر بأحواله في شبابه ويقول كنت كذا وكنت كذا . وقد مرّ عليك قول لبيد بن ربيعة :

« قالت غداة انتجينا عند جارتها أنت الذي كنت لولا الشيب والكبر »

وانشدوا :

« فأصبحت كنتيا واصبحت طالما وشر خصال المرء كنت وطالم »

أي أقول عند الهرم والعجز كنت كذا وكذا وطالما كان كذا وطالما فعلت كذا وكذا . وقد نصب طالما ورفع على اشتقاقه على سبيل الحكاية اسما من « طالما »

يقاس المقام بقوله تعالى وكان الله سميعا عليما واشباهه فإن «كان» في هذه الموارد للاشارة الى انه كذلك منذ الازل ومن المعلوم ان صفاته الأزلية أبدية ايضا لا يعتريها انقطاع وانقضاء وهذا المعلوم البديهي يصرف «كان» عن مفادها بخلاف هذه الآية ولا أقل من انه لا يساق للمدح والتمجيد ما يعطي بظاهره الذم والتقريع(١) فالوجه أن تكون « كان » في الآية تامة كقوله تعالى وان كان ذو عسرة فنظرة . مأخوذة من الكون المطاوع للتكوين مثل قوله تعالى « كن فيكون ». وخير أمة حال من الضمير وجملة أخرجت صفة للأمة بمعنى اظهرت للناس واخرجت من العدم او الخفاء « المقام الثاني » ان كثيراً من الموجودين حال نزول الآية لم يثبتوا على واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وان الأحوال المذكورة في مقتل عثمان وشؤونه وحربي البصرة وصفين تجعل شطرا وافيا من كبار المهاجرين والأنصار على غير صفات الآية وان اعتذر عنهم بالخطأ في الاجتهاد . وقد استفاض عن رسول الله صلى الله عليه وآله او تواتر ان اقواما من اصحابه في يوم القيامة يحال بينهم وبين رسول الله وورود الحوض وينادى بهم الى النار فيقول رسول الله اصحابي فيقال انهم ارتدوا على اعقابهم القهقرى وفي حديث أبي هريرة فلا أرى يخلص منهم إلا مثل همل النعم كما رواه بالأسانيد المتعددة والمعاني المتقاربة احمد في مسنده والبخاري ومسلم وابن ماجه في جوامعهم والحاكم في مستدركه

(١) وحكى السيد في حقائق التأويل عن الذين أرادوا التخلص مما ذكرنا لزومه لمفاد كان الناقصة اقوالا متفرقة . فعن بعض ان كان زائدة واستشهد بقول الشاعر « على كان المسومة الجياد» وقول الآخر « وجيران لنا كانوا كرام » : وعن بعض ان « كان » بمعنى صار . واستشهد بقوله : « قطا الحزن قد كانت فراخا بيوضها » أي صارت وقال السيد والصحيح في رواية هذا البيت «قد صارت فراخا بيوضها » اقول وما أغرب حمل الآية الكريمة وكرامة القرآن على هذين الوجهين الشاذين الواهيين : وعن بعض ان المعنى وكنتم إذ كنتم خير أمة نحو ما كنت مذ كنت إلا نبيها رئيسا . أقول ومع هذا التحذلق البارد رجع هذا القائل إلى كان التامة : وعن بعض ان المعنى كنتم في اللوح المحفوظ أو في كتب الأنبياء المتقدمة . أقول ومع هذا التحكم والتخرص في تقدير الظرف لا ينفك عن محذور كان الناقصة فهل خرجوا عن هذه الصفة من اللوح المحفوظ وكتب الأنبياء : وعن بعض انه يقال لهم ذلك يوم القيامة ولا يضر انقطاع الصفة حينئذ أي وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم خالدون ، ويقال لهم حينئذ كنتم خير أمة . الآية . وقال السيد في هذا الوجه فضل تعسف واستكراه أقول ومن ذا الذي يرضاه لكرامة القرآن ومجده

وَلَو آمَنَ أَهلُ الكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ المُؤمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الفَاسِقُونَ * (١٠٧) لَنْ يَضُرُّوكُمْ إلاَّ أذَىً وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ *

والطبراني وغيرهم رووه مسندا عن اثني عشر من الصحابة ورواه البخاري في باب الحوض بأسانيده عن سبعة منهم . هذا واما إذا قلنا ان المراد من الأمـة في الآية أمة رسول الله الى يوم القيامة وجرى الخطاب لهم باعتبار الموجودين منهم فما اوسع الخرق في الأمة خصوصاً إذا نظرنا الى ايام زياد ويزيد والحجاج وآل مروان وامثالهم . والى هذا المقام الثاني ينظر ماروي عن ابن عباس وعمر والحسن البصري وإن لم يصادف بعضه محزه . وفي تفسير القمي في الحسن كالصحيح او الصحيح عن الصادق (ع) في مقام الانكار خير أمة تقتلون امير المؤمنين(ع) والحسن والحسين . الحديث . إذن فلا مناص من أن يكون الخطاب لجماعة مخصوصين ملازمين لواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله حق الإيمان . وفي الدر المنثور اخرج ابن أبي حاتم عن ابي جعفر يعني الباقر(ع) انهم اهل بيت النبي(ص) . وعن تفسير العياشي عن أبي عمر الزبيري عن الصادق (ع) في الآية يعني الأمة التي وجبت لها دعوة ابراهيم « أي قوله تعالى إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين » فهم الأمة التي بعث الله فيها ومنها واليها وهم الأمة الوسطى وهم خير أمـة اخرجت للناس . وفي رواية العياشي عن الصادق(ع) هم آل محمد(ص) . وعن أبي بصير عن الصادق(ع) إنما أنزلت هذه الآية على محمد فيه وفي الأوصياء من بعده . وفي بعض الروايات انها نزلت خير أئمة : والمراد ان هذا المعنى مراد في التنزيل وإن كان اللفظ أمة كما تقدم مثله في المقدمـة في الكلام على روايات فصل الخطاب ويشهد له هنا رواية الزبيري (ولو آمن اهل الكتاب) بالله وبآياته ورسوله وقرآنه (لكان خيراً لهم) يفوزون بسعادته نعم (منهم) الأناس (المؤمنون و) لكن (اكثرهم الفاسقون) والخارجون بكفرهم من الحجاب وهؤلاء (١٠٧ لن يضروكم إلا أذى) باللسان والتهييج عليكم والتجمع لحربكم فلا يضرونكم في ظهور دينكم وجـامعتكم وشوكتكم الإسلامية وانتصاركم وفي هذا بشرى عظيمة غيبية قد تحقق مصداقها على أعز الوجوه (وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون) كما وقع ذلك كله مدة وجود المخاطبين

(١٠٨) ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَمَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * (١٠٩) لَيْسُوا سَوَاءً

من المسلمين الى الاستيلاء على الشام وما بعد (١٠٨ ضربت عليهم الذلة) في قرون عديدة(١) لما يذكر في آخر الآية من سوء اعمالهم (أينما ثقفوا) وادركوا وظفر بهم فلا منعة لهم من الذلة (إلا) أن يعتصموا (بحبل من الله) بأن ينقطعوا ويلتجؤا اليه باخلاص فيغيثهم (وحبل من الناس) بأن يدخلوا في عهدهم وذمتهم او رعايتهم وحمايتهم . وسمي ذلك بالحبل لمنعته لهم من السقوط في هاوية الذل (وباءوا) بمعنى رجعوا ونحوه (بغضب من الله) لسوء اعمالهم (وضربت عليهم المسكنة) في القاموس من معاني المسكين الضعيف الذليل . وفي المصباح عن ابن الأعرابي الذليل المقهور وفي النهاية مما يدور على المسكين والمسكنة من المعاني الخضوع والذلة . اقول والظاهر هنا ان معنى المسكنة ما تدور حوله هـذه المعاني وهو لازم لليهود لانكسار شوكتهم القومية والسياسية وانحلال جامعتهم في ذلك مهما بلغ بعض الأفراد منهم في الثروة والنخوة الجزئية الصورية الموقته (ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله) بتتابع ارتدادهم . وكفرهم بما أوتي المسيح منها (ويقتلون الأنبياء بغير حق) القيد للتوضيح والتسجيل لقبيح افعالهم فإن قتل الأنبياء كله بغير حق (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) حدود الله . وكررت الاشارة تأكيدا لبيان الجهات التي يستحقون بها النكال العاجل والانتقام . هذا شأن النوع من أهل الكتاب في اجيالهم وماكلهم كذلك فإنهم (١٠٩ ليسوا سواء) وعلى وتيرة واحدة في الضلال

(١) كما يذكر التاريخ من كتب العهد القديم وتاريخ يوسيفوس وغيره ما تمادوا عليه من تتابع الارتداد والكفر من بعد سليمان وقتل الأنبياء وسوء الأعمال في الشرك وما جرى عليهم من آثار الحروب من ملوك آشور ومصر وبابل وطيطوس . وبقيت الآثار على ذلك . والقوم أبناء القوم فقد خلقوهم بالكفر بآيات الله المسيح فقالوا الأقاويل وفعلوا الأفاعيل حتى اتبعوا ذلك بالكفر بآيات الله لرسوله خاتم النبيين ومنها بشرى كتبهم به وبقرآنه فجهدوا في الكفر والغي جهدهم حتى ذاقوا وبال أمرهم

مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * (١١٠) يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ * (١١١) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ

والغيّ بأجمعهم بل (من أهل الكتاب أمة) وجماعة (قائمة) للعبادة او كناية عن الاستقامة في الايمان والطاعة والعناية بوظائف العبادة (يتلون آيات الله آناء الليل) آناء جمع قيل ان مفرده « أني » بفتح الهمزة او كسرها وسكون النون او « أنو » بالواو أي في ساعات الليل واوقاته (وهم يسجدون) في التبيان ان الواو ليست للحال بل لعطف جملة « هم يسجدون » على جملة « يتلون » اقول اظن الداعي لهذا التفسير حمله للآية على من اسلم من اهل الكتاب وان الذي يتلونه هو آيات القرآن وليس في سجود المسلمين تلاوة . لكن فيه = اولا = عدم ظهور الفائدة والمنشأ في العدول الى الجملة الاسمية والاتيان بالضمير فإن الحصر لا محل له . وافادة الدوام تحصل من الفعل المضارع = وثانيا = لم يصح ان الآية نزلت في ابن سلام وامثاله ممن اسلم من اهل الكتاب بل لم يُعهد من هؤلاء اتصافهم بالصفات المذكورة في الآية والتي بعدها . بحيث يستحقون التنويه بها مع ان الآية السابقة وخصوص قوله تعالى «ويقتلون الانبياء» تدل على ان السياق هو في احوال اهل الكتاب من الأوائل فالمناسب أن يراد المؤمنون منهم لبيان فضلهم واخراجهم من تلك المذمة العامة . فالمتلو لهم هي آيات كتبهم الحقيقية ولم يعلم انه يمتنع في شريعتهم ان يتلوها في سجودهم . بل يمكن على الوجهين ان يتجه كون الواو حالية بأن يكون المراد يتلون فيما بين سجودهم المتتابع في القيام للعبادة كما يقال يتكلمون وهم يشربون ويحدثون بنعمة الله عليهم ويخاطبون بالموعظة والحث على العبادة وهم يصلون أي فيما بين صلواتهم المتتابعة (١١٠ يؤمنون بالله) صفة ثانية لأمة (واليوم الآخر) يوم المعاد ويعملون على حقيقة الإيمان به (ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات) بتقواهم وحبهم للخير وطلبهم لرضا الله بلا توان ولا حاجة الى البعث والالجاء . وما اوضح كلمة « يسارعون » في الدلالة على اختيار الانسان في افعاله . وسوق الآية وتمجيدها يدل على ان هذه الصفات صفات ثابتة لهم ناشئة عن ملكات راسخة (وأولئك من الصالحين ١١١ وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) بل ينوه بفضلهم فيه ويوفيهم الله جزاءه (والله عليم بالمتقين) مهما

خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ * (١١٢) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * (١١٣) مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

أسروا اعمالهم الصالحة وتقواهم . وقد اقتضت مناسبة المقام والمقابلة توبيخ الكافرين على كفرهم وسوء اعمالهم وبيان خسرانهم وخيبتهم وسوء عاقبتهم فقال عزّ وجل (١١٢ ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا وأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) وقد مرّ تفسير الآية في الآية الثامنة وزيد عليها ههنا ببيان الخلود في النار وان دلت عليه بالاشارة في قوله تعالى وأولئك هم وقود النار . وان قيل ان هؤلاء الكافرين ربما ينفقون من اموالهم شيئا في صلة الرحم ونفع المحتاجين من الفقراء والمساكين وغير ذلك فلماذا لا تغني عنهم اموالهم فلقد ازاح الله علة هذه الشبهة بقوله (١١٣ مثل ما ينفقون في هـذه الحياة الدنيا وتضييعهم له فيها بكفرهم وان قصدوا وجها يزعمون انه وجه الله ولكنه ليس بوجه الله الذي كفروا بآياته واشركوا به ووصفوه بما يجل عنه من الصفات (كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته) هذا من التشبيه المركب ليتبين منه حال كفرهم مع انفاقهم في احباطه بما جنوه على انفسهم ولذا صدّر المثل ببيان المتلف للحرث ليروع الكافرين بعنوانه في صدر المثل . والصر بكسر الصاد هو البرد الشديد او شدة البرد كما نص عليه جل اللغويين والمفسرين وذكر في الدر المنثور جماعة اخرجوه عن ابن عباس من طرق متعددة . وروى الطستي ان ابن عباس استشهد له بقول النابغة الذبياني :

لا يبردون إذا ما الأرض جللها ... صِرّ الشتاء من الإمحال كالإِدم

وأنشد في الكشاف قول الشاعر :

لا تعدلنّ اتاويين تضربهم ... نكباء صِرٌّ بأصحاب المحلات

والحرث هو المزوع في الأرض . والأنسب في فهم قوله تعالى ظلموا انفسهم انهم ظلموها بزرعه في غير أوان زرعه بحسب الفصول او في غير بلاد زرعه من الأرض (وما ظلمهم الله) باحباط عملهم بكفرهم (ولكن أنفسهم يظلمون) باختيارهم الكفر الملقى لهم في هلكة

(١١٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ *

العذاب وخسة الوبال واحباط العمل . (١١٤ يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة) البطانة خاصة الانسان والذي يستبطن أمره ويطلع على سره (من دونكم) أي من دون أمتكم وقومكم المؤمنين. وما احسن التعبير عنهم في هذا المقام بهذا الضمير لبيان ان اخوانكم المؤمنين في اتحاد كلمتكم في الإيمان واتحادكم في نصره بمنزلة انفسكم فكيف تعدلون الى غيرهم بالاختصاص الذي تطلعونهم به على بواطن أموركم وحريم اسراركم في دفاع الكافرين . وكفى بهذا التعبير بيانا لكون المنهي عن اتخاذهم بطانة هم من غير المؤمنين والاية الآتية تدل على انهم المنافقون الذين إذا لقوهم يقولون آمنا و«من» للابتداء متعلقة بقوله تعالى «لا تتخذوا» او بصفة البطانة والأول اظهر . لا للتبعيض أو التبيين كما في التبيان ومجمع البيان ومحكي تفسير الرازي وكذا قول تفسيري الجلالين والمنار «من غيركم» فإن يلزم على ذلك ان يقال ممن دونكم . وقد اوضح جلت آلاؤه للمؤمنين وجه النهي عن اتخاذ هؤلاء بطانة بأنهم (لا يألونكم خبالا) خبالا مفعول ثان والجملة صفة توضيحية لازمة لهذه البطانة لا تقييدية. وفسروا « لا يألونكم» بيقصرون وهذا لا يناسب تعديها الى مفعول واحد فضلا عن المفعولين كما هو الكثير المسموع من استعمالها فيلزم جعلها بمعنى لا ينقصونكم كقوله في سورة براءة « ثم لم ينقصوكم شيئا ». والخبال فساد الرأي او مطلق الفساد أي يوفونكم الفساد او فساد الرأي بدسائسهم (ودُّوا ما عنتم) عنت أصابه العنت مثل مات ومرض . ومما ذكره اللغويون في العنت فيما يناسب المقام هو الضرر والهلاك. والمشقة. ولقاء الشدة. والهلاك ولعل معناه واحد ينطبق بنحو واحد على هذه المعاني أي ودوا ما أصابكم من العنت. والظاهر ان جملة ودوا صفة أخرى للبطانة ولو كانت مستأنفة لقيل قد ودوا مثل قوله تعالى (قد بدت البغضاء) بغضاؤهم لكم (من افواههم) وفلتات كلماتهم (وما تخفي صدورهم) مما يسرونه من البغضاء لكم (اكبر) مما يبدر من السنتهم فهل يصح بعد ذلك للمؤمن المدافع عن دين الإسلام والناهض لإعلاء دعوة الحق ان يتخذ هؤلاء بطانة من دون المؤمنين (قد بينا لكم الآيات) والدلالات على شأنهم (إن كنتم تعقلون)

(١١٥) هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ *

البيان ومرمى الإشارة وواجب العمل على البيان والحذر من أن لا تتخذوا منهم ولا مـن امثالهم بطانة (١١٥ ها انتم أولاء تحبونهم) « انتم » مبتدا والظاهر ان « اولاء » نداء يفيد هنا فائدة الاختصاص تأكيدا للومهم في مقام التحريض على التباعد عن أولئك وامثالهم (ولا يحبونكم) الظاهر ان الجملة حالية والعامل فيها « تحبونهم » ويجوز ان تكون خبراً ثانيا بالعطف (وتؤمنون بالكتاب) القرآن ولبعض المفسرين في تفسير الكتاب تكلفات (كله) وقد نهيتم فيه قبل هذا عن الركون الى الذين ظلموا كما في سورة هود المكية وفيه ان الله لا يحب المعتدين كما في سورتي البقرة والاعراف المكية. والظالمين كما في سورة الشورى المكية. والمفسدين كما في سورة القصص المكية. والخائنين كما في سورة الانفال . والكافرين كما في سورة الروم . فهل يسوغ ويحسن منكم ايهـا المؤمنون بالكتاب كله ان تحبوا مـن لا يحبه الله لأجل شره(١) والظاهر ان الجملة معطوفة على الخبر أي ها انتم تحبونهم وتؤمنون بالكتاب كله وكيف تجمعون بين الأمرين وقد سمعتم من الكتاب انه ينهاكم عن الركون الى الذين ظلموا ويوعز لكم ان لا تحبوا هؤلاء وامثالهم فإن الله لا يحبهم. وفي الكشاف ان الجملة حالية. ويرد عليه وجود الواو وهي لا تدخل على الحالية من المضارع المثبت . وتقدير الضمير لتكون اسمية لا داعي له (وإذا لقوكم قالوا) بنفاقهم ومخادعتهم (آمنا) بما آمنتم به ونحن معكم ومنكم (وإذا خلوا) ولم يكن معهم احد منكم (عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) من أجل إيمانكم وعلو كلمتكم بظهور الإسلام. وعضّ الأنامل يكون عند شدة الغيظ بحيث لا يتمالك المغتاظ عن ان يعض أنامله ويؤلمها كما قال ابو طالب « يعضون غيظا خلفنا بالأنامل » والحرث بن ظالم المري « يعضون من غيظ رؤوس الأباهم » والأنامـل اطراف الأصابع . والأباهم جمع ابهام (قل) لهم يا رسول الله (موتوا بغيظكم) فإن الله معلٍ كلمة الحق وسلطان الإسلام وخاذلكم (إن

(١) وان الجهل بترتيب النزول ضيع علينا كثيرا مما نزل قبل هذه الآية في التحذير من موالاة امثال هؤلاء فضلا عن اتخاذهم بطانة . ولعل من ذلك ما في سورة الممتحنة والمجادلة والنساء وغيرها

(١١٦) إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ *

الله عليم بذات الصدور) لا يخفى عليه نفاقكم. وذات الصدور كناية عن الخصلة او السريرة او الحالة او العلة المتعلقة بالصدور من نفاق او إيمان ونحو ذلك . على حد قولهم ذات الصدر وذات الرئة وذات الجنب . وعلى ذلك جاء قوله تعالى « ١٤٨ وليبتلي الله ما في صدوركم ويمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور » فالآيتان مثل قوله تعالى في سورة النمل « ٧٦ وان ربك ليعلم ما تكنُّ صدورهم وما يعلنون » ونحوه الآية التاسعة والستين من سورة القصص. والتعبير بذات الصدور وماتكنُّ صدورهم إنما هو باعتبار ان الصدر وعاء للقلب الذي هو مرجع لهذه الأمور كما يدل عليه قوله تعالى ويمحص ما في قلوبكم. كما تقول علم بخبايا الدار أي بما في صناديقها ونحو ذلك. وبما ذكرناه تعرف ما في المصباح المنير من قوله « المعنى عليم بنفس الصدور » وعلى ما ذكرناه من معنى ذات الصدور فسروا قول الشاعر « لتغني عني ذا انائك اجمعا » بإضافة « ذا » إلى الإناء أي ما يتعلق بإنائك مما فيه من لبن او غيره . وعليه ايضا ما في المصباح المنير انه أنشده ابن فارس في متخير الألفاظ

ونعم ابن عم القوم في ذات ماله إذا كان بعض القوم في ماله كابا

اي فيما يرتبط ويتعلق بماله وقال النابغة

مجلتهم ذات الإله ودينهم قويم فما يرجون غير العواقب

المجلة الكتاب اي كتابهم هو ما يرتبط ويتعلق بالإله ووحيه

(١١٦ ان تمسسكم) حادثة (حسنة) من حوادث الدنيا تنالون منها خيرا ولو بمسيسها كناية عن قلة نفعها لكم (تسؤهم) لحسدهم وبغضهم لكم ولدين الحق (وإن تصبكم سيئة) بمعنى تصيبكم فادحة اصابة لا بمجرد المسيس (يفرحوا بها) ولا تأخذهم لذلك رقة الجوار او القرابة والاتصال بالقبيلة (وأن تصبروا) على ما يحمد الصبر عليه من طاعة الله ونصر دينه وجهاد عدوه وعداوة هؤلاء واذاهم (وتتقوا) الله في اوامره ونواهيه (لا يضركم كيدهم شيئا) بضم الراء وتشديدها لأن مثل هذا المدغم لا يظهر عليه الجزم بالسكون إلا بفك ادغامه نحو « ان يمسسكم » وفي هذا وعد للمؤمنين بحماية الله لجامعتهم من ضرر المنافقين (إن الله بما يعملون محيط) فيحميكم من اعمالهم

(١١٧) وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * (١١٨) إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا

التي يكيدونكم بها. والقراءة المتداولة في المصاحف وبين المسلمين حتى القراء السبعة « يعملون » بالياء المثناة من تحت ولم تذكر بالتاء المثناة من فوق إلا عن الحسن وابي حاتم ومع ذلك قال في الكشاف « بما تعملون من الصبر والتقوى محيط » (١١٧ وإذ) في التبيان والمجمع والكشاف ان العامل في « إذ ، اذكر » (غدوت) في النهاية الغدوّ هو اول النهار غدا يغدو غدواً . وفي المصباح غدا بمعنى انطلق . والمراد مجموع السير الواقع في اول النهار وصدره (من اهلك) ومحل اقامتك . وفي المجمع انه الخروج الى احد(١) عن ابن عباس وهو المروي عن أبي جعفر يعني الباقر(ع) . وفي الدر المنثور ذكر من اخرج ذلك عن ابن عباس ومن اخرجه عن عبد الرحمن بن عوف . وهذه الآية والتي بعدها بمزاياهما وخصوصياتها تعينان ذلك (تبوء المؤمنين مقاعد للقتال) تبوء المكان بمعنى استقرّ فيه . وبوّأه المقعد أقره فيه . وجملة«تبوء» حال من « غدوت » لأن مجموع السير والبعد عن الأهل في اول النهار وصدره كان من مقارناته واحواله التبوء للقتال بأن جعل رسول الله(ص) مقاعد للقتال في سفح أحد وجعله في ظهورهم . وجعل في الشعب عبد الله بن جبير مع خمسين من الرماة لئلا يدهمهم المشركون من ناحيته . وأمر الرماة أن لا يبرحوا من مكانهم مهما تطورت الحرب وعواقبها (والله سميع) لما قيل في ذلك الغدوّ في أمر الحرب من كلام المنافقين وكلام الرسول والمؤمنين (عليم) بالنيات وما جرى من الأعمال في تلك الحرب ومقدّماتها (١١٨ إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا) الفشل هو الجبن وضعف القلب . وفي الدر المنثور ذكر جماعة منهم مسلم والبخاري اخرجوا عن جابر ان الطائفتين هم بنو سلمة وبنو حارثة من الأنصار واخرجه ابن جرير عن ابن عباس وارسله في مجمع البيان عن الباقر والصادق (ع) . وفي تفسير القمي نزلت في عبد الله بن أبيّ وقوم من اصحابه اتبعوا رأيه في القعود عن نصرة رسول الله(ص) . ويدفعه ان الآية تقول همتا ان تفشلا ومن المعلوم ان عبد الله واصحابه قد فشلوا وقعدوا ونافقوا كما يأتي حالهم من الآية

(١) احد بضم الألف والحاء جبل على نحو ميل من المدينة في شماليها على طريق العراق

وَاللهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * (١١٩) وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ *

الستين بعد المائة حتى الثانية والستين مـن السورة(١) وقد قال الله تعالى في الطائفتين (والله وليهما) وفي ذلك دلالة على ان الله عصمهما عما همتا به . وقد ذكر في الآيات المشار اليها مـن ذم الله لعبد الله واصحابه ومقته لهم شيئا كثيراً وانهم للكفر يومئذ اقرب منهم للإيمان وقوله تعالى « إذ همت » بدل من « إذ غدوت » (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فإنه وليهم وناصرهم ولا يهنوا عن نصر الدين بنفاق البعض وخذلانه . كيف (١١٩ ولقد نصركم الله ببدر) ذلك النصر الباهر على اعدائكم ذوي العدد المناهز للألف والعدة الكاملة من الخيل والنعم والسيوف والدروع (وأنتم أذلة) بقلة عددكم إذ كان جميع جيشكم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا وبوهن عدتكم « والمأثور ان معظم سلاحهم جريد النخل وليس معهم مـن الخيل إلا فرسان . وابلهم اباعر معدودة يتعاقب عليها بعضهم وبعضهم مشاة ولم يخرجوا باهبة حرب ولا عزة محارب (فاتقوا الله) في نصر دينه والتوكل عليه وعدم التخاذل بنفاق المنافق (لعلكم تشكرون) أي لغاية ان تشكروا الله على ما يمنحكم من عظائم النعم والنصر الباهر « إن تنصروا الله ينصركم »

(١) قال الطنطاوي في تفسيره ٢ ج ص ١٤٣ س ٢٠ (عليم) بنياتكم وما يصيبكم بترككم مراكز القتال لما انهزم عبد الله بن ابي سلول فهمت بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما كانا جناحي العسكر انتهى ومن معلوم التاريخ ان المسلمين ما تركوا مراكز القتال لانهزام عبد الله بن ابي سلول بل لم يكن عبد الله واصحابه معهم فجاهدوا وغلبوا المشركين وهزموهم فتركوا مراكزهم لانكبابهم على الغنائم من رحال المشركين او كما يزعم هو في الصفحة المذكورة لاتباعهم مدبري المشركين وانظر صفحة ١٥٣ — ومن المعلوم ايضا ان ابن سلول لم ينهزم هو واصحابه بل رجعوا من بعض الطريق قبل ان يصل النبي (ص) واصحابه إلى احد وقبل ان ينظم عسكره ومعسكره ويبوء المؤمنين مقاعد للقتال او يكون لعسكره ترتيب وجناحان . فابن ابي سلول واصحابه من القاعدين عن الجهاد والتوجه إلى ميدان الحرب لا من المنهزمين .. ومن المعلوم من سياق القرآن الكريم واتفاق التفسير كما ذكره هـذا المفسر ايضا صفحة ١٥٦ ان ابن ابي سلول واصحابه هم الذين حكى الله قولهم بقوله تعالى في الآية الـ ١٦٠ لو نعلم قتالا لاتبعناكم — ١٦٢ الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا : فهم القاعدون الذين لم يتبعوا الجيش للقتال لا من المنهزمين

(١٢٠) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ * (١٢١) بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ * (١٢٢) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ

(١٢٠ إذ تقول) قال في التبيان التقدير اذكر اذ ، وفي الكشاف ظرف لنصركم اقول وهو اولى واظهر (للمؤمنين الن يكفيكم) في الثبات والاطمئنان بالنصر (ان يمدكم ربكم) وولي أمركم القادر ويبعث لكم مدداً لنصركم (بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ١٢١ بلى) رد لمضمون النفي في جملة «الن يكفيكم» (ان تصبروا) وتثبتوا (وتتقوا) الله فيما تلزم فيه التقوي ومنه الثبات لنصر دين الحق (ويأتوكم) أي الأعداء المشركون من قريش العادون بعدما نجت قافلتهم باتيانهم لحربكم (من فورهم هذا) قال في التبيان ومجمع البيان من وجههم هذا ورواه في الدر المنثور عن الحسن وعكرمة والربيع وقتادة والسدي ولم أجد لهذا المعنى أثراً في النهاية والمصباح ولم اعهده في اللغة نعم في القاموس أتوا من فورهم أي من وجههم وقبل أن يسكنوا. وروى في الدر المنثور عن عكرمة ومجاهد وأبي صالح والضحاك «من غضبهم» مأخوذ من الفوران وفورة الغضب وهو غريب واغرب منه ما عن الضحاك من قوله من وجههم وغضبهم وعن ابن عباس من سفرهم هذا. وهو غريب . ومن فسره بالغضب قال ان الآية نزلت في غزوة أحد والمراد غضبهم من يوم بدر اقول والمناسب لو صح في اللغة ان يقال من فورهم ذلك مع ان ظاهر الآية ومناسبة اللتين قبلها وبعدها وروايات الكافي والعياشي بأسانيدهما عن الباقر والصادق عليهما السلام انها نزلت في شأن غزوة بدر. وفي الكشاف جعله من الفوز ضد التراخي أي من وقتهم هذا القريب. وهذا هو المعروف والمناسب والمتبادر من هذا اللفظ (يمدد كم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) من السيما وهي العلامة . ولعل المراد انهم اتخذوا سيماء البشر ولم يبقوا على صورتهم الأصلية لكن في صحيحة الكافي عن ابي الحسن(ع) وروايته عن الباقر(ع) في تفسير المسومين قال «العمائم» ونحو ما في الدر المنثور مما أخرجه ابن اسحاق والطبراني عن ابن عباس (١٢٢ وما جعله الله) أي الامداد بالملائكة لأن نصره للمسلمين متوقف على الملائكة . كلا . بل لأن أولئك المسلمين ما عدا الخواص بشر ضعفاء ببشريتهم لا يستحكم استبشارهم واطمئنانهم إلا بالمحسوسات الجارية على العادات ككثرة العدد

إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * (١٢٣) لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ * (١٢٤) لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ *

وشوكة المدد فشاء الله برحمته أن يجاري بشريتهم بما تتحقق لهم به البشرى والاطمئنان في حربهم بل والاطمئنان بأنهم على الحق اليقين وان الله معهم فما جعله (إلا بشرى لكم) ايها المسلمون المجاهدون (ولتطمئن قلوبكم به) أي بسبب الامداد المذكور (وما النصر إلا من عند الله العزيز) في أمره (الحكيم) في اعماله ونصره وتطييب قلوب المؤمنين وليس النصر من الملائكة ولا من غيرهم (١٢٣ ليقطع) تعليل للنصر لا لقوله تعالى فيما سبق «نصركم الله ببدر» كما ذكر في التبيان ومجمع البيان قوله وذكره في الكشاف اول التفسيرين فإنه لا يلايم الترديد والتقسيم في قوله تعالى «ليقطع او يكبت» بل الذي يناسبه هو النصر المطلق الذي يقطع به (طرفا) أي بعضا (من الذين كفروا) ويهلكهم كما في يوم بدر وخيبر ونحوهما (او يكبتهم) كما في يوم الأحزاب وامثاله. في المصباح كبته اهانه وأذله و كبته لوجهه صرعه. وفي النهاية أذله وصرفه وصرعه وخيبه. وفي القاموس صرعه واخزاه وصرفه و كسره ورد العدو بغيظه وأذله. وعن الخليل الكبت صرع الشيء على وجهه وحقيقة الكبت شدة الوهى الذي يقع في القلب وربما صرع الانسان لوجهه للخور الذي يدخله. وفي التبيان الكبت الخزي ونسب ما عن الخليل الى القيل. وفي الكشاف يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة اقول والمراد من الكبت في الآية معنى تحوم حوله هذه المعاني التي يأخذونها مما تسنح لهم من مناسبة المقام او موارد الاستعمال ولعله نحو مجاز مما ذكر عن الخليل (فينقلبوا خائبين) الخيبة معروفة وفسرت بالانقطاع عما امل وهو انسب مما ذكر لها من التفسير (١٢٤ ليس لك) يا رسول الله (من الأمر) في شؤون الخلق من حيث الايصال إلى الهدى والتوبة والتعذيب ونحو ذلك (شيء) مما يرجع إلى قدرة الله ولا داخل تحت قدرتك فإنك بشر مخلوق وانما الأمر في ذلك لله (او يتوب عليهم) بنصب يتوب أي إذا تابوا واصلحوا (او يعذبهم) بالنصب أيضاً إذا لم يتوبوا فيتوب عليهم (فإنهم ظالمون) اختار في الكشاف ان نصب يتوب ويعذبهم بالعطف على «ليقطع» وجملة ليس لك من الأمر معترضة ونسب غيره إلى القيل. وذكره قبله في التبيان اول الوجهين

(١٢٥) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاء

وفي مجمع البيان احد الوجهين . ويدفعه زيادة على وهن اعتراض الجملة ان التوبة والعذاب لا مناسبة لكونهما غاية للنصر لكي يقال بعطفها على « ليقطع . او يكبت » ونقل في الكشاف قولا حاصله ان يتوب ويعذبهم منصوبان بان مضمرة بعد او . والمصدر في محل الجر بالعطف بأو على الأمر أي ليس لك من الأمر او التوبة عليهم او عذابهم شيء . او في محل الرفع بالعطف على شيء أي ليس لك من الأمر شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم . وفي التبيان ومجمع البيان ذكرا وجهاً آخر نسبه الكشاف الى القيل وهو ان او بمعنى إلا . وذلك كقول زياد الأعجم

« وكنت إذا غمزت قناة قوم كسرت كعوبها او تستقيما »

بمعنى ليس لك من الأمر شيء إلا توبة الله عليهم او عذابهم فيكون أمرك تابعا لأمر الله لرضاك بتدبيره كما في التبيان ومجمع البيان واقول ان الأمر في توبة الله عليهم او تعذيبه لهم إنما هو لله وحده فلا يصح استثناؤه واثباته للرسول بالاستثناء المتصل ولا يجدي في ذلك التفريع بقولهما فيكون أمرك تابعا لأمر الله مع انه لا دلالة على هذا التفريع . فالوجه ان تكون « او » الأولى بمعنى « الا » التي هي للاستدراك مثل « لكن » المخففة كما في الاستثناء المنقطع الرافعة لما يتوهم من الكلام السابق عليها فإن سياق قوله تعالى « ليس لك من الأمر شيء » بعد ذكر الذين كفروا في الآية السابقة قد يتوهم منه انه لا يقع شيء مما يرجوه الرسول من صلاحهم واسلامهم فجرى الاستدراك بما يؤدي إلا ان رجاء الرسول لا ينقطع بالنفي المتقدم بل يتوب الله على من يتوب وينيب الى الإسلام ويعذب الذين لا يتوبون لأنهم ظالمون بكفرهم وسوء اعمالهم . وروي في الدر المنثور في نزول الآية روايات لا تكاد أن تنطبق . منها عن احمد والبخاري والترمذي والنسائي وغيرهم عن ابن عمر ان رسول الله قال يوم أحد اللهم العن ابا سفيان وذكر ثلاثة معه فنزلت الآية . ويدفعه ان الدعاء باللعن ليس من الأمر المنفي عن رسول الله بل دعاء جعله الله لرسوله ولسائر المؤمنين بقوله تعالى ادعوني استجب لكم . وقد لعن الله الظالمين والكافرين . وكذا الكلام فيما أخرجه البخاري ومسلم وجماعة عن ابي هريرة ان النبي قنت بعد الركوع ودعا بنجاة اشخاص ولعن بعضا فنزلت الآية . مضافا الى ان الآية لا تناسب الدعوة بالنجاة مع ان هاتين الروايتين وامثالها متنافية بالتعارض في سبب النزول (١٢٥ ولله ما في السماوات وما في الارض) والأمر بيده (يغفر لمن يشاء) كقوله تعالى في سورة طه

وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ *(١٢٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ *(١٢٧) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ * (١٢٨) وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * (١٢٩) وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ *(١٣٠) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ

المكية ٨٤ واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى (ويعذب من يشاء) من لم يحسن توبته (والله غفور رحيم) لمن تاب واناب (١٢٦ يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة) هذا بيان لنحو من جهات المفسدة فيه وذلك انه بحسب طبعه وجوره يستهلك اموال المديون ويكون ما يأخذه منه اضعافا مضاعفة بالنسبة لما استدانه فاياكم وباب هذا الجور (واتقوا الله) فإن التقوى هي التي يقوم بها النظام ويستقيم الاجتماع (لعلكم تفلحون) أي لغاية ان تفلحوا (١٢٧ واتقوا النار) جهنم (التي أعدت للكافرين) وما أخس مقامها واعظم عـذابها بهذا الاعدام المشوم وما اخس المسلم الذي يلقي نفسه بسوء اعماله واكله الربا في هذه النار (١٢٨ واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) أي لغاية ان ترحموا إذا ثبتم على الطاعة الكاملة (١٢٩ وسارعوا) بصالح اعمالكم وحسن توبتكم ولا تسوفوا فيفوتكم حظكم (الى مغفرة) لكم (من ربكم) وولي اموركم (وجنة عرضها) اي مقدار عرضها (السماوات والأرض) ولابد من ان يكون طولها اكثر من ذلك بحسب ما شاء الله ٠ وان اوهام الهيئة القديمة في افلاكها ومحدد الجهات لتثير هاهنا سؤالا ولكن من يعرف قدرة الله وسعة ملكوته لا تعترض هـذه الأوهام ايمانه ٠ وذكرت سعة الجنة ليطمئن الإنسان بأن له ما تشتهيه نفسه من المحل الواسع ولعل هذا التقدير للعرض جار على ما يناله تصور نوع الناس من التمثيل بالموجود في الخارج ٠ وهذه الجنة (اعدت للمتقين) لله وكانت التقوى لهم ملكة ثابتة ٠ واليك شيئا مـن صفاتهم الكريمة (١٣٠ الذين ينفقون) لوجه الله (في السراء والضراء) في الدر المنثور عن ابن عباس في حالتي اليسر والعسر ٠ وفي التبيان وقيل في حال السرور والاغتمام أي لا يقطعهم شيء من ذلك عن الانفاق فيدخل فيه اليسر والعسر انتهى وينبغي ان يراد اسباب الاغتمام نوعا من انواع الضراء وهذا اقرب وادخل بعمومه في المدح (والكاظمين الغيظ) كظم غيظه حبسه

الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * (١٣١) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ

ورده بالصبر عن هيجان آثاره من الكلام او الانتقام . وكظم البعير امسك عن الجرة . قيل واصله كظم القربة أي شد رأسها عند ملئها أقول كان المراد كظم مائها عن أن يطفح و كظم البعير ما في كرشه عن ان يخرجه للاجترار (والعافين عن الناس) والعفو اقرب للتقوى . وان كظم الغيظ والعفو عن الناس من محاسن الأخلاق وآثار الفضيلة التي تعين على السلم والهدو وحسن الاجتماع وراحة البشر في الجملة . وصفات هذه الآية من اهم موارد الاحسان (والله يحب المحسنين) و كفى بذلك فخرا وفوزاً (١٣١ والذين) قيل انها مجرورة بالعطف على المتقين و « اولئك » في الآية الآتية اشارة إلى الجميع وذكرت المغفرة لأن كل من عدا المعصوم محتاج اليها . وقيل الذين مبتدأ وجملة اولئك خبره والقول انسب ببيان الجزاء للمتقين وبقوله تعالى فنعم اجر العاملين فان الاستغفار وان كان عملا صالحا لكنه يبعد ان يترك التنويه باعمال المتقين ويقتصر في التنويه على استغفار اولئك المستغفرين هذا واذا قيل ان خصوص ما ذكر من اتفاق فعل الفاحشة وظلم النفس مع ذكر الله واستغفاره وعدم الاصرار لا ينافي كونهم من المتقين قبل ذلك وبعد ذكر الله والاستغفار وإن تضعضعت فيهم ملكة التقوى عند الذنب فعليه تكون كلمة « الذين » معطوفة على « العافين » في طرد صفات المتقين وفيه نوع اشكال والله العالم (إذا فعلوا فاحشة) في النهاية الفاحشة كل ما اشتد قبحه من الذنوب والمعاصي و كثيراً ما ترد بمعنى الزنا . وفي المصباح فحش مثل قبح وكل شيء تجاوز الحد فهو فاحش ومنه غبن فاحش . وفي القاموس الفاحشة الزنا وكل ما يشتد قبحه من الذنوب اقول وأظن ان ارادة الزنا من الفاحشة في بعض الموارد إنما باعتبار كونه من الافراد الظاهرة في الفحشاء فالأظهر في الآية استعمال الفاحشة في مطلق المعصية الفاحشة في قبحها (او ظلموا أنفسهم) بما دون ذلك من الذنوب (ذكروا الله) قيل ذكروا وعبدوا الله . والأقرب ان يكون المراد انهم بعد ان اغفلهم الشيطان والنفس الأمارة حين الذنب وأنساهم ما يجب له من الطاعة وعدم المخالفة ذكروا الله وماله من الجلال وانه ربهم العظيم ومالك أمرهم ومرجع خوفهم ورجائهم وتنبهوا الى زللهم (فاستغفروا) الله (لذنوبهم) فيكون السر في ذلك تمييزهم عمن

وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * (١٣٢) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُم مَغْفِرَةٌ مِن رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ * (١٣٣) قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ *

كان الله على ذكرهم حين المعصية ففعلوها محادة له وعناداً فإن هؤلاء بعيدون — والعياذ بالله — عن التوبة والاستغفار (ومن يغفر الذنوب إلا الله) وهل يلتجأ العارف بالله لغفران ذنبه إلا الى الله ولئن استشفع الى الله بمن جعلت له الشفاعة فإن ذلك مما يؤكد الفزع والالتجاء الى الله. ولعل في هذا الانكار اشارة الى من يطلب المغفرة من الأوثان او من القسوس ويعتمد على غفرانهم كما هو المتعارف عند فرقة « الكاثوليك » من النصارى حتى في هذه الأزمنة. ومن يغفر الذنوب إلا الله (ولم يصروا على ما فعلوا) من ذنوبهم ولم يقيموا عليها تماديا على المعصية (وهم يعلمون) الجملة حالية أي لم يصروا حال كونهم عالمين بأن فعلهم معصية فإن هذا هو الاصرار الموبق واما من أصر على ما يجهل كونه معصية فليس بمصر على معصية (١٣٢ أولئك جزائهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين) والمخصوص بالمدح في « نعم » هي المغفرة والجنات المذكورة باعتبار ان ذكر الله واستغفاره عمل صالح جلت الآء الله وألطافه (١٣٣ قد خلت) ومضت (من قبلكم) يا ايها الناس أو يا ايها الذين آمنوا (سنن) منها سنن المؤمنين المصدقين للأنبياء والمجاهدين في سبيل الله والجارين على ما ارشدوا اليه من العمل الصالح والاستعداد لسعادة الآخرة وطلب ما عند الله فجعلوا الدنيا دار رحلة وتزود ، ومع ذلك قد تنعموا فيها بالرضا بما قسم الله باحسن من نعيم غيرهم المكدّر المنغص بالحرص وطموح الشهوات وجماح الانفس في الطمع. ومنها سنن الكافرين المكذبين مع قيام الحجة عليهم ووضوح البينات لهم كل ذلك لانهماكهم بالضلال والشهوات وقصر نظرهم على الدنيا (فسيروا في الأرض) لزيادة الاعتبار والتبصر (فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) للرسل وآيات الله إذ قطعت الدنيا آمالهم وكدرت عيشهم وتركت ديارهم للخراب او لسكنى الأعداء ونعيمهم للبوار وجمعهم للشتات. فانظروا الى آثار عاد وثمود وقوم لوط. بل وانظروا الى الملوك المكذبين للأنبياء من بني اسرائيل واتباعهم من

(١٣٤) هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ * (١٣٥) وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ

تلكم الأمم الطاغية كيف قد صارت عاقبتهم للفناء والشتات والجلاء من الديار وذلة الأسر والقتل ولم يبق في ديارهم إلا الاسم (١٣٤ هذا) الظاهر ان الآيات من قوله تعالى « واذ غدوت » الى هنا سابقة على هذه الآية في نسق التنزيل فتكون الإشارة راجعة إلى مضامين تلك الآيات الكريمة وما احتوت عليه من المطالب العالية . او إلى مضمون الآية السابقة . ولأجل الشك من بعضهم في ترتيب النزول قال ان الاشارة إلى القرآن اقول وهو بعيد . إذ لو كانت الإشارة إلى القرآن لقيل هذا القرآن ونحو ذلك كما قيل في امثال ذلك (بيان للناس) حتى من لا يهتدي ولا يتعظ (وهدى) موصلا الى الحق (وموعظة) تدعو الى الاتعاظ (للمتقين) لله فإن البيان يؤثر فيهم الاهتداء والاتعاظ (١٣٥ ولا تهنوا) ايها المسلمون بسبب ما اصابكم في يوم احد . وفي كتب اللغة الوهن الضعف . لكن المترائى من موارد الاستعمال انه نحو خاص من الضعف . وفي القاموس وتبعه صاحب المنار انه ضعف في العمل . فإن اراد ضعف العامل في عمله بأن يكون الوهن صفة للعامل فقد نسيا قوله تعالى ان اوهن البيوت لبيت العنكبوت وان اراد ضعف العمل او ضعف المعمول بأن يكون الوهن صفة للعمل او للمعمول من حيث انه معمول فقد غفلا عن هذه الآية وعن قوله تعالى « فما وهنوا » كما سيأتي قريبا ان شاء الله . والمراد لا يظهر عليكم اثر الضعف والخور (ولا تحزنوا) مما اصابكم (وانتم الأعلون) وفي هذه الجملة وجوه « اولها » في التبيان ومجمع البيان والكشاف انها حالية فتكون كالاحتجاج عليهم في النهي عن الوهن والحزن بمعنى انكم رأيتم نصر الله لكم وعلوكم على عدوكم فقد كنتم نحو ربع المشركين فهزمتموهم واثخنتم فيهم القتل في أول الحرب . ومع انكم طمعتم في الغنيمة واخليتم مراكزكم في الحرب وشعبكم الذي يحمي ظهوركم وانهزمتم تلك الهزيمة من الله وانعم عليكم برسوله وثبات الصادقين في جهادهم فتراجعتم وانخذل المشركون واحجموا عن قتالكم فإنكم الأعلون في هذا الحرب وخاتمتها مها اصابكم بما كسبت ايديكم « ثانيها » احتمل في التبيان والمجمع ان تكون جملة « وانتم الأعلون » ابتدائية أي لا تهنوا ولا تحزنوا ان كنتم مؤمنين وانتم الأعلون فتكون

إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * (١٣٦) إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ

متضمنة للبشرى بالعلو المطلق حتى في المستقبل « ثالثها » ان يراد انتم الاعلون مطلقا بحسب ما ذكر في الوجه الأول وبحسب علمكم بما وعد الله رسوله وبشراه لكم بعلو أمر الدين وبوار المشركين فيصح عليه كون الجملة حالية · ويكون قوله تعالى (ان كنتم مؤمنين) قيدا للتصديق بالبشرى أو للبشرى وعلى الوجهين الأولين تكون مبينة ان انتهاءهم عن الوهن والحزن تابع لإيمانهم بالله · ويجوز ايضا على الوجه الأول ان تكون قيدا لإذعانهم وايمانهم بأن ما ذكر فيه من علوهم في اول الحرب وخاتمتها كان من نصر الله لهم · والاظهر هو الوجه الثالث (١٣٦ ان يمسسكم قرح) لعل التعبير بالمس لتهوين ما أصابهم ببيان انه مس لانكاية والقرح بفتح القاف فسره في التبيان ومجمع البيان والكشاف بالجرح وعن مجاهد جراح وقتل · ويجوز ان يكون واحد القروح كناية عما اصابهم وهو الأظهر (فقد مس القوم) المشركين (قرح مثله) قيل ان ذلك اشارة الى ما اصاب المشركين يوم بدر وهو المروي عن الحسن البصري · ولكن الأظهر والمناسب للمقام واسلوبه وتسليته وتشجيعه ان يراد ما اصاب المشركين يوم احد فقد قتل منهم يومئذ خلق كثير من شجعانهم واهل نجدتهم فقد عدّ في التاريخ عشرة وعشرة وفلانا وفلانا بحيث لا يقل عن شهداء المسلمين بكثير · وأما قوله تعالى في الآية التاسعة والخمسين بعد المائة « قد اصبتم مثليها » فيمكن ان يراد به القتلى والأسرى من المشركين في يوم بدر ويمكن ان يراد به قتلى المشركين في بدر واحد ولكن هون على المشركين يوم احد انهم ادركوا فيه شيئا من ثار بدر ولم يصدموا بصدمته · وشدد على المسلمين ما لقوه انه على خلاف ما يرجونه من نصر الله لهم ولدين الحق وانهم اذنبوا بفرارهم فنالهم بعض الخذلان ولذلك صارت حربهم بانثيالهم على اطماع الغنائم وفرارهم حربا عادية لم تستمر معها روح النصر الأول فجرت على سنة الحروب المبتنية غلبتها على الاقدام والفرار والكثرة والقلة ومايعرض من الاحوال الحربية والتقدير الإلهي المنوط بالأسباب العادية في عالم التكوين من مداولة الأيام بحسب التقدير لأسبابها · وعلى هذا وجه قال الله جل اسمه (وتلك الأيام نداولها بين الناس) بمقتضى التقدير على الأسباب · والأيام عطف بيان « لتلك » اي ايام الحرب او ايام الدنيا ·

وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * (١٣٧) وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الكَافِرِينَ * (١٣٨) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ *

ونداولها خبر . وجرى ما جرى على مقتضى أحوال الناس من نفاق عبد الله بن ابي واصحابه ورجوعهم من الجيش ومن مخالفة من خالف كالكثير من اصحاب عبد الله بن جبير ومن فرار من فر وكان ما كان من جري الأمور على اسبابها لاجراء الأمور على مقاديرها (وليعلم الله الذين آمنوا) أي ولتكون العاقبة ان يتحقق في الخارج ايمان الذين آمنوا واتبعوا الرسول إلى الحرب وجاهدوا ويعلمهم الله في الأزل بعلمه التابع ويقارن ذلك في استمراره عملهم في الإيمان والجهاد (ويتخذ منكم شهداء) اي ولتكن العاقبة ان يفوز بعضكم بالشهادة . وفي التعبير بقوله تعالى «ويتخذ» تكريم عظيم للشهداء إذا كان استشهادهم باتخاذه لهم واختياره لهم الحسنى (والله لا يحب الظالمين) ولكنكم فررتم وخالفتم فتسلط عليكم الظالمون بحسب مجرى الاسباب والمقادير واحوال الحرب (١٣٧ وليمحص الله الذين آمنوا) أي ولتكن العاقبة ايضا تمحيص المؤمنين من غيرهم . والتمحيص التخليص اما من شين الخليط بتمييز المؤمن بإيمانه من غيره . واما بتخليص المؤمن من الذنوب والاظهر الأول (ويمحق الكافرين) بنقصهم شيئا فشيئا حتى يضمحلوا (١٣٨ ام حسبتم) أم منقطعة في مقام الاستفهام الانكاري (ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) جملة «ولما يعلم» حال من «تدخلوا» وكلمة «لما» تفيد النفي المستمر إلى زمان الخطاب او متعلق الحال لما هو في مقام الوقوع . اي حسبتم ان تدخلوا الجنة حال عدم علم الله التابع من الأزل إلى اوان دخول الجنة بجهاد المجاهدين . وحاصل المعنى أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يجاهد المجاهدين منكم فذكر علم الله لأنه لازم للوقوع وفي ذلك اشارة وقوع الجهاد وحصول المجاهدين والصابرين (ويعلم الصابرين) بنصب يعلم بان مضمرة والواو بمعنى مع أي يعلم الذين جاهدوا مع علمه بالصابرين . كما يقال لا تأكل السمك وتشرب اللبن بنصب تشرب أي لا تأكله مع شربك اللبن ويكون العلم بالصابرين قيدا لاثر العلم بالمجاهدين وحاصله ان دخولكم الجنة منوط بجهاد المجاهدين مع صبر الصابرين الثابتين مدة الجهاد في مركز الحرب واحتدام لظاها . فلا تظنوا انكم تدخلون الجنة

لولا هذين العمادين الذين قام بهما الدين وانتظمت جامعة الإسلام والهدى وبصبر الصابرين في ذلك وصادق جهادهم وثباتهم حفظت في ذلك اليوم شوكة الإسلام فتيسر رجوعكم إلى الرسول الاكرم بالكرة وتوبتكم من الفرار من الزحف فتأهلتم لدخول الجنة ببركة الإسلام وصالح الأعمال . هذا والمحصل من واقعة أحد بحسب التاريخ والحديث ان عليا (ع) قتل طلحة من بني عبد الدار صاحب لواء المشركين واكثر الحديث والتاريخ وأصحه انه عليه السلام قتل تسعة تعاقبوا على حمل لواء المشركين من بني عبد الدار وعاشرهم صواب مولاهم واشتدت الحرب فانهزم المشركون فانثال المسلمون على الغنيمة وطمع فيها اكثر اصحاب عبد الله ابن جبير ولم يصغوا إلى نهي عبد الله عن مبارحة الشعب ولم يحفظوا وصية رسول الله (ص) وامره بذلك فلم يبق مع عبد الله إلا عشرة فما دون فاغتنم ذلك خالد بن الوليد وهجم عليهم بخيل المشركين فقتلهم ودهم المسلمين من ورائهم وهم فارون بالغنائم ففر المسلمون بهزيمة مهولة والذي اتفق التاريخ على انه ثبت في ذلك في حومة الحرب والدفاع عن رسول الله هو امير المؤمنين علي واختلف في غيره وربما تذكر لبعضهم اعمال بعد ان فاء المسلمون إلى رسول الله من فرارهم فيحسب انه كان من الثابتين الذين لم يفروا . روى الطبراني في الكبير كما في كنز العمال ومنتخبه مسندا عن ابي رافع لما اقبلت على علي يوم احد اصحاب الألوية قال جبرائيل يا رسول الله ان هذه لهي المواساة فقال النبي (ص) انه مني وانا منه فقال جبرائيل وانا منكما يا رسول الله ، وروى ابن جرير في تاريخه مسنداً برجال الصحة عندهم عن محمد ابن عبيد الله بن ابي رافع عن ابيه عن جده لما قتل علي اصحاب الألوية ابصر رسول الله جماعة من مشركي قريش فقال لعلي احمل عليهم فحمل عليهم ففرق جمعهم وقتل عمرو الجمحي ثم ابصر رسول الله جماعة من مشركي قريش فقال لعلي احمل عليهم فحمل عليهم ففرق جماعتهم وقتل شيبة بن مالك فقال جبرائيل يا رسول الله ان هذه لمواساة فقال رسول الله (ص) «انه مني وانا منه» فقال جبرائيل وانا منكما قال فسمعوا صوتا «لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي». وذكر نحوه ابن الأثير في تاريخه إلا انه لم يذكر المقتولين في الحملتين . وفي اللئالئ المصنوعة عن ابن عدي مسندا برجال الصحة عندهم عن محمد المذكور عن ابيه عن جده قال كانت راية رسول الله (ص) يوم احد مع علي (ع) وراية المشركين مع طلحة بن ابي طلحة فذكر خبرا طويلا وفيه وحمل راية المشركين سبعة ويقتلهم علي (ع) فقال جبرائيل يا محمد هذه المواساة

فقال النبي (ص) انا منه وهو مني ثم سمعنا صائحا في السماء يقول « لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي » (١) · وعن ابن المغازلي الشافعي في المناقب مسندا عن ابي رافع نادى ملك من السماء يوم احد لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي · وروى ابن عدي مسندا عن ابن عباس قال صاح صائح يوم احد لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى إلا علي · لكن قال

---

(١) ثم ذكر عن ابن عدي قوله عبيد رافضي يحدث بالموضوعات · أقول ولعل ذلك وهم من الناسخ او الطابع وان الذي ذكره ابن عدي ورماه بالرفض هو محمد بن عبيد الله فإن عبيدالله من رجال الجوامع الست والظاهر اتفاقهم على انه ثقة · ومحمد روى عنه الترمذي وابن ماجه في جامعيها وذكره ابن حبان في الثقاة · لكن عن البخاري وابي حاتم انه منكر الحديث · اقول وذنبه الذي لا يغفره بعض هو تشيعه وروايته الفضائل ويكشف عن ذلك قول ابن عدي هو في عداد شيعة اهل الكوفة ويروي من الفضائل اشياء لا يتابع عليها أقول وهذا هو السبب في عده منكر الحديث وذاهبا . ومن ذلك ان الذهبي غمز عليه بأنه روى عن ابيه عن جده قول رسول الله (ص) لعلي (ع) اول من يدخل الجنة أنا وانت والحسن والحسين وذرياتنا خلفنا وشيعتنا عن ايماننا وشمائلنا · وقد ذكرنا في صفحة ٤٥ عن ابن عدي انه يعد ما عليه اهل الكوفة من التشيع ميلا عن الحق · ولا يخفى ان التشيع في الاصطلاح واستعمال اصحاب الرجال من اهل السنة هو غير ما يسمونه رفضا بل هو عبارة عن مجانبة معاوية واتباعه وولاء علي واهل البيت عليهم السلام ومودتهم أخذا بقوله تعالى « قل لا اسئلكم عليه اجرا إلا المودة في القربى » لكن هذا التشيع عند بعض ذنب لا يغفر · ففي ميزان الذهبي في ترجمة عبد الله بن ابراهيم الأنصاري عن ابي بكر القطيعي قوله فيه انه متماسك لكنه من شيوخ الشيعة لارعوا · وفي ترجمة يحيى بن عبد الحميد الحماني انه وثقه ابن معين وغيره وان ابن عدي ارتضاه ولكنه شيعي بغيض : وقد سرى هذا الداء للذهبي من العصور السابقة ففي اللئالي عن ابن معين انه قال في ابي الصلت الهروي انه ثقة صدوق إلا انه يتشيع . وان العباس بن محمد الدوري وصالح بن محمد بن حبيب وعبد الخالق بن منصور وغيرهم اعترضوا على يحيى بن معين في توثيقه لأبي الصلت بأن أبا الصلت يروي حديث « انا مدينة العلم وعلي بابها » فقال لهم يحيى قد رواه الفيدي ايضا · فانظر إلى ما تغلغل في الصدور من رواية هذا الحديث تفتح باب الطعن على رواية ويكون بسببه منكر الحديث · وفي تهذيب التهذيب في ترجمة على بن غراب عن ابن معين لم يكن به بأس ولكنه كان يتشيع · وعن الخطيب اظنه طعن عليه لأجل مذهبه لأنه كان يتشيع

ابن عدي ان في سنده يحيى بن سلمة بن كهيل وهو متروك (١) · وقال ابن ابي الحديد في أواخر الجزء الثالث من شرحه للنهج روى ابو عمر الزاهد ومحمد بن حبيب في اماليه قال لما فرّ معظم اصحاب النبي (ص) يوم احد كثرت عليه كتائب المشركين وذكر نحو ما ذكره ابن جرير وزاد ان عليا (ع) قتل من الكتيبة الأولى عشرة وزادفي قول جبرائيل لقدعجبت الملائكة من مواساة هذا الفتى · وان رسول الله (ص) سئل عن المنادى فقال (ص) هذا جبرائيل · ثم قال ابن ابي الحديد وقد روى هذا الخبر جماعة من المحدثين وهو من الأخبار المشهورة ووقفت عليه في بعض نسخ مغازي ابن اسحق ورأيت بعضها خاليا عنه وسئلت شيخي عبد الوهاب بن سكينه عن هذا الخبر فقال خبر صحيح فقلت فما بال الصحاح لم تشتمل عليه فقال اوكلما كان صحيحا تشتمل عليه كتب الصحاح فلكم اهمل جامعوا الصحاح من الاخبار الصحيحة وعن السمعاني في كتاب فضائل الصحابة بسنده عن الباقر (ع) وذكر نحو هذا النداء · وعن ابن المغازلي انه روى بسنده عن الباقر (ع) انه نودي بهذا النداء يوم بدر وروى ابن عدي بسنده عن الباقر (ع) نادى مناد من السماء يوم بدر يقال له رضوان «لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى إلا علي» (٢) · وعن سبط الجوزي انه نودي في يوم خيبر وصححه لا سيف إلا ذو

(١) في التقريب متروك وكان شيعيا أقول هو من رجال الترمذي وروى عنه احمد في مسنده حبة العرني وقواه الحاكم واخرج عنه في المستدرك واخذ عنه جماعة وذكره ابن حبان في الثقاة وقال ان في حديث ابنه عنه مناكير انتهى وما ادعى كونه متروكا إلا من يأخذ على ظنه التشيع ويثقل عليه حديثه في الفضائل · وقد غمز عليه الذهبي بذلك في ميزانه بأنه روى بسنده عن ثوبان عن رسول الله (ص) قوله : «النظر إلى علي عبادة» وقال العجلي كان يغلو في التشيع · أقول والك العبرة بأن عمران بن حطان وامثاله من الخوارج المبغضين لأمير المؤمنين (ع) يحتج بحديثهم في الجوامع · والذين يصفونهم بالنصب يصفونهم بأنهم ثقات ويسمون بعضهم أئمة · وان عمر بن سعد قاتل الحسين (ع) وتاركه بالعراء بلا دفن وناهب رحله وسابي عياله يقول الذهبي في ميزانه فيه انه في نفسه غير متهم وعن العجلي روى عنه الناس تابعي ثقة وهو الذي قتل الحسين · وفي التقريب صدوق لكنه مقته الناس لكونه كان اميرا على الجيش الذي قتلوا الحسين · فانظر إلى نسبة القتل إلى الجيش مع ان عمر هو الآمر والمثابر وفاعل الأفاعيل

(٢) وقال ابن عدي ان في سنده عمار الثوري ابن اخت سفيان وهو متروك · افول هو من رجال مسلم والترمذي وابن ماجة وقد وثقه جماعة وفي ميزان الذهبي هو من الابدال ثبت حجة .

(١٣٩) وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ

الفقار ولا فتى إلا علي وانه رواه احمد في الفضائل وذكر ايضا انه مما روي به النداء ايضايوم بدر اقول ولا تنافي بين هذه الروايات إذ يمكن صدور هذا النداء في بدرواحدوخيبرفإن امير المؤمنين (ع) قد امتاز في تلك الأيام بالمواقف المعظمة ٠ فإن الحديث عن أبي رافع مختلف في لفظه افلا يعد هذا من الاضطراب الموهن للرواية قلت ان الاختلاف انما هو بالنقيصة وهذا ليس من الاضطراب بل تحمل النقيصة على النسيان أو دواع أخروقدابتلي الحديث بالاختلاف الذي هو أشد من هذا فإن جل ما تكرر من الحديث في مسند احمد والجوامع الست وغيرها او كله لا ينفك عن مثل هذا الاختلاف وما هو اكثر منه واكثر فانظر إلى كتب الحديث واعتبر ٦ « ظريفة » قال الطنطاوي في صفحة ١٤٣ من الجزء الثاني من تفسيره «فانهزم المسلمون وبقي رسول الله (ص) في جماعة من اصحابه كأبي بكر وعلي والعباس وطلحة وسعد » قلت ربما روى ما يترائى منه ان أبا بكر من الثابتين ولكن المعروف في الحديث والتاريخ انه ليس ممن دام ثباته في اول الحرب إلى آخرها وفي صحيح ابن حبان مسندا عن عائشة قالت قال ابو بكر لما كان يوم احد انصرف الناس كلهم عن رسول الله فكنت اول من فاء اليه دع هذاولكن قل الطنطاوي اين كان العباس يوم احد والعباس لم يدخل في جامعة المسلمين ويأتي المدينة إلا بعد فتح مكة وأي عباس هذا ولقد تخيلت ان كلمة « والعباس » من غلط المطبعة فنظرت إلى جدول التصحيح فرأيته صحح من الصفحة المذكورة غلطتين لفظيتين دون المعنى الكبير نعم ذكر في صفحة ١٥٤ ان الذين ثبتوا يومئذ مع النبي (ص) من المهاجرين سبعة لم يذكر منهم العباس « فظن خيراً » وان كان له في تاريخ الشرق غرائب واحوالا ٠ (١٣٩ ولقد كنتم تمنون) تتمنون فحذفت احدى التائين ومثله شايع كثير في العربية والتمني معروف (الموت من قبل ان تلقوه) في تفسير القمي وفي رواية ابي الجارود عن الباقر (ع) ان المؤمنين لما اخبرهم بالذي فعل بشهدائهم يوم بدر ومنازلهم في الجنة رغبوا في ذلك وقالوا اللهم ارنا قتالا نستشهد فيه فأراهم الله اياه يوم احد فلم يثبتوا إلا من شاء الله منهم ٠ وفي الدر المنثور اخرج

وفي اللئالي كلا بل هو ثبت ثقة من الابدال ٠ وفي التقريب صدوق يخطي اقول ولعل نسبته إلى الخطأ جاءته من روايته لهذا الحديث وامثاله

فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ * (١٤٠) وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ * (١٤١) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ

ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس وذكر نحوا من ذلك. ولئن لم تنهض الروايات حجة في ذلك فالآية ناطقة بما هو نحوه. ومقامها يقتضي ان يكون المراد من الموت المتمنى هي الشهادة (فقد رأيتموه) قيل رأيتم اسبابه من الحرب والقتال اقول وان الشهادة والقتل وبقاء الابدان بلا ارواح امر مرئي ولا مانع من ان يراد ذلك مع انه اظهر واولى. والرؤية هي الاحساس بالباصرة (وانتم تنظرون) والنظر غير الرؤية المتعدية إلى مفعولها بل هو اعمال الباصرة لأجل الرؤية ويكفي في بيان المغايرة انه لا يتعدى إلا بكلمة «إلى» كما عليه اللغة واستعمال القرآن الكريم اي رأيتموه لا صدفة وانتم تعملون باصرتكم لأجل رؤية الحال والقتال والشهادة وموت الشهداء. ولا ضير في تمني الشهادة بعد العلم العادي بأن الدفاع في نصرة الدين لا بد فيه من ان ينال بعض المسلمين سعادة الشهادة وحياتها الأبدية خصوصاً بعدما يروى من ان النبي (ص) اخبرهم بأنهم يستشهد بعدد اسرى بدر واين هذا من تمني تسلط الشرك ونقص عدد المسلمين كما يذكر في الاشكال الواهي (١٤٠ وما محمد) صلى الله عليه وآله وسلم (إلا رسول) من البشر المقدر عليه الموت ببلوغ اجله (قد خلت) ومضت وسلفت (من قبله الرسل) دعاهم الله فأجابوا وهو مثلهم امره بيد الله يدعوه إلى دار السعادة والزلفى فيجيب (أفإن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم) ناكصين عن الطاعة او الدين. والاستفهام للانكار عليهم. وقد روى البخاري في باب الحوض وغيره في غيره ولعله من الحديث المعلوم بين الفريقين ان رسول الله (ص) اخبر بانقلاب ناس من اصحابه (ومن ينقلب) عن الطاعة او الدين (على عقبيه فلن يضر الله شيئا) وإنما يهلك نفسه فإن الله غني عن العالمين (وسيجزي الله الشاكرين) لنعمته عليهم بالإيمان والشريعة اذ عرفوا ما لهذه النعمة من القدر العظيم فثبتوا عليها (١٤١ و) لا تحسبوا ان الموت يأتيكم مصادفة واتفاقاً من عروض العوارض بلا تقدير من الله فتتوهموا انه ينجيكم منه الحذر والفرار والقعود عن الجهاد بل (ما كان) ولم يثبت بل ولا يثبت (لنفس ان تموت إلا بإذن الله) ومشيئته وتقديره (كتاباً) في التبيان والمجمع

إلاَّ بِإِذْنِ اللهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ * (١٤٢) وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ

والكشاف انه مصدر منصوب بفعل من لفظه أي كتب ذلك كتابا أقول ويجوز ان لم يكن الظاهر ان يكون بمعنى المكتوب وهو حال مفسرة من الاذن (مؤجلا) اي كتبت فيه الآجال بحدودها (ومن يرد) من الله بعمله (ثواب الدنيا) والجزاء فيها (نؤته منها) أي من الدنيا (ومن يرد ثواب الآخرة) وما اعده الله لطالبيها (نؤته منها) بحسب عمله واخلاصه (وسنجزي الشاكرين) لله على نعمه واعظمها توفيقهم لطاعته وطلب ما عنده. هذا هو الظاهر من الآية وذكر في التبيان ومجمع البيان اقوالاً لا حجة عليها ولا بها (١٤٢ وكأين) الظاهر من المغني وشرح الكافية للشيخ الرضي اتفاق النحويين وامثالهم على انها مركبة من كاف التشبيه و «أي» الموصولة ورسمت النون للمحافظة على التنوين في الأصل وانها صارت بعد التركيب اسما يفيد معنى «كم» الخبرية والتكثير وان خالفتها من وجوه وان محلها الابتداء ومابعد تميزها خبرها وعلى ذلك جرى مجمع البيان بل وظاهر التبيان وأما الكشاف فلم يتعرض في تفسيره لشيء من ذلك اقول ان لم يجدوا منها في موارد استعمالها معنى كاف التشبيه ومعنى «اي» فمن أين جاؤوا بحديث تركيبها واصلها وصيرورتها بالتركيب اسما فإن العرب لا يتحدثون ولا يحدثون بمثل ذلك وإنما يستعملون ما في لغتهم بمقتضى غريزتهم العربية وعلى رسلهم بدون تحليل. وإذا كانوا يجدون منها معنى جزءيها فلماذا يقولون انها صارت اسما ولماذا لا يجرون على مقتضى جزءيها. وقد جاءت في القرآن الكريم سبع مرات كما في الآية وسور يوسف ١٠٥ والحج ٤٤ و ٤٧ والعنكبوت ٦٠ ومحمد (ص) ١٤ والطلاق ٨ قال حسان

كأين قد اصيب غداة ذاكم ... من ابيض ماجد من سر عمرو

وقد تسهل همزتها وتكون على وزن فاعل كقول زهير في معلقته:

وكائن ترى من صامت لك معجب ... زيادته او نقصه في التكلم

(من نبي) تمييز وبيان (قاتل) خبر (معه ربيون كثير) «ربيون» فاعل لقاتل وفي الكشاف ومجمع البيان جواز ان يكون الفاعل ضمير يعود للنبي و «معه ربيون» جملة حالية

فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ

لقائل ويدفع ذلك ان الجملة الاسمية تحتاج في كونها حالا إلى ربطها بالواو او بها مع الضمير. واما الاكتفاء بالضمير وحده فهو من الضعيف الذي يجل عنه قدر القرآن الكريم. والزمخشري يصرح بالضعف في نحوه. اما الربيون ففي الكشاف ان الربي كالرباني هو المنسوب إلى الرب وكسرت الراء من تغيير النسب. يعني ان النسبة تكون معها تغييرات كثيرة في بناء الكلمة حتى في اولها كما يقال في المنسوب إلى الدهر دُهري بضم الدال وبصريّ بكسر الباء وتوافقه احدى الروايتين عن ابن عباس. وقد اختلفت الرواية في تفسير الربي ففي الدر المنثور عن ابن عباس علماء كثير وعنه ايضا جموع. والجموع الكثيرة. وعن ابن مسعود الوف. وفي التبيان الربي عشرة آلاف وهو المروي عن ابي جعفر يعني الباقر (ع) ولم اجد الرواية وكأنها من رواية ابي الجارود في تفسيره وهو ضعيف. وعن العياشي عن منصور بن الصيقل عن الصادق (ع) الوف الألوف. ومنصور مجهول الحال ورواية العياشي عنه مرسلة. وفي تفسير القمي الربيون الجموع الكثيرة والربوة الواحدة عشرة آلاف. وفي القاموس الربوة بالكسر عشرة آلاف والربي واحد الربيين وهم ألوف من الناس. وعليه فنسبة الربي الى الربوة يحتاج إلى تصرف زائد بقلب الواو ياء ثم حذف الياء مع ان ظاهر الآية توبيخ اصحاب النبي (ص) في احد لأجل وهنهم بفرارهم وعدم صبرهم في الجهاد في سبيل ربهم وحماية الدين مع ان اصحاب النبيين قاتلوا معهم فما عراهم ذلك فإذا كان اصحاب كل نبي ينسبون إلى الربوة والجموع الكثيرة وعشرات الألوف لم يأخذ التوبيخ موقعه من الحجة لأن الجموع الكثيرة والعشرات من الألوف فما زاد إلى الوف الألوف يعتزون بحسب العادة بكثرة جموعهم وعدد الوفهم مضافاً إلى كون وصفهم بالكثيرين لا فائدة فيه وبهذا تزداد الرواية ضعفا واستيجابا للاطراح اللهم إلا ان يقال انهم ينسبون إلى الربوة وعشرات الألوف فما زاد باعتبار تكرر المعارك الكثيرة مع ذلك النبي وتناوب المجاهدين وفي جميعها يثبتون. وفيه بعد. وعليه يكون المعنى وكم من نبي قاتل معه في جهاده كثيرون فثبتوا وصبروا على ما اصابهم فما لكم لم تصبروا ولم يثبت منكم إلا اثنان ونحو ذلك. وعلى قول الكشاف ايها المنتسبون إلى الرب والجهاد في سبيل ربهم لماذا فررتم ولم تصبروا كما صبر الكثيرون من المنتسبين بالإيمان والطاعة إلى ربهم الذين جاهدوا في سبيل ربهم مع الانبياء (فما وهنوا لما) اي لأجل ما (اصابهم) من شدائد

فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * (١٤٣) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * (١٤٤) فَآتَيهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * (١٤٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ *

الحرب والجهاد (في سبيل الله وما ضعفوا) وهذا يدل على ان معنى الوهن اما ما هو قريب في المعنى من الضعف او هو قسم خاص منه فإن محض التأكيد بالمترادفين بعيد فيمكن ان يراد فما اختل نظام اجتماعهم ولم يعرض لهم الهلع وخمود العزائم وما ضعفت ابدانهم لكونهم استسلموا للرعب والخوف وروعة الحرب (وما استكانوا) الاستكانة الذل والخضوع . ويحتمل ان يكون ذلك تعريضاً بما يروى من ان بعضا هموا بأن يوسطوا عبد الله بن سلول ليطلب لهم الأمان من قريش . بل ان الربيون صبروا صبر الكرام في حروبهم (والله يحب الصابرين) وكفاهم بذلك فضلاً وفخراً (١٤٣ وما كان قولهم) في شدائد الحروب وامثالها (إلا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا) قول المستغفر لعمله الخائف من هفوات الزلل والطالب من الله التسديد والمغفرة لما سلف (وثبت اقدامنا) في الجهاد في سبيلك وطاعتك قول الصابر الموطن نفسه على الثبات والطالب من الله التوفيق والتسديد (وانصرنا) في جهادنا (على القوم الكافرين ١٤٤ فآتاهم الله) جزاء بما عملوا (ثواب الدنيا) من النصر والفتح وسائر النعم (وحسن ثواب الآخرة) وفي ذكر الحسن بيان لعظمة ثوابهم في الآخرة وان كان كله حسن واي حسن جزاء لإحسانهم (والله يحب المحسنين ١٤٥ يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا) بالطاعة العامة أو في أمر الجهاد والدين . وقيل ان الآية نزلت في عبد الله بن ابي سلول الذي رجع من جيش النبي (ص) عن حرب احد بثلاثمائة من اصحابه وصار يخذل المسلمين عن رسول الله . وفي الكشاف ومجمع البيان وتفسير البرهان مرسلاً عن علي (ع) نزلت في قول المنافقين أي للمسلمين عند الهزيمة ارجعوا إلى اخوانكم وادخلوا في دينهم وعليه يكون مورد النزول من احد المصاديق والآية على عمومها (يردوكم) عن دين الحق والايمان والجهاد إلى الوراء والضلال (على اعقابكم فتنقلبوا) بردهم إلى الضلال (خاسرين) وكفى بذلك هلكة

(١٤٦) بَلِ اللّٰهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ * (١٤٧) سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللّٰهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ * (١٤٨) وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّٰهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ

فلا تطيعوهم (١٤٦ بل الله مولاكم) وولي أمركم وهو لكم وناصركم (وهو خير الناصرين ١٤٧ سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب) قد استفاض الحديث بأن المشركين رجعوا من حرب أحد إلى مكة مرعوبين والآية عامة فقد كان رسول الله (ص) منصوراً برعب اعدائه منه كما يشهد به الحديث والتاريخ واحوال المشركين وحروبهم للمسلمين (بما اشركوا) أي بسبب اشراكهم (بالله ما لم ينزل به) في إلهيته واستحقاقه للاشراك مع الله في الإلهية (ساطاناً) وحجة من عنده فإن كل هؤلاء المشركين قد اسسوا شركهم على الاعتراف بالله وإلهيته وما له من كمال الإلهية . ولكنهم يزعمون في الشركاء انهم آلهة صغار بحسب ماصوره لهم ضلالهم من الولادة من الله او تنزلات الإلهية ونحو ذلك فتقوم الحجة على المشركين بأن الله جل شأنه كيف يهمل شأن الإله المتولد منه أو الذي هو من تنزلاته ولا ينزل سلطانا على إلهيته ومقامه فيها واستحقاقه للعبادة كما يزعمون فإنه جلت آلاؤه لم يترك نبيا يبعثه بدون اقامة الحجة على نبوته لئلا يضيع مقامه وتضيع الفائدة من نبوته فكيف يضيع الفائدة ويبطل الحكمة فلا يقيم حجة ولا ينزل سلطانا بإلهية من تولد منه أو صار من تنزلاته . دع عنك هذا التقرير ولكن من اين لهم الحجة على إلهية شركائهم وهل نزل الله بذلك سلطانا يحتجون به فإن مرجع ذلك إلى الله لا إلى اوهام الضلال . وهذه حجة الزامية على المشركين زيادة على الحجج العقلية على وحدة الإله وبطلان الشرك وان كل ما يشركونه مع الله ملزوم بلوازم المخلوقية والحدوث وامتناع إلهيته (ومأويهم النار وبئس مثوى الظالمين) المأوى هو المحل الذي يعد ويؤتى ليستراح ويحتمى به . والمثوى هو المحل الذي يطول المكث فيه . وجرى التعبير بالمأوى تبكيتاً بسوء عاقبتهم . وان النار مثواهم ومحل مكثهم وبئس المثوى المعد للظالمين (١٤٨ ولقد صدقكم الله وعده) لكم بالنصر وظهر لكم مصداقه (إذ تحسونهم بإذنه) اي تقتلونهم بنصر الله ومشيئته . وفي التبيان الحس هو القتل على وجه الاستئصال . وفي النهاية حسوهم بالسيف حسا استأصلوهم قتلاً . وفي الكشاف تقتلونهم قتلا ذريعا . وعلى هذا يدور كلام

حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ

اللغويين في كتبهم . قال عتبة الليثي :—

نحسهم بالبيض حسا كأننا — نفلق منهم بالجماجم حنظلا

والحسيس القتيل . قال صلاثة بن عمرو كما في لسان العرب وغيره

نفسي لهم عند انكسار القنا — وقد تردوا كل قرن حسيس

وقد كان في قتل المسلمين للمشركين في اول الحرب يوم احد قتل استئصال فقد استأصلوا حملة اللواء بني عبد الدار وسرى القتل الذريع في المشركين حتى انهزموا واكب المسلمون على رحالهم للغنائم وكان ذلك القتل والانهزام باذن الله ونصره على خلاف الموازنة الحربية ومصادمة القوة بالقوة وكثرة عدد المشركين وعدتهم فقد كانوا نحو اربعة امثال المسلمين المجاهدين . وفي التبيان اذ تحسونهم يوم بدر حتى إذا فشلتم يوم احد . وفي مجمع البيان اكثر المفسرين على ان المراد بالجميع يوم احد ونقل ما ذكره التبيان عن ابي علي الجبائي . وما ذكرناه مقتضى سوق القرآن فهو الظاهر وعليه روايتا ابن عباس في الدر المنثور وان كان فيما صححوه منها ظهوره في حضور ابن عباس يوم احد وهو خلاف المعروف من التاريخ من ان ابن عباس لم يكن حينئذ مهاجراً بل لم تعرف هجرته إلا بعد فتح مكة (حتى إذا فشلتم) أي ظهر مصداق وعد الله لكم بالنصر وصرتم تقتلونهم قتلا ذريعا ودام ذلك حتى إذا فشلتم انقطع ذلك بسبب فشلكم وما جرى منكم . وفسر الفشل بالجبن اي جبنهم حينما كر عليهم المشركون بعد فرارهم . وعلى هذا يكون العطف بعد ذكر الفشل على خلاف الترتيب وهو سائغ مع الواو (وتنازعتم في الأمر) ومن ذلك ما وقع من الرماة اصحاب ابن جبير في الشعب حيث رغب اكثرهم في الغنيمة وخالفوا امر الرسول وفارقوا الثابتين الآمرين لهم بالثبات في مركزهم (وعصيتم) بالذهاب من الشعب الى الغنيمة وفراركم عن رسول الله (من بعد ما اراكم) الله (ما تحبون) من النصر وقتلكم لهم وهزيمتهم (١٤٩ منكم من يريد الدنيا) فآثر الغنيمة على طاعة الرسول أو آثر الحياة الدنيا بالفرار على الجهاد في سبيل الله (ومنكم من يريد الآخرة فثبت وجاهد جهاد الصابرين (ثم صرفكم عنهم) عطف على صدقكم الله اي صرفكم

لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ * (١٥٠) إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمّاً بِغَمٍّ لِكَيْلا

بما اقتضاه التقدير في احوال الحرب والتخاذل فيها فوكالكم إلى انفسكم (ليبتليكم) اللام للغاية أي ومن غايات ما جرى ان يتحنكم وتظهر اعمالكم فيرفع الله درجات الصابرين (ولقد عفا عنكم) أي عمن خالف ولم يصبر وهذا العفو من فضل الله ببركة ايمانكم (والله ذو فضل على المؤمنين · ١٥٠ إذ تصعدون) « اذ » ظرف لصرفكم والمراد فرارهم و « تصعدون » بضم التاء من « اصعد » بمعنى دخل واخذ في الصعود إلى الجبال مثل « انجد · واتهم » او دخل في الصعود في الأرض اي السير فيها قال حسان : « يبارين الأعنة مصعدات » وقال الآخر « هواي مع الركب اليمانين مصعد » ولا تلتفتون في فراركم واصعادكم (ولا تلوون) ابدانكم (على احد) سواء كان داعياً منكم للثبات أو مستجيراً باحدكم او عدوا محاربا (والرسول يدعوكم) إلى نصره وجهاد المشركين · قيل وكان دعاءه صلى الله عليه وآله إليّ عباد الله ارجعوا انا رسول الله (في اخراكم) أخرى القوم الجماعة التي هي آخرهم والظاهر ان الجار والمجرور متعلق بيدعوكم كما يقال نادى في الناس · وهذا يقتضي بأن أوائلهم قد امعنت بالفرار وبعدت فيكون الدعاء والنداء في اخراهم · ويجوز ان يكون حالا من الفاعل في « يدعوكم » أي حال كونه في الجماعة التي هي اخراكم من ناحية العدو والقتال والمراد منها الثابتين (فأثابكم) الله وهو عطف على صرفكم أي جزاكم · والثواب الجزاء على الطاعة والمعصية وان كثر استعماله في الطاعة (غما بغم) في التبيان غما على غم وقيل مع غم · وفي تفسير القمي والدر المنثور في تفسير غما بغم ببيان السبب للغم روايات لا تنهض حجة للتعويل عليها خصوصاً مع التعارض في روايات الدر المنثور · وفي الكشاف غما بسبب غم أذقتموه رسول الله بعصيانكم انتهى ولا حجة على ما قال وقال بعد ذلك ما حاصله يجوز ان يكون فاعل اثابكم هو رسول الله (ص) أي كما اغتممتم لما اصابه غمه ما نزل بكم وآساكم بغمه لتسليتكم لكي لا تحزنوا الآية انتهى وهو اجنبي عن سوق الآيات وحال الواقعة · والغم معروف وان فسر بالحزن لكن الاستعمال والتبادر يشهدان بأنه عبارة عن حالة معروفة تعرض على الإنسان عند المصائب والحزن يضيق بها صدره وهي اقرب إلى معنى الكرب من الحزن (لكيلا تحزنوا على ما فاتكم) من

تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * (١٥١) ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ

الظفر بعدوكم وانتصاركم عليه (وما اصابكم) من اثم المعصية لله والمخالفة لرسوله والهزيمة ووبالها الدنيوي من الانكسار والوهن والخوف والرعب من كرة العدو عليكم وعلى بلادكم واهليكم هذا هو الظاهر من السياق أي واثابكم غما بغم والغاية من تراكم الغموم عليكم ان تذهلوا عن الحزن المذكور (والله خبير بما تعملون) لا تخفى عليه من اعمالكم ووجوهها خافية (١٥١ ثم انزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم) أي يشغلهم ويغفلهم عن الخوف فتساوي حالتهم حالة الآمن كقوله تعالى في سورة الأنفال في ذكر وقعة بدر ١١ « اذ يغشاكم النعاس امنة منه » وهذا نحو من اللطف بهذه الطائفة الذي عراهم في جملة غمومهم غم المعصية بالفرار خوفا من الله وندما على الذنب (وطائفة) أخرى منكم وهم الذين لم يكونوا أهلا لهذا اللطف بل هم مرتكسون في همومهم وغمومهم (قد اهمتهم انفسهم) في امر الحياة الدنيا وقد يئسوا من النصر « طائفة » مبتدأ وجملة قد اهمتهم خبر (يظنون بالله غير الحق) في وعده لرسوله بالنصر وان يظهروا على الدين كله (ظن الجاهلية) والجملة خبر ثان (يقولون) حال من ضمير « يظنون » او خبر ثالث (هل لنا من الأمر من شيء) أي من النصر وان لم يكن خطابا لرسول الله بل فيما بينهم فيحتمل أن يريدوا من الأمر الحق ويكون استفهامهم انكاريا كما يومي اليه ما يأتي (قل) لهم يا رسول الله في جواب سؤالهم منك أو محاورتهم فيما بينهم (ان الأمر كله لله) وبيده ازمة الأمور (يخفون في انفسهم) عليك (ما لا يبدون لك يقولون) في انفسهم او فيما بينهم في محاورتهم (لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا قل) يا رسول الله للناس في بيان الحقيقة ما يكون جوابا لما اخبرتك به مما يخفيه عليك هؤلاء ان امر القتل تابع للتقدير والقضاء ليفوز الشهداء بسعادة الشهادة ويهلك المنافق والمشرك . (ولو كنتم) يا ايها الناس (في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم) في الشهادة او الهلاك على حكم قضاء

مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * (١٥٢) إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ * (١٥٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ

الله . ومن غايات ذلك ان يفوز السعيد بسعادته ويشقى الشقي بهوانه (وليبتلي الله ما في صدوركم) ويظهر مكنونها من الطاعة والنفاق . والتعليل بلام الغاية معطوف على غاية مقدرة كما ذكرناه ونحوه مما يدل عليه السياق (وليمحص ما في قلوبكم) ويخلص ما في قلب المؤمن المجاهد الصابر من النيات الصالحة والايمان الثابت ويميز ذلك عما في قلوب غير الصابرين وقلوب المنافقين والكافرين (والله عليم بذات الصدور) وما فيها ولكن الابتلاء والتمحيص لظهور ذلك في الخارج بعروض المحركات (١٥٢ ان الذين تولوا منكم) منهزمين (يوم التقى الجمعان) في احد (إنما استزلهم الشيطان) واوقعهم بالذلة (ببعض ما كسبوا) اي بسبب انقيادهم اليه بما كسبوه من الذنوب التي سهلت له استزلالهم بمثل هذا الذنب الكبير (ولقد عفا الله عنهم) بسبب توبتهم وبركة الرسول الأكرم (ان الله غفور) لمن يحسن التوبة (حليم) فلم يعاجلهم بالعقوبة (١٥٣ يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا) بالله فينسبون حوادث الكون الى صدفة اسبابها العادية دون تصرف الله في العالم وجريان الأمور بمشيئته وتقديره وقضائه (وقالوا لاخوانهم) الذين من قبيلهم وقومهم أي في شأن اخوانهم (إذا ضربوا في الأرض) سفرا عاديا (أو كانوا غزى) ومات بعضهم أو قتل . والغزى جمع غاز كشهد وعود جمع شاهد وعائد . وجيء بكلمة « إذا » لأن هذا القول منهم كلي وظرفه كلي بالنسبة للسفر والغزو وليس الظرف وقتا شخصيا لكي يقال « إذ » (لو كانوا عندنا) ولم يسافروا ولم يغزوا (ماماتوا وما قتلوا) يعتقدون ذلك بكفرهم وسوء رأيهم ويقولونه (ليجعل الله) اي ومن غايات ذلك ان يجعل بتقديره (ذلك) الاعتقاد وذلك القول (حسرة في قلوبهم) اي بسبب حسرة إذ يأسفون ويقولون في اسفهم وحسراتهم لماذا تركناهم يسافرون . لماذا تركناهم يغزون (والله يحيي ويميت)

وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * (١٥٤) وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ * (١٥٥) وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ * (١٥٦) فَبِمَا رَحْمَةٍ

بيده أمر الحياة والموت لا كما يزعمون بكفرهم . فكم من حاضر وهو في صحة ودعة قد اماته الله وكم من مسافر وغاز يقاسي الشدائد والأهوال ويرده الله سالما (والله بما تعملون) يا ايها الذين آمنوا أو يا ايها الناس (بصير) لا يخفى عليه شيء منها ولا من وجوهها فاتقوا الله في اعمالكم ومنها اقوالكم (١٥٤ ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم) لكان لكم الجزاء العظيم ووقع اجركم على الله ومن اجركم المغفرة والرحمة ومن ذا الذي لا يحتاج اليهما و (لمغفرة) من مصاديق المغفرة من الله (ورحمة) من مصاديق الرحمة (خير مما يجمعون) من حطام الدنيا (١٥٥ ولئن متم او قتلتم) يا ايها الناس (لإلى الله تحشرون) وعدا مؤكدا بلامي القسم ولا تفوتونه بل يجازيكم بأعمالكم ان خيراً فخير وان شراً فشر . او ولئن متم أو قتلتم في سبيل الله لإلى الله تحشرون وعليه تقدمون فيوفيكم اجوركم (١٥٦ فبما رحمة) قال في التبيان ان «ما» زائدة جاءت مؤكدة للكلام وزاد في مجمع البيان باجماع المفسرين . ودعواه الاجماع في غير محلها فقد حكى في التبيان عن الحسين بن علي المغربي ان « ما » بمعنى « أي » أي بأي رحمة . وحكاه ابن هشام عن جماعة وان اورد عليه ما لا يرد وفي حواشي المغني للشمني عن ابي البقاء عن الاخفش وغيره وحكى نقله ايضا عن ابن كيسان . وقال السيد الرضي في حقائق التأويل ولأبي العباس المبرد مذهب انا اذهب اليه وهو انه ليس شيء من الحروف جاء في القرآن الا لمعنى مفيد وقال الرضي ايضا ان « ما » معناها تفخيم قدر الرحمة التي لان بها لهم . ومرجعه إلى ما قاله الحسين واليه يرجع اختيار الرازي ان المعنى فبأي رحمة . والمقصود أيّ المفيدة للتفخيم كما تقول أيُّ رجل هذا . وكثير ممن ذكرنا متقدمون على مجمع البيان وهم اساطين الفن وصيارفة اللغة والمرجع في امثال ذلك . وقال الرازي في تفسيره قال المحققون دخول اللفظ المهمل الوضع في كلام احكم الحاكمين غير جائز : وقال عنتر في معلقته

يا شاة ما قنص لمن حلت له حرمت علي وليتها لم تحرم

فإن معنى « ما » معنى « اي » التعجبية لغرض التفخيم وكرامة قنصها بكرامتها ظاهر من

مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٧) إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٥٨) وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ

الشعر وقال الفند الزماني: أيا طعنة ما شيخ كبير يفن بال

إلى ان قال : تفتيت بها إذ كـ ره الشكة امثالي

فإن قوله تفتيت بها يدل على ان « ما » للتعجب بتعظيم أمر الشيخ في طعنه وقال الفرزدق :

نادبت انك ان نجوت فبعدما يأس وقد نظرت اليك شعوب

أي بعد أيّ يأس شديد . هذا والذين رأيناهم يقولون بزيادة « ما » في الآية يقولون انها زيدت للتأكيد . أفلا قائل يقول لهم على أي وجه يكون التأكيد ولماذا يؤكد . نعم يجدون لها معنى لا تنطبق عليه قواعدهم القاصرة المستحدثة فيلتجئون إلى تسميته بالتأكيد (من الله) عليهم بل على سائر البشر (لنت لهم) وصرت تحتملهم وتعطف عليهم في اختلاف آرائهم وأحوالهم وبما يصدر منهم مما لا يرتضى لكي ينضموا اليك ويهتدوا بهداك فيقام عمود الدين وتنتظم جماعة الإسلام وتنقمع شوكة الكفر والضلال (ولو كنت فظا غليظ القلب) فسره في التبيان والكشاف بالجافي قاسي القلب وهو نحو من انحاء ما ذكره اللغويون (لانفضوا من حولك) وتفرقوا عنك ولكنك على خلق عظيم وبالمؤمنين رؤوف رحيم (فاعف عنهم واستغفرلهم وشاورهم في الامر) الذي يعرض أي واستصلحهم واستمل قلوبهم بالمشاورة . لا لأنهم يفيدونـه سداداً او علما بالصالح . كيف وان الله مسدده وما ينطق عن الهوى ان هو إلاّ وحي يوحى (فإذا عزمت) على ما اراك الله بنور النبوة وسددك فيه (فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين) عليـه (١٥٧ ان ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم) ويكلكم إلى انفسكم (فمن ذا الـذي ينصركم من بعده) شبه جل شأنه في خذلانه لهم باستحقاقهم الخذلان بمن اعرض عنهم وجاوزهم (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) واليه يكون التجاؤهم (١٥٨ وما كان لنبي ان يغل) بفتح الياء والغلول هو الخيانة في الغنيمة . والمعنى لا يقع الغلول من الأنبياء وما وقع هذا من احدهم

وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ *(١٥٩) أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ *

لأنهم معصومون وامناء الله . واورد في الدر المنثور روايات عن ابن عباس وفي تفسير البرهان عن الصدوق بسند فيه جهالة عن الصادق (ع) ان الآية نزلت في شأن قطيفة حمراء فقدت من الغنيمة يوم بدر فقال بعض الناس أخذها رسول الله «ص» . وفي الرواية عن الصادق «ع» فأظهر الله رسوله على القطيفة ونزلت هذه الآية . وفي الروايات عن ابن عباس تعارض (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) ويفضحه الله به من اول حشره (ثم توفى كل نفس ما كسبت) أي توفى جزاء ما كسبت عندما يكون الحساب والجزاء فيوفى جزاء ما كسب من الغلول وغيره كما توفى كل نفس جزاء ما كسبت ان خيرا فخير وان شراً فشر تجزاه وافيا أي تاماً ما لم يتب المذنب في الدنيا ويتوب الله عليه فيكون كمن لا ذنب له (وهم لا يظلمون) بجزاء المسيء بغير ما كسب ولا ينقص جزاء المحسن (١٥٩ أفمن اتبع) في اعماله وأقواله وتروكه ودينه وانقياده بالطاعة والاقتداء والاهتداء والاتباع لمن جعل الله ولي امره وفي معاملته مع الناس ومداخلته في امورهم الخاصة وما يعود إلى الهيئة الاجتماعية (رضوان الله) بأن نظر في كل أمر من هذه إلى رضا الله فيه بحسب ما يدل عليه دين الحق وشريعة الله . ونور الحق المبرأ من الاهواء . ورشاد الفطرة وحاسب نفسه فيه وجعل رضوان الله مقصوده الأصلي ومتبوعه الوحيد الذي يسير به في نهج الحق والصراط المستقيم والسعادة العظمى . قال من رأينا كلامه من اللغويين والمفسرين الرضوان كالرضا مصدر رضي : لكن الظاهر من موارد الاستعمال كونه اسم مصدر وان معناه أوفر من معنى الرضا . وهل يكون المتبع لرضوان الله على ما ذكر (كمن باء) أي رجع بسوء اعماله ومعاصيه ونكوصه عن النهج القويم (بسخط من الله) وصار بذلك عضوا فاسداً وبيئا في المجتمع البشري (ومأواه جهنم وبئس المصير) ولعمر الحق ان هذا التعليم الفائق على ايجازه ليضمن اتباعه وسلوك نهجه فضيلة الصلاح وفوز السعادة الفردية والاجتماعية وان كل تخلق بالأخلاق الحسنة لا تقوم حياته بروح الاتباع لرضوان الله انما هو كصورة المرآة وظل زائل ، وسراب خادع ، ولئن راقت صورته المموهة فإنما هو للهيئة الاجتماعية كالسم في

(١٦٠) هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ * (١٦١) لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ

الدسم : وحكى في التبيان ومجمع البيان والدر المنثور حمل الآية على موارد خاصة ولا مستند لذلك في مخالفة ظاهر الآية في العموم الا أقوال سعيد بن جبير والضحاك وابن جريج ومجاهد وفي تفسير البرهان عن الكافي بسند فيه ضعف وعن العياشي مرسلا عن عمار عن الصادق «ع» ان الذين اتبعوا رضوان الله هم الأئمة عليهم السلام . والرواية لا تنهض حجة على الحصر. نعم هم صلوات الله عليهم في هذه الأمة اظهر الأفراد وأعلاهم درجة (١٦٠ هم درجات عند الله) في التبيان والمجمع تقدير الآية هم ذووا درجات . المؤمنون ذووا درجات رفيعة والكفار ذووا درجات خسيسة وفي الكشاف نسب هذا إلى القيل « وقال قبله ولم يبين مرجع الضمير أي هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات » : يعني انهم شبهوا في تفاوتهم بالدرجات فاخبر عنهم بها على نحو الاستعارة كما يقال زيد اسد بالنظر إلى الشجاعة وهو باب من ابواب البلاغة واولى من التقدير وأظهر والرازي في تفسيره جعل عود الضمير على خصوص من اتبع رضوان الله اولى واستدل لذلك بوجوه اربعة لا تنهض حجة نعم في رواية عمار المشار اليها ما يقتضي ذلك بوجه آخر لو كانت حجة (والله بصير بما يعملون ١٦١ لقد منّ الله على المؤمنين) وانعم عليهم بالنعمة العظيمة (إذ بعث فيهم) ليبتدئهم بحسب الحكمة في الدعوة العامة لجميع البشر (رسولاً من انفسهم) اضافة الأنفس اليهم باعتبار العربية والقومية والنشأة معهم بحيث يكونون مطلعين على احواله ووجوه كماله وملكاته الفائقة في الصدق والأمانة ونحو ذلك مما يقتضي ركون النفس اليه ويدعو إلى تصديقه والاقبال على الايمان به . ويعرفون بكونه منهم لسانه ومحاوراته وينقادون اليه ولا تمنعهم نخوة العربية وعصبية القومية من ان ينقادوا اليه لو كان من غير العرب . فكان من عظيم اللطف بالعرب والمنة عليهم ان سهل عليهم طريق الإيمان برسول الله بجعله منهم فرفع بذلك ما يقتضيه جهلهم ونخوة القومية والعربية من المعاثر. ومن منه جلت آلاؤه ان جعل الدليل على الرسالة ومعجزها بلغتهم كما ذكرنا ذلك في المقدمة في حكمة كون المعجز للعرب هو القرآن الكريم . فصار الرسول «ص» (يتلو عليهم آياته) آيات الله من القرآن فيفهمون معانيها واشاراتها بدون ترجمة تعسر عليهم (ويزكيهم ويعلمهم) بتلاوته

وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * (١٦٢) أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * (١٦٣) وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * (١٦٤) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا

وتبليغه وخطبه ومواعظه وبيانه (الكتاب والحكمة وان كانوا) الواو للحال و « ان » المكسورة مخففة من المثقلة تفيد التأكيد والتحقيق لأنهم (من قبل) أي من قبل ان يبعث فيهم ويؤمنوا به (لفي ضلال مبين) من حيث المعارف والشريعة والاخلاق والصلاح والعدل والمدنية : يا ايها المسلمون من اصحاب احد بحسب نوعكم (١٦٢ او لما) خالفتم امر الرسول واخليتم مراكزكم للجهاد وانهمكتم بالغنيمة وفررتم ذلك الفرار و (اصابتكم مصيبة) لم تكن اصابتكم في اول جهادكم وثباتكم مع عاقبة المشركين المحاربين لكم بل(قداصبتم)من المشركين (مثليها) فقد قتل منهم في بدر واحد مثلي ما قتل منكم في يوم أحد . او ان مصيبة المشركين في يوم بدر بقتلاهم واسراهم مثلا مصيبتكم في يوم أحد (قلتم) جواب لما (أنى هذا) الذي اصابنا ومن اين جاءنا تقولون ذلك استيحاشا واستعظاما (قل) يا رسول الله في جوابهم (هو من عند انفسكم) إذ خالفتم الرسول واسرعتم إلى الغنيمة . او إذ خالفتم الرسول كما رواه في الدر المنثور عن ابن عباس . او اذ طمعتم في وقعة بدر بفداء الأسرى وانذركم رسول الله بأنه يقتل منكم بعددهم فرضيتم كما في الدر المنثور انه اخرجه ابن ابي شيبة والترمذي وحسنه وابن جرير وابن مردويه عن علي امير المؤمنين عليه السلام وفي مجمع البيان وهو المروي عن الباقر «ع» . ان الله قادر على ان ينصركم كنصر بدر واعز منه كما رأيتم مظهر النصر في اول الحرب يوم احد (ان الله على كل شيء قدير ١٦٣ وما اصابكم يوم التقى الجمعان) من قتل وجراح (فباذن الله) وتقديره للحرب والجهاد في سبيله لينال الشهادة من فاز بها (و) فيه غاية اخرى وهي تمييز الطيب بجهاده من الخبيث بنفاقه ورجوعه من الجيش (ليعلم) ليثبت علمه الأزلي التابع ويقارن في استمراره وجود المعلوم (المؤمنين) الذين اتبعوا رسول الله للجهاد(١٦٤ وليعلم الذين نافقوا) وهم عبد الله بن ابي سلول واتباعه(وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا) عن قومكم وبلادكم وحفائظكم ان لم تكن لكم رغبة في

قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ * (١٦٥) الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ *(١٦٦) وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * (١٦٧) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ

الجهاد في سبيل الله (قالوا) في التعلل والنفاق مع ان العدو نزل بعدته وعديده بساحتهم وهو يتغيظ حنقا . والقتال معلوم بمجاري العادة واحوال العرب (لو نعلم قتالا لاتبعناكم) وكذبوا (هم للكفر يومئذ) بنفاقهم (اقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم) من النفاق والتحيز للكفر (والله اعلم بما يكتمون ١٦٥ الذين) صفة للذين نافقوا (قالوا لاخوانهم) أي في شأن اخوانهم بحسب القبيلة والقومية (وقعدوا) الجملة اما حالية باضمار « قد » على رأي البصريين والفراء او بعدم الاضمار على رأي الكوفيين والأخفش . واما معطوفة بالواو التي هي لمطلق الجمع أي قعدوا عن القتال ورجعوا من الجيش إلى المدينة (لو اطاعونا) بالقعود وعدم الذهاب إلى الحرب (ما قتلوا) وقولهم هذا يرجع إلى جحودهم لكون أمر الموت او القتل بيد الله وبتقديره وقضائه بل ينسبونها إلى اسباب يمكن دفعها والتحرز عنها . فكأنهم لا ينظرون إلى انه كم شجاع يقذف نفسه في وطيس الحرب ولهوات الموت ثم يرجع إلى اهله باذن الله سالما . وكم من صحيح وادع في اهله قد طرقه الموت باذن الله في مأمنه (قل) يا رسول الله لهم في رد زعمهم ان الموت مما يستدفع ويتحرز منه (فادرأوا) وادفعوا (عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين) في زعمكم ومغزى قولكم لو أطاعونا ما قتلوا (١٦٦ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا) على ما يتوهم المتوهمون من بطلان ادراكهم وصيرورتهم كالجمادات . والخطاب صورته للرسول الاكرم ومنحاه تعليم الناس (بل) هم (احياء عند ربهم) القادر الرحيم (يرزقون) ما يتنعمون به في تلك الحياة السعيدة والعالم الحميد حال كونهم (١٦٧ فرحين بما آتاهم الله من فضله) من النعيم ويعرفون احوال اهل الدنيا ويسرون بصلاحهم ونجاتهم به من استحقاق العقاب (ويستبشرون) عطف على فرحين (بالذين لم يلحقوا بهم من

خَلفِهِم أَلاَّ خَوفٌ عَلَيهِم وَلاَ هُم يَحزَنُونَ * (١٦٨) يَستَبشِرُونَ بِنِعمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضلٍ وَأَنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجرَ المُؤمِنِينَ * (١٦٩) الَّذِينَ استَجَابُوا لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعدِ مَا أَصَابَهُمُ القَرحُ لِلَّذِينَ

خلفهم) بالموت او الشهادة اي يستبشرون بسعادتهم بصلاحهم (الا خوف عليهم) في الآخرة اي بأن لا خوف عليهم (ولا هم يحزنون) في يوم الجزاء (١٦٨ يستبشرون) حال آخر كفرحين (بنعمة من الله) عليهم في نعيمهم (وفضل و)ب (ان الله لا يضيع اجر المؤمنين) بل يوفيهم جزاءهم (١٦٩ الذين) مبتدأ (استجابوا لله والرسول) إذ دعاهم الرسول إلى اتباع جيش المشركين في رجوعهم من حرب احد ارهابا لهم فلبوا دعوته (من بعد ما اصابهم القرح) بتلك النكبة وكثرة الجراح فتبعوهم مع رسول الله إلى حمراء الأسد وهو سوق للعرب على ثمانية اميال من المدينة ورجعوا ولم يلاقوا حربا (١) (للذين احسنوا) اعمالهم في الحياة

(١) وعلى هذا اكثر ما وجدناه من حديث الفريقين كما هو المحكى عن اكثر المفسرين. والمأثور ان وقعة أحد كانت في السنة الثالثة من الهجرة في يوم الأحد السادس عشر من شوال وخرجوا باستجابتهم إلى حمراء الأسد يوم الاثنين ومكثوا فيها إلى الاربعاء ثم انقلبوا على وجههم هذا إلى المدينة وقد تكرر في الاحاديث انهم خرجوا وهم جرحى من حرب احد «والوجه الثاني» ما في الدر المنثور عن ابن شهاب ومجاهد وعكرمة في احدى روايتيه ان الآية نزلت في خروج رسول الله بمن معه لموعد ابي سفيان في غزوة بدر الصغرى في السنة الرابعة . وفي التبيان روى ذلك عن ابي جعفر (ع) وفي مجمع البيان رواه ابو الجارود عن الباقر (ع) . وابو الجارود ضعيف. والذي اعتمد عليه القمي في تفسيره هو الأول وكذا الشيخ في التبيان ونسب الثاني إلى القيل . وكانت غزوة بدر الصغرى في السنة الرابعة للهجرة في شعبان في رواية الدر المنثور عن مغازي ابن عقبة ودلائل البيهقي وفي تاريخ ابن جرير عن ابن اسحاق . وفي ذي القعدة رأس الحول من وقعة احد عن الواقدي .

وقد كان ابو سفيان جعل الموعد مع رسول الله يوم احد لاعادة الحرب هو بدر في العام المقبل كما عن ابن اسحاق . وعن مجاهد قال ابو سفيان موعدكم بدر حيث قتلتم اخواننا. وسميت غزوة بدر الصغرى غزوة السويق لأن ابا سفيان وجيشه خرجوا من مكة للحرب فلما سمعوا باستعداد رسول الله (ص) للقائهم في الموعد فشلوا ورجعوا من « مجنة » من ناحية مر الظهران أو مما فوق

أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ *

الدنيا ودار العمل أي جعلوا أعمالهم حسنة نحو قوله تعالى من أحسن عملا (منهم واتقوا أجر عظيـم) الجملة خبر « الذين » وكم وكم ينبغي للانسان ان يتحذر ويلازم التقوى ، ويراقب عاقبته ، ويحاسب نفسه في ايام عمره ويتحرى الإخلاص لله في اعماله فإن هؤلاء الـذين استجابوا لله والرسول في تلك الشدة وذلك القرح لم يجر شكر الاستجابة والوعد بالأجر لجميعهم على رسله بل قسمهم مفاد الآية في تبعيضها إلى اللذين أحسنوا منهم واتقوا وإلى غيرهم وخص الوعد بالأجر بالقسم الأول . فيكون الثناء والأجر في حقيقة الأمر في هذه الآية واللتين بعدها إنما هو للبعض وان كانت صورته جارية على نوعهم . كما جرى مثل ذلك في الآية الأخيرة من سورة الفتح في قوله تعالى « محمد رسول الله والذين آمنوا معه اشداء عـلى الكفار » وذكر الثناء الجميل إلى أن قال جل وعلا « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما » فقسمهم بكلمة « منهم » ايضا ذلك التقسيم المرعب وكشف بتقسيم هاتين الآيتين عن حال الاطلاق او العموم في غيرهما وابان ان جريانه في نفس الأمر إنما هو على البعض لا الكل ويا للاسف وفي الكشاف ان « من » في « منهم » للتبيين مثلها في قوله تعالى في اخر سورة الفتح وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لأن الذين استجابوا لله والرسول قد احسنوا كلهم واتقوا . وحكى ابن هشام في المغني نحوه عن ابن الانباري . ومن الغريب ممن يعد من النوابغ في النحو والعربية والخبرة بكرامة القرآن الكريم في فصاحته وبلاغته وكيف يخفى عليه انه يلزم في « من » التي لبيان الجنس ان يكون ما تبينه فيـه ابهام في جنسه ويكون في مجرورها بيان يرفع ذلك الابهام ويتكفل بايضاح المراد ويصح ان يحمل على ما يبينه حملاً مفيداً ببيانه . إذن فماذا في قوله تعالى « منهم » من الايضاح الجديد الرافع للابهام وماهي الفائدة في البيان في قول القائل الذين احسنوا واتقوا هم : وحكى في تفسير المنار عن استاذه اختياره لكون « من » في الآية للتبعيض لأن من المؤمنين الصادقين من لم يخرج إلى حمراء الأسد يعني ان الضمير في « منهم » يعود إلى المؤمنين في آخر الآية السابقة أقول وهـذا

« عسفان » على نحو مرحلتين من مكة فسماهم اهل مكة جيش السويق ويقولون لهـم انما خرجتم تشربون السويق .

(١٧٠) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ *

لا يصح إذا كان الموصول وهو « الذين » في اول الآية مبتدأ لأن خبره وهو جملة « الذين » يبقى بلا رابط ولذا بنى التلميذ صحة ما قاله استاذه على نصب « الذين » على المدح واقول ان النصب على المدح مبني على ان يكون الموصول وهو « الذين » صفة للمؤمنين نحو قول الخرنق بنت عفان من بني قيس :

لا يبعدن قومي الذين هم سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك والطيبون معاقد الأزر

وليس في هذا النصب على المدح عطف يدل على المغايرة . بل لو كان هناك عطف لما اقتضى المغايرة بل جرى على نهج قوله تعالى في سورة البقرة « ١٧٢ والصابرين في البأساء » وفي سورة النساء « ١٦٠ والمقيمين الصلاة » إذن فيعود التبعيض والتقسيم إلى الذين استجابوا و من أين يعرف ؟ ان « الذين » هنا منصوب على المدح فيتأمل في كلام صاحب المنار واستاذه في هذا المقام . وليت شعري ما هذا التكلف في تفسير الآية مع اجماع الأمة على انه ليس كل الصحابة معصومين (١٧٠ الذين) بدل من « الذين » التي هي مبتدأ باعتبار البعض او من المجرورة باللام باعتبار الكل وهو الأظهر (قال لهم الناس) أي بعضهم . قيل ركب من التجار وقيل نعيم بن مسعود الأشجعي (١) وفي التبيان والمجمع وهو قول ابي جعفر وابي عبد الله اي الباقر والصادق عليهما السلام (ان الناس) اي المشركين (قد جمعوا لكم) جندا لحربكم (فاخشوهم فزادهم) ذلك القول (ايمانا) بالله ودين الحق ووجوب نصره والجهاد في سبيله او بوعده بالنصر (وقالوا حسبنا الله) ناصرا على جموعهم (ونعم الوكيل) عليهم وفي التبيان والمجمع والكشاف الذي يوكل اليه الأمر . وفي الدر المنثور اخرج ابن مردويه عن أبي رافع ان النبي (ص) وجه عليا (ع) في نفر معه في طلب ابي سفيان فلقيهم اعرابي من خزاعة

(١) قبل إسلامه وهو الذي القى التخاذل بين بني قريضة وبين جيش الأحزاب من قريش وغطفان واتباعهم في السنة الخامسة في شوال وبعد ذلك اظهر اسلامه كما هو مأثور في تاريخ غزوة الأحزاب والخندق .

(١٧١) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ * (١٧٢) إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ

فقال ان القوم قد جمعوا لكم فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فنزلت فيهم هذه الآية أقول ويمكن ان يكون امير المؤمنين (ع) مع النفر كانوا في مقدمة الطاب أو طلبوهم من حمراء الأسد (١٧١ فانقلبوا بنعمة من الله وفضل) ولا تخفى دلالة التفريع بالفاء على ان هذا الانقلاب بالنعمة والفضل كان من المسير الذي استجابوا به لله والرسول كما ذكر في الآيتين السابقتين فلا وجه ولا صحة لجعل المراد بالاستجابة هو المسير إلى حمراء الأسد والمراد من الانقلاب بالنعمة والفضل هو الرجوع من غزوة بدر الصغرى في العام الثاني كما في الرواية التي ذكر في الدر المنثور انها اخرجها النسائي وابن ابي حاتم والطبراني بسند صحيح من طريق عكرمة عن ابن عباس وجرى تفسير الكشاف على نهجها في التفريق على خلاف التفريع في الآية الكريمة (لم يمسسهم سوء) من حرب او نكبة (واتبعوا رضوان الله) في استجابتهم هذه . وهنيئاً لمن دام على الاحسان والتقوى كما شرطه الله ففاز بسعادة الاجر العظيم (والله ذو فضل عظيم) ومن فضله وفقوا لهذه الاستجابة وانقلبوا بنعمة منه وفضل (١٧٢ إنما ذلكم الشيطان) هذا تشجيع للمؤمنين على الاقدام على الجهاد وحاصله ان الذين ارادوا ان تخافوا المشركين بقولهم ان الناس قد جمعوا لكم انما نشأ من تسويل الشيطان ودسائسه في ترويج الضلال فإنه يخوف المؤمنين اولياءه الضالين حماية منه للكفر والضلال (يخوف اولياءه) تتعدى خاف إلى مفعول واحد تقول خفت الكلب وتتعدى بالتشديد إلى مفعول ثان كما تقول خوفني عمرو الكلب وقد يحذف المفعول الثاني كما تقول خوفني عمرو وقد يحذف المفعول الأول كما تقول خوف عمرو الكلب وكما في الآية فهي كما اذا قيل يخوفكم اولياءه كما يروى من قراءتي ابن عباس وابن مسعود ولكن لفظ « يخوف » في القراءة العامة أعم وأتم من الفائدة في مقام الذم لابليس وعموم تخويفه للناس اولياءه وعموم اوليائه في النهي عن خوفهم بنحو يفيد البشرى بالأمن من شرهم لا خصوص قريش (فلا تخافوهم) أي اولياء الشيطان فإن الله ناصركم كما وعدكم ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خائبين (وخافون) فإن السعادة في خوف العبد ربه

إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * (١٧٣) وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظّاً فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * (١٧٤) إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَلَهُمْ

وتقواه (ان كنتم موءمنين) بالله ووعده بالنصر وانه يجب ان يطاع في امره ونهيه وانه مالك أمر النفع والضر، شديد العقاب واليه يرجعون: يا رسول الله (١٧٣ ولا يحزنك) بفتح الياء وضم الزاي يجيء «يحزن» بفتح الياء والزاي للقاصر وبضم الزاي للمتعدي وفي المصباح وهي لغة قريش اقول وعليها استعمال القرآن الكريم كما في هذه الآية وثمانية موارد من سائر السور وعلى هذه اللغة جاء محزون في اسم المفعول في اللغة العامة. والحزن معروف (الذين يسارعون في الكفر) ويقتحمون جامحين في وجوه ضلاله ونزغات غيه من دون تريث في اتباع الهوى ومحادة الله والتمرد عليه ولا ترو للنظر في حجج الإيمان ودلائل الحق، ولا اصغاء إلى داعي الهدى. ومن المعلوم ان هوءلاء وامثالهم قد خرجوا بتمردهم عن اهليتهم للطف الله ورحمة الرسول فلا يحزن الرسول رحمة لهم بل يحزن لمحادتهم لله وتمردهم على الإيمان به ولذا كانت تسلية الله لرسوله بقوله جل اسمه (انهم لن يضروا الله شيئا) فإن الله غني عن العالمين و«شيئا» واقع موقع المصدر أي شيئا من الضرر ولوقوعه في حيز النفي يفيد العموم. ولأجل ما ذكر من تمردهم ومسارعتهم في الكفر خرجوا عن اهلية اللطف وحرموا انفسهم خيره فلأجل ذلك (يريد الله ان لا يجعل لهم حظا) أي نصيبا من الخير (في الآخرة) أي يريد حرمانهم وعبر بالارادة تأكيدا لبيان وقوع الحرمان بأنه تعلقت به ارادة الله وما ربك بظلام للعبيد (ولهم) فوق ذلك (عذاب عظيم) جزاء بما كانوا يكفرون (١٧٤ ان الذين اشتروا الكفر بالإيمان بعدما اتضحت حجج الحق وبراهين الإيمان من الفطرة والآيات ودعوة الرسول ونور الدلالة فكان الإيمان بعد ذلك كأنه في حوزتهم فرغبوا فيه وتركوه واختاروا الكفر كما يرغب المشتري عن الثمن ويستبدل به المبيع الذي يرغب فيه. ويحتمل ان يراد منهم في هذه الآية أولئك المسارعون في الكفر فتكون الآية تأكيدا للتي قبلها في الأمر الذي يناسب الحال تأكيده. ويحتمل ان يكون المراد من يعم أولئك المسارعين ومن هو دونهم في التمرد فتفيد الآية عموما وتأكيدا في ضمنه ولعله اظهر (لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم ١٧٥ ولا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم)

عَذَابٌ أَلِيمٌ * (١٧٥) وَلاَ يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ * (١٧٦) مَا كَانَ ٱللَّهُ

في اعمارهم ونرخي لهم في آجالهم لا نعاجلهم بالعقوبــة والاهلاك (خير لأنفسهم) اي لكل واحد بحسب نفسه التي هي اعز الأنفس عليه واولاها بطلبه الخير لها. وليجري الكلام على هذا النص فلا يوهم ان الخير وازدياد الاثم يرجعان إلى المجموع كما لو قيل « لهم » (انما نملي لهم ليزدادوا اثما) اللام في « ليزدادوا » للعاقبة مثلها في قوله تعالى في سورة القصص ٧ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا » والحصر في « إنما » إنما هو باعتبار العاقبة وان الاملاء لهم ليس في عاقبته ما داموا على الكفر خيرٌ (ولهم عذاب مهين) يرون به هوانهم بما كفروا (١٧٦ ما كان الله) في الآية بحسب الأقوال وجوه « الاول » في الدر المنثور اخرج ابن ابي حاتم عن ابن عباس ان الخطاب في هذه الآية للكفار وذكر احتمال ذلك في التبيان وكذا في مجمع البيان بنحو تشويش . ولم يذكره في الكشاف وتفسيري الرازي والمنار مـن اسناده فكأنهم لم يعتنوا به . ومقتضى تفسير ابي السعود ان مختار المحققين غيره . وعليه يكون المعنى يا ايها الكافرون ما كان الله بحسب لطفه بعباده ان يتركهم بلا ارسال رسول ولا دعوة حق ويذر المؤمنين على ما انتم عليه من الكفر بل يقيم الحجة وينير البرهان فيؤمن الطيبون وان عاند اشقياء الضلال وطواغيت الكفر فيميز بذلك الخبيث بضلاله من الطيب الذي يختار هدى الإيمان وربما يستشهد لهذا الاحتمال بقوله تعالى في الآية الثانية في طرد الخطاب « فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم » ولكن لا شهادة في ذلك اذ قـد جرى امثاله في خطاب المؤمنين كما في سورة النساء ٥٨ « يا ايها الذين آمنوا — ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ١٣٥ يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله » ومحمد (ص) بعد خطاب الذين آمنوا في الآية الثانية والثلاثين ٣٥ « وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم » والأنفال في خطاب المؤمنين بخمس الغنائم « ان كنتم آمنتم بالله وما انزل على عبدنا » وغير ذلك . مضافا إلى ان الظاهر في خطاب القرآن كونه خطابا للمؤمنين وحمله على غيرهم يحتاج إلى قرينة وهي مفقوده فضلا عن كون السياق في الآيات المتقدمة لخطاب المؤمنين « الوجه الثاني » ان يكون الخطاب للمؤمنين والمراد بالخبيث هم المنافقون كما حكاه في التبيان والمجمع وقال به في الكشاف وبعض

لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ

كتب التفسير « وعليه » فإن اريد من المنافق هو من يظهر الإسلام ويبطن الكفر من حينه لم يوافق ذلك اصطلاح القرآن الكريم فإنه يجعل المنافقين قسما مقابلا للمؤمنين لا قسما منهم كما في قوله تعالى في هذه السورة ١٦٦ « وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا » وسورة العنكبوت ١٠ « وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين » والأحزاب ٧٢ « ليعذب الله المنافقين والمنافقات ويتوب على المؤمنين » والحديد ١٣ « يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا » . « الثالث » وهو الأظهر الأقرب ان يراد بالخبيث هو من تشرف حينئذ بالايمان ثم يتمرد بكبائر المعاصي والعظائم لأنه كان سلس القياد للهوى والشيطان فيسرع إلى موبقات الآثام والارتداد والانقلاب على الاعقاب والبغي والفساد في الأرض والمروق من الدين فينشأ خبثه عن الامتحان فيكون معنى الآية . ما كان الله وليس من شأنه الكريم وحكمته ولطفه (ليذر المؤمنين) مطلقا وهم المتشرفون بصفة الإيمان (على ما أنتم) ايها الموجودون حين الخطاب من المؤمنين (عليه) من اشتباه الحال في الظاهر (حتى) تصدر أوامره ونواهيه بلطفه وحكمته بالشريعة وأساسياتها في سعادة البشر واكمال الدين وإتمام النعمة والنظام الصالح ويجري مقاديره بحسب الحكمة فيما يكون عاقبته الابتلاء والامتحان فتسرع النفوس الأمارة التي لم تروض الى اختيارها خبث التمرد والجماح في الغي . ومن آثار ذلك ان (يميز الخبيث) باسراعه في اختياره لما أشرنا اليه من موبقات الآثام : يميز بفتح الياء وكسر الميم وسكون الياء مضارع ماز بمعنى فرق وبين (من الطيب) الدائب على طاعة الله واتباع الحق ومخالفة الهوى . ويؤيد هذا الوجه ما في تفسير البرهان عن العياشي عن عجلان بن صالح عن الصادق(ع) (وما كان الله) ولا يليق بحكمته ولطفه وجلال شأنه (ليطلعكم على الغيب) في شؤون الشريعة وما اشرنا اليه من أساسياتها وموارد الامتحان لأن ذلك مقام كبير لستم أهلا له بل يخل ذلك بجامعتكم وشؤون الإسلام وان الاعلام بهذا الغيب إنما يليق بحسب الحكمة بمقام الرسول والله أعلم حيث يجعل رسالته ممن هو أهل بكماله الاختياري لها (ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) بحسب اهلية الرسول واقتضاء المصلحة وحكمته جلت آلاؤه

فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ * (١٧٧) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ

لا بالجبر على اجتباء من لم يكن أهلا ولا تقتضي الحكمة اجتباءه . قال في التبيان و« من » هنا لتبيين الصفة لا للتبعيض لأن الأنبياء كلهم مجتبون انتهى يريد بذلك انها لتبيين جهة الاجتباء بتبيين جنس المجتبى كما في قوله تعالى « ما يفتح الله من رحمة . ما ننسخ من آية » وكما في قولك عندي عشرون من الدراهم اذا قصدت بالدراهم جنسها المعروض للجمع والعدد دون ما إذا قصدت بها دراهم معينة هي اكثر من عشرين كما أوضحه الشيخ الرضي في شرح الكافية. ولم أجد عاجلا من صرّح بالتبيين هنا في غير التبيان وإن لاح من كلام بعضهم . وان كانت « من » للتبعيض يكون الاجتباء إنما هو بما يفضل به بعض الرسل على بعض لا باصل الرسالة ويكون المعنى والله يجتبي من بين رسله من يشاء منهم ويفضله بمقام ممتاز من علم الغيب والكرامة ولكن هذا المعنى لا يناسب السياق ولا التفريع بقوله تعالى (فآمنوا بالله ورسله) فيما جاؤا به عند الله لأن الله اجتباهم لذلك (وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم ١٧٧ ولا يحسبن الذين يبخلون فيما أوجبه الله من الانفاق (بما آتاهم الله من فضله) وفي ذلك احتجاج على الباخلين فيما فرضه الله بأن ما يبخلون به إنما هو من عطاء الله والفاضل الزائد على حاجتهم الفعلية (هو خيراً لهم) « خيراً » مفعول ثان ليحسبن والمفعول هو البخل المدلول عليه بقوله تعالى « يبخلون » أو الذي بخلوا به مما آتاهم الله وعلى كل تقدير يجلوه لمقام مفعوليته وتقديره ضمير الفصل « هو » فلا يقولوا انا حفظنا أموالنا لخيرنا ومنافعنا (بل هو شر لهم) لما في ذلك من خسة المعصية ورذيلة الشح وسوء الظن بالله ووبال العقاب وحرمان الثواب وخسران فضيلة الطاعة وحسن السماحة والرحمة والاعانة في المجتمع . وفسر ذلك بمنع الزكاة كما رواه في تفسير البرهان عن الكافي في صحيحة محمد بن مسلم وعن الكافي ومجالس الشيخ في معتبرة ايوب ابن راشد عن الصادق (ع) . وعن تفسير العياشي عن محمد بن مسلم عن الباقر (ع) وعن ابن سنان عن الصادق عن آبائه عن رسول الله عليهم السلام وعن يوسف الطاهري عن الصادق (ع) . ورواه في الدر المنثور مما أخرجه البخاري عن أبي هريرة عن رسول الله (ص) . واخرجه احمد وعبد بن حميد والترمذي ، وصححه . وابن ماجه والنسائي وابن جرير وابن خزيمة وابن

سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * (١٧٨) لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ

المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن ابن مسعود عن النبي(ص) وما أخرجه جماعة وصححه الحاكم ايضا من الحديث الآخر عن ابن مسعود عن النبي(ص) . وروى في الدر المنثور ايضا روايات أخر تفسر الآية بغير هذا المعنى ولا اعتداد بها خصوصا ما كانت في البخل على ذي الرحم فإنها لا تناسب التشديد والانذار بقولة تعالى (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) وفيما أشرنا اليه من أحاديث الفريقين ما معناه ان الله يجعل عقاب ذلك ثعبانا في عنقه مطوقا به ينهش به . وما هو من نحو هذا المعنى . فلماذا يبخلون ولماذا يدخرون وهم عن قريب فانون وتاركون لما بخلوا به (ولله ميراث السماوات والأرض والله بما تعملون خبير ١٧٨ لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء) في الدر المنثور عن ابن عباس من طريق عكرمة ان القائل لذلك « فنحاص » قال ذلك لأبي بكر لما دخل بيت المدراس على اليهود . وعن ابن عباس ايضا من طريق سعيد بن جبير ان اليهود أتوا رسول الله (ص) لما أنزل الله « من يقرض الله قرضا حسنا » فقالوا أفقير ربنا يسأل عباده القرض . فأنزل الله الآية . وبين الروايتين تعارض وفيها جهات أخر . وفي تفسير القمي قال « رأوا اولياء الله فقراء فقالوا لو كان الله غنيا لأغنى اولياءه » ولا تعرف نسبة هذا النقل الى إمام والله العالم نعم يعرف مما بعد الآية ان القائلين من اليهود (سنكتب ما قالوا) أي سنحفظ في الثبوت ما قالوا ليلاقوا نكال جزائه . وهذا أبلغ في الوعيد من أن يقال « كتبنا ما قالوا » لأن الكتابة في الماضي ربما تحتمل العفو والتفكير (و) نكتب (قتلهم الأنبياء بغير حق) نسبة قتل الأنبياء اليهم اما باعتبار القبيلة أي ونحفظ على قومهم الذين هم مثلهم في التمرد قتلهم الأنبياء والقوم ابناء القوم . او باعتبار رضا هؤلاء بقتل اسلافهم للأنبياء فيحفظ عليهم إثمهم ونسب اليهم القتل باعتبار القبيلة والأسلاف . في الكافي بسند عن مروك عن رجل عن الصادق(ع) ان بين القائلين ان الله عهد الينا « وهم الذين قالوا إن الله فقير » وبين القائلين للأنبياء خمسمائة عام « وأظن ان هذا التقدير على سبيل المثال في الكثرة أو ان الأصل الف وخمسمائة عام »

وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ * (١٧٩) ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ * (١٨٠) الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ

فالزمهم الله القتل برضاهم بما فعلوا . ونحوه روايات العياشي عن سماعة وعن معمر وعن محمد بن هاشم عمن حدثه عن الصادق(ع) . وفي الدر المنثور ذكر من اخرج عن الشعبي مثل ذلك وعن العلا بن بدر انه سأل عن نسبة قتل الانبياء اليهم وهم لم يدركوا ذلك فقال بموالاتهم من قتل أنبياء الله (ونقول) لهؤلاء (ذوقوا عذاب الحريق ١٧٩ ذلك بما) أي بسبب ما (قدمت ايديكم وان الله) بفتح الهمزة وتشديد النون (ليس بظلام للعبيد) أي وبأن الله لا يظلم عباده بعد ان اقتضت حكمته ورحمته ان يخلقهم مختارين في افعالهم بأن لا يجعل لهم رادعا ونوعيا عن الشر من النهي والوعيد والجزاء . او بأن الله لا يظلم من له الحق بل لا بد من ان يجعل له ما يتشفى به من عقاب الجاني او يعوضه عنه لكن الجاني هنا ليس أهلا للتعويض عنه . اوبأن الله ليس بظلام يساوي بين الانبياء وقتلتهم في السلامة يوم القيامة والنجاة (١٨٠ الذين) بدل من « الذين » في الآية المتقدمة (قالوا) كذبا وافتراء (ان الله عهد الينا ان لا نؤمن لرسول) الظاهر ان مرادهم من يدعي الرسالة لا من يعترفون برسالته ويعلقون الإيمان به على ما قالوه . بل قالوا « برسول » مداهنة ومغالطة في الكلام (حتى يأتينا بقربان تأكله النار) ليدل ذلك باعجازه على صدقه في دعواه الرسالة . في تفسير القمي كان عند بني اسرائيل طست كانوا يقربون القربان فيضعونه في الطست فيجيئ نار فتقع فيه فتحرقه . وفي الدر المنثور عن ابن عباس في حديث فإذا تقبل منه انزلت عليه نار من السماء فأكلته . وهذا وان كان قاصرا عن الحجية لكن ظاهر الآية يقارب الصراحة بأن اكل النار للقربان إنما هو من نحو المعجز الخارق للعادة لا من احراق البشر له بالنار . وفي صحيح الكافي بسنده عن الباقر (ع) في قصة ابني آدم المذكورة في الآية الثلاثين من سورة المائدة كما عن العياشي في تفسيره قوله عليه السلام كان القربان تأكله النار . وفي الدر المنثور اخرج ابن جرير عن ابن مسعود عن ناس من الصحابة في حديث فنزلت النار فأكلت قربان هابيل . واخرج ابن جرير ايضا عن ابن عباس في حديث فجاءت النار فنزلت فأكلت الشاة : أقول وهذا غير مستحيل عقلا وان كان

خارقا للمادة (١) (١٨١ قل) يا رسول الله في بيان كذبهم في كلامهم من انهم يؤمنون بالرسول

(١) لكن صاحب المنار عدل عما ذكرناه من ظهور الآية المقارب للصراحة وفسرها بما حكاه عن استاذه من قوله يجوز وهو الأظهر ان يكون المعنى ان يفرض « أي في شريعته » علينا تقريب قربان يحرق فقد كان في احكام الشريعة عندهم أن يحرقوا بعض القربان بالنار انتهى والتلميذ قبل ذلك في استشهاده ذكر التسعة اعداد الأول من الفصل الأول من سفر اللاويين إلى ان قال فمن هنا تعلم انهم كانوا يوقدون النار بأيديهم ويحرقون بها القرابين ولكن اليهود كانوا يلقون إلى المسلمين اخبارا من خرافاتهم او مخترعاتهم ليودعوها « يعني المسلمين » في كتبهم ويزجروها بدينهم ولذا تجد في كتب قومنا من الاسرائيليات ما لا أصل له في العهد القديم ولا يزال يوجد فينا من يقدس كل ما روي عن اوائلنا في التفسير وغيره ويرفعه عن النقد والتمحيص ولا يتم تمحيص ذلك إلا لمن اطلع على كتب بني اسرائيل انتهى فلينظر من الجزء الرابع من تفسيره في الصفحة ال ٢٦٧ و ٢٦٨

وليت شعري إذا كانت التوراة الرائجة تعلم منها الأمور ويستشهد بها كما استشهد وأن تمام التمحيص يكون لمن اطلع على كتب بني اسرائيل فلماذا لم يمحص آراء التجدد ويرفعها إلى النقد بما صرحت به هذه التوراة وكتب العهد القديم من نزول النار من السماء او خروجها من الصخرة بالنحو المعجز الخارق للعادة فتحرق القربان وتأكله كما تذكر انه جرى هذا الخارق للعادة لموسى وهارون كما في العدد الرابع والعشرين من الفصل التاسع من سفر اللاويين . ولجدعون كما في العدد الحادي والعشرين من الفصل السادس من سفر القضاة . ولداود كما في العدد السادس والعشرين من الفصل الحادي والعشرين من سفر الأيام الاول . ولسليمان كما في العدد الأول من الفصل السابع من سفر الأيام الثاني . ولايليا كما في العدد الثامن والثلاثين من الفصل الثامن عشر من سفر الملوك الأول .

ومما يلزم الالتفات اليه هو ان الآية والتي بعدها لا يخفى من سوقهما كما يقتضيه حال هؤلاء الكاذبين المكذبين المتمردين القائلين « ان عهد الله الينا ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار » انهم يريدون بقولهم هذا ان يتعللوا ويستريحوا من دعوة الرسول بأن يعلقوا إيمانهم على أمر يعتقدون بعنادهم انه بعيد إذن فكيف يعلقونه على تشريع احراق القرابين . فإنهم ان كانوا يعرفون انه رسول الله ويعاندون دعوته تعصبا لم يأمنوا ان يأتي في شريعته باحراق القرابين وان كانوا يكذبونه لم يأمنوا ان يشرع بزعمهم كذبا ومصانعة لهم . وايضا ان الذي جاءهم وفرض عليهم تقريب قربان يحرق إنما هو موسى على ما تقول التوراة الرائجة ولم يقتل . والقرآن يقول ان الذين جاؤوا بقربان تأكله النار وقتلوهم هم رسل متعددون فلا مساغ لصرف الآية عن ظهورها

(١٨١) قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * (١٨٢) فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ * (١٨٣) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ * (١٨٤) لَتُبْلَوُنَّ

الذي يأتيهم بما قالوه ودع كذبهم بأن الله عهد اليهم ما زعموه (قد جاءكم رسل من قبلي با) لمعجزات (البينات) الدالة على صدقهم في ادعائهم الرسالة ودعوتهم الصالحة (وبالذي قلتم) من القربان الذي تأكله النار (فلم قتلتموهم) أي قتلتم اسلافكم والقوم ابناء القوم (ان كنتم صادقين) في زعمكم ان الله عهد اليكم وانكم تجرون على عهد الله وتتبعون البينات وعهد الله في الايمان . هذا ولم اعرف من الحديث من هم الرسل الذين جاؤوا بقربان تأكله النار وقتلهم بنو اسرائيل (١٨٢ فإن كذبوك) يا رسول الله مع ما جئت به من الحجج الباهرة والكتاب المنير فهذا دأب الضالين (فقد كذب رسل من قبلك جاؤوا بالبينات) في حججهم والمعجزات (والزبر) قيل انها الكتب المشتملة على الحكم والمواعظ (والكتاب المنير) بشرائعه ومعارفه وحكمه (١٨٣ كل نفس ذائقة الموت) وفي ذلك تسلية لرسول الله والمؤمنين فإن دنيا هؤلاء الضالين فانية وليس عليكم من اوزارهم من شيء (وإنما توفون أجوركم يوم القيامة) الخطاب للمؤمنين كما يتضح من الآية الآتية وفيه بشرى للمؤمنين بأن التوفية بالجزاء التام انما هي في الأجر واما جزاء ما يتفق من السيئات فهو معرض للمسامحة والتكفير والغفران لمن يشاء الله (فمن زحزح عن النار) أي نحي عنها (وادخل الجنة) وليس الادخال في الجنة قيدا زائدا إذ لا واسطة بين الجنة والنار بل المراد انه من يزحزح عن النار يكون من اهل الجنة (فقد فاز وما الحياة الدنيا) التي هي قبل الموت (إلا متاع الغرور) أي متاع زائل يغتر به المغترون (١٨٤ لتبلون) بلاه وابتلاه بمعنى واحد ويجيء في الخير والشر كما في سور الاعراف ١٦٧ والأنبياء ٣٤ والنمل ٣٩ والفجر ١٤ و١٦ ومعناه ان يورد عليهم في هذه الحياة الدنيا تكاليف

الواضح . وقد الجأني الحال إلى ذكر هذا وامثاله فإني رأيت بعض الناس يمشون في خوارق العادة وراء النزعة العصرية فتنبث من كلماتهم بذور سيئة في منابت السوء

فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * (١٨٥) وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ * (١٨٦) لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا

على مقتضى المصالح وتعريضهم للسعادة ومقادير على حسب ما اقتضت الحكمة ان يقدر في هذه الدنيا الفانية من الأسباب . ويكون من غايات ذلك ان تظهر في الوجود اعمالهم في الطاعة والكمال أو في المعصية والشقاء (في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا) أي مشركي العرب (أذى كثيرا) من شر كلامهم كما يؤثر من كلام بعض اليهود وبعض المشركين وتحريضهم على حرب المسلمين (وان تصبروا وتتقوا) وتمسكتم بالطاعة لله ولم تجزعوا جزعا يبلغ الأثم والأظهر ان يراد مطلق التقوى اللازمة كمطلق الصبر فيما يرد عليهم من التكاليف والمقادير وما يسمعونه من الأذى (فإن ذلك من عزم الأمور) يقال عزم الأمر بنصب الأمر على المفعولية كقوله تعالى في سورة البقرة ٢٢٧ عزموا الطلاق و ٢٣٥ ولا تعزموا عقد النكاح ، والعزم يرجع إلى عقد الضمير والجزم في العمل والظاهر انه في الآية من اضافة المصدر إلى مفعوله وان المراد ان الصبر والتقوى يحتاجان إلى حزم وبصيرة وقوة في الإرادة ورسوخ في الفضيلة وثبات في الكمال تؤدي إلى العزم والجزم والعمل (١٨٥ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) ومن ذلك بشراه برسول الله وقرآنه كما اشرنا اليه مرارا (فنبذوه) القوه وطرحوه (وراء ظهورهم) كناية عن انهم اعرضوا عنه وتركوه ولم يعملوا به ولم يبينوه وعملوا به ما هو أشد من الكتمان (واشتروا به) واستبدلوا به (ثمنا قليلا) من حطام الدنيا أو نزعات الأهواء (فبئس ما يشترون) اياه ذلك الثمن الخسيس (١٨٦ لا تحسبن) الضلال المضلين (الذين يفرحون ما اتوا) به (ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا) وهذه الصفة منهم تدل على انهم كانوا يفرحون بما أتوا به مما هو رياء أو تشريع فيزيدون على فساده رذيلة العجب . وروى في الدر المنثور في اسباب النزول ومعنى الآية ما الله أعلم به . والمفعول الثاني ل « تحسبن » محذوف للتهويل ولأن يقدره

فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ العَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * (١٨٧) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * (١٨٨) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ (١٨٩) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ

السامع بما يليق بهؤلاء من ذمهم . وهذا باب من ابواب البلاغة ذكرنا شواهده صفحة ٨١ و ٨٢ ثم فرع على ما اشير اليه من خستهم في الدنيا بعاقبتهم السيئة في الآخرة بقوله تعالى (فلاتحسبنهم بمفازة من العذاب) فسر المفازة في التبيان ومجمع البيان والكشاف بالمنجاة وذكر اللغويون في معاني الفوز النجاة (ولهم عذاب اليم) تأكيد في الأخبار بعذابهم والوعيد لهم (١٨٧ ولله ملك السماوات والأرض) أي وما فيها من الموجودات وذلك يعم جميع العالم (والله على كل شيء قدير ١٨٨ إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب) الذين يلتفتون بقلوبهم وعقولهم إلى ما في ذلك من وجوه الحكم الدالة على انها من صنع الإله الحكيم الواحد القادر وقد تقدم شيء من الإشارة إلى ذلك في الصفحة ١٤٣ و ١٤٤ وفي تفسير الآية السادسة والعشرين من هذه السورة (١٨٩ الذين) صفة لأولي الألباب (يذكرون الله قياما) جمع قائم وهو حال (وقعودا) جمع قاعد وهو حال ايضا (و) مضطجعين (على جنوبهم) إلى الدائبين في ذكر الله في جميع احوالهم فمن امالي المفيد وأمالي الشيخ عنه بسند جيد عن الباقر (ع) لا يزال العبد في صلاة ما كان في ذكر الله قائما او جالسا او مضطجعا ان الله يقول وتلا الآية . وفي الكافي عن الباقر ايضا قال في الآية الصحيح يصلي قائما وقعودا «أي بالقيام والقعود كالقعود بين السجدتين وللتشهد والتسليم» والمريض يصلي جالسا وعلى جنوبهم المريض الذي يكون اضعف من المريض الذي يصلي جالسا انتهى والمراد من ذلك بيان بعض المصاديق لكن في الدر المنثور مما اخرجه الفريابي وابن ابي حاتم والطبراني عن ابن مسعود في الآية إنما هذا في الصلاة إذا لم يستطع قائما فقاعدا وإن لم يستطع قاعدا فعلى جنبيه (ويتفكرون في خلق السماوات والأرض) وما في ذلك من عجائب الصنع وآثار القدرة والحكم الباهرة معتبرين بذلك وموقنين انه من صنع الإله القادر الحكيم شاهدين ومعترفين لله

رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * (١٩٠) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * (١٩١) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ * (١٩٢) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا

وعابدين له بشهاداتهم واعترافهم قائلين (ربنا ما خلقت هذا) المخلوق (باطلا) وانت العليم الحكيم (سبحانك) تقديسا وتنزيها لك (فقنا عذاب النار) ولعل ذلك من أجل ما يشاهدونه من الحكمة وآثار العظمة وعظيم النعمة على الانسان فيأخذهم الخوف من التقصير في طاعة الإله وعبادته وشكر نعمه فيسألون منه التوفيق الذي يقيهم عذاب النار معترفين بأن في دخول النار خزيا وفضيحة تكشف عن خبث وسوء اعمال (١٩٠ ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته) في الكشاف أي أبلغت في اخزائه ونحوه في كلامهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك . ومن سبق فلانا فقد سبق . وهو حسن . وعليه يخرج ما اخرجه ابن جرير والحاكم عن جابر قوله « وما اخزاه الله حين احرقه بالنار وإن دون ذلك خزيا » بأن يكون المراد ما احدث اخزاء حين احرقه بالنار بل الاخزاء بدخولها أشد أقسام الاخزاء وافظعها (وما للظالمين) اي هؤلاء الذين يدخلون ويخزون واشير اليهم بهذه الصفة بيانا لأنهم ظلموا انفسهم إذ اوقعوها بكفرهم وعصيانهم في استحقاق النار (من انصار) ومن ذا الذي ينصرهم على الله (١٩١ ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان) أي سمعنا ما نادى به وهو معنى قوله (أن آمنوا بربكم) خالقكم ومربيكم ومدبر اموركم (فآمنا) في مجمع البيان عن ابن عباس وابن مسعود المنادي هو رسول الله (ص) وبذلك فسره القمي . وفي الدر المنثور عن محمد بن كعب القرظي « هو القرآن ليس كل الناس يسمع النبي «ص» وكأنه رأي منه فهو مردود عليه بأن المسموع ما نادى به وهو ما يعم حكاية دعوته كقوله في سورة التوبة ٦ « حتى يسمع كلام الله » ولو ابقى المنادي على اطلاقه لينطبق على جميع الرسل وتشمل الآيات كل ما تنطبق عليه من مؤمني الأمم لكان انسب بسياق الآيات وربما يشهد له قوله تعالى في الآية الآتية « على رسلك » (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا و كفر عنا سيئاتنا و توفنا) اي ولنكن عند أخذك لنا (مع الأبرار) وفي زمرتهم (١٩٢ ربنا وآتنا ما وعدتنا) اي وفقنا للايمان والتقوى والعمل الصالح لنكون أهلا لما وعدتنا

عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ * (١٩٣) فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ * (١٩٤) وَلَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * (١٩٥) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ *

به ان آمنا واتقينا فإن وعد الله كما في القرآن مشروط بالموافاة على الإيمان والتقوى (على رسلك) جيء بكلمة «على» للاشارة إلى ان الوعد هو وحي منزل من الله على رسله في بشرى المؤمنين المتقين أي وآتنا ما انزلته على رسلك من وعدك لنا في جملة من آمن واتقى وعمل صالحا (ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد) قالوا ذلك تمجيداً لله واعترافا بقدسه (١٩٣ فاستجاب لهم ربهم أني) بفتح الهمزة أي بقوله اني محذوف القول لظهور الكلام وناب معنى المقول في دخول الباء عليه (لا اضيع عمل عامل) أي اجيب دعاءكم واعطيكم ما وعدتكم على شرطه فإن تقواكم وعملكم للصالحات يؤهلكم للثواب وغفران الذنوب وتكفير السيئات (منكم من ذكر او انثى) «من» لبيان جنس العامل (بعضكم من بعض) أي من جنس بعض في صفة الايمان والطاعة والعمل فكيف يضيع عمل بعضكم فليعمل كل منكم للجزاء. وفي هذا حث على العمل وزاده بيانا بقوله تعالى (فالذين هاجروا) من ديارهم لما نالهم من الأذى في سبيل الإيمان والنصرة لدعوة الحق (واخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا) جرى التنصيص على ذلك لأنه من افضل الأعمال وللدلالة على انه كله بعين الله (لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله) صرح باسم الثواب والجزاء على العمل لأنه اكمل في اللذة وصرح باسم الجلالة تنويها بشرف الثواب وكرامته وعظمه (والله عنده حسن الثواب) برحمته الواسعة وقدرته التامة (١٩٤ ولا يغرنك) خطاب للرسول والمعني به غيره او لغيره (تقلب الذين كفروا في البلاد) ممتعين بالصحة والامهال فإنه (١٩٥ متاع قليل) في مدته القصيرة ايام حياتهم (ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) الممهد لهم بكفرهم وسوء اعمالهم (١٩٦ لكن) استدراك من سوء حال الكافرين ووعيدهم بذكر سعادة

(١٩٦) لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ نُزُلاً مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِلأَبْرَارِ * (١٩٧) وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ للهِ لاَ يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسَابِ * (١٩٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ *

المتقين وبشراهم (الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) حال كونها (نزلا) والنزل بضمتين ما اعد للضيف واكرامه من قرىً ومنزل وفي ذلك الكرامة العظيمة والبهجة الكبيرة إذ كانت نزلا لهم لكرامتهم (من عند الله) ويا لها من حظوة (وما عند الله خير للأبرار ١٩٧ وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم) بنزوله على رسول الله ولازمه الإيمان برسوله وقيل اليكم باعتبار ابتداء الدعوة بهم وإلا فهو منزل لكل البشر في دعوتهم إلى السعادة ودين الحق وشريعته (وما انزل اليهم) بنزوله على انبيائهم يؤمنون حال كونهم (خاشعين لله) مر ذكر الخشوع في صفحة ٩٠ (لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا اولئك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب) فلا تأخير في توفيتهم اجورهم يوم الجزاء (١٩٨ يا ايها الذين آمنوا اصبروا) على ما يحمد الصبر عليه وفيما يحمد فيه وان فسر فيما جمعه تفسير البرهان والدر المنثور من الأحاديث ببعض المصاديق للأمر بالصبر عليه أو فيه (وصابروا) من باب المفاعلة ومقابلة الصبر بالصبر ويفهم من المقام زيادة الصبر في مقام المقابلة (ورابطوا) الذي يتحصل من الأحاديث التي أشرنا اليها في تفسيري البرهان والدر المنثور ان المرابطة هنا ليس على المعنى المترائى من المفاعلة بل هي مثل عاين وسافر وضاعف فتكون هنا بمعنى اثبتوا وواظبوا ولازموا (واتقوا الله لعلكم تفلحون) أي لغاية ان تفلحوا. وقيل «لعلكم» لأن الفلاح غير لازم لمجرد ان تحصل هذه الأمور بل شرطه الاستمرار عليها مع الإيمان الصحيح إلى الموت ... وفقنا الله وجميع المؤمنين لذلك وثبتنا عليه انه ارحم الراحمين وخير المسؤولين

تم الجزء الأول من التفسير «آلاء الرحمن» والحمد لله والشكر كما هو اهله

ويتلوه الجزء الثاني إنشاء الله أوله سورة النساء

﴿ فهرست مصنفات المفسر ﴾

المطبوع منها : (١) في التفسير هذا الجزء الأول (وفي الفقه) (٢) تعليقة على مباحث البيع من مكاسب المرحوم آية الله الأنصاري (٣) بعض العقود المفصلة في حل المسائل المشكلة . ومنها عقد في العلم الاجمالي وحاله مع الأصول (وفي الدين وقمع الاهواء) (٤) كتاب الهدى إلى دين المصطفى جزءآن (٥) انوار الهدى (٦) نصائح الهدى (٧) الرحلة المدرسية والمدرسة السيارة ثلاثة اجزاء ، وترجمة بعضها بالفارسية ثلاثة اجزاء ايضا (٨) أعاجيب الأكاذيب ، وترجمته بالفارسية (٩) رسالة التوحيد والتثليث (١٠) أجوبة المسائل البغدادية (١١) الرسالة الأولى في نقد الفتوى بهدم القبور الشريفة في الحرمين (١٢) الثانية ايضا في هذا الموضوع (١٣) البلاغ المبين في الإلهية (١٤) المصابيح في بعض من أبدع الدين في القرن الثالث عشر (١٥) مختصر بالانكليزية في ان وضوء الإمامية وصلاتهم وصومهم هي بحسب أدلة الإسلام تكون على الوجه الأحوط والاقرب إلى اليقين بالبراءة من سائر اقوال المسلمين

﴿ واما كتبه التي لم تطبع إلى الآن ﴾ فهي في الفقه (١٦) الأصل العربي لهذا المترجم بالانكليزية (١٧) تعليقة بحثية علمية على الجزء الأول من العروة الوثقى (١٨) في التقييد لم يتم (١٩) في صلاة الجمعة لمن سافر بعد الزوال (٢٠) في الخيارات لم يتم (٢١) رسالة فتوائية في مسائل الرضاع على مذهب الإمامية والمذاهب الاربعة لأهل السنة (٢٢) في المتمم كرا (٢٣) في الغسالة (٢٤) في حرمة مس القرآن على المحدث (٢٥) في ذكر ما يدل على مذهب الإمامية في الأحكام الشرعية زيادة على أدلتهم القيمة وذلك مما جاء في احاديث اهل السنة . كتب منه مباحث الطهارة وكثير من مباحث الصلاة ثم انشغل عنه بما هو أهم في نظره (٢٦) في القبلة وفي مواقع البلدان في المسكونة بالنسبة إلى مكة المعظمة بحسب الاختلاف في الطول والعرض . وأوضح اثناء ذلك بعض الخطأ في الاعتماد على التقويم القديم . وعاقه فقدان بعض الآلات عن إتمام الكتاب ببيان الانحراف لكل من البلدان عن مكة ومقداره (٢٧) في مواقيت الإحرام ومحاذاتها من الطرق إلى مكة براً وبحرا مع تشكيل الطرق المذكورة وموازين مسافتها وتعيين مواضع المحاذاة للميقات (٢٨) في منجزات المريض (٢٩) في اقراره (٣٠) في الرضاع (٣١) تعليق على كتاب الشفعة من جواهر الكلام (٣٢) في العول والتعصيب كتبه في شبابه (٣٣) في ذبائح اهل الكتاب (٣٤) في حرمة حلق اللحية (٣٥) في الزام المتدين بما عليه في احكام دينه بتحرير وجمع وتفريع لم يسبق اليه

﴿ في أصول الفقه ﴾ (٣٦) رسالة في الأوامر ﴿ كتبه المتنوعة في غير الفقه ﴾ (٣٧) رسالة في شأن التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري (ع) (٣٨) داعي الإسلام وداعي النصارى

(٣٩) في الرد على جرجيس سايل · وهاشم العربي (٤٠) في الرد على كتاب تعليم العلماء (٤١) الشهاب في الرد على كتاب حياة المسيح لبعض القاديانيين (٤٣) في الرد على كتاب ينابيع الإسلام لبعض النصارى

وله رسائل كثيرة متنوعة يبلغ مجموعها مجلدا ضخما · وهي في اجوبة المسائل الواردة اليه من البلدان فيما يعود إلى اصول الدين في الالاهيات · والنبوة والمعراج · والإمامة والمهدي (ع) وما يتعلق بذلك · وفي الرد لشبهات بعض النصارى

وقد كان ملتزما بأن لا يكتب اسمه في مطبوعات كتبه لبعض الأمور · وحذرا من ان يختلسه الرياء ونخوة التبجح · ولكن بعض الأمور الجأته بعد ذلك إلى كتابة اسمه

فهرست الجزء الأول من كتاب آلاء الرحمن في تفسير القرآن

جدول الخطأ والصواب للجزء الاول من

تفسير «آلاء الرحمن»

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢	٨	المشكوك	الشكوك
٣	١٩	جلالة الله	جلال الله
٤	١٧	مراغم	مزاعم
٤	٢٣	سطيرة	سيطرة
٥	٧	بجده	مجده
٦	٦	في	كما في
٧	٥	الدعوى	الدعوة
٧	١٣	٣٢	٢٢
٨	١٦	بجرأته	بجرانه
٨	١٩	يخفى على	يُخفي هؤلاء
١٢	١٨	البشري	البشرى
١٣	١٩	حضارة	مضارة الكاتب
١٤	١٥	جدودها	حدودها
١٧	٥	وتلقوه	وتلقونه
١٧	٢٦	بن ابي	وابيّ
١٨	٤	رتابة	رقابة
١٩	٤	فتقل	فثقل
١٩	٧	القرآن	القرآن في ايامه
١٩	٧	ـ	يأمره . وجاء فيها انه هو الذي جمع القرآن
١٩	٢٠	فماترى	فماذاترى
٢٠	٢٣	بل واديان	بل اودية
٢١	١٧	ذر	زر
٢٣	٣	يستقرئه	تستقرئه

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٣	٤	المحدثون	المحدثين
٢٣	٧	نعم	فعمر
٢٣	١٠	بضيرة	بصيرة
٢٥	٣	الدعوة	الدعوى
٢٦	١١	في جميع	في جمع
٢٧	١٥	النعمان ان الأئمة	النعماني ان الآية
٢٧	١٦	الفضل	الفضيل
٢٧	٢٥	منذر العباد	منذرٌ لعبادِ
٢٨	٢٠	ويشهد الك	ويشهد لذالك
٢٩	١٧	وابو الدرداء	وابي الدرداء
٢٩	١٨	على ما في	على ما يقال في
٣١	٧	بكر	بكرة
٣١	٢٢	من قرء مالك	من قرء ملك
٣٢	١٨	بالقرآن	بالقرائن
٣٣	١٢	فيه لفظه	في لفظه
٣٣	١٣	من معنى التوفي	في معنى التوفي
٣٣	١٩	ان معنى	إلى ان معنى
٣٥	٢٣	وورود	في وزود
٣٦	٢١	ارذن	ارزن
٣٧	٢١	كونه	لونه
٣٧	٢١	إلى ذالك	في ذالك
٣٧	٢٣	الحي	الحسي
٣٧	٢٣	قد	قال
٣٨	١٠	ان	انه
٣٨	١٨	ومن	من
٣٨	٢١	٣٥٠	٣٥٤
٤١	٨	معنى	مضى
٤٣	٩	الرسالة	الرسائل
٤٧	٢٤	عن اصول	من اصول
٤٨	٨	وان المجموع	فإن المجموع
٤٨	٢٢	ليفيه عضليه	ليفية والياف عضلية
٤٨	٢٢	التغمم	التفمم
٤٨	٢٤	تغما	تفمما
٤٩	٩	عن	من
٤٩	١٩	في تفسير	في التفسير
٥٣	١١	على فهم	عن فهم
٦١	٥	مستوثقين	مستوسقين
٦١	٢٢	١٧٠	١٦٣
٦١	٢٣	١٧١	١٦٤
٦١	٢٤	١٧٢	١٦٥
٦٤	٢٠	والمؤمنون	المؤمنون
٦٥	٣	التعدد	التعداد
٦٨	٢٤	الفعل	العقل
٦٩	٢	حكمه قبحه	حكمةُ قبحه
٧١	٢٤	والتحويل	والتخويل
٧٢	٢٤	للصف الله	بلطف الله
٧٥	٧	وان المراد	او ان المراد
٧٩	١٥	في الاصلاح	في الاصطلاح
٨١	١٣	على المقام	عليه المقام
٨١	٢١	وقد خافت بنو	وقد جاءت بنو
٨١	٢١	اسد وجاءوا	اسد وخافوا
٨٢	٦	اعقب	اعضب
٨٤	٢٤	بالعاملين	بالعاقلين
٨٦	٢٢	اليها	اليهما

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٨٩	٩	ومصدقا	اومصدقا
٨٩	١٠	محرف	فإن ما معهم من
٨٩	١٠		التوراة محرف
٨٩	١٢	(تكونوا)	و (تكونوا)
٨٩	١٦	من الكافرين	من الكاذبين
٩٥	١٦	حط الجمل	حط الحمل
٩٧	٩	ورعد	ودعد
٩٧	٢٣	للذين	الذين
١٠٠	٨	وملخصا	وملخص
١٠١	١٤	بالمجازات	بالمجاراة
١٠٣	١١	الذين	الذي
١٠٣	١٤	الاختلافات	الاختلاقات
١٠٤	١٩	روى	وروى
١٠٥	١٨	المنافقون	الناقضون
١٠٦	٨	إلى دعوته	
١٠٦	٩	لأنفهم	لا نفهم
١٠٦	١٧	من آمن	من يؤمن
١٠٨	٩	القرآن يكفرون	القرآن الذين يكفرون
١٠٩	٥	برسول او كتاب	برسول الله وكتابه
١٠٩	١٣	ولم يتمنوه	ولن يتمنوه
١٠٩	١٤	وزيادة	زيادة
١٠٩	٢٢	صورتي	سورتي
١١٠	١٤	عذر	غدر
١١٠	١٨	كتاب	كتاب الله
١١٢	٧	أي لليهود	أي الناس
«	«	من الشياطين وهاروت وماروت والمتعلمين منها	من هاروت وماروت

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١١٢	٢٣	معموله	معمولةً
١١٣	٥	يرونه	يريدونه
١١٤	٢٢	ينسى	يُنسي
١١٦	١١	العباد	العناد
١٢٠	١٣	الخالقيه	لخالقيته
١٢٠	٢١	لاجزائه	لأجزائه
١٢٤	٣	فضليتها	فضيلتها
١٢٧	٢٠	والأقحال	والأقحاط
١٢٨	١٠	والنسك	والمنسك
١٢٨	١٣	از يريد	ان يريدا
١٣٢	١٢	الله ورسله	الله رسله
١٣٣		ليكونوا	لتكونوا
١٣٩	١٩	مخرج الجرم	مخرج الجزم
١٤٨	٧	في البغي	والبغي
١٤٩	١٠	من الكاظم	عن الكاظم
١٤٩	١٤	(فلاائم عليه	(فلا اثم عليه)
١٥٠	١٣	(وذوي القربى)	(ذوي القربى)
١٥٢	٤	من ابي	عن ابي
١٥٢	١١	في جامعة	في جامعه
١٥٦	٧	الخطر	الحظر
١٥٦	١٣	ولا يفهم	ولا بفهم
١٥٦	١٥	فقد	وقد
١٦١	٢١	يديم	ان يديم
١٦٣	١٤	قاما	تاما
١٦٥	١١	ثم ان يمود	ثم إلى ان يعود
١٧١	١٢	وامنهم	وآمنهم
١٨١	٥	هناك	هنا

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٨٣	٧	في حجة	في حجه
١٨٣	١٥	واتقوا الله	(واتقوا الله
١٨٤	٢٤	في تفسير	عن تفسير
١٨٧	٢٤	اناو	آثار
١٨٨	٧	الآيتين	الآيتان
١٨٨	١٠	يرجع اليها	يرجعها اليه
١٨٦	١٠	ضلال	ضلالا
١٩١	٨	١٣٦	آل عمران ١٣٦
١٩٤	٢١	٩٢٥	٩٥
١٩٥	١٢	تجريمها	تحريمها
١٩٥	١٥	شريعة	شريعةالحق
٢٠٠	٢	بين فخذيها	وبين فخذيها
٢٠٠	٢	فأتوا	(فأتوا)
٢٠٤	٢١	الزوج	الأزواج
٢٠٦	٧	تفرقه	نفرته
٢٠٦	١٠	الزواج	الازواج
٢٠٨	٨	ضرارة	ضرارا
٢١٠	٧	يحب	يجب
٢١٣	٢١	اجتماعها	اجتماعهما
٢١٨	١٥	في سبيل	(في سبيل
٢٢٢	١٢	البقره	البقر
٢٢٧	١٣	الا يأخذه	لا يأخذه
٢٢٨	١٨	عن ابي موسى	عن ابي
٢٢٨	٢٤	مساه	يكون مساه
٢٢٩	١٦	الأولي	الأولى
٢٣٢	١٠	اوهي	وهي
٢٣٢	٢٠	و(قال)	(قال)
٢٣٣	١٤	اضرب	يضرب
٢٣٤	٩	لا لحسنة	لا لحسنه
٢٣٥	١٢	من أنها	مع انها
٢٣٧	٦	مشرع	شرع
٢٣٧	٢٥	عن خالق	عن خلق
٢٣٩	١٤	اومسمى	اوسمي
٢٤٠	٣	إلى ما بعده	إلى بعده
٢٤١	٦	ابن	ابن
٢٤١	٧	بثاره	عثاره
٢٤٤	٧	الاكما	لاكما
٢٤٦	١٨	واختبارها	واختيارها
٢٥٠	٨	واعلموا بنا	واعملوا
٢٥٣	٢٠	الحقيقة	الحقيقية
٢٥٤	٢٢	الفصل	في الفصل
٢٥٥	١٤	هى امر	هي ام
٢٥٦	١١	لا يكتفي	لا يُكتفى
٢٥٦	١٨	وفي حقيقة	وان حقيقة
٢٥٨	٣	يخبرونكم	يخبروكم
٢٥٨	١٦	اذا اهمل	إذ اهمل
٢٥٨	١٩	الشريفة إلا	الشريفة (إلا
٢٥٩	٥	تفسير	في تفسير
٢٦٠	١١	لا يكون	لا يكونون
٢٦٢	١٧	تكلفت	تكفلت
٢٦٣	٤	تلا	فلا
٢٦٤	١٧	إلى النظر	عن النظر
٢٦٨	٧	المغرى	المعزي
٢٦٨	٢٤	٣٤—٣٩	٢٤—٢٩

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٧٠	١٠	اختبار	اختيار
٢٧٠	١٥	اختبارهم	اختيارهم
٢٧٠	١٦	٣٦٠	٢٦٠
٢٧١	١٤	اكمالطول	اكمال طوله
٢٧٤	١٢	٣٠	٢٠
٢٧٥	٨	لك	لكم
٢٧٥	١٠	ووجود	ووجوه
٢٧٥	١٣	وعلى	على
٢٧٦	١٥	شيئا	شيئا
٢٨٣	١١	وكيفية	وكيفيته
٢٨٦	٧	رسول الله	رسل الله
٢٩٢	٢	تكرر ذلك	تكرر من
٢٩٤	٥	لسند	بسند
٢٩٧	١٩	ويؤله	ويأله
٢٩٨	٩	تتلوه	تتلونه
٢٩٨	١٩	واغوائهم	واغرائهم
٢٩٩	٦	بان يؤتي	بأن يؤتى
٢٩٩	٢٤	مثل شأنهم	في شأنهم
٣٠٠	١٠	يعلمون (	يعلمون)
٣٠٠	١٩	اوافى	اوفى
٣٠٢	١٥	تحوبل	تحويل
٣٠٢	٢٢	ربانيين	ربانين
٣٠٤	١٠	للأولى	الاولى
٣٠٤	١٥	الاذكارى	الانكاري
٣٠٥	٢٢	شرطا معطوفا	شرط معطوف
٣٠٧	٢٣	ونحو	نحو
٣٠٨	١٩	بالعنة	باللعنة
٣٠٩	٩	الذي يرونه	الذي كان يرونه
٣١٢	٤	ذكر	في ذكر
٣١٤	١٥	محفوظا	محفوظان
٣١٤	٢٤	« وطيئه »	« وطئة »
٣٢٣	٢١	وقبل	وقيل
٣٢٤	١٨	برجحانه	رجحانه
٣٢٥	٢٢	استيلائه	استيلائهم
٣٢٨	١٩	كذا من	وكذا من
٣٣١	٢٢	خلفوهم	خلفوهم
٣٣٣	٢٢	المزوع	المزروع
٣٣٤	٢٠	صقة	صفة
٣٤٢	١٢	الاعدام	الاعداد
٣٤٣	١٠	والقول	والقول الأول
٣٤٣	١٩	انما	انما هو
٣٤٦	٢٣	هذا وجه	هذا الوجه
٣٤٧	٢٠	وقوع	إلى وقوع
٣٤٨	١	اللدين	الذين
٣٤٨	١٠	فارون	غارون
٣٤٩	٢٣	من رواية	من ان رواية
٣٤٩	٢٤	رواية	راويه
٣٥١	٤	فان	فان قلت
٣٥١	١٦	المنى	هذا المنوي
٣٥٧	٢٤	الآخره	الآخرة)
٣٥٩	١٦	يظهروا	يظهره
٣٥٩	٢٣	(ولو	(لو
٣٦٠	١٣	بالذلة	بالزلة
٣٦٠	٢٣	بسبب	سبب
٣٦٢	٧	اذكـ	اذك
٣٦٢	٢٢	استحقاوهم	استحقاقهم
٣٦٣	١٢	ولا ينقص	ولا بنقص
٣٦٥	١٠	عاقبه.	عافيه
٣٦٦	١٨	ان	ان كان
٣٦٨		واتقوام	م واتقوا

هذا ولم يتيسر لنا الاطلاع على الملازم الاخيرة لنصلح خطأها والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات